اندريه ميكيل

جغرافية دار الإسلام البشرية

حتى منتصف القرن الحادي عشر

الجزء الثالث

الوسط الطبيعي

القسم الثاني

ترجمة: ابرهيم خوري

الاشراف الفني : زهير الحمو

جغرافية دار الإسلام البشرية

حتى منتصف القرن الحادي عشر

الجزء الثالث ــ القسم الثاني

أندريه ميكيل

جغرافية دار الإسلام البشرية

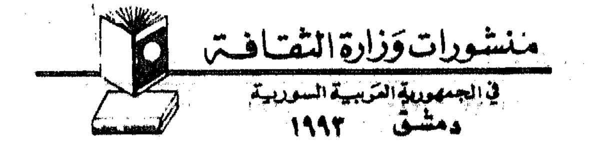
حتى منتصف القرن الحادي عشر

الجزء الثالث

الوسط الطبيعي

القسم الثاني

ترجمة: ابراهيم خوري


منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٢

العنوان الأصلي للكتاب :

ANDRÉ MIQUEL

La géographie humaine du monde musulman jusqu'au milieu du 11e siècle

Géographie arabe et représentation du monde : la terre et l'étranger

جغرافية دار الاسلام البشرية : حتى منتصف القرن الحادي عشر / اندريه ميكيل ؛ ترجمة ابراهيم خوري . - دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٣ . - ج ٣ ؛ ٢٤ سم .

القسم الثاني من الجزء الثالث الذي بعنوان « الوسط الطبيعي » .

١ - ٩١٠ م ي ك ج ٢ - العنوان ٣ ميكيل ٤ - خوري .

مكتبة الأسد

الايداع القانوني : ع ٣٨٢/٤/١٩٩٣

الفصل الرابع

الهواء

« نظرت الى السماء ، فرأيت
على مناكبها اشعة الكواكب التي
تهدي كل الناس الى حيث
يشاؤون » .

(دانتي)

يتسم عنصر الهواء بصفة مزدوجة ، إذا ما قورن بالماء ، وبالأرض بخاصة . ولا تعزى هذه الحالة البتة إلى ماورد في فيزياء زمن معين من ضروب التصنيف . فنحن نعلم ان الهواء حار ورطب ، فيشبه النار والماء باحدى خاصتيه ، ويختلف عن الأرض بكلتيهما (١٥٢٢) . وندرك أن ازدواجية الهواء تكمن في مظهر آخر ، وثيق الصلة بنا . ذلك ، أولاً ، ان بدننا يحيا بالهواء ، كما تحييه العناصر الثلاثة الأخرى ، على حد سواء ، انما بطرق متباينة . ويجوز البدء باجراء تمييز بين العنصرين الأساسيين ، الأرض والماء ، اللذين يؤلفان مادة تركيب جسدنا ، وبين العنصرين المتبقيين ، الهواء والنار ، اللذين يحركانه عند اختلاجهما فيه . ولا يندرج هـذا التمييز في نطاق ما هو مادي وما هو لا مادي فحسب ، بل يتفق أيضاً مع تقسيم تلك العناصر إلى دائمة الاستهلاك ومتقطعته . فبدننا يعتمد حتماً في عيشه على العناصر الأربعة مجتمعة ، إلا أن وتيرة تزوده بها تتغاير من عنصر إلى آخر . فنحن لا نتناول طعاماً على الدوام ، بالتالي تصبح علاقتنا بالغذاء ، عبر الأرض والماء ، متناوبة ،

في حين لا تتوقف أبداً حياتنا التي ترتكز على الهواء والنار : فلو حصل أدنى انقطاع في تنفسنا أو في الاحتراق الداخلي في جسدنا ، لأدى فوراً إلى وفاتنا . وبذا نرى أن أكثف وأوضح ناحية من بدننا ، لا تتجلى حياتها إلا من خلال ضرورات طارئة (١٥٢٣) ، بينما ترتبط أشف ناحية وأعصاها على الحس ، بديمومة لا انفصام فيها .

مع ذلك ، ليس لدينا ما يدفعنا إلى الظن بأن الهواء يفوق أقرانه من العناصر الثلاثة الأخرى بخاصتيه ، أو يقل عنها بهما . لكن يشار إلى ناحية هامة في صميم حقل الاستمرار الذي تظهر فيـــه أصالته : فاذا كانت النار (الحرارة) دائمة ضمن الجسم ، وتخضع إلى سيرورة تمثل الأرض والماء المستهلكين ،فان الهواء يقيم صلة بين الجسم وبين العالم الخارجي بتناوب الشهيق والزفير . وقد يقال بان الهواء ، هنا أيضاً ، لا يتمايز ، بل على النقيض ، ينضم إلى العناصر الأخرى ، التي تتبع مثله العالم الطبيعي والكون البشري الصغير . والواقع ان صورة الغلاف اللحمي ، الذي يطيب لنا أن نطبقه على جسمنا ، تبرز الفارق جيداً . فالهواء يعزل الأرض والماء الداخلين في تركيبنا عن الأرض والماء الكونيين ، في حين لا شيء يفصل الهواء المحيط بنا عن الهواء ضمن جسمنا : فالهواء الطبيعي وهواء التنفس يؤلفان كلا واحداً متصلاً .

إذن يضيف الهواء إلى كونه عنصراً ، أنه حاضنة تحتضن حياتنا بالذات . فهو غلاف حافظ وعازل . ولا يسع عنصر سواه أن يقوم بهذه المهمة لأنه يحول بين جسمنا وبين سائر العناصر : فاذا جاءت النار من خارج جسدنا أضرتنا ، ولا يمسنا الماء إلا عرضاً ، ونلامس الأرض دوماً موضعياً ، ويقضي الماء والأرض على حياتنا إذا ضغطا علينا من جميع الجوانب . لذلك يعتبر الهواء حياة مطلقة دون العناصر الأخرى .

فلا حدود له . ويمكننا ان نشعر بوجوده وبمروره فينا ، وان نسمع هفيفه عند هبوب الريح ، وان نتنسم عبيره ، وان « نتذوقه » ، على حد تعبير المقدسي (١٥٢٤) .

فهل تتسنى لنا رؤيته ؟ هذا ضرب من المستحيل قطعاً ، ما لم نر فيه شيئاً آخر . أما السحاب ، والمطـــر ، والغبار ، والصاعقة ، فأشكال هوائية من الماء أو الأرض أو النار ، لكنها ليست هواءاً . مع ذلك تظهر كلها فيه . وعلى هذا النحو ، يصبح الهواء عنصراً ، وعنصراً مفرداً ، مثلما رأينا ، ومسرح بعض المشاهد : كمشهد الهواء بأوسع معانيه ، ومشهد الكون في منظور عريض ، إذ إننا نكتشف السماء من خلال الهواء ، أو قل إنه السماء بعينها ، والباب المودي إلى عالم جديد .

وتحتل معرفة الهواء ، أو ، إذا شئنا ، معرفة الهواء والسماء ، حيزاً هاماً في الجغرافية العربية قبل العام ألف الميلادي . على أن المنظور يختلف حسب المدارس الجغرافية . فالموسوعيون يتمسكون أصلاً بالتعليل ، ويرون أن المعرفة الجغرافية شاملة ، تندرج في جملة معارف علم الطبيعة أو علم الهيئة فلا يفصلون دراسة ظاهرة الرياح مثلاً عن ظاهرة الفصول أو الشهب . أما جغرافيو اليابسة ، نعني بالدرجة الأولى جغرافيي المسالك والممالك ، فيعتمدون على العيان ، وعلى التجربة المعاشة ، في سبيل منفعة يوضحها المقدسي . ف « ذوق الهواء » ، مثل « تقويم الماء » في مكان آخر ، يستهدف رسم خريطة الأوضاع القائمة في كل بلد ، ليفيد منها السفار ، والتجار ، والحجاج ، وأصحاب الفضول وسواهم ونقصد بالأوضاع القائمة هنا الأهوية في تقلباتها أو ثباتها ، وفي تأثيرها في موارد البشر وفي البشر أنفسهم ، وفي أمزجتهم وعاداتهم .

ولا يبدو البون شاسعاً دوما بين المدرستين لا في حقول تقصيهما ولا في مناهجهما . ولا نظن أن أحد الموسوعيين يستطيع في بعض الحالات ، أن يستغني عن العيان . على النقيض ، يتطرق الجغرافيون الرحالة هنا وهناك إلى بعض النواحي النظرية التي يفرض الأدب عليهم الإشارة عليها : مثل موضوع اثر الأهوية الواقع عند ملتقى الجغرافيتين . مع ذلك ، لابد من الاستمرار في التمييز بين المدرستين . وإذا تعذر التقيد به على الوجه الأكمل ، فسوف يملي علينا نهجنا . وسنبدأ أصلاً في سياق بحث جغرافية الموسوعيين ، بالنظر في جميع ما ينشأ في الهواء من ظاهرات تحاول النظريات المعروضة تفسيرها . ثم تنقلنا جغرافية الرحالة إلى تطبيق مباديء الأهوية .

الهواء على أعلى مستوى : السماء

ولنفتح إذن كتاب الحياة . ويتمثل أول مشهد يبدو لناظرينا في تعاقب الليل والنهار ، وفي حركة الشمس والكواكب . ويعطي المقدسي — مظهر — (١٥٢٥) نموذجاً عن كثرة كتب الأدب التي تتساءل عن النور وعن ألوان الطقس اليومي . ويروي أولا ما يقوله العلم : « عند القدماء ، الليل غيبوبة الشمس ، والنهار طلوعها (١٥٢٦) . وكثير من المسلمين يقولون الليل والنهار خليقتان لله غير الشمس والقمر . قالوا لأنا نرى في الشمس أشياء كثيرة ، فيها جرمها ، ومنها ضوؤها ، ومنها حرها . وقد نشاهد حرارة ، بلا ضوء ، وضوءاً بلا حرارة ، فنعلم أن لكل واحد منها معنى منفرد بذاته » .

ثم يشير إلى التقليد : « وفي رواية أهل الكتاب (١٥٢٧) ، ان أول ما خلق الله النور والظلمة ، ثم ميز بينهما ، فجعل الظلمة ليلاً ، والنور

نهاراً ، ثم سمك السموات السبع من دخان الماء حتى استقللن . وأغطس في السماء الدنيا ليلها ، وأخرج ضحاها ، فجرى فيها الليل والنهار . وليس فيها شمس ولا قمر ولا نجوم . ثم دحا الأرض فأرساها بالجبال . وهكذا روى محمد بن اسحق في المبتدأ (١٥٢٨) . فهذا كله يدل على أن الليل والنهار ليسا من الشمس في شيء ، وإن كانت الشمس تعطي النهار ضوءاً وحرارة . بالشمس عرفنا حر النهار من حر الليل وعلى غرار القمر الذي يتلقى نوراً مستعاراً (١٥٢٩) ، لا تشع الشمس وتنورنا إلا باذن الله : فلا ضرورة حتمية بين النهار وبين الشمس . والبرهان هذا التقليد الآخر : « وروي في الأخبار ان الشمس إذا غربت مرت حتى تقطع الأرض ، فتخر ساجدة بين يدي العرش ، فتسلب ضوءها فتكتسي نوراً جديداً ، ثم تؤمر أن ترجع ، فتطلع ، فتأبى ذلك ، وتقول لا أطلع على قوم يعبدونني من دون الله ، حتى ينخسها ثلث مائة وستة وستون ملكاً . فاذا طلعت خلع عليها ثلاث حلل حمراً وبيضاً وصفراً . وكذلك ما يرى من تغير ألوانها عند طلوعها . وأنشد النبي صلعم فيما رُوِي قول أمية : (١٥٣٠) .

والشمس تصبح كل آخر ليلة حمراء تضحى لونها يتوقـــد
تأبى فما تطلع لنا في رسلهـــا أما معذبة واما تجلد (١٥٣١)

فقال النبي صدق ».

لن ينتهي الجدل حول الشمس ، مادام قد فتح على هذا المنوال ، فيما يظن . فهل هي جسم جامد أو له إرادة ؟ وهل تتحرك بأمر الله وحده أو عن طريق الملائكة ؟ هل تتبع مداراً لا مادياً أم هي مثبتة على دولاب يدور في السماء ؟ أم أيضاً ، تطيع اشارة ملك يريها صدفتين

سوداء وبيضاء ، ويأمرها بالغروب والطلوع ؟ لماذا يتناوب خفاؤها وظهورها ، وعندما تبزغ . لماذا تتباين حسب الفصول ، ولا ترى دوماً ، بسبب الكسوفات ، ولا أبداً ، إذ إنها ثابتة فلا تظهر (١٥٣٢) ؟
ولنختتم مع المقدسي — مطهر — إذا جاز لنا هذا القول (١٥٣٣) ، ولنترك القضية مفتوحة على السماء ، وبها على أزلية الزمن : « وروي في بعض القصص (١٥٣٤) أن الله خلق حجاباً من ظلمة مما يلي المشرق ، ووكل به ملكاً . يقال له شراهيل . فاذا غربت الشمس ، قبض الملك قبضة من تلك الظلمة ، واستقبل بها المغرب ، فلا يزال يخرج الظلمة من خلال أصابعه ، ويرسلها ، وهو يراعي الشفق . فاذا غاب الشفق ، يبسط كفه ، فطبقت الدنيا ظلمة . ثم نشر جناحه ، فساق ظلمة الليل بالتسبيح إلى المغرب ، فذلك كل ليلة حتى تنقل تلك الظلمة من الشرق إلى المغرب . فاذا نقلها قامت القيامة » .

ويعتبر موضوع الفصول أحب جميع المواضيع التي ينطوي عليها أدب السماء، كما يتضح من مكانته في الموسوعات التي تعرض ثقافة الأدب . فماذا يقول لنا المسعودي أو اخوان الصفا بهذا الشأن (١٥٣٥) ؟ يقولون إن انقسام الفصول ، مثلما يخطر لنا ، يرتبط بمسير الشمس في البروج ، وانها تنسجم أيضاً في خصائصها ، وظاهراتها ، ومحاصيل الأرض أو مؤهلات البشر ، بالطبائع الأربعة ، مع العناصر الأربعة : فالربيع ، وهو طبيعة الدم ، حار ورطب ، يتفق مع الهواء ، والصيف ، وهو حار ويابس ، وسلطانه المرة الصفراء ، يتفق مع النار ، والخريف ، وهو بارد يابس ، سلطانه المرة السوداء ، يتفق مع الأرض ، أخيراً الشتاء ، وهو بارد رطب ،سلطانه البلغم ، يتفق مع الماء . ويلح المسعودي على حكمة الباريء ، الذي يبدل ، من فصل إلى آخر ، أحد حدي

المزدوجة الأساسية، مراعاة لجسمنا لتتوفر له الحالات الانتقالية الضرورية: رطب / حار — حار / جاف — جاف / بارد — بارد / رطب — رطب / حار، وهكذا دواليك. على أن الفصول أصبحت شعارات جغرافية أبسط ضمن تلك الموسوعات، فاندرج شتاء بغداد، وربيع الري، وخريف همذان، وصيف اصبهان، عند ابن الفقيه (١٥٣٦)، في لائحة خصائص البلدان، في حين أسبغ اخوان الصفا على موضوع الفصول صفة إنسانية متقدمة، فجعلوا الربيع شابة فتية وجميلة، والصيف عروساً غنية، والخريف امرأة ناضجة وحكيمة، والشتاء عجوزاً أذبلتها السنون.

لكن ليست السماء مسرحا يفتح ويغلق في ساعات محددة لمشاهدة بعض الظاهرات النظامية. فبعض الظاهرات الطارئة تمر فيها أيضاً، أو تخترقها بسرعة البرق. وإذا كانت المجرة (١٥٣٧) مثلاً، تعرض أمام ناظرينا لغزاً أزلياً — فلك سماوي؟ سحائب؟ أكداس نجوم؟ سراب بسيط؟ بخار جاف وحار فوق الخنس؟ مدار قديم للشمس؟ — فان بعض النجوم، المسماة نيازك (١٥٣٨) تضيف بظهورها المتقطع، سراً إلى الأسرار الكونية. ومن هنا نشأ، مرة أخرى، رجوع إلى الأسطورة التي صرف النظر عنها بشأن المجرة في الماضي. فهل هي شرارات سقطت من الأثير وانطفأت على الفور؟ أم هي بالأحرى براغيث؟ ؟ الشمس، أو، على الأرجح — إذا حكمنا على أساس رضى المقدسي عن التبسط في هذه الفرضية الأخيرة — خدوش أحدثتها في السماء حراسها وهم يرجمون الأبالسة؟.

لا نريد أن نتيه في مباهج الموسوعات أكثر مما فعلنا. فالبحث، مثلما رأينا، يختص على الأرجح بالهيئة، لا بالجغرافية، وبالأثير،

لا بالهواء . وإذا كان لا يجوز لنا أن نقتصر على هواء أقرب الأرجاء إلى عالمنا ، فان الجغرافية . التي تتحدد بالضبط بهذا العالم ، تعنى بالدرجة الأولى ، بالهواء الذي نتنفسه مباشرة . فينبغي أن ينصب جل اهتمامنا على المناخ والمناخات . مع ذلك ، نود ، قبل أن نترك طبقات الهواء العليا ، أن نلقي نظرة على بعض الظاهرات التي تضمن ، فيمايبدو وعلى وجه الدقة ، الانتقال من الأثير إلى الهواء . ومع أن هذه الظاهرات تقع خارج نطاقنا المباشر ، فهي تتبع افرادياً جونا ، كما يتضح من الإشارة إلى الهواء الذي يفسرها .

ونبدأ بالهالة (١٥٣٩) التي تنشأ عن اجتماع البخار في الجو وتكاثفه حول الشمس أو القمر أو الكواكب : « فاذا سطع نور الشمس والقمر في الهواء ، عطف ذلك النور راجعاً في الهواء على ذلك البخار ، فترى تلك الدارات . وقد يقول قوم بخلاف هذا ، والله اعلم » .

وأما الشهبان (١٥٤٠) والأعمدة ، فهي من البخار اليابس : « إذا علا في الجو حتى قرب من فلك القمر ، فلينحني هنالك ، ويلتهب بحركة الفلك . فاذا كان ذلك البخار متصلاً بعضه ببعض ، يرى كالشهاب والعمود والكوكب ذي الذؤابة . وقال قوم ان ذلك تخيل في البصر ، لاحقيقة له » .

أما الزوبعة (١٥٤١) « فهي التقاء ريحين مختلفين من جهتيهما ومهابهما ، فيرتفع منها اعصار مستطيل (١٥٤٢) في الهواء . وقد يقال إنه شيطان والله اعلم »

نصل أخيراً إلى قوس قزح (١٥٤٣) « أما قوس قزح فمن شعاع الشمس ، الراجع إلى البخار الرطب ، كمثل ما يشرق الشعاع في

الماء ، ثم يرجع إلى الحائط (١٥٤٤) . وقد يعرض مثل ذلك لعربة رمد ، إذا نظر إلى السراج . ويمكن أن يمتحن ذلك بأن يقف واقف بحـــذاء الشمس ، ويأخذ ماءاً ، فيريقه فيما بينهما ، ويفعل ذلك متصلاً ، حتى إذا كان انعكاس ، وجد من ذلك قوس قزح » .

ومن خلال هذه الظاهرة ، تطرح قضية اللون . ويكتفي المقدسي بربط وقائع التجربة : « وأما حمرته وصفرته ، فمن قبل الرطوبة واليبس ، وقياس ذلك النار ، فانها إذا كانت من حطب رطب ، كان لون تلك النار أحمر كدراً ، وإن كانت من حطب يابس ، كان لونها أصفر صافياً ، والخضرة التي فيها بعد الصفرة ، فلأن الجسم الذي ينعكس عنه ، يكون أكبر كدورة » .

ويتحدث المسعودي عن أعلام ملوك بابل ، وعن ستة ألوان (١٥٤٥) (السواد ، والبياض ، والصفرة ، والحمرة ، والخضرة ، ولون السماء) ويطرح بداية نظريته ويقول : « إن حس البصر مشاكل للون الحمرة (١٥٤٦) ، إذ كان من شأنه انه إذا أدركها ، انبسط نوره (١٥٤٧) في إدراكها ، وإذا وقع البصر على اللون الأسود ، اجتمع نوره ، ولم ينبسط في إدراكه انبساطه في الحمرة ، وان النسبة الواقعة بين بصر الناظر وبين الحمرة الاشتراك ، والمباينة بالضدية بين نور البصر ولون السواد . وتكلم هؤلاء القوم في مراتب الألوان من الحمرة والسواد والبياض وغيرها ، ومراتب الأنوار ، وماوجه ذلك من أسرار الطبيعة ، والحد المشترك بين نورية حس البصر وبين لون الحمرة والبياض ، والضد المباين بين السواد وبين نور البصر ، دون سائر الألوان من الحمرة والخضرة والصفرة والبياض ، وتغلغل القوم في هذه المعاني

إلى ما علا من الأجسام السماوية من النيرين والخمسة (١٥٤٨) ، واختلافها في ألوانها ، وإلى غير ذلك من الأشخاص العلوية » .

وهكذا نرتفع من جديد إلى الأثير : فاللون والنور (١٥٤٩) يرتبطان قطعاً بعالم يتجاوز حدودنا ، هو عالم الهواء الشامل الذي يعلمه الله وحده . وتنتشر أحياناً روائح زكية تنتقل بالهواء إلى حاسة شمنا ، التي تعتبر حاسة الهواء القريب منا مباشرة ، المقيد والمحدد ، مثال القول في المدينة (١٥٥٠) : « وكل من خرج من منزل مطيب إلى استنشاق ريح الهواء والتربة في كل بلدة ، فانه لابد عند الاستنشاق والتثبت ، من ان يجدها منتنة . وذلك على طبقات من شأن البلدان ، الا ما كان من مدينة الرسول » . وعليه فمن مشى في المدينة ، شم بها عرفاً طيباً ؛ لأنها طويت بالبركة وقدس هواؤها . وفيها « اشتراكات » غريبة وفريدة بين نفحات عرفها وبين سائر الحواس التي « تتحسسها » ، وبين النفحة والنفحة ، وبين رائحة التراب وأريج الآخرة ، الخفي المقدس : « وهي طيبة . ولطيبها تلفظ جنتها ، ويتضوع طيبها . وفي ريح ثراها وتربتها ، وعرف ترابها ، ونسيم هوائها ، والفغمة التي توجد في سككها وحيطانها ، دليل على أنها جعلت حرماً » .

نظرة إلى موسوعة الهواء

يفرد الموسوعيون حيزاً واسعاً من مصنفاتهم لبحث أقرب طبقات السماء إلينا ، بما يجري فيها من أحداث حياتنا اليومية ومن هواء تستمد حياتنا منه . وللدراسة السماء الكونية . وهذه الناحية مفهومة تماماً : فالتقليد الناشيء عن القرآن يدعو الانسان دوماً إلى اعتبار الريح والمطر والسحاب أدلة على قدرة الله الرحيم إذا شاء اسعاد البشر ، والجبار

إذا أراد معاقبة كفرهم (١٥٥١) . ويعجب المرء بهذه البدائع . ومنها الهواء الذي تحولت جميع مظاهره ، وينتظرنا في الجنة ، كما جاء في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري (١٥٥٢) : « فينشيء الله — تعالت آلاؤه — سحابة كأحسن مايكون من السحب ، من نظر إليها شهد أنه لم ير قط احسن منها، محلاة بالبرق في وسطها وأطرافها، تمطر بماء ورد الجنة من طل وطش، وتنثر حصى الكافور كأنه صغار البرد، فعز الهنا القديم الذي لايعجزه تصوير الاداني وتكوين الهواجس من الظنون».

وهذا الهواء مثالي بداهة . يقابل جميع أهوية الأرض ، أو على الأقل، أشكالها المتسامية ، مادام لا هواء من أهويتها يجمع كل المباهج الفردوسية الثلاثة ، أي الجمال واللطف ودوامهما . بالفعل ، يتميز هواء الأرض بتقلبه ، أولا حسب موقع البلدان على خريطة نصفي الكرة : أي حسب تأثير الكواكب ، على نحو مايؤكد الهمداني بطيبة خاطر ، وحسب القرب من الشمس والبعد عنها . كلما اقتربنا من خط الاستواء أو ابتعدنا عنه باتجاه القطب . وجميع هذه الأمور معروفة . ولا نشير إليها هنا إلا عن طريق ذكر البرد ، الذي تعجز اللغة الفرنسية عن أن تؤدي شدة قسوته في الشمال مثلما يعبر عنها النص العربي بتكرار صيغ صوتية : « فما عرضه ست وستون درجة إلى تسعين ، يبعد عن مدار الشمس ، ويفرط فيه البرد ، ولا يفارقه الثلج ، والجليد ، والضريب والشفيف ، والصقيع ، والقريس ، والبليل ، والطخاء وغير ذلك مما يضاد نشوء الحيوان والنبات »(١٥٥٤) .

اذن تدمغ وردة الجنة وكافورها ، بالتضاد ، نقص الأهوية أو تغيرها . وأفضل مديح يطرى به على أحد البلدان هو مقارنة هوائه المعتدل بالنموذج (١٥٥٥) البعيد الفريد . وهذا ما فعله ابن رستة (١٥٥٦)

بشيء من المبالغة ، في حديثه ، المفعم بالحب ، عن موطنه اصبهان . فهو يمتدح بعد الشمس الجيد عن سمتها . ويكرر مصنفون آخرون القول ذاته عندما يتحزبون لأحد البلدان ، لاسيما العراق (١٥٥٧) . وعليه لابد أن نأخذ الموضوع على علاته ، ونعتبره أحد مواضيع لائحة خصائص البلدان ، التي انفردت بها جغرافية الأدب مع ابن الفقيه الذي أبدع فيها .

فهو يستعرض في صفحات طوال (١٥٥٨) مجاراة في مدح موطنه همذان، يمثله الجبل ، ومدح العراق وذمهما ، ويستشهد بكثير من أبيات الشعر . ويرى البعض أن الجبل كدر الهواء بارده ، على التخصيص ، يزيد العلو برده شدة ، فتتأتى جميع المصائب عنـــه : كالمطر الدائم ، والثلج ، والرياح العواصف ، والوحول ، وكالجسم النحيل أيضاً ، والقذارة ، وغلظ الطباع ، والفقر ، وأخيراً هتك الستر : « فالقلوب تجمد » في الجبال ، التي يضطر « زمهريرها » (١٥٥٩) أهلها أن يوقدوا النار في الشتاء ، ويتعرضوا إلى عذابه وعذاب نار جهنم . وعند هذا الحد من المجاراة ، أجاب دافع ذم همذان (ابن سرج) ، وشرع في عد مثاقب العراق الذي كان يعتبر نموذجاً أمثل ، وطعن معه ببلدان اخرى . وقد أشار الى القاعدة التالية : لا يخلو بلد من البلدان من حر أو برد اربعة أشهر ، وأسوأ ما في ذلك تغير الهواء ، مثلما يحصل في مصر . وإذا كان اقليم الجبال قد خص بالبرد حقاً ، فبرده أصلح من الحر، لأن «الشتاء صديق النفس». ومن الشتاء ، ومن قسوته، تنشأ ثروات الحقول وسحر الربيع، بما يأتي به من مياه. ويحث الشتاء على انجاز روائع اضافية، إذ تتخذ له القصور المشيدة والمجالس التي تطيب فيها الأحاديث الطويلة وشرب المدام ولهو الحب ، أي ، باختصار ،

يحلو العيش الهنيء ، المتوازن الثابت ، الخالي من ضروب أذى شدة الحر ، كالرطوبة المضنية ، والأوبئة ، والماء السخن الزعاق ، والرياح النتنة الخانقة ، والهواء الفاسد الغليظ ، والهوام القبيحة أيضاً ، من حيات وعقارب ، ونمل ، وبعوض ، وذباب ، وجرجس ، وبق وغيرها .

وتعبر تنميقات الموسوعة وتعميمات الأدب ، هنا أيضاً ، عن موضوع الحالة الوسطى ، التي لا تتحقق تماماً ودوماً ، لأنها من خصائص الجنة ، لكن تستطيع أن تتخذ شكلين على هذه الأرض : فمن ناحية أولى ، لابد من التخلص لفترة محدودة من فرط التأثير الفصلي . ويشاء حسن الحظ ألا يحتمل البرد في إقليم الجبال التشبيه ببرد أقصى الشمال الذي أشرنا إليه منذ قليل في حديثنا عن الهمداني . كذلك لا تقارن شدة الحر في أي بلد من البلدان ، كالعراق ، بشدة الحر في مشارف أقصى الجنوب التي تلقي بالعالم في هاوية الموت (١٥٦٠) . اذن سأتحدث عن الحكمة الفصلية عوضاً عن الكلام عن الحالة الوسطى ، بالمعنى الدقيق لهذا اللفظ السائر في الجغرافية المعاصرة ، على أن أعود إلى اصطلاح الحالة الوسطى لاحكم على المناخ في مجمل العام . ولا يتعرض المناخ إلى التغييرات المفاجئة التي تطرأ على سماء مصر بانتظام ، ولابد له أن ينطوي على فترات طويلة بعض الشيء — أربعة أشهر في رأي ابن الفقيه كما مر معنا — تسمح من خلال ازعاج ظاهري أن توازن الحالة الغالبة السنوية ، وتعيد الحالة الوسطى بشيء من الزيادة أو النقصان ، إلى المستوى المعقول . ويعتبر الصيف معتدلاً في اقليم الجبال لأن شتاءه شتاء حقيقي ، قارس قطعاً ، لكنه يراعي الحياة جيداً . وعلى النقيض ، ، ى المدافعون عن العراق ان شتاءه مليء بالمباهج ، التي تندرج في شدة

حر الصيف . لذا يتمنى الشاعر الذي يستشهد به ابن الفقيه . أن يصيف في الجبال . ويشتو في العراق . ويعيش في خريف دائم . لأن الجنة أقرب إلى الأثرياء منها إلى الفقراء .

لقد ميزنا في سياق الحديث عاملين مناخيين : هما بعد البلدان عن الشمس ، وتضاريسها التي يعطي علوها الجبال أو يحرمها من السهول . ويضيف إليهما ابن الفقيه التوجيه : (١٥٦١) فالشمس تؤثر بطريقة أخرى : فهي . شأنها شأن سائر الكواكب ، تعمل مباشرة أو بصورة غير مباشرة . ويستشهد ابن الفقيه ببقراط (الصحيح بفسطوس) ، ليقول لنا بأن أصلح مواضع البنيان ان يكون على تل أو كبس وثيق ليكون مظلاً . وأحق ما جعلت إليه الأبواب والأفنية والكوى ، المشرق واستقبال الصبا . وما كان في قعور وأغوار ومواجهة لريح الجنوب أو الدبور ، فهي مواضع ردية مولدة للأمراض . ويستمر إلى أن يستخلص بأن « الصواب أن تتخذ الدور بين الماء والسوق ، وأن تكون الدور شرقية والبساتين غربية » .

ويخضع الهواء ، مثل الماء ، الذي يقرنه به (١٥٦٢) ، إلى تأثير تدبير الكواكب التي تقوى أو تضعف أو تعدل الأحوال الأرضية . ولا تبدو الأحوال الأرضية أصلاً بدرجة البساطة التي توحي بها عناوين الأدب . ولاريب ان المسعودي (١٥٦٣) أحد المصنفين الذين يجعلون الموسوعة تعنى إلى أقصى حد ، في الموضوع الذي يهمنا ، بواقع الحال ، الذي سوف تشتهر به مدرسة المسالك والممالك . فهو يبدأ فعلاً بنوع من الأقوال العامة التي عرفناها من قبل . فيقسم الأرض قسمين حسب بعد الشمس ودنوها : هما الشرق والتيمن وهو الجنوب ، ويؤلفان

جوهراً واحداً ، لغلبة الحرارة عليهما . والمغرب والجربى ، وهو الشمال ، ويشكلان أيضاً جوهراً واحداً ، لغلبة البرودة عليهما وشدتها فيهما . ويعتبر ما سواهما مناطق انتقال ، وهي البلدان المعتدلة ، لاسيما المشرق ، وفضله أظهر واعتداله أشهر . وعلى النقيض ، وبعيد الأقسام القصوى ، التي تنعدم فيها الحياة لافراط الحر أو البرد ، يتميز المشرق والمغرب بالخصائص التي أشرنا إليها من قبل (١٥٦٤) : من جهة أولى : قلة الرطوبة ، والتهاب الحرارة ، والملامح الجسدية الزنجية ، ومن جهة ثانية : البرد والمطر والثلج واللون الأبيض الضارب إلى الزرقة ، وليونة الأبدان التي يعتبر الأتراك النموذج الكلاسيكي لها .

وعندما انتهى المسعودي من الإشارة إلى التقاليد الموسوعية ، انتقل إلى التدقيق في صورها العامة وحتى إلى تصحيحها ، بتصميم واضح جداً . ويلاحظ ، في حدود التأملات العامة أيضاً ، ان بعض مواضع الأرض تقاوم تأثيرات الكواكب «بالحر» ، بالأبخرة الباردة الخارجة من اعماق أرضها . ويجوز العكس بداهة ، فيتفوق تأثير الكواكب على أبخرة أرض البلد . ولا تخرج هذه الأقوال عن نطاق البحث النظري في الموسوعة ، لولا أن المسعودي يدعمها بوقائع ترتكز على التجارب : فالحر المعتدل في دمشق وسروات أرض التهائم في جزيرة العرب ، لا يتناسب مع ما يجوز توقعه من الموضع على الخريطة ، أي مع تأثيرات الكواكب (١٥٦٥) .

لكن هذا ما هو أوضح (١٥٦٦) : « تختلف قوى الأرضين وفعلها في الأبدان لثلاثة أسباب : كمية المياه التي فيها ، وكمية الأشجار ، ومقدار ارتفاعها وانخفاضها . فالأرض التي مياهها كثيرة (١٥٦٧)

ترطب الأبدان ، والأرض العادمة للمياه تجففها . وأما اختلاف قوتها من قبل الأشجار ، فان الأرض الكثيرة الأشجار ، الأشجار التي فيها تقوم لها مقام السترة ، فبهذا السبب تسخن . والأرض المكشوفة من الأشجار العادمة لها ، حالها عكس حال الأرض الكثيرة الأشجار . وأما اختلاف قواهـا من قبل مقـدار علوها وانخفاضها ، فلأن الأرض العالية المشرفة فسيحة باردة ، والأرض المنخفضة العميقة حارة ومدة » .

يتجلى الابهام من قراءة النص الأولى ، هذا الابهام الذي يتفق مع ابهام الطبيعة ذاته . فلاشيء ينفصل هنا ، لا الانسان عن وسطه ، ولا أي عنصر من العناصر في هذا الوسط . « فالأرضون » المنوه بها ، هي الأرض والتربة ، لكن أيضاً الموضع الذي تتضافر فيه الأرض والهواء والماء لايجاد الحياة . فالهواء الذي يهمنا بالدرجة الأولى ، يثبت وجوده في موضوعي الاتصال — حسب وجود أو انعدام الغطاء النباتي الذي يقوم مقام السترة — وهبوب الرياح التي ترتبط بالارتفاع . مع ذلك ، لا يخلو هذا التحليل من شيء من التعميم لأنه يفترض قبلياً ان الهواء بارد في حالة الأرض المكشوفة والعالية ، وحار في الحالة العكسية : وهذا الكلام لا يستنفد درجات الأوضاع المحتملة ، فيما يظن .

لذلك ينسق المسعودي أفكاره على أساس فوارق أخرى : « قال (الواثق) : فأخبرني عن أحوال البلدان في ذلك (المقصود الحرارة والبرودة والرطوبة واليبس) — قال (حنين ابن اسحاق) : هي أربع : الأول الارتفاع والانخفاض ، والثاني مجاورة الجبال والبحار ، والثالث طبيعة تربة الأرض ، والرابع النواحي الأربع (١٥٦٩) . (وهي الجنوب

والشمال والمشرق والمغرب)، فناحية الجنوب أسخن . وناحية الشمال أبرد ، وأما ناحيتا المشرق والمغرب فمعتدلتان . واختلاف البلدان بارتفاعها وانخفاضها لأن ارتفاعها يجعلها أبرد ، وانخفاضها يجعلها أسخن ، والبلدان تختلف بحسب مجاورة الجبال لأن الجبل متى كان من البلد في ناحية الجنوب جعل ذلك البلد أزيد برداً لأنه يستره من الرياح الجنوبية ، وإنما تهب فيه الرياح الشمالية فقط . ومتى كان الجبل من البلد في ناحية الشمال . جعل ذلك البلد أسخن . قال (الواثق) فأخبرني عن اختلاف البلدان عند مجاورتها البحار كيف اختلفت ؟ قال (حنين) : ان كان البحر من البلد في ناحية الجنوب ، فان البلد يسخن ويرطب ، وان كان في ناحية الشمال كان ذلك البلد أبرد وأجف . قال السائل : أخبرني عن البلدان كيف اختلفت بحسب طبيعة تربتها ، قال : ان كانت أرضها حجرية ، جعلت ذلك البلد أبرد وأجف ، وان كانت تربة البلد جصية ، جعلت البلد أجف وأسخن ، وان كانت طيناً ، جعلته أبرد وأرطب . هنا أيضاً ، يستشف (١٥٧٠) وجود المواضيع الموسوعية . فضروب التصنيف الممكنة حسب مزدوجات البرد والحر ، والجاف والرطب ، تساعد على ايجاد العناصر الأربعة الرئيسية . فيما عدا ذلك ، يأتي المسعودي بدرجات الأهوية وتغييرات حسب الواقع ، عندما يأخذ بعين الاعتبار الارتفاع وطبيعة الأماكن . وترد النواحي في البدء هي أيضاً في لائحة عوامل المناخ ، الا أنها لم تشرح فيما بعد . وتجري الأمور كما لو أن المقصود أن يشار فقط اضطراراً إلى هذا الموضوع الكلاسيكي ، الذي لا دخل له في البحث أو أن تأثيره يقل شأناً عن غيره بكثير ، في دراسة الأهوية الدقيقة وهكذا تبرز أحوال خاصة يلعب فيها الهواء الأدوار الأولى هذه المرة . وتحل محل الجهات الأصلية أو الشمس أو الكواكب .

وتتمثل الريح في الهواء . وتتمثل فيه الأرض والبحر ، وكذلك البرد والحر والرطوبة . وهو يؤثر في نطاق غير نطاق الأرض والماء (١٥٧١) . ويفعل فعله أيضاً وفق قوانين طبيعته الخاصة ، التي لا تعتبر حتمية بل دقيقة ، ولا تنطوي نتائجها على أي حكم مطلق . ويلاحظ انه لا يقال أهوية باردة أو حارة أو رطبة أو جافة ؛ بل ابرد واحر . . .

قد يظن وهذا صحيح ، ان موسوعة المسعودي ، على قيمتها ، لا تزال بعيدة جداً عن الوصول إلى مستوى التطبيق المناخي الصحيح . إلا أنها تمتاز بنزولها من الشعرى أحياناً . فبعد مثال دمشق وجبال جزيرة العرب (السروات) يجيء دور مصر التي يعرفها المسعودي وأمضى فيها آخر عمره . وتساءل عن انعدام المطر تقريباً فيها ، كما فعل سواه . وهو يصر على النظرية ، ويريد أن يفهم ويشرح ويعرض . ويضع حصيلة تفكيره في بضعة أسطر (١٥٧٢) تسود فيها النظرية ، ويتمسك مع ذلك بأراضي وأسماء ، لايرد نظامها في النهاية إلا ليثبت صحتها بتوضيحه توضيحاً جيداً (١٥٧٣) واقعة تجربة ، خاصة ببلد عاش مصنفاً مناخه يوماً فيوماً : « إن السبب في ذلك ان جزء بلاد مصر من جهة شمالها عادم الجبال الشوامخ . وأكثر ما يسيل إليه من جهة بحر الحبشة (١٥٧٤) يحجز بينه وبين مصر جبال البجة ، كالمقطم وما يليه (١٥٧٥) ، فيمنح ذلك البخار ، فيسيل إلى جهة الشام والعراق . وليس في سمت (١٥٧٦) مصر من جهة الجنوب بحر ، فما يسيل إلى سمتها من البخار أقل مما يسيل من جهة بحر الحبشة إلى الشام والعراق . والنيل يعين حركة الهواء من الجنوب إلى الشمال بجريته . فينقاد سيلان تلك الأبخرة إلى الشمال في بلاد كلها حارة ، لقلة العرض ومجاورة البحار .

أما بحر الحبشة فمن جهة شرقها . وأما بحر الاسكندرية ، وبحر الروم ، فمن جهة شمالها ، فيحمي جوها ، فلا يغلظ البخار السائل إليه ، ولا يجتمع حتى يخالط بحر الاسكندرية ويمتزج به . ويجوزان معاً جهة الشمال من بلاد اروفى . وإذا صارا إلى الموضع الذي يعرض لهما فيه الانحصار ، ببرد الجو . وما يحيط به من الجبال . سالت تلك الأبخرة هناك ، فصارت أمطاراً في تلك المواضع الشمالية . فلهذه العلة عدم أهل مصر المطر » .

دائرة الرياح

ويسترسل المسعودي في تفصيل الريح،لكن يبقى البون شاسعاً بين المعطيات النظرية والتطبيق . ويقول : « ليس الريح شيئاً غير حركة الهواء وتموجه » (١٥٧٧) . والمبدأ معروف يحصل اضطراب ينشأ عن اختلاف الحرارة بين ظاهر الأرض وبين طبقات الجو العليا . ويستند البعض أحياناً إلى مرور الشمس ، الذي يتمثل في بخار ، تهيج كثافته ، مهما كان جافاً أو رطباً ، الريح ، والسحاب ، والندى ، والمطر والثلج والبرد . ويعود غيرهم إلى فكرة فروق الحرارة ، ويقرنونها بفكرة «لافراغ» في جرم العالم . وفي هذا المنظور ،تقوم الريح ، في رأيهم ، باعادة توازن يختل على الدوام من جراء تأثير الحر والبرد في الأجسام في ثلاث نواحي . إذ إن هذه الأجسام تتحرك بطبعها صعداً أو سفلاً ، وتتباعد نهاياتها عن مركزها أو تتقارب منه ، وتتحجر أو تتبخر ، فتؤدي إلى حدوث حركة عامة ، تسد الريح فيها ، بما تجلبه من هواء ، فراغاتها وتوتراتها وانقطاعاتها . وعلى هذا النحو ، يتضح ، من بين شتى الظاهرات ، كيف أن مسير الشمس في الميل الشمالي عن معدل

النهار ، يجعل الهواء يحمى في ناحية الشمال ، ويتسع ، ويحتاج إلى مكان أوسع ، ويتحرك إلى ناحية الجنوب حيث يبرد فوراً وينقبض فبالواجب أن يكون أكثر رياح الصيف عند من هو في ناحية الشمال شمالية . وكذلك يجب ان يكون أكثر رياح الشتاء جنوبية (لتحرك الهواء إلى ناحية الشمال لمسير الشمس في الشتاء في الميل الجنوبي) .

وتظل هذه المباديء العامة على هامش حقيقة بديهية ، أو دونها ، لأن هذه الحقيقة تقضي بهبوب الريح من حيث تشاء : من أمام من يستقبل المشرق طبعاً (القبول) ، ومن دبر من يستقبله (الدبور) ، وعن شمال من يستقبله (الشمال) ، وعن يمين من يستقبله (الجنوب) . ومن هنا تنشأ صفات الرياح . فالقبول (أو الصبا) حارة ورطبة ، شأنها شأن الهواء وطبيعة الدم والربيع . والجنوب حارة يابسة كالنار والمرة الصفراء والصيف . والدبور باردة ورطبة . مثل الماء والبلغم والشتاء . أخيراً ، الشمال باردة ويابسة ، على غرار الجربى والأرض والمرة السوداء والخريف (١٥٧٨) . ونتساءل بعد عرض هذه المعطيات عما يمكن أن يحدث لو أن ألفاظ المشرق والمغرب والشمال (التيسر) والجنوب (التيمن) ، لم تعد تدل على الجهات الأصلية وحدها ، بل على أرباع العالم الأربعة ؟ مثلاً : هل تصبح ريح الجنوب أيضاً الريح التي تهب على الربع الجنوبي من عالمنا ؟ لابد هنا أن ندرك ما يكمن وراء الاتجاه إلى الشرق من تلميح ضمني : فهذا الاتجاه يعزل خلفه وإلى اليسار النواحي السيئة ، أي نواحي البرد ، وأمامه وإلى اليمين ، النواحي الجيدة ، أي نواحي الحر . لكن ماذا نلاحظ ؟ ان المغرب مهب ريح الدبور ، والتيمن مهب ريح الشمال ، وتبدو هذه الأوضاع واضحة وبارزة ،

لا تدرج فيها ، إذا جاز هذا القول . فهل ترتضي النواحي الجيدة هذه التخصيصات الدقيقة إلى هذا الحد ، لاسيما ان المشرق الذي يطرى عليه أعظم اطراء (١٥٧٩) ، يوضع هنا في حيز شامل من الحرارة والرطوبة ، أي في أحد أسوأ المناخات كما قلنا من قبل (١٥٨٠) ؟ والمشرق والربع الجنوبي ، وكلاهما حاران ، يتبادلان الرياح ، فتلطف ريح الجنوب ، بجفافها الجنوبي ، رطوبة المشرق ، في حين تصبح القبول أو الصبا الريح التي تهب على الربع الجنوبي من العالم .

وهكذا نساق إلى التساؤل ما إذا كانت الريح تهب من حيز محدد ثابت من جهات السماء الأربعة ؟ الواقع أنها تهب كما تشاء من أفق واسع يفوق ما توحي به القطاعات التي يريد عجزنا ان لم يكن كسلنا ، أن يحصرها فيه . وليتنا نعرف على الأقل ، كما يدعونا المسعودي ، كيف نحدد بدقة الآفاق الاثني عشرة في دائرة الرياح (١٥٨١) . فالواقع ان كل اسم من أسماء الرياح الأرضية ، يعني في عرف الناس ، لا الريح التي تهب فعلاً من جهة معينة ، بل جميع الرياح التي تأتي بشكل أو بآخر عن يسارها أو عن يمينها . لكن هل نعتبر على ضلال أصلاً لضعف هذه الدقة ؟ فالرياح التي نعرفها حق المعرفة ، هي الرياح المنسوبة إلى أحد البلدان ، لا « الرياح المحلية » (١٥٨٢) وحدها ، التي يتحدث عنها المسعودي وحتى بقراط ، بل جميع الرياح وحتى الرياح الأربعة الكبرى ، التي لا تتميز جيداً إلا عندما تربط بأحد الآفاق المألوفة ، مثل العراق الذي يقارنه المسعودي بمصر ذاتها . ففي بغداد تهب الشمال من أعالي دجلة ، والجنوب مما يلي البصرة . وتهب على مصر « البحرية » (الرياح الشمالية) والمريسية ، أي « الجنوبية » بالقبطية (١٥٨٣) .

وأيام هبوب المريسية بمصر مقابلة لأيام « البوارح » ببغداد ، لأن المريسية تهب بمصر في كانون الأول ، والبوارح في العراق تهب في حزيران . ونعرف شدة هذه الرياح ودوامها وتأثيراتها في الهواء والغيوم والمياه وصحة الأبدان . ونحن نختتم كلامنا عن الرياح البلدية ، باستشهاد خاص من الهمداني الذي يتحدث عن جزيرة العرب ، ويعدد « رياح الأقطار » الأربعة التي نعرفها ، ثم « رياح الزوايا » الثمانية ، ليحصل على اثنتي عشرة لاثني عشر برجاً ، على حد قوله . وتعتبر أسماء هذه الرياح ذاتها (١٥٨٤) أهم في هذا الحديث قطعاً . فبين رياح الشمال والشرق نجد الريح العقيم ، والحرجف ، وبين الشرق والجنوب الباذخوش (١٥٨٥) والنكباء (١٥٨٦) ، وبين الجنوب والغرب الداجن (١٥٨٧) واسماً آخر أسقط في المخطوطة ، أخيراً بين الغرب والشمال الصاروف الأزيب (١٥٨٨) .

وتثبت هذه التسميات ان الريح أقل تجريداً من ظاهرات الهواء ، وأقربها إلى الواقع . لذلك قال المسعودي بعد بقراط إن الهواء يتحد بحياتنا التي تتنفسه . ويدخل إلى أعماقنا وإلى صميم كياننا : « إن الرياح تقلب الحيوان من حال إلى حال ، وتصرفه من حر إلى برد ، ومن يبس إلى رطوبة ، ومن سرور إلى حزن ، وكما تغير ما في البيوت من بزر أو عسل أو فضة أو شراب أو سمن ، فتسخنها مرة وتبردها أخرى ، وترطبها مرة وتيبسها أخرى . . . . وان الجنوب إذا هبت أذابت (١٥٨٩) الهواء وبردته ، وسخنت البحار والأنهار ، وكل شيء فيه رطوبة . وتغير لون كل شيء وحالاته ، وهي ترخي الأبدان والعصب ، وتورث الكسل ، وتحدث ثقلاً في السماع ، وغشاوة في البصر لأنها

تحلل المرة ، وتنزل الرطوبة إلى أصل العصب الذي يكون فيه الحس » . وأما الشمال ، فانها تصلب الأبدان ، وتصح الأدمغة ، وتحسن اللون ، وتصفي الحواس ، وتقوي الشهوة والحركة ، غير انها تحرك السعال ووجع الصدر » . ويسترسل على غرار ما فعل بقراط قبله ، فيقول : «وقد زعم بعض من تأخر في الاسلام من الحكماء ان الجنوب إذا هبت بأرض العراق ، تغير الورد ، وتناثر الورق ، وتشقق التنبيط ، وتسخن الماء ، واسترخت الأبدان ، وتكدر الهواء » . وذلك شبه ما قال بقراط : « إن الصيف أوبأ من الشتاء ، لأنه يسخن الأبدان ، فيرخيها ، ويضعف قواها ، وان أهل العراق يكون الرجل منهم نائماً في فراشه ، فيحس بهبوبها ، وانه إذا هبت الشمال برد الخاتم في اصبعه واتسع لانضمام البدن بها ، وإذا هبت الجنوب سخن الخاتم وضاق ، واسترخى البدن ، وحدث فيه الكسل » .

ومهما قيل عن تأثيرات الهواء ، او اكتفي بالإشارة ، على وجه أعم ، إلى أن ريح الجنوب تهب من الجحيم وريح الشمال من الجنة ، فالريح تظل موضوعاً في الموسوعة . وترتبط نظريتها ومعرفتها بدراسة البشر وتؤدي إليها . وقد كتب المسعودي يقول : « ان الشمس والكواكب تغير الهواء بحركاتها ، وإذا تغير الهواء تغير بتغيره كل شيء . فمن تقدم وعرف أحوال الأزمنة وتغيرها والدلائل التي فيها ، عرف السبب الأعظم (١٥٩٠) من أسباب العلم ، وتقدم في حفظ صحة الأبدان » . وعلى نحو ما نرى ، يستشف تطبيق المناخ دوماً من خلال النظرية : وإذا كان الانسان لا يتحكم بالهواء الذي يحييه ، فلا بد له ، في الحد الأدنى ، أن يعرفه لأنه مسخر له مثل سائر الخليقة » .

الانسان حيال الهواء

يرى المقدسي أن « ذوق » الهواء ، مثل « وزن » الماء ، عمل أساسي ، وشبه علم ، تطبيقي طبعاً : لأن الهواء يغذي جسدنا (١٥٩١) كالماء ، فلابد بالتالي من معرفة طبيعته وآثاره . ويلاحظ في البدء الاحساس الناشيء (١٥٩٢) عند البشر في عفويته : مثل برودة الهواء أو حرارته ، وجفافه أو رطوبته ، ولطافته أيضاً بالمعنى الصحيح ، وحتى نعومته . ثم تأتي الإشارة إلى آثاره ، فيوصف بالسليم ، أو الصحيح ، والسهل ، أو ، على النقيض ، بالوبيء ، الوبائي ، المنتن ، المنعش ، الصعب ، المجفف . أخيراً يتحدث الحكم الاجمالي عن أهوية طيبة ، جيدة ، ممتازة ، بديعة ، لطيفة ، معتدلة أو متغيرة ، متضادة ، سيئة ، مقيتة ، حزينة . ولا تأتي هذه التسميات مطلقة ، كما هي الحال في الحكم على الماء : فمعنى بعض الصفات المذكورة ، وفي رأي البعض ، الصرف والنحو ، تدل على سلسلة من التدرجات في المقارنة ، أو التفضيل ، أو الافراط ، أو حتى الصفر ، والتنوع ، حسبما يرد النفي صراحة أو في صيغة ملطفة .

وعلى وجه الاجمال ، تسود مواضيع الحكمة الفصلية والمتوسط السنوي ، التي أشرنا إليها من قبل ، يضاف إليها موضوع التوازن اليومي . فتتناقض فصول الصيف الشديد الحر وفصول الشتاء المفرطة البرد ، مع البلدان الحكيمة ، المعتدلة ، حيث يتضاءل التضاد بين الفصول . وتعطى أمثلة واضحة جداً على ذلك ، كالبحرين ، التي « لا يمشون فيها إلا في الغداة أو العشي لحر الأرض » (١٥٩٤) . أو على النقيض ، كتلك القرية القريبة من اصبهان ، التي عند أهلها خرزة يزعمون أنها طلسم للبرد ، فاذا كانت أيام الربيع ، وخافوا البرد

(١٥٩٥) ، نصبوها على قناة . ولنأخذ من المقدسي (١٥٩٦) بعض الشواهد : فهنا سيراف ، على ساحل فارس ، باب جهنم من شدة الحر ، وهناك ، في الاهواز ، في الليل دبس (١٥٩٧) ، وفي النهار حر السموم . وعلى النقيض ، لا حر ولا برد شديد في هواء بيت المقدس ، وهذه صفة من صفات الجنة . وسئل أحد الخراسانيين ، وكان في اليمن ، قد جاء إليها من مشرق دار الاسلام الشديد الحر والبرد في جميع الأماكن ، فقال عن الهواء بخراسان : « انا ننام ثلاثة أشهر في البيوت ، وثلاثة أشهر في الصفاف (١٥٩٨) ، وثلاثة أشهر فوق السطوح ، ثم نرجع على هذا الترتيب (١٥٩٩) . » . وقال (السائل اليمني) : « إذن ! خراساني أنتم أبداً في سفر . لي عمري كله ، أنام في هذا الموضع » . ثم يخلص المقدسي إلى القول « وكذلك أكثر الشام ، وبعض فارس ، وبعض كرمان ، ومكثت أنا عشرين سنة ببيت المقدس أنام في البيت » .

لاريب أن حكمة الهواء أو تموجاته بين الحر والبرد ، مواضيع تجربة ، استولى عليها الأدب أيضاً . وهكذا ، يحوز العلم أو إحدى المناطق نواحي تشتهر باعتدالها ، بين الصرود والجروم ، أي بين الأهوية الباردة والأهوية الحارة . ولا يجهل جغرافيو الأرض ، مثل ابن حوقل أو المقدسي ، لا هذا التصنيف طبعاً ، ولا هذه المصطلحات . ويضيف المقدسي إليهما في تحديده المناطق المعتدلة موضوع الأضداد ، أي محاصيل بلدان متباينة الهواء ، تجنى في هذه الأنحاء المتمايزة (١٦٠٠) . ويتفق هذا التصنيف كثيراً مع ذوق الأدب ومناهجه ، الا انه بعيد ، فيما نظن ، عن كونه تمرين كتابة عند هذين المصنفين . ويتلون ، ويبرز في التلوين أو الصورة التي تثيرها ذكرى الشيء المتعاين . وهكذا يفصل ابن حوقل ، فيفرق على الخريطة بين الصرود والجروم بفارس ، ثم يشير إلى أنه

لا ينبت في الحدين شيء من الفواكه والبقول . ويقول إنه روي له أن الحجارة تنفلق في نار نصف النهار (١٦٠١) في أحد الأودية . أما المقدسي ، فيجمع في قصبة واحدة ، هواؤها في غاية الطيبة ، البرد وحتى الثلج ، إلى النخل والكروم والأعناب واللوز والليمون والتين والزيتون (١٦٠٢) .

وتجيز لنا ملاحظات ابن حوقل أو المقدسي ، سواء اختصت بهذا النوع من ضروب التصنيف أم لا ، أن نقسم ، في سياق البحث ، أهوية دار الإسلام (١٦٠٣) إلى مجموعات أرضية كبرى ، وإلى مناطق ، وإلى مدن أحياناً . فنحصل مثلاً من جهة على سواحل شديدة الحر في فارس ، ومن جهة ثانية على الأراضي الماطرة في اذربيجان أو شمال شرق دار الإسلام ، وفي الوسط — وسط الخريطة أو الحيز — على بلاد متوسطة الهواء مثل الشام . ونذكر نموذجاً على مستوى الاقليم ، ما أشار إليه المقدسي في وسط اقليم الشام ، من الشراة إلى الجولة (الانهدام الكبير لنهر الأردن والبحر الميت) الذي يتحدد فيه وادي يعتبر « بلد الحر والنيل والموز والنخيل (١٦٠٤) » . وتقدر الفصول بأعياد النصارى في فلسطين المقدسي . ومن أمثال الناس فيها : « إذا جاء عيد بربارة ، فليتخذ البنّاء زماره ، يعني فليجلس في البيت . ومن أمثالهم إذا جاء القلندس ، فتدفىء واحتبس (١٦٠٥) » .

فمصنِّف مثل المقدسي ، يحتل هذه المكانة الفريدة في الجغرافية العربية ، يجيد دراسة الهواء ، ويرفعها إلى مستوى لم تبلغه قط من قبله ولا نقصد لاهواء المنظِّرين ، الذين خلفهم الموسوعيون ، بل الهواء الذي يحياه البشر آنياً على أراضيهم . ولعل أبرز ناحية عنده هي سهولة تنويعه وجهة نظره . فمن جهة أولى ، يقدم التركيب في أقاليم جزيرة

العرب الحارة ماعدا جبالها الساحلية ، وفي خراسان وسجستان وما وراء النهر ، الخاضعة جميعها إلى تقلبات هواء متضارب إلى أقصى حد ، وفي فارس التي تتناقض فيها الجروم الحارة في الجنوب والصرود الباردة في الداخل (١٦٠٦) . ويعطي القارىء صورة واضحة بالتفاصيل أو المحسنات اللفظية أو بالمشهد أو الفكاهة فيذكر هنا انعدام النخل أو حتى الحبوب بسبب قسوة الحرارة ، ويشير هناك إلى « معادن » الحر أو مواضع البرد ، وهنالك أيضاً إلى طبرية الموضوعة بين الجبل والبحيرة ، فتصبح ضيقة كريهة في الصيف ، وفي صنعاء ، إلى رجل طبخ قدراً من اللحم ، ثم ذهب إلى الحج ، فعاد وما تغيرت (١٦٠٧) .

وتبرز صلة الهواء بالأرض شيئاً فشيئاً في سياق البحث ، من الصورة العامة أو من الصفات الخاصة ، ويعاينها المصنف مباشرة أو يوحي بها نصه فقط . فشدة الحر ، كما هي الحال في طبرية أو في إحدى مدن فارس ، ترتبط بوقوعها في وهدة . أما البرد ، فسمة الارتفاع أولاً . وقد ذكرت الموسوعة جميع هذه النواحي من قبل ، إلا أن ابن حوقل والمقدسي يصفانها في أعقاب مشاهدة عيانية . وتظهر عندهم تناقضات أخرى بين الساحل والبر ، بين المفازة والمزارع ، بين الأصقاع الخالية من الأنهار والأنحاء الغنية بالمياه الجارية التي تؤدي إلى تغطيتها بالضباب (١٦٠٨) أحياناً .

لكن لابد من طرح السؤال التالي : هل تكفي هذه المدروجات ، مهما كثرت ، لرسم خريطة الأهوية ، وللاعتماد عليها في تصنيف الأهوية ؟ نعم ، بالنسبة للشطر الأول من السؤال ، حتى لو لم يتم التدوين منهجياً ، ولو لم يعتمد ، كما هي الحال في أيامنا ، على عدد كاف

من مراكز الرصد ، وعلى تسجيل متواصل من أول العام إلى آخره ، يتناول إحدى الصفات المعنية . اذن ، حتى في هذه الحالة ، تعطينا مصنفات الجغرافيين خريطة اجمالية تتفق مع خريطة أحد الأطالس الحديثة . وما الأمر على هذا النحو ، فلابأس ان نرجع مباشرة إلى أطلس حديث ، لنتحقق فوراً من رصانة الجغرافيين العرب ، ونستغني عن مقارنة معطياتهم بمعطيات الأيام الحاضرة . فلم يطرأ ، فيما يبدو ، تغيير كبير على مناخ دار الاسلام منذ عشرة قرون ، على حد قول الاخصائيين (١٦٠٩) .

وتحتمل الاجابة على الشق الثاني من السؤال ، أي التصنيف تدقيقاً واسعاً . فقد أشرنا من قبل إلى الصفات التي تحدد الأهوية حسب احساساتنا ، وآثارها في أجسامنا ، وحسب الحكم الذي توحي لنا به ، هل يسعنا أن نضع هذه الأهوية ذاتها ، بعد تصنيفها على الوجه السابق ، في مكانها على الخريطة أو على التضاريس ؟ فابن حوقل / (١٦١٠) يشير ، في سياق حديثه عن مفازة مكران ، إلى الجفاف ، أو إلى التضاد الفائق بين شدة البرد وشدة القيظ ، في مفازة فارس ، أو إلى الحر والريح في سجستان التي يصفها انها أرض سهلة وأرض رمال ، لايرى منها جبل . مع ذلك ، نلاحظ أنه لا يصنف الأهوية ، ولا يشرع بوصف نموذج هواء صحراء أو سهل من خلال هذه الأمثلة . ويندر جداً أن يتناول شيئاً ينفرد بتنهيجه ، أو يبدو علماً في مفهومنا ، ويقصر تقصيراً عظيماً عن هذا المستوى . وقد يتحدث ابن حوقل عن هواء جبلي أو بحري أو سهلي أو بري (١٦١١) ، لكنه لا يعطي البتة تفاصيل أخرى عنها ، حتى ليظن المرء أن تلك نواحي معروفة لا تحتاج إلى مزيد من

التوسع . وهو يقول عن أعلى جبل في فارس (حم) : « تشبه الصرود حاله (١٦١٢) » . وتعتبر هذه الجملة التي تصف إحدى مدن فارس (كثه) شاذة : « لها طيب هواء البرية وصحته ، وخصب المدن الجبلية .. » (١٦١٣) .

وتحيي مطالعة المقدسي فينا آمالاً رجونا أن يحققها لنا ابن حوقل ، ويصاب سعينا بخيبة جديدة . ولاشك أن المقدسي يعرض علينا نماذج أهوية اقليمية ، كالشامي والعراقي بلا تدقيق اضافي . ولا نعلم ما المقصود «بالعراقي » عندما يعرف لنا العراق في مكان آخر بأنه هواء مختلف (١٦١٤) . أما العلاقة بين الجبل والبرد ، فيشرحها المقدسي شرحاً أفضل في سياق كلامه عن اقليم المغرب ، وعن جبال سيف البادية في فلسطين ، العالية الباردة ، المعتدلة مع البادية المجاورة لها ، وأخيراً عن فارس التي بها صرود لا تثمر فيها الأشجار من شدة البرد ولا ينعش فيها الزرع ، وكلها صحيحة الهواء ، وبها جروم لا يمكن النوم فيها بالنهار من شدة الحرّ (١٦١٥) . أما المناطق الجافة تماماً ، كالرمال المحيطة بسجلماسة على تخوم المغرب الصحراوية ، فيلاحظ أحياناً أن شدة الحر والبرد جميعاً ، المعتبرة عامة ، كما رأينا ، دليل على سوء الهواء ، تضمن هنا هواءاً برياً صحيحاً (١٦١٦) .

وقد جمع الجغرافيون الميدانيون معارف واسعة عن الهواء وعن واقعه الحي خلال أسفارهم ومشاهداتهم العيانية ،ودونوها.ويسوغ لنا تراكم هذه المدونات ، وجودة كثير منها ، ان نجزم ، مثلما فعلنا من قبل ، أن المقدسي بخاصة يذهب في جغرافية الرحلات ، في هذا المنظور ، إلى ما هو أبعد إلى أقصى حد مما فعله الموسوعيون في جغرافيتهم . مع

ذلك ، تشعرنا دراسة الهواء ، مثل دراسة الأرض أو الماء ، انها لا تزال جزئية أو لما تكتمل بعد . فعلم انواء الأدب كان يتقن عرض نظرية هواء ، إلا أن نظامه اصطدم بداهة بما لا يحصى من الحالات الواقعية ، التي تتعداه من جميع النواحي . على النقيض ، تعجز رؤية هذا الواقع ذاته وتدوينه ، فيما يبدو ، في معظم الحالات ، عن الارتفاع به إلى مستوى التنظير ، أو قل ، عن الوصول به إلى نهاية العمل اللازم له ، وإلى بناء نظام يستند على التطبيق ، ويصلح ليخلف نظام الموسوعة المعمم جداً . ويختلف تدوين الهواء الذي نتنشقه هنا وهناك ، ووصف خصائص هواء الجبال أو أهوية الشام ، انطلاقاً من بعض التوافقات ، عن تحقيق ما يتيحه شق الطريق على هذا النحو ، عَرَضاً تقريباً ، من امكانيات . فلقد ثبت ان الجغرافيين ، بما فيهم المقدسي ، توقفوا في بداية الطريق ، ولم يشعروا انهم لو توسعوا في عملهم ، لساقهم إلى وضع تصنيف حقيقي ومعاش لشتى أنواع الأهوية في دار الاسلام ، حوالي العام ألف (١٦١٧) .

لكننا نود أن نمتنع عن اثارة فكرة الاتجاه . فجغرافية المسالك والممالك ، لم تقدم على التنظير الذي نلقيه على عاتقها ، إما لأنها لم تشأ او لأنها لم ترد أن يحجب مجازفةً علمُ الأهوية الصحيح ما يهمها في المقام الأول : نعني الأحوال الواقعية ، بتقلباتها اللامحدودة حسب الأمكنة والفصول والسنين ، التي ربما تعذر تصنيفها فعلاً . وقد تتيسر الأمور ، بالنسبة إلى مشرق الاسلام ، إذا أبرزنا الصعوبة الواضحة جداً ، التي اصطدم بها المقدسي في اعطائه النظرة الشاملة التي أعلن عنها : (١٦١٨) : « هو اقليم بارد الا سجستان وبست وطبس التمر ، فانهن على هواء جروم الشام . وأما بلخ فهواؤها عراقي ، وهواء مرو شامي . وبرد خراسان الين (١٦١٩)

من بر هيطل . وهذا الاقليم كله يابس، ثم لا يتساوى باليبوسة أيضاً . وكلما اشتد برد موضع في هذا الاقليم اشتد حره الا سمرقند ، فانها طيبة في الصيف . وكذلك نيسابور ، غير أنها الين برداً (١٦٢٠) من سمرقند » . ويبدو كل هذا الكلام مؤثراً وأخرق لشدة ما فيه من تكلف ، أو هو ، على النقيض ، مشوش أو بسيط ، مثلما نشاء . إنما يريد المقدسي أن يكتب ، على حد قوله (١٦٢١) دليلاً لابد منه للمسافرين ، وفي طليعتهم التجار ، ولا يهم هؤلاء أن يعرفوا أن الهواء في بلدان المشرق سهلي أو بري أو جبلي ، بل إن كان الحر أخف وطأة في الصيف في سمرقند ، أو إذا كان البرد ألطف في نيسابور في الشتاء . فحذار أن يغرب عن بالنا هنا وفي كل البحوث ، ان موضوعنا هو الجغرافية البشرية . ولعل هذه الجغرافية تفرط في اتجاهها البشري في علم أهوية يصاغ على هوانا .

تأثير الهواء في الانسان

ينمي المطر أو حتى الثلج العشب في آسية الوسطى ، وعلى النقيض ، تزدهر الحياة الحيوانية أو النباتية تحت شمس افريقية ، ولا يبدل الناس ملابسهم في أقصى الشمال بسبب البرد فيصبحون قذرين . جميع هذه الوقائع وكثير غيرها ، ترتبط بذكر بلدان الأعاجم (١٦٢٢) . ويعتبر تأثير الوسط الطبيعي في الكائنات الحية ، لاسيما الهواء ، أحد المواضيع المفضلة في ثقافة تلك الأيام . ولاغرابة البتة ، إذا تكرر ذكره كثيراً في الأدب الذي يهتم بدار الاسلام بالدرجة الأولى وبها دون سواها . ونجده في الأدب الموسوعي أولاً . الا أننا لن نتوقف عنده مادام يعالجه عامة . ولا يفصل المسلم عن سائر أهل الأرض . ونستشهد بابن الفقيه ،

الذي يتحدث في سياق بحث محلة البلدان عن أهل الروم وأهل الشام وأهل العراق وأهل الصين (١٦٢٣) على حد سواء .

ومرة أخرى نرجع إلى الجغرافيين الرحالة . لنحصل منهم على صورة عن تأثير الأهوية في المسلمين . ومع ذلك . سوف ننوه بتأثيرات الأدب في هذه المصادر . وتؤدي رفعة بغداد . إذا اكتفينا بها ، عند أحد رواد هذا الأدب . نعني اليعقوبي (١٦٢٤) . إلى توزيع مفرط بالاختصار . فالعراق وسط الدنيا وسرة الأرض على خريطة العالم التقليدية . فيكون الحر به شديداً في أيام القيظ . والبرد شديداً في أيام الشتاء ، ويعتدل الفصلان الخريف والربيع في أوقاتهما . فلذلك اعتدل الهواء ، وانعكس على حياة أهله وعاطفتهم وحسن تمييزهم ، واختلف عن هواء دار الاسلام وسائر الدنيا . فليست العراق كالشام الوبية الجافية الأهل ، ولا كمصر المتغيرة الهواء ، الكثيرة الوباء والبخارات ، ولا كارمينية الباردة الصردة ، ولا مثل كور الجبل الخشنة المثلجة ، ولا كالحجاز الضيقة المكسب ، ولا كالتبت التي بفساد هوائها تغيرت ألوان أهلها (١٦٢٥) واصفرت أبدانهم وتجعدت شعورهم .

نعود اذن إلى ابن حوقل (١٦٢٦) والمقدسي ، اللذين يقتصران على ذكر العيان ، ولا يتقيدان بصيغ ثقافة زمنهم إلا شواذاً . نادراً ما نرى المقدسي يتبعها في تدويناته مثلما يفعل في « مقدمات وفصول » عن البلدان الاسلامية (١٦٢٧) ومساوئها . فيما عدا ذلك ، يحكم فوراً على تأثيرات الهواء الفعلية في الحالات الواقعية . وفي الأساس ، لا تبرز دوماً صراحة ، صلة السماء بتأثيراتها ، لكن حتى لو ضمنت تضميناً ، تظل واضحة ، وتلهم تدوينات كثيرة (١٦٢٨) منها أولاً الخاصة بوسط

الانسان : فازدهار النبات والحيوان مرتبط بصحة الهواء . مثلما يخطر ببالنا . مع ذلك ، يحتمل هذا التحديد التنوع : فالهواء المعتدل المثالي ، عند ملتقى المناطق الباردة والحارة ، حيث ينمو كل شيء ويحفظ بعد جنيه ، ينطوي على بعض التغييرات نحو الحر كما هي الحال في وادي مهران ، أو نحو البرد ، كما هي الحال في اقليم ماوراء النهر . لكن يصعب تعيين الحد الفاصل الذي يميل هذا التوازن في كل حالة نحو مساويء هواء واضحة جداً : مثل الجفاف الذي تعدم فيه الثمار طعمها ، وتتجلد اللحوم ، ويسوء الخبز ، ومثل البرد الذي لا ينعش الزرع (١٦٢٩) ، وفي الحالتين يحد من أجناس الحيوان وأصناف النبات .

ولا يذكر تفرد الأهوية بشيء من النبات أو الحيوان ، الا من خلال ما يرتبط منه بالحر والبرد فقط . فلا تختص البلدان المعتدلة بنبات وحيوان معينين ، بل تتميز بأنها تجمع الأضداد ، كما قلنا ، أي ما يعود إلى هذا الهواء أو ذاك . ويبدو الهواء الحار بمزيد من الوضوح من خلال النيل والموز ، وبخاصة النخل (١٦٣٠) الذي يقترن مع صنف خاص بالهواء «الضد» ، فيعين معه أحد البلدان المعتدلة : اذن يقابل النخل شجر الجوز و . . . والتين (١٦٣١) . وتعتبر الأعناب والتفاح ثمار بلدان مجهولة الحرارة . وتعيش الكرمة والرمان في رطوبة الجبال حيث يجمد الماء أحياناً (لكن في جزيرة العرب) ، وييبسان من شدة البرد (١٦٣٢) . أخيراً ، نذكر جرجان في زاوية بحر قزوين الجنوبية الشرقية . فهي كورة يفسد البرد فيها الأرطاب ، أي أن النخيل ينمو فيها ولا يثمر ، في حين تنتعش النباتات الأخرى ، وتعدد بلا ترتيب تعداداً فقط : كالزيتون والرمان والبطيخ والباذنجان والبرتقال والليمون والكرمة

أيضاً (١٦٣٣) . فهل يعني هذا الوضع انها من نبات الصرود ؟ قطعاً كلا ، أو أن البرد نسبي بالمقارنة بالحر الشديد الذي يدل عليه النخل . في النهاية ، يصبح الهواء المعتدل الهواء الذي يجتمع فيه هذا الشجر ، بشكل ما ، مع مجموعة أصناف نقول نحن الآن انها تختص بالمناخ المعتدل الحار . ويبدأ نطاق البرد بعده ، عندما تختفي « الشجرة العربية » (١٦٣٤) من آفاق البشر . ويبدو الانقطاع أوضح أيضاً إذا ارتكزنا على الحيوانات : فالصرود والجروم تنقسم حسب وجود الحيات والزنابير والعقارب والذباب والقمل والبق وغيرها من الحشرات (١٦٣٥) .

ويدل وجود هذه الحشرات المقيتة على الاهتمام بالبشر ، وبتأثير الهواء في حياتهم . مع ذلك ، يدفع هذا الوضع إلى التساؤل كيف يستطيع البشر أن يعيشوا في هذه الأرجاء القاسية اللعينة . بحكم العادة بلا أدنى شك . فقد يتطرق المرء إلى الموضوع من نواحيه السلبية : نعني شقاء الغريب الذي يصاب بأمراض عديدة ، قلما يكون في بدء إقامته ، أو يفقده الهواء الرطب عقله ، ويجعله يهمل أعظم شؤونه (١٦٣٦) . وفي غالب الأحيان ، يتجلى الاعتياد في خصائص السكان الجسدية والأخلاقية . فكل بلد شديد البرد ، فأهله أسمن وأضخم وأحسن وأكبر لحى . والهواء المعتدل سري الأهل . ويحمي الرؤوس ، فيصبح الانسان كالعقارب الكثيرة فيه ، ويسمر الأجسام ويسودها ، وينحفها ، كما في كرمان ، حتى تحاكي الخلال (١٦٣٧) .

على أن ثمن الاعتياد باهظ ، ولا تقاوم صحة المعتادين أنفسهم أضرار الهواء . وهنا نرى الآثار بوضوح تام ، مادام المصنف باقياً في نطاق التعميم : ففي الهواء الحسن ، الأجسام صحيحة ، والألوان جميلة ،

والأعمار طويلة . وفي الهواء الرديء ، « المنتن » تظهر الأوبئة والألوان المصفرة (١٦٣٨) . بالمقابل ، متى أريد دراسة هواء الصرود والجروم ، تبدأ الشكوك . فالجذام لا يتلاءم مبدئياً مع الهواء المعتدل . انما يؤكد البعض ان الجذام ظاهر في صنعاء المعتدلة الهواء ، لقلة سطوة الشمس فيها وتافه تحليلها عن جسوم أهلها (١٦٣٩) . بالتالي ، يصبح الهواء الاحر أفضل اجمالاً ، لكن هنا أيضاً ، تكثر الأوبئة ولا يمكن النوم بالنهار ، وتتغير الألوان ، ويصبح المزاج لمفاوياً (١٦٤٠) . فهل البرد أرحم ؟ لاشك أنه قد يعطي صحة وجمالاً ، لكن عندما يشتد برد الشتاء ، ترى الخدود مشققة ، والأطراف مخضرة (١٦٤١) والوجوه مصفرة .

وتعطي الخصائص الحضارية مجموعة تدوينات أخرى ، ضعيفة التنهيج كسابقاتها ، دقيقة مثلها ، ومنسوبة دوماً إلى هواء معين وبلد محدد . ولاريب البتة اننا في مشاهدة البشر الأحياء ، نبتعد إلى أقصى حد عن الموسوعة ونظرياتها وأفكارها المسبقة أحياناً (١٦٤٢) . ونذكر في البدء حياة البشر اليومية . ففي الجبال ، جنوب بحر قزوين ، سطوح الأبنية مسنمة بالقراميد لتقاوم اتصال المطر الذي ربما دام سنة جرداء ، بينما تفرش سطوح المنازل بالحصى لكثرة الأمطار في اليمن . وفي أماكن أخرى ، يدفع الحر والجفاف إلى بناء دور ضيقة وخفيفة حتى ليظن المرء عند قراءة المقدسي انها تكاد تلتهب في القيظ عفوياً إذا جاز القول .

وترتبط الملابس بالهواء ، كالمنازل . ففي البلدان الباردة ، في شمال شرق دار الاسلام ، تلبس الاخفاف في الصيف والشتاء ، ولا

يعرفون النعال . لكن شدة الحر لا تطاق في شهري الصيف في طبرية ، الموضوعة في وهدة ، مما يدفع أهلها إلى تخفيف ثيابهم إلى حد جعل أحد الأمثال يتهمهم بالسير عراة شهرين في العام . أخيراً ، نشير إلى «الكلل» التي تحمي الناس في ليالي صيف خوزستان من البعوض (١٦٤٣) .

ويرى المصنفون الانتاج الفكري ومظاهره بوضوح، كالصحة ، عندما يقتصر بحثهم على صفة الهواء . فسواء كان معتدلاً أو متوازناً ، أو ببساطة ، جيداً ، فهو يعطي لحسن الحظ العلوم والحرفية والأخلاق الحميدة ، والآراء الحكيمة (١٦٤٤) . فهل يعني هذا ان الباقي من صرود وجروم ، سيء . وكما هي الحالة بالنسبة إلى الصحة ، تبدو الأمور بحاجة إلى تفصيل . فاذا كان البرد ، فيما يبدو ، يحث على النشاط الفكري ، فانه يجعل أهله أبرد وأثقل (١٦٥٤) . لكن تبرز جيداً نتائج الحر الشديد السيئة : كانخفاض المستوى العقلي والأخلاقي ، وتعاطي الفسق والدعارة بلا حياء ، والتكلم كالشياطين (١٦٤٦) .

بعض ظاهرات الانواء

لا تنفصل معرفة الهواء وآثاره ، عما يعرض في السماء العليا ، التي أشرنا إليها من قبل ، وعما يحدث في السماء الدنيا القريبة منا ، من هبوب ريح ، ومطر ، وبرق صواعق قتال ، وهفيف ريح في الأشجار أو اثارتها الغبار . وينحصر جل اهتمام الموسوعيين بالظاهرات ، لا في الأمور العارضة ، وفي تفسيرها لا في وصفها ، وفي تفسيرها لا ليسروا بشرحها ، بل ليبينوا أن تفسيرهم يوفق بين ما جاء في القرآن وما انطوى عليه التقليد العربي الاسلامي ومعارف الفيزياء « القديمة » ،

أي الارسطوطاليسية ، على وجه الاجمال . وهذا ما يفعله المقدسي (١٦٤٧) ، فيبرز ، عند الحاجة ، وفاق النظريات المعروضة والدين . أما الموسوعيون ، فلا تمثل الجغرافية عندهم ، فيما نرى بجلاء ، سوى إحدى المعارف الدنيوية ، التي يراد اثبات شرعيتها .

لذلك ، نود أن نلقي نظرة سريعة على المواضيع الواردة عندهم (١٦٤٨) . فما البرد أو قطرات المطر مثلاً : إنها أشياء يتصرف بها الباري تعالى ، فيحتفظ منها سنوياً بمقدار إجمالي واحد ، يوزعه متفاوتاً على الشعوب حسب رضاه عنها أو عدم رضاه . وما السحاب ؟ فهل نقبل أن الله يرسل رياحاً تثير سحاباً ، ثم ينزل عليه المطر ، فتمخضه الريح كما تمخض النتوج بولدها ، أم لابد لنا من التسليم بتفاسير الاخصائيين والمنجمين ؟ لا يجرؤ المقدسي على البت برأي ، ويكتفي بالقول إن العلم جائز هنا ، ويطيب له بالتالي أن يجمع خيال أصحاب الأخبار الملتهب وبرودة العلماء المقصودة : « والمنجمون يزعمون ان الشمس تمر بمواضع ندية وبطائح غمر ، فتثير سحاباً بحرارة مرورها . فاذا تكاثف ذلك البخار ، صار غيماً (١٦٤٩) . قالوا : والمطر اجتماع ذلك البخار ، وانعصاره ، فيقطر كما يقطر طبق القدر ، لأن كل شيء نديّ ، إذا حمي ، ثار منه البخار — وذلك ان الحرارة ، إذا خالطت الرطوبة ، لطفت أجزاءها ، فصيرتها هواءاً — فاذا كثر في ذلك البخار ، يبرد الهواء ، رده البرد إلى الأرض ، فتكاثف ، وانعصر ، وصار ماءاً ، فانحدر . فان كان ذلك المنحدر شيئاً صغيراً يسيراً ، سمي ندى ولذلك تكون الأنداء في الشتاء وفي الليالي أكثر لكثرة برودة الهواء . فان كان البخار الصاعد خفيفاً يسيراً ، وكان البرد الذي هجم عليه

من فوق شديداً ، صار ذلك البخار جامداً (١٦٥٠) . وإن كان البخار كثيراً والبرد شديداً ، صار ذلك ثلجاً . وإن ألح البرد على السحاب ، انقبض الماء الذي فيه ، فجمد وصار برداً ، وانما الاختلاف في صغره وكبره ، لبعد مسافة الغيم من الأرض ، وقربه . فاذا قرب نزل بسرعة ، لم يذب عن جوانبه شيء ، فبقي كبير الحب والقطر . وكذلك المطر » .

هذا هو وصف دورة الماء من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء ، حسب الفيزياء القديمة ، مهما كان عادياً أو حتى مبتذلاً . فاذا أضفنا إليه الأنهار والبحر ، حصلنا على أقوال اخوان الصفا ، أو على إحدى صفحات المسعودي (١٦٥١) المنوه بها من قبل . ولابد أن نذكر بعد دورة الماء دورة البخار اليابس والبخار الرطب المنسوبة إلى ارسطوطاليس : « فهو يزعم أن الشمس ، إذا مرت بالأرض ، فأثارت البخار اليابس والبخار الرطب ، انعقد غيماً ، فاذا اجتمع ذلك البخار الرطب هناك ، حصر ما فيه من البخار اليابس في جوف السماء ، فقرع السحاب ، وحكه ، وصدعه ، فيكون من ذلك الصدم والاحتكاك الرعد ، ويكون من ذلك الخرق والصدع البرق . والصواعق في المثل كما يتطاير من شرار الزند ، وذلك إذا اجتمع إلى ذلك الاحتكاك حرارة الشمس واليبوسة ، فعند ذلك الصواعق » . فهل يقف المقدسي عند هذا الحد ؟ كلا، لأن لا بد من التوفيق بين العلم والتقليد، هنا وفي سائر الحالات : « وقد بينا فيما مضى ، ان اسم الملك قد يقع على الصور الروحانية ، وعلى الجماد ، من جهة الانقياد والاستسلام لما وضع له . فغير بعيد أن يسمى الرعد ، وهو ريح أو صدم سحاب ، ملكاً ، على هذه الوجوه » . ويسهل هذا الملك الأمور ، فيجيز تمرير العلم . فهو

سحاب يتكلم بأحسن الكلام ، ويضحك بأحسن الضحك . فالرعد كلامه ، والبرق ضحكه . » وجاء في بعض الأخبار أن الرعد ملك موكل بالسحاب ، معه كذا من حديد ، يسوقه من بلد إلى بلد ، كما يسوق الراعي الابل ، كلما خالف سحاب ، صاح به ، فصوته زجره السحاب ، والبرق مصعه ، والصواعق شراره (١٦٥٢) » .

أما جغرافيو المسالك والممالك ، فليسوا علماء ولا شعراء ، كالموسوعيين . وهم يكتفون ، وهذه ناحية جيدة عندهم ، بالرؤية العيانية وبالتدوين ، لا ليتمتعوا بالكتـــابة ، بل ليفيدوا جميع الذين قد يتحتم عليهم المرور في مسالكهم من بعدهم . فاذا ألمعوا إلى ظاهرات الجو ، أو إلى خصائص الهواء جمعاء ، فانما يفعلون في سبيل منفعة القارىء أولاً . ولايذكرونها ، فيما نظن ، إلا إذا انعكست على الرحلة أو الإقامة ، فجعلتهما شاقتين أو شيقتين ، مثلاً ، أو إذا ساعدت إحدى الخصائص على تدقيق شؤون الحياة في البلدان المقصودة . وهذا يعني ان تدوينات هؤلاء الجغرافيين ، في هذا المجال وفي جميع المجالات الخاصة بالهواء ، طارئة أو جزئية ، ترتبط بظرف معين ، لا بالحرص على رسم خريطة كاملة للتشمس أو الرياح أو التساقطات .

لنأخذ الغيم مثلاً . فهل تتاح لنا ، في صفحات المسالك والممالك ، ان نطالع كيف تتغير حركة الشمس في دار الاسلام من طرفها إلى طرفها ؟ كلا . فلا شيء في الغيم يستدعي انتبـــاه مصنفي المسالك والممالك . لكنه ، يشكل هـــو وخصائص أخرى قلـــة جبل دنباوند (١٦٥٣) الشهير المنعزل ، أو يميز تمييزاً بديعاً محاسن إحدى المناطق أو مخاطر أحد الطرق . فلولا كثرة البخارات من المياه الجارية بسمرقند

في سككهم ودورهم ، لأضر بهم فرط يبسها ، على ما يحكيه بعض الأطباء . وفي رحاب سهوب جميع آسية الوسطى تهلك البخارات ذاتها أو غيوم الغبار أو الرمل كل من يتجاوز أعراضها ويقطعها وحيداً (١٦٥٤) . أما سائر الأنحاء ، ومنها الجبال ذاتها (١٦٥٥) فتعدم الغيم ، ولا يظهر فيها ، ولا يرد في نصوصها ، ويحل محله ، مما يعرض في السماء ، المطر والثلج أو الريح لأنها تؤثر في حياة البشر . ولا يذكر شيء سواها ، بما فيه الغيم ، ما خلا الشواذات والظاهرات الطارئة ، كالصاعقة والسراب ، التي لا ضابط لها ليتحتم تدوينها هنا أو هناك (١٦٥٦) .

مرة أخرى ، نلاحظ أن الاهتمامات البشرية في جغرافية المسالك والممالك تعلو على وصف الظاهرات الطبيعية البسيط . والجليد مثال جيد ، فنحن نرى فيه أوضح دليل على البرد ولاشيء سواه ، وعلى هذا الأساس ، نطالع النصوص التي تقول : وليس بخوزستان موضع يجمد فيه الماء ، ولا يقع فيه الثلج ، وليس بالحجاز مكان يجمد فيه الماء سوى هذا الموضع (جبل غزوان) . وعند هذا الحد ، لن نجد شيئاً غير مألوف في جمع الجليد والثلج . مع ذلك نتساءل لماذا يعتبر وجودهما أحد محاسن البلدان ، ونقصهما أحد مساوئها . والسبب بسيط : هو أن الجليد والثلج يستهلكان ، وبالتالي يجمعان ويباعان . ويشير ابن حوقل إلى مؤسسات متخصصة في هذا الميدان في فارس . ولا غرو أن يكون الثلج معروفاً آنذاك واليوم في الطبيعة والحضارة . ومن ينظر إليه ، لا يتوقع أن يراه مضغوطاً ومعداً ، أي جليداً ، بل يأخذه حيث يتساقط ، ليلحقه فوراً بنطاق الانسان : وإذا صح ما قاله المقدسي ، يحمل الثلج إلى بغداد والبصرة من بعد (١٦٥٧) .

وألا يجوز لنا أن نقول ان الثلج ليس سوى جليد ، يعيبه أنه لا يمكن دوماً استعماله مباشرة بشكله الطبيعي ؟ كلا ، لا يصح هذا التفكير في جميع الحالات . لكن لا ترد هنا إشارة توحي بجمال الريف الأبيض . والحديث عن الثلج يعبر تعبيراً بليغاً ممتازاً عن الهواء البارد ، ويجيء بصيغ كثيرة فيعني نفي وجود الثلج بداهة وضع البلد المقصود في نطاق الحر الدائم ، مثل وادي الأردن ، أو خوزستان ، أو جزيرة العرب التي تتناقض جميعها ، عند العودة إلى ذكر ظهور الثلج ، مع الجبال في فارس وارمينية أو سهوب آسية الوسطى . ثم يقصد بالثلج في أمكنة أخرى ، لا البرد العادي ، بل البرد القارس من جراء الثلوج الكثيرة أو الأزلية ، كما هي الحال في جبال السغد التي تغذي نهر السغد ، أو الجبال الشاهقة المسماة سبلان أو دنباوند أو ارارات . أخيراً ، يتوخى الكلام عن وجود الثلج أحياناً ابراز التضاد الصارخ في إحدى المناطق بين ناحية معينة من الأرجاء الباردة لاسيما الجبال ، وبين سائر الأنحاء الحارة أو حتى الشديدة الحرارة . وينطبق هذا الكلام على فارس وتخوم العراق الشرقية وجبال عمان أو خوزستان أو كرمان أو مفازة فارس . وتفيد هذه التدوينات بحد ذاتها المسافر . وتؤيدها تدوينات أخرى ، تتحدث عن مخاطر الطريق إلى البلدان المثلجة ، لتجعل المسافر يكشف في وقت لاحق عن التاجر الكامن في صميمه ، ويوضح نواياه حيال هذه الثلوج الجديرة بالبيع . اذن لا يمثل الثلج عنصراً في أحد المشاهد الطبيعية أو ناحية جمالية فيها ، بل مادة أو سلعة ، لابد من التعرف عليها والتغلب على صعوباتها واستعمالها عند الحاجة (١٦٥٩) . وإذا شاعت الصدف وابتعد الانسان عن هذه الخلفية النفعية ، وقع في أبشع صور الأوهام الخالصة . وهذا ما يحدث بشأن حقول الثلج الشفافة ، التي تظهر عبر صفائها عروق الأرض أو

مسايل مياه الذوبان . وبتناول ابن خرداذبه بعض «العجائب » فيصف على أحد جبال السغد ، طبقات ثلج حولية ، مفصولة بنثار أحمر ورمادي ، يخرج منها دود عظيم أبيض . ويسعد ابن الفقيه جدا أن يكرر هذا الوصف في حديثه عن جبل دنباوند . فيصغر حجم الدود ، ويجعله لا بعظم الفيل ، بل كأنه جذوع تنحط من الثلج ويحيي المشهد بذكر ذئبة في عظم البغال وطيور أمثال النعام في خلق الفصلان ، تعدو على الدود وتبتلعه (١٦٦٠) . ونسدل الستار على هذه الرؤية المذهلة مع أبي دلف مسعر الذي بنى بعيداً في الشرق في قرب صحراء السند قصراً من ذهب تتحاشاه الثلوج عندما تتساقط (١٦٦١) .

بقي أن يقال إن كتب الأدب (١٦٦٢) تختص بهذه الأوهام . وربما مال جغرافيو الأرض فعلاً إلى الغريب مثل سواهم ، كابن حوقل ، وخاصة المقدسي . لكنهم يبتعدون دوماً عن خلط الأنماط بعضها عند اللزوم . ويقصر الباحث إذا اكتفى بالاشارة إلى أن حرصهم على تصنيف عمل مفيد ودقيق لا يجيز لهم البتة التطرق إلى العجيب : فهم يذهبون إلى حد التغاضي عن الجمال ذاته ، إذا لم يكن نافعاً . ولنصغ إلى كلامهم عن الرياح (١٦٦٣) في ما لا يزيد عن مقطعين يتحدثان عن بعض العجائب : هي رمال مثل الجبال لا تعمل فيها الريح ، ثم الريح الشديدة التي تخرج من أحد الكهوف في فارس ، ولا تعتبر العنصر الوحيد في هذا السر الخفي ، لأن على باب الكهف صورة سابور وخلف الصورة ماء واقف لا مد له ولا منفذ. على أن هذه الأمور هامشية ، أما الناحية الأساسية ، فهي الريح التي تجفف الأجسام وتقضي عليها . أو ، على النقيض تثير الندى في الليالي وتجلب الظل إلى السواحل . ففي كرمان ، لا يرفعـون من تمورهم ما أسقطته الريح ، ويأخـذه

الضعفاء والمساكين بغير كـــره من أربابها ، وربما كثرت الريح ، فيصير إلى الضعفاء والمساكين من التمور في التقاطهم أكثر مما يحصل اربابها . وعلى البحر ، تعتقل الريح المراكب قشعة ، في المضايق أو في مداخل البنادر . ثم ان رياح الرمال تطم الطرق والمدن : فلولا سياسات توورثها أهل سجستان قديماً وأقاموها بهندسة (١٦٦٤) ، لاندثرت مدنهم ، وتشهد آثار مدينة نينوى البينة ، على تاريخ عادي ، وكان عليها حصن قد أقلعته الريح في النهاية .

ونقدر أن المطر يتخذ أهمية أعظم من الريح . فالأمطار دليل على وجود الحياة في البوادي الشاسعة في دار الاسلام ، وبها يعيش الناس فيها . ولا ينظر ابن حوقل والمقدسي إليها إلا من هذه الزاوية بالذات وحدها . أما قبلهما ، وعند سائر المصنفين الباقين ، فلا يعرف المطر الا باحدى خصائصه ، التي تجعله مادة في الثقافة العامة . لذلك ، اعتبرت أمطار جزيرة العرب ، لاسيما في سروات اليمن ، إحدى عجائب الدنيا . وأشير إلى إحدى مدن كرمان ، لا يمطر داخلها قط ، ويمطر خارجها ، حتى إن الرجل يخرج يده من سورها إلى خارجها فتبتل . وقيل إن مصر لا تمطر ، ويكره أهلها المطر (١٦٦٥) . ويميز مثال مصر جغرافية ابن حوقل والمقدسي عن غيرها : فهما يحفظان حتى أمثال الناس عن انعدام المطر في هذه البلاد ، لكنهما يتوسعان في التفاصيل ، ويصححان الإعتقاد العام بالنسبة إلى الاسكندرية (١٦٦٦) . وبالاختصار ، لا ينقلان أسلافهما في هذه الناحية ولا في شتى المواضيع الأخرى . ويستند فضولهما إلى الواقع ، ولا يرميان كلامهما على عواهنه (١٦٦٧) . وابن حوقل لا يتطرق إلى ذكر المطر إلا ليفصل أحوال الزروع والثمار ، والانتجاع ، وطرق المفاوز ، والحياة اليومية . وقد قيل : يمكن

استخلاص المطر من شكل السقف أو المرض أو أنفة الغريب من العيش في مثل هذه الأهوية . ويتناول المقدسي أحياناً ، في أطر طبيعية مماثلة ، اثر المطر في نظام الأنهار ، أو في فرض الخراج ، ويبرز في أماكن أخرى انتظام المطر السنوي أو الفصلي ومقداره . ويشير إلى ضعف الرطوبة ، ويسميها «مطرة» ، أو إلى المطر المترادف ، والأرجاء المبللة التي أصبحت « بطائح وحول » ، وحتى إلى فصول الصيف « الماطرة » أحياناً .

والهواء والأرض والماء عناصر حيوية على حد سواء بالنسبة إلى البشر . إلا أن أهمية الهواء لا تضاهي أهمية الأرض والماء . وتقصر معطيات الموسوعة التي تعالج الهواء كعنصر عام عن الشروح المستفيضة المخصصة للأنهار والبحار والجبال و «الاقاليم» التي لا تعتبر منها ، أقصد الكرة الأرضية ، في قطاعاتها العرضية السبعة المرسومة بدءاً من خط الاستواء . مع ذلك تبقى هذه الموسوعة نظرية في معظم الأحيان ، باستثناء عند المسعودي . ولا تهتم أبداً بالتغييرات التي تحول هذا الهواء الكوني إلى مناخات ، وإلى مناخات دار الاسلام بالدرجة الأولى . إذن تبقى ، هنا وفي النواحي الأخرى ، على هامش جغرافية دار الاسلام ، بالمعنى الصحيح ، أو تتجاوزها . ولا ندري إذا كنا أوفر حظاً مع هذه الجغرافية التي يصورها ابن حوقل والمقدسي في أكمل صيغها ؟ لكن يقال ، مع أنها تعنى بالمناخات المعاشة في دار الاسلام ، وبالمناخات الحقيقية ، فهي لا تتوخى أن تعرضها عرضاً منهجياً تاماً ، لأنها تتجنس تأثيراتها البشرية دون غيرها : فلن تبرز في النهاية ، كما رأينا ، إلا محاسن هذا المناخ أو ذاك ومساوئه ، والبارز جداً منها بداهة ، دون خصائص المناخات تباعاً . كذلك ، لا تتحسس بمشاهد السماء العليا ، فلن تتحدث

عن الظاهرات التي تمسنا بالمعنى الصحيح : كرطوبة الهواء أو حرارته ، والريح والمطر والثلج ، مع أن المطـــر والثلج متوسطـــان بين الهواء والماء . . .

فهل يجب تفسير اختلاف الأهمية الذي أشرنا إليه ، بالتلاعب على الألفاظ ، والقول إن الهواء أقل العناصر الثلاثة وضوحاً ، وأشدها شفوفاً ، والوحيد الذي لا تشعر به أجسادنا ، فيما عدا الريح ، إلا بالعقبة التي يضعها أمامها ، على نقيض الماء وبخاصة الأرض التي تحبذها حواسنا والنصوص الجغرافية ؟ كل هذه الأمور صحيحة ، شريطة أن نعتبر أن سيولة الهواء ذاتها تقتضي تماماً عكس الحاجة الدنيا : فهو بالضبط بالنسبة إلى جسمنا الذي يستدعيه على الدوام ، السائل الأمثل . ومن هنا التساؤل : كيف ندون ما يجب تدوينه دوماً ؟ قد يقال إنا ندون جيداً ما يتعلق بالأرض ، رفيقتنا الدائمة ، التي يرد ذكرها ، بأحد الأشكال باستمرار ، في مصنفي ابن حوقل والمقدسي من أول صفحة إلى آخر صفحة . ثم انا نراها مرغمين بأحد أشكالها ، وترينا نفسها متبدلة على الدوام . ولا يحوز الهواء لا هذا النفوذ ولا هذا الكيان : ولا غنى للبشر عنه لكنه خفي ، ولا يذكرنا بنفسه إلا عندما ينقصنا . ويبدو تنوعه محدوداً جداً : فهو بارد أو حار ، فيه مطر أو ريح أو ثلج ، باستثناء بعض الصفات البارزة التي يشير إليها ابن حوقل والمقدسي . كما قلنا من قبل . ولا جدل في أن الماء مفضل . لكن يعلم الله ان حاجتنا إليه لاتبدو بالالحاح والوتيرة الوحيدة المحتومين اللذين ينفرد بهما الهواء . إلا أننا نلمسه ، ونتذوقه أكثر من الهواء ، ونراه أيضاً وان كانت أشكاله وصوره أقل تنوعاً مما هي عليه في الأرض .

وعليه لم يمت الجمال ؟ قد نظن ذلك عندما نلاحظ أن أفيد عنصر لنا يحتل ، كمياً ، آخر مرتبة في النصوص الجغرافية ، لأنه صعب الوصف . لكن يجب أن نتفاهم . فمشاهد الأرض أو الماء التي أشير إليها في الفصول السابقة ليست حتماً أجمل من إحدى صور الثلج أو المطر . والناحية الثابتة الوحيدة ، هي ان عدد تلك المشاهد أوفر ، لأنها تجتذب حواس المراقب أكثر من سواها . وبذا ، تدخل ، لا أكثر ولا أقل من غيرها ، في علم لا يغفل أبداً ان الانسان واضع الدراسة وموضوعها معاً . هذا بشأن الواضع . أما بشأن الموضوع ، فلا يمكن أن نفهم هذا الجمال المقصود ، في الأرض أو الهواء أو الماء ، مرة أخرى ، إلا بحرصنا على اعطائه خبر واعطائه إلى البشر ، لأنه يجب قبل كل شيء أن نعيش في كل البلدان ، حتى في أجملها .

* * *

الفصل الخامس

الحيوان وكتاب الحيوان

من قال إن حياة الحيوان لا أهمية لها ، فعظامه ، ولحمه ، وجلده ، كلها شبيهة بأمثالها عند البشر . فلا تقتنصوا العصافير على أطراف الأغصان .

بيه شوبي

لايخلو من الحياة ، أو لا يخلو على الدوام ، لا البر ولا الهواء ، ولا النهر ولا البحر . وقد بذل الجغرافيون ، لاسيما في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، جهوداً توخت جميعها ان توفق بين المعرفة والحياة ، وان تدخل الحياة في موسوعة معارفهم المتوارثة ، وان توطن عند ملتقى العناصر التي تتألف منها الأرض ، البشر الذين ميّزهم الباري تعالى ، وسخّر لهم ظواهر كثيرة أقوى منهم . وورد في القرآن ، ونقل ما ورد فيه مراراً وتكراراً ، ان كل شيء سخر لهؤلاء البشر ، ولاسيما النبات والحيوان اللذين يتقاسمان كرة الأرض واياهم .

لكن ربما قيل إن أنواع الحيوان (١٨٦٨) لم تؤهل جميعها ، وهيهات اكتمال تأهيلها ، وان تأهيلها المفروض اتخذ أشكالاً عديدة ، وتعرض إلى ضروب من الفشل ، في حال الحيوان الذي يستهلك لحمه

أو يستفاد من قوته ، وفي حال الوحش المفترس أو الحشرة المزعجة ، وحتى الحيوان الذي لا ينفع ولا يضر . ونرى أن نوافق على رأي فرنان بروديل وجاك برك (١٦٦٩) اللذين ذهبا إلى أن بشراً قلائل كانوا ينافسون على حيّز من الأرض في القرون الوسطى — وبعدها بكثير — وحوشاً تطاردهم ، وتحوم حولهم على مدى قريب منهم ، على طرف القرية أو الحقل مباشرة . فلاريب بالتالي ان الانسان لم يكن يسيطر إلا على نطاق ضيق جداً من عالم حيوان يحاربه في الأساس ، ويتجاهله على وجه التخصيص ، ويتحداه في جميع الأحوال أكثر مما يفعل في أيامنا الحاضرة التي قضينا فيها على أنواع كاملة منه بمجازر علنية وشرعية، إذا لم نسر قدماً في تأهيلنا لها أو في معرفتنا بها .

اذن مادامت معظم أنواع الحيوان لا تخضع لسلطان الانسان ، كيف نفسّر دورها ومكانتها في الخليقة ؟ (١٦٧٠) ، الذي يتمتع بتذوق كبير في هذا الموضوع وفي غيره ، لا يسعه بداهة أن يغفل تقسيم الحيوان إلى ضار ونافع ، باعتبار هذا التصنيف مظهر من مظاهر الثنوية الأساسية في هذه الدنيا . وفي الوقت ذاته ، لابد أن نكتشف في هذا الخلق الالهي مبدأ وحدة خفية ، إذ « لم تفترق الأمور في حقائقها ، وانما افترق المفكرون فيها » . فالعقل النيّر يتجاوز التقريب المباشر الذي يفرق بين النافع والضار ، ويدرك ان كل حيوان يلعب بحكم مرتبته في الخلق ، دوراً يحدد مكانته نسبة إلى الانسان . ويتيح لنا الغريب منه ، كالدميم والضار والقاتل ، فرصة إمعان الفكر . وهذه الفرصة هبة فائقة من الخالق . وما علينا الا أن نتخير من بين أنواع الحيوان الكثيرة ، وأن نكون على بينة من أمرنا في الوقت المناسب ، لنقرر متى نتحاشى الحيوان ومتى نروضه أو نقتله ، أي أن نتقن الاختيار بالاختبار .

بالتالي ، أصبحت معرفة الحيوان شكلاً من الأشكال المتميزة في المعارف ، سوف يتحول مع الزمن ويصير غاية بحد ذاته . بالفعل ، غاب عن الأذهان النظر والنهج اللذان سار عليهما الجاحظ في تقصيه (١٦٧١) ، ونزع الذوق العام آنذاك إلى الأخذ بالنماذج وحدها على وضعها ، لأن عالم الحيوان دنيا عجائب في ظن المولعين بالعجائب ، الذين يميل فضولهم إلى التفتيش عن الغرائب . لذلك ، توالى عرض نوادر الحيوان بعد الجاحظ عند ابن الفقيه ، فالبيهقي ، فابن عبد ربه ، فالتنوخي ، فالتوحيدي . . . (١٦٧٢) .

ونحا الأدب المنحى ذاته : فأرشد إلى أصول الاتجاه الأدبي أي إلى نهج الأدباء (أو الظرفاء) ، وعين جملة المعارف التي يجب حفظها لكي يجاري الكاتب القاعدة المتبعة ، وجعل تلك المعارف تخالف المألوف في هذه الحالة الطارئة . فابتهج تارة بالحديث عن أنواع الحيوان الأسطورية أو عن أنواعه الغريبة في الحد الأدنى . وأشار طوراً إلى غرائب أنواع معروفة أصلاً أو إلى غرائب بعضها . أخيراً تناول أنواع الحيوان الشائعة ، عندما تعذر عليه ايجاد ما يرضي به فضوله الملحاح ، فركّز على غرائب مواطنها ، أو على معطيات كمية عنها مبالغ فيها ، تتعلق بكثرتها وقلتها وحتى عدم وجودها ، أو على جودة منتج الحيوان في بعض الأماكن ، مثلما يقتضي العرف والذوق .

ويستدل من ذكر المنتج على تأثير الجاحظ الواضح أو المفروض . فكتاب التبصر بالتجارة (١٦٧٣) رسالة تتحدث عن سائر الأصناف التجارية ، وتضاف عناوينها إلى عناوين كتاب الحيوان ، فتذكر جميع ما ينبغي معرفته عن أماكن وجود شتى السلع ، كأنفس الجواهر ،

وخير السمور ، وأظرف جلود النمور ، وأحسن الحمير . . . . .
ويثبت هذا الوضع تأثير النماذج التي اختيرت اختياراً نهائياً ، ثم وجود قوة تدفع إلى النقل وتكمن في مدونة نشأت من جمع مواضيع أقرها التقليد ولو كانت دنيوية في الواقع (١٦٧٤) . وتستقطب الاهتمام بعض هذه المواضيع ، التي طرحها الجاحظ إياه أو أيّدها : مثل أفاعي خوزستان (الأهواز) أو عقارب نصيبين أو حمير مصر (١٦٧٥) . ونلقى هذه المواضيع وغيرها عند مصنفي الجغرافية ، الذين يعرفون جيداً أن القراء يتوقعون منهم اثبات ثقافتهم بتقديم هذا البرهان . فيتذرع الكاتب بالحيوان ليجري استطراداً أو يعطي استشهاداً أو يطرح نقاشاً أو يروي قصة . ويأخذ الحيوان تارة وحده لأنه يشكل منفرداً نظاماً مستقلاً ، ويتناوله طوراً مرتبطاً بشبكة من العلاقات بشتى المبادىء ، كما يفعل الجاحظ : مثلاً ، يقود الحديث عن الحية بصورة طبيعية جداً إلى الكلام عن أعدائها كالنمس أو القنفذ ، في حين يذكّر لدغها بلسع العقرب ، وشكلها العام بانتمائها إلى الزواحف التي تضم التمساح الشهير . ويوصلنا التمساح إلى عالم النيل ومصر وإلى أخبار الفرس المائي (فرس النهر) والعظايا والأفاعي وما إليها .

ويقضي المنطق السليم بوجوب إعادة ترتيب جميع هذه السلاسل التي تسمح بالانتقال من عنوان إلى آخر ، ومن حيوان إلى قرينه أو نقيضه ، لكي تنسق جملة المعطيات في نظام واحد . ويحسن ، فيما نظن ، أن نباشر وضع علم الحيوان على هذا النحو ، بدءاً من كتاب حيوان الجاحظ ، وهو موسوعة عظيمة تثبت ضخامة العمل الذي يتحتم أن ينجزه كل من يرغب في القيام به . فعلينا نحن اذن أن نلتزم نهجاً أقرب إلى البساطة والحكمة ، وأن نكتفي بمعطيات مصنفي الجغرافية . لذلك

سنتولى ابراز العلاقات القائمة بين أنواع الحيوان ، وفي الحد الأدنى : ماوضح منها بجلاء تام ، ومانص عليه بصراحة على الدوام . وسنستهل تقصينا بدراسة الوسط اللصيق بالبشر أي بالحيوان الأليف ، ثم ننتقل إلى أقصى الآفاق عنهم ، نعني وحوش الأسطورة .

فهذه هي أنواع الحيوان الخاصة بمملكة الإسلام دون سواها ، لأننا عالجنا في الجزء الثاني من كتابنا أنواع الحيوان في البلدان غير الاسلامية ، وأوضحنا الغرائب التي يتميز بها هذا النوع أو ذاك المعروف أصلاً في دار الاسلام . بالتالي ، سنتناول فيمايلي أنواع الحيوان في دار الاسلام ، سواء انفردت بها هذه الدار ، أو وجدت فيها وفي غيرها من مناطق الكرة الأرضية بصفات مشتركة . ونضيف إليها ، حتماً ، حيوان البحر ، هذا العالم الفريد الذي ينبغي بحثه بكايته في وحدة تلازمه ولا تنفصم عراها (١٦٧٦) .

ويختلف جغرافيو الميدان ، وفي طليعتهم ابن حوقل والمقدسي ، عن أسلافهم من أصحاب النزعة شبه الموسوعية . ويمضون في تصميمهم على رؤية الواقع الراهن ، وبالتالي ، على تدوين ماهو مفيد — والبرهان على هذا القول ان الحيوان الأليف أعطى أهمية بالغة عندهم ، في حين كان بحث الوحوش يطغى عليه في الماضي ، أو كان ذكره يقتصر ، مثلما قلنا من قبل ، على الحديث عن بعض نماذجه الغريبة بأوصافها أو اعدادها . مع ذلك ، لم يقض تماماً على هذا الاتجاه . فمتى تمّ عرض المعارف الواقعية ، وانتهى بيان فوائدها ، يشرع المصنف يثبت انه اطلع على تصانيف الكتاب الكلاسيكيين — وهذه لذة لا يسعه مقاومتها — فيتحدث عن عقارب نصيبين أو عن أفاعي خوزستان ، التي يفترض

به انه شاهدها ، عن كثب طبعاً ، باعتبارها أخطار حية . كذلك يستعرض أفضل أنواع الغنم أو الابل والدخس وذات الألف قائمة والثعلب الذي يطير بجناحين (١٦٧٧) . وهكذا تتضمن مدونة الحيوان وقائع صحيحة وعجائب ، جغرافية أنواع الحيوان وعلم حيوان . ويتباين فيها طول الأقسام المخصصة لكل بحث منها . ويذكر في سياق الكلام حيوان التاريخ أو الأسطورة ، وحيوان الطلسم أو الحكاية أو المثل أو الوصفة الطبية ، جنباً إلى جنب مع الجمل المحمل على الدروب أو الثور الذي يدير دولاب الماء أو الخروف الذي يعطي الصوف . وتدرس جميع هذه الأمور ، وهذا تكرار لما قلناه ، في علاقتها بالانسان وبالحيوان المميز .

الحيوان المغذي

لم تتوفر لنا معطيات تمكننا من رسم خريطة المناخات . ولا يسعنا أيضاً أن نعين على أطلس دار الاسلام مناطق تربية الحيوان الكبرى بحدودها الدقيقة ، وأن نتبين حقيقة ثروتها . فلا تكفينا تدوينات مصنفي الجغرافية ، ولا تتوخى هذه التدوينات الوصول إلى هذه الغاية . ومرة أخرى ، يقترن ظهور الحيوان بنشاط الانسان ، سواء اندرج الحيوان مع الأشجار والحقول ، في نطاق الأرض المنظمة والمستصلحة ، أم وجب الوقوف على وجوده بالرجوع إلى لائحة المحاصيل الواردة ، بعناية قصوى ، في وصف الأقاليم ، وهذه هي الحالة الغالبة . اذن لا يجوز أن نكتفي بالوقوع على اسم الحيوان الأليف (١٦٧٨) الخاص للتثبت من وجوده . فأسماء القطعان (مواشي ، سوائم ، أنعام) ، التي تسرح في المشهد الطبيعي بأجمعه ، تفيد كالأسماء الخاصة ، وان اكتنفها شيء من الغموض الشديد ودلت على ضخامة العدد . ويفيد أيضاً على

وجه التخصيص ، ما يتواتر من ألفاظ اللحم ، والفراء ، والجلود الخام أو المدبوغة ، والصوف ، واللبد ، والسجاد ، والخيم ، والقرن ، يضاف إليها الشحوم ، واللبن وأنواع الأجبان (١٦٧٩) .

وتاريخ الأبقار غني بأخبارها ، وطويل ، وغامض أحياناً . ويشار فيه إلى وجودها في الأندلس والمغرب ومصر ، وإلى ارتفاعها من هذه البلدان إلى سائر النواحي ، وإلى عظم الثيران في أقاليم الجبال واذربيجان وارمينية ، وأخيراً إلى ركوبها في خوزستان واستخدام قوتها لادارة دواليب الماء (١٦٨٠) في واحات مصر غرب نهر النيل . وتذكر أنواع البقر في سياق هذا البحث : ففي فارس نوع منها الغالب عليه حمرة الحدق ، وسائر البقر تفزع منه وتهرب . ومنها ما في أنوفها حلق : وملاكها فئة من المجوس مزدقية ، لهم خارج الري قرية لايسكن معهم فيها غيرهم . وهذه البقرُ تبرك ، وتحمل عليها الميتة من الحيوان كالخيل والحمير والبغال . وأكثر أكل تلك الفئة وأكل بقرها من تلك اللحمان رطباً ويابساً (١٦٨١) . ومن أنواعها أيضاً البقر المعروفة بالحبشية ، التي تكون ببلاد مصر وأعمالها (١٦٨٢) ، وتأوي إلى المياه والجزائر والبحيرات ، وطول قرونه نحو الذراع والذراعين .

ونأتي أخيراً إلى الجواميس (١٦٨٣) . ونعثر عليها أولاً في أقصى دار الاسلام من حد المشرق . ويمكن تتبع هجرتها ، مع قبائل الزط ، في النصوص الجغرافية ، إلى كرمان وفارس وخوزستان (١٦٨٤) ، وسواد العراق وبطائحه . وفي عام ٢٣٠ هـ / ٨٣٥ م ، في عهد المعتصم ، استفحل أمر الزط وقطعهم السبيل وسفكهم الدماء ، فأجلاهم هذا الخليفة عن البطائح ومعهم جواميسهم وساروا إلى حدود فارس وبخاصة

إلى شمال الثغر الشامي وثغور الأناضول . وفي روايات أخرى ان الخليفة الأموي الوليد الأول (٨٨ هـ / ٧٠٥ م — ٩٨ هـ / ٧١٥ م) أو يزيد الثاني (١٠١ هـ / ٧٢٠ م — ١٠٥ هـ / ٧٢٤ م) ، أول من نقل الجواميس إلى الشام (١٦٨٥) . أما ابن الفقيه ، فيختار قصة البطولة ، ويروي ان الطريق فيما بين انطاكية والمصيصة كانت مسبعة تعرض الأسود فيه للناس ، فوجه الوليد بن عبد الملك إليها أربعة آلاف جاموس وجاموسة فنفع الله بها . مهما يكن ، يذكر المسعودي ان الجواميس ببلاد انطاكية تجر أكبر ما يكون من العجل ، وان في أنوفها حلق كجواميس سائر الأماكن ، ويشير المقدسي إلى وجودها في فلسطين حيث تنتج ألباناً ممتازة شهيرة .

ويعتبر الثور أو الجاموس حيوان المشهد الطبيعي المألوف ، متى ابتعد المرء ، لو قليلاً عن قسوة المفاوز . نقول المشهد الطبيعي المألوف لأن المصنفين لا يذكرونه — وهذا أمر بديهي — إلا عندما يشيرون إلى ناحية غريبة في خلقه أو عدده ، لكي يهتم القراء بتصانيفهم . ونلح على « المشهد المألوف » ، ونقصد به ما لا يستغنى عنه ويشاهد كثيراً في جميع الأحوال . فمن جهة أولى ، في اقليم الجبال ، على ايزا ، جبل نهاوند ، طلسما سمكة وثور من ثلج لا يذوبان في شتاء ولا صيف ، ويقال إنهما للماء ألا يقل بها (١٦٨٦) . وعلى النقيض ، يقول منتقدو قصبة كورة اصبهان (أي مدينة اليهودية) عنها انها جنة يرعاها بقر . ولا يجرح هذا التعبير مثلما تفعل صورة وردت في نسخة أقدم تضمنت أن من يرعاها خنازير (١٦٨٧) .

ويربى الغنم في جميع الأماكن . ويفوق انتشاره انتشار البقر . ويكثر في سهول الهلال الخصيب أو السرت أو ماوراء النهر ، ويتغلب

على مفاوز جزيرة العرب وفارس ، في بعض الأنحاء على الأقل . ويتسلق جبال ارمينية وخراسان وفرغانة . ويتوزع في اقليم الجبال أو في جبال بحر قزوين الجنوبية . باختصار ، لا ينقطع وجوده من الأندلس إلى آسية الوسطى ونهر مهران . ويكاد يحوّل دار الاسلام إلى مسرح رعاة شاسع (١٦٨٨) . وقد يتساءل المرء عن سبب كثرة الإشارة إليه في تصانيف الجغرافيين ، مادام انتشاره أوسع من انتشار البقر ، ويشمل جميع النواحي ، وهذا يعني انه موجود حتماً ولو لم يذكر . والحقيقة انه يفرض نفسه بوسائل شتى : على الذوق أولاً ، لأن لحم الضأن أفضل من سواه وأغذى وأنفع (١٦٨٩) ، ثم على البصر ، إذ لا تدل الألفاظ المستعملة له على حيوان فرد بل على قطعان (١٦٩٠) كبيرة بلا ريب ، متى ألح على عددها ، كما هي الحال في واحات مصر وفي أقاليم خراسان وما وراء النهر والجبال ، حيث تكثر حتى انها تشرى بالمجان أو تكاد (١٦٩١) . وفي أغلب الأحيان ، يفرض الغنم نفسه على حاستي البصر واللمس معاً لأنه يجلب بعض مباهج الحياة : فأيدي البشر تصنع من منتجاته الجلود واللبد (١٦٩٢) ، وبخاصة لبد البرادع أو الخيم ، والستور المريحة أو المناديل الرفيعة أو الثياب الملونة بألوان قانئة الحمرة أو عسلية (١٦٩٣) . ويعمل منها في بخارى أو ارمينية أو أصبهان بسط مشهور حسنها وجودة صنعها في الآفاق ، « لا ترتفع عن فرشها واستعمالها الرؤساء والاجلة ولا تستكثر الأوساط والسوقة » (١٦٩٤) ، على حد ما نقل لنا ، بحياء . أخيراً لايجوز أن نتغاضى عن الحيوان النادر والغريب : مثل الشاء أعظم حيوان في ارمينية ، أو الغنم الذي توحش على الطريق التي كانت تؤخذ وتسلك قديماً من صعيد مصر إلى افريقية

الغربية (غانة) وانقطعت ، أو أيضاً الغنم الوحشي في بلدان نهر جيحون الأعلى (١٦٩٥) .

ويرافق المعز الغنم عادة ، ويندر إلى أقصى حد (١٦٩٦) أن يرد ذكره في النصوص الجغرافية ، لسبب لغوي هذه المرة . فـ « غنم» تدل اليـــوم على الشاء، وكانت في أصلها تشمل في الواقع الماشية الصغيرة (١٦٩٧) . ويقول الجاحظ بوضوح تام ان الغنم على قسمين يسميهما الضأن والمعز (١٦٩٨). اذن،يثبت تطور اللفظ اثباتاً قاطعاً تقريباً أن المقصود بالماشية الصغيرة دوماً الغنم فعلاً ،لكن لا يسعنا أن نجزم ونحسم أن قطيع الغنم يضم الضأن دون المعز . وهكذا يحتمل أن يتضمن لفظ الغنم فيغالب الأحيان الضأن والمعز معاًفي مشهد طبيعي واحد(١٦٩٩).

في جميع الأحوال ، يلائم هذا الوضع المعز ، الذي لا يسعه أن ينتزع من الضأن لااسمه ولا تسمية الماشية الصغيرة ، ولا أن يزاحمه على المرتبة الأولى عند الذواقة في اللحوم : فما أغرب البلدان أو ما أتعسها إذا عكست ترتيب اللحم التقليدي ، وأقامت لحم المعز محل لحم الضأن ، هذا إذا لم تذهب إلى حد أكل لحم التيس (١٧٠٠) . والمعز في الحقيقة والواقع حيوان العيش الشظف ، كما هي الحال في جبال (هنا بمعنى جزر) بحيرة كبوذان ، التي يقوم المعز برمق سكانها (١٧٠١) ، مثلما أشرنا من قبل ، وحيوان يشك في ذكائه (١٧٠٢) أحياناً أيضاً . ويؤخذ من معدته بلاريب الترياق الشافي ، أي البازهر الشهير (١٧٠٣) ، إلا أن الثياب أنفع من المداواة . وحتى لو صنعت من شعر المعز خير اكسية البزبوست والمرعزيّ ، التي يرتديها الأمراء أحياناً (١٧٠٤) ، كيف يستطيع أن ينافس ألوان الأصواف التي لا تحصى ، الناعمة الملمس والسهلة الاستعمال ؟

الدواب والبراذين

لابد أن نتقصى بحث الدواب والبراذين في التعابير العامة ، مثلما فعلنا في دراسة الحيوان المغذي ، لأنها تتوزع هي أيضاً ، في جميع أنحاء دار الاسلام (١٧٠٥) . وتتكرر أسماؤها في البلدان ذاتها ، فيتساءل المرء ما إذا كانت هاتان الفئتان لا تتماثلان أصلاً . مثلاً ، أليست الابل زوامل أو ركائب ، استهين بلبنها أو جلدها أو وبرها ؟ أجل ، نحن نعلم أن هذا القول يناقض الواقع . مع ذلك يتحتم علينا عند مطالعة نصوص الجغرافيين ، أن نميز على وجه الاجمال قطعان الحيوان المغذي كالأبقار والأغنام والمعز ، عن سائر الحيوان ، المخصص لحمل السلع أو ركوب البشر ، كالخيل والحمير والبغال ، وبخاصة الابل ، التي لا تشاهد إلا مسروجة أو مبرذعة . ويستغرب اغفال ذكر حيوان الجر ، فيما عدا اشارة عابرة وحيدة عند المقدسي (١٧٠٦) إلى الحراثة بثمانية ثيران في اذربيجان . وتتحدث النصوص أيضاً عن أبقار أو جواميس أخرى تجر العربات أو تدير دواليب الماء ، وتزاحم الابل (١٧٠٧) في إدارتها ، ثم يسدل الستار على الموضوع . فما تعليل هذا الوضع ؟ ألأن الشرق كان آنذاك عالم الدرب والقافلة دون العجلات ؟ أم لأن المحراث في الأرياف لم يتعمم عند جميع الفلاحين ولأن الفلاحة لا تعتمد كلها على الآلة المكدونة (١٧٠٨) ؟ لاشك أن جميع هذه النواحي أثرت ، وأثرت معها اللامبالاة بعمل الفلاح اليومي ، الذي يتوارى خلف اللوحة المقدمة ، التي تستحوذ وحدها على الاهتمام ، وتعطي صورة النبات الكثيف ومياه الري في جميع الأماكن تقريباً .

ولكل حيوان أهميته . فالابل تنتشر في جميع دار الاسلام . وتعتبر

جزيرة العرب موطنها . وتسود فيها ، ويفضل الاعرابي الموت على التخلي عن ناقته (١٧٠٩) . وفيها تعرف الابل من نوع العشب الذي ترعاه ، ويتحدثون عن الابل الحوامض وعن الابل المخلة (١٧١٠) . وفيها تربى أفضل الابل، أي الابل الأصيلة (الابل العراب) التي ترتفع إلى الأندلس (١٧١١) . لكن لا تكثر الابل في غرب جزيرة العرب والهلال الخصيب أو في بواديهما فحسب (١٧١٢) ، بل يعثر عليها في الهند ، المسلمة أو غير المسلمة ، وفي جبال ارمينية أو بحر قزوين ، وفي خراسان وما وراء النهر (١٧١٣) . وتلعب الجمال دوراً رئيسياً في اقليم الجبال ، إذ تكثر للحمولات ولسلوك الدروب . وتتألف منها أحياناً قوافل الحج إلى مكة (١٧١٤) . مع ذلك تتهافت الابل في أرض همذان ، وتقطع سبخة في فم البعير بحمله ، وتتأذى الابل من الهواء على وجه أعم (١٧١٥) .

لكن اي الابل مقصودة ؟ أهي ابل جزيرة العرب ذات السنام الواحد ، أم فوالج بلخ ذوات السنامين ؟ لايحدد مصنفو الجغرافية مرادهم في كل مرة . لكن تبدو الأمور من جهة أولى واضحة في الشرق الأدنى ومغرب دار الاسلام ، مواطن ابل السنام الواحد ، وفي اقليمي خراسان وماوراء النهر ، موطني الفوالج . أما في الأماكن الأخرى ، فيحتمل أن تعترض صعاب كثيرة تعيين نوع الابل المعنية ، لتقارب النوعين حسب وضع التضاريس أو شروط المناخ أو التهجين (١٧١٦) ويعتقد . ان البعير معروف جداً خلافاً للفالج . ويتحدث الاصطخري وابن حوقل عن « نجب من الابل تفضل في السير وحسن الرياضة على جميع النجب ... تعلف السمك الصغار المعروف بالوَرْق » (١٧١٧) في جنوب جزيرة العرب . فهذه ابل المهرة . اما الابل المهرية والهندية والعسجدية والعمانية ،

فقد ضربت فيها الحوش ، في رأي أهل اليمن . والحوش من الابل هي التي ضربت فيها فحول ابل الجن ، فالحوشية من نسل ابل الجن (١٧١٨) . ويطلق على الفالج اسم البخت (١٧١٩) وهو جمل بلخ . والواقع أن الموضوع أدق من هذا التحليل : فبعير الشمشرق الحقيقي ، الذي لا يركبه إلا الأمراء على ماشتهر ، يسمى فالجا . وقد انتقل من ما وراء النهر وخراسان إلى بلدان بحر الخزر وفارس والهند . وإذا ضربت الفوالج في العراب جاءت البخت ، وهي أصغر منها حجماً ، ولا تنتج بين بخت وبختية ، وانما تصح بين الفوالج وبين قلاص الابل أي النوق العربية ، كالمهرية مثلا (١٧٢٠) ، كما تجيء الجمازات أيضاً ، والجماز جمل ركوب ممتاز ، يدل عليه اسمه الذي يعني « العداء » (١٧٢١) . ويتحدث ابن الفقيه عن جمال ارمينية ، يكتنفها غموض بالغ ، وتنحدر من نسل فالج آسية الوسطى : وهي صغار تكاد صدورها تصيب الأرض . فهل تدل أوصافها على تلاؤم مع المناخ والتضاريس أم على انحلال النسل أو على النقيض على تحسينه بالتهجين (١٧٢٢) ؟

ويتيسر بحث الخيل (١٧٢٣) في الظاهر في الحد الأدنى . ويشار فيه إلى الخيول العربية والفرسية . وتسمى الفارسية (الخراسانية) الشهرية (جمعها شهارى) ، وهي عظيمة الأبدان وقوية وصبورة ، ويركبها المحاربون الكشترية . والخيول العربية أصيلة (الخيل العراب) ترتفع كالابل إلى الأندلس (١٧٢٤) . أما سائر الخيل ، فليست أصيلة ، بل أنواعاً وضروباً تختلف نوعاً وكماً . وهكذا اختيرت لسبب أو لآخر ، في مفاوز وبراري البربر في المغرب ، وصعيد مصر ، والجزيرة ، وجبال ارمينية ، وبطائح العراق ، وبلدان فارس والترك الواسعة

(١٧٢٦) . فهذه الأنحاء تربي جميعها الخيول ، وتهتم بصفاتها لا بنسلها ، لأن التصنيف الأول يميز بين حصان السباق ، الجواد الكريم ، وبين الدواب الأخرى التي تنضوي في فئة المراكب ، أي البراذين (١٧٢٦ مكرر) . ويحتمل أن تبرز هذه الصفات أحياناً الفارق بين النسلين : فاذا كان لفظ العراب يدل على الخيول الأصيلة ، فأكرم جواد فارسي ، أي الشهري ، يندرج أحياناً أيضاً في عداد الزوامل (١٧٢٧) . إلا أن هذه التدوينات نادرة وشبه هامشية . فالجواد الفارسي ، كالجواد العربي ، كريم ، وله أبطاله الذين خلدهم التاريخ .

وليس المقصود في النهاية أن يعرف القارىء خيل هذه البلاد أو تلك ، بل ان يبصر إن كان الجواد (خيل ، فرس) جميلا أم لا . وتنطوي هذه النظرة على تقسيم جديد يتناول فئتي خيول السباق والبراذين. وبذا يصبح النسل وسيلة لا لتمييز شتى النتاجات المحلية ، بل لتحديد النوع الذي يحقق الغاية المرجوة منه . وطبعاً تستبعد جميع أنواع الأفراس البليدة ، و « الكدش» من دليل المسافر أو الموسوعة الظريفة ، ويشاد بالخيل الجياد الفرهة (١٧٢٨) أو بالخيل الكراع وشبه الضامرة (١٧٢٩) ، وبخصب الرمك التي تنتج البغال (١٧٣٠) ، وهملجة برذون الحمل (١٧٣١) ، وإذا جمعنا جميع المهام ، بصحة النوع وجماله وفراهته (١٧٣٢) .

اذن الخيل متاع الحياة الدنيا ، زينت للناس مع حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة (١٧٣٣). وأي حيوان يتمتع بالصفات ذاتها ان لم يكن الجمل ؟ إلا أن الخيل أنعم ، بجميع معاني هذا اللفظ . فاذا كانت الابل ترعى ما يتيسر لها من الكلأ ،

فالخيل تحتاج إلى مروج حقيقية . والبرهان على ذلك ، ان في إحدى قرى فارس قرب نهاوند ، صورة فرس من حشيش يراه الناس أخضر في الشتاء والصيف . يقال إنه طلسم الكلأ والحشيش ، فهي أكثر بلاد الله حشيشاً (١٧٣٤) . ومن أمجاد الخيول أيضاً في نيسابور أنها يركبها كل من شاء (١٧٣٥) من الكبراء المتطيلسين ، وتوضع الخيل المسبّلة في الرباطات في ثغور دار الاسلام (١٧٣٦) لحمايتها ونشر الاسلام . وهذه المهمة جديرة بها باعتبارها هبة من الله . وهنا يظهر السباق والفروسية ، التي تتضمن أيضاً علم الخيل والبيطرة (١٧٣٧) .

هذا هو الوضع القائم حالياً . إلا أن الحيوان الكريم يتطلب أيضاً تاريخاً بطولياً ، وأجداداً وأكاد أقول أجداداً عظاماً . فقد قال المسعودي إن سليمان بن داود زوّد اناساً من الازد فرساً يصيدون عليه — والصيد رياضة الأحرار — فسمي زاد الراكب ، وهو أشهر أجداد الخيول في جزيرة العرب . وأشهرها عند الفرس شبديز (١٧٣٩) ، الفرس «الأدهم» (١٧٤٠) الذي تلقاه كسرى الثاني ابرويز هدية من ملك الهند في الواقع . وكان من أذكى الدواب وأعظمها خلقاً وأظهرها خلقاً وأصبرها ، وكانت استدارة حافره تزيد على ستة أشبار . وكان مؤدباً ، لا يبول ولا يروث ما دام سرجه ولجامه عليه . فلما نفق ، أمر الملك الحزين بتصوير تمثال له في الصخر ، فجاء ذلك التمثال أعجب تصوير في الدنيا بألوانه المتنوعة كتنوع ألوان الرسام . وتأمل الملك في التحفة الفنية ، كأنه في مأتم أحد عظماء هذا العالم ، وذكر ما يصير إليه حاله في كلام طويل .

وإذا عدنا إلى أصول الخيل ، وجدنا أن الختل . وهي ناحية واقعة في حوض نهر جيحون الأعلى ، وشهيرة ببراذينها الفارسية

أو التركية المنغولية (١٧٤١) . مهما يكن ، ففي نسل هذه البراذين (١٧٤٢) دواب ماء، مثل دواب نبتون أو دواب رحلة سندباد الاولى . لكن ترتبط القصة هنا بعين تسمى نازكول أي نضارة الورد (١٧٤٣) كان الملك بيك يرسل رمكه ترعى في المراعي بقربها . ورأى هذا الراعي يوماً وقد انتبه من نومه في براذينه برذوناً طويلاً كأطول ما يكون . وفي ذات يوم ، خرج ذلك البرذون بعينه من العين ، ومعه مهرة وبراذين سواه كثيرة وعجيبة ، كأنها تطير بين السماء والأرض . وقد نتجت البراذين الختلية من القاح هذا البرذون الرمزي عبر عناصر القوى الكونية الثلاثة .

ويحدثنا المسعودي (١٧٤٤) عن خلق الخيول العربية ، بنات الريح ، نقلاً عن ابن عباس الذي قال : قال رسول الله : « إن الله لما أراد أن يخلق الخيل ، أوحى إلى الريح الجنوبي : إنني خالق منك خلقاً ، فاجتمعي (١٧٤٥) . فاجتمعت . فأمر جبريل ، فأخذ منها قبضة ثم قال الله : هذه قبضتي (١٧٤٦) . قال : ثم خلق الله منها فرساً كميتاً . ثم قال الله : خلقتك فرساً ، وجعلتك عربياً ، وفضلتك على سائر ما خلقته من البهائم بسعة الرزق (١٧٤٧) والغنائم تقاد على ظهرك ، والخير معقود بناصيتك . ثم أرسله الله ، فصهل . فقال الله : باركت فيك ، بصهيلك ارعب المشركين ، وأملأ مسامعهم ، وأزلزل أقدامهم ، ثم وسمه بغرة وتحجيل (١٧٤٨) . فلما خلق الله آدم ، قال : يا آدم اخبرني أي الدابتين أحب إليك الفرس أو البراق ؟ قال : وصورة البراق على صورة البغل ، لا ذكر ولا أنثى (١٧٤٩) . فقال آدم : يا رب ، اخترت أحسنها وجهاً ، فاختار الفرس . قال الله : يا آدم اخترت عزك وعز ولدك باقياً ما بقوا

وخلدوا . قال ابن عباس : فذلك الوسم فيه وفي ولده إلى يوم القيامة ؛ يعني الغرة والتحجيل (١٧٥٠) » .

ويسود الجواد سيادة مطلقة في فصيلة الخيل ، لكنه لا يستنفدها البتة . ويبدو أن اتساع نطاق انتشار الحمار (١٧٥١) يضاهي نطاق انتشار الخيل ، وان كان وروده أقل انتظاماً في النصوص الجغرافية التي تشير إلى وجوده في أقاليم ماوراء النهر ، وخراسان ، وفارس ، واقليم الجبال حيث يتأثر بالمناخ (بالشتاء) ويتحطم في الأرض الوحلة (١٧٥٢) ، هو وسائر الدواب فيما يبدو . مع ذلك ، بمصر (١٧٥٣) حمير لا يعرف شيء من بلدان الاسلام والكفر أسير منها . وقد تجلب إلى بعض الأماكن لاسيما إلى المغرب ، فتتغير وتمتليء أبدانها . وحدثنا على وجه التخصيص عن حمار الجنوب (اسنا : أهلها المريس) المسمى المريسي ، الذي جاء من الأنحاء الواقعة إلى جنوب الأقصر . أما ابن حوقل ، فيذكر حميراً صغاراً في مقدار الكباش الكبار في صعيد مصر (من وراء أسوان) ويميز ثلاثة أنواع منها : هي الملمّعة الجلود يشبه تلميعها جلود البقر ، ثم المدنّرة الصفراء أو الشهباء (١٧٥٤) إذا أخرجت من مواطنها وبلادها لم تعش ، وأخيراً الحمير السفلاقية (١٧٥٥) ، وهي أسيرها ، وكانت فرش الصعيد وأرض مصر والبجة بين النيل وبحر القلزم ، فقلّت ، وزعموا أن أحد أبويها وحشي والآخر أهلي . وبذا نصل بصورة طبيعية إلى بحث الحمر الوحشية الاسيوية والحقب الافريقية التي أشار كتاب حدود العالم إلى وجودها في الواحات المصرية . فهل هي وحشية حقاً أم متروكة ؟ وقد تحدث ابن حوقل عن جمال وغنم توحشت بعد أن تركت على الطريق التي كانت قديماً تسلك من واحات مصر إلى افريقية الغربية (غانة) (١٧٥٦) . فاذا استثنينا هذه الاشارة ، فالحمار هو الحيوان

الذي نعرفه : حيوان الركوب أو الدابة العادية الآمنة جداً ، التي يعجب التجار بها . ويشاد بجماله وقيمته ، وسرعته ، ومرونة سيره ، ونطلق عليه أحياناً نعوت الخيل (١٧٥٧) . ويلمّح أحياناً بلاشك إلى الظنون الشائعة ضد الدواب الوضيعة . فمن الرسوم القبيحة التي يأخذها المقدسي (١٧٥٨) على فارس مجتمعة ، تفشي رسوم المجوس فيهم ، وانتشار دور زنا (بشيراز) ظاهرة تتقبل ّ وتقصد،وقيام النساء بحراسة الحمامات، ورؤية المكدين بين صفوف المصلين والحمارة خلف الحمير . وعلى النقيض ، لا ينسى أحد أن ليس في الجنة كلب إلا كلب أصحاب الكهف وحمار بلعم ، الذي منحه الله هبة التكلم ووعد سيده أن يرجع إلى الصراط المستقيم (١٧٥٩) .

وتقع البغال والكوادن بين الخيل والحمير . ويقول المسعودي : لو نتج دابة على اتان ، لخرج منها بغل أفطس ذو خبث ودهاء يسمى الكودن (١٧٦٠) . ويكتشف الكودن في بعض الأحيان (١٧٦١) في فئة البراذين العامة . مع ذلك ، يتضمن لفظ البغل (جمعه بغال) البغل ذاته والكودن (١٧٦٢) . وينتشر البغل والكودن في جميع الأماكن تقريباً . والبرهان على ذلك ان دار الاسلام حسمت مسألة البغل التي أثارها بعض الفقهاء ، وأفتت بحق الانسان بتهجين البغل لضمان مصلحتها الاقتصادية . ولا أثر عند مصنفي الجغرافية الفضول الذي ينصب على نتاج نوعين مختلفين ، من جهة عقمه على وجه التخصيص : فقد ولّى فيما يبدو الزمن الذي كان فيه الجاحظ لا يكتفي ببحث البغال في كتاب الحيوان ، بل يفرد لها رسالة خاصة (١٧٦٣) بها .

ونحن نعلم مدى تأثير الجاحظ في مثل هذه المواضيع . ونصاب

بالدهشة لأن مصنفي الجغرافية، بدءاً بابن الفقيه المتخصص بـ « العجائب » لا يأبهون لها (١٧٦٤) ، ولاسيما في بحث البغال . ويعزى هذا الوضع بلاريب إلى ازدياد أهمية البغل يوماً فيوماً في المشهد الطبيعي ، وإلى أن الميل إلى الغريب يتحاشى الأشياء الشائعة جداً ، ويسعى إلى عرض أمور تخرج عن المألوف ، وهي وافرة مثلما سوف نرى . ووجود البغل في جميع أنحاء دار الاسلام ، واقعة ثابتة . فهو يكثر على الخريطة في بعض النواحي ، كما هي الحال في المشرق ، في خراسان الشرقية وماوراء النهر ، حيث يتم نتاج البغال أو تقع مراحل تبديلهم على طريق بلدان الترك ، وتخرج منهما أسرع الدواب (١٧٦٥) ، ويربون البغال في جبال ارمينية واذربيجان ولاسيما في مدينة برذعة وهي بغال جياد موصوفة بالقوة والجلد والفراهة (١٧٦٦) ، ويعثر في الوسط على البغال المصرية في وادي النيل الأعلى أو الأدنى (١٧٦٧) . أخيراً نجد البغال في الغرب في المغرب (١٧٦٨) . وتشتهر فيه البغال البربرية إلا أن بغال الأندلس وجزيرة ميرقة تنافسها .

وفي الأندلس ، يتفوق البغل على الحمار ، ويعامل أحسن معاملة ، وينعت باجرأ الأوصاف حقاً ، ويصحب الملوك (١٧٦٩) . « وقلّ سوق بها يصير إليه أهله إلا على الفاره من المركوب (١٧٧٠) . ولا يعرف فيهم المهنة والمشي (١٧٧١) إلا أهل الصنائع والأرذال ، وتختص بالبغال الفره ، وبها يتفاخرون ويتكاثرون ، ولهم منها نتاج ليس كمثله في معادن البغال المذكورة وأصقاعها المشهورة من ارمينية والران وباب الأبواب وتفليس وشروان (١٧٧٢) ، لأنها تبدن وتصنع وتنجب ، ويجلب إليهم منها شيء حسن الشية ، عظيم الخلق ، كثير الثمن ، من جزيرة ميرقة (١٧٧٣) . وهي جزيرة . . . . واسعة الخير ، كثيرة

الثمار ، رخيصة الماشية لكثرة المراعي ، غزيرة النتاج والمواشي ، معدومة الجوائح ، قليلة الآفة ، وليس بها عاهة ، ولا وحش يؤذيهم في سائمتهم . ورأيت منها غير بغل بيع بخمس مائة دينار ، وإليها يرغب ملوكهم بمراكبهم . واياها يستوطئون ويؤثرون فيما يركبون . فأما ما يبلغ منها المائة والمائتي دينار ، فأكثر من أن يحصى . وليس ذلك لأنها أزيد على البغال الموصوفة بحسن السير وسرعة المشي فقط ، بل جمعت مع ذلك عظم الخلق وحسن الشية إلى اختلاف الألوان الصافية والشعور الدهينة المشرقة ، والصحة على مر الأيام ، مع الصبر على الكد والعسف » .

الدويبات المفيدة والرفاق الفطنة

يندرج الحيوان الأهلي في نطاق أعمال موضوع الجزء الرابع اللاحق من كتابنا . ويتوثق اندراجه فيه إلى حد كبير ، حتى ان مصنفي الجغرافية يغفلون ذكره ، ويلتفتون إلى وظيفته أو منتجه ، إذا ما تقبل حجمه الصغير الاهمال . لنأخذ دودة القز مثلاً . فاذا استثنينا مقطعاً عند الاصطخري ، ينقله ابن حوقل (١٧٧٥) ، ويتمول فيه إنها « تنسج على نفسها القز » ، ولا يأبه أحد من المؤلفين للدودة ذاتها ، ويشبه القرمز بها . بالمقابل ، ورد الحرير كثيراً (١٧٧٦) بأشكاله الطبيعية أو المنسوجة ، مما يثبت أن البذخ والأبهة تغلبا في مشرق دار الاسلام ومغربها ، على الأحكام المسبقة للأوساط المتشددة . وأن هذه الأوساط ــ وهذه الفكرة مضافة من عندنا ــ ألقت ظلالاً من النسيان على الدويبة المتواضعة التي لولاها لما وجدوا . خلافاً لذلك ، يعامل القرمز معاملة فضلى ، مع أنه دود أقل انتشاراً من دودة القز إلى حد كبير . وإذا كان يقارن بها أحياناً ،

مثلما قلنا ، فبعض المصنفات تفرد له بحثاً خاصاً ، مثل كتاب التبصر بالتجارة للجاحظ ، الذي جاء فيه ان القرمز حشيشة تكون في أصلها دودة حمراء ، تنبت في ثلاثة مواضع من الأرض : في ناحية المغرب بأرض الأندلس ، وفي جبال جنوب غرب بحر الخزر (الصحيح في رستاق يقال له تارم) ، وفي أرض فارس . ولا يعرف هذه الحشيشة وأماكنها إلا فرقة من اليهود ، يتولون قلعها كل سنة في شهرماه اسفندارمذ (شباط) (١٧٧٧) . أما المقدسي (١٧٧٨) فيكتفي بالقول إن نساء ارمينية ينفرن بنحاسة معهن دودة القرمز التي تظهر في الأرض . فسواء كان الخبر صحيحاً أو مضخماً ، ففيه فيض من التفاصيل عن دويبة نعترف أن ذكرها قليل جداً عند المصنفين الجغرافيين ، ويقترن أحياناً بوصف قتلها وتضريجها بدمها . والقرمز صبغ رائع ، يحمل اسم لونه الأحمر ، القرمزي (١٧٧٩) .

ويثبت القرمز ، بالتضاد ، ان الغرابة التي يتصف بها الحيوان في البدء ، تتضاءل في نظر الانسان الذي يستغله ، كلما توسّع تأهيله : فتهجين البغال وشرنقة دودة القز يصبحان طبيعيين متى ألفهما البشر ، وينساهما الناس . ويختفيان وراء الدابة المستفاد منها . ويعتبر النحل مثالاً آخر . فلاريب أن المصنفين يتحدثون عن الشمع ، وعن العسل خاصة ، الصافي أو الشهد ، المشار عن الأشجار أو من خلاياه ، وعن المنتجات المشتقة منه كشراب العسل أو نبيذه ، وعن البلدان الغنية جداً به ، وعن أنواع العسل حسب النبات المجتَس كالسعتر أو الكرمة أو التين ، وعن ألوانه أيضاً ، وبخاصة الماذيّ النقي الذهبي الذي إذا قطرت منه قطرة على الأرض ، لم تأخذ منها ولم تعطها . مع ذلك ، لا يرد ذكر النحل في كل هذا ، ولا يرد حتى اسمه (١٧٨٠) .

بقي أن نتكلم عن الحيوان الأهلي الهامشي (١٧٨١) : كالفيل الذي يحمل من السند ولا يعتبر من جيوان دار الاسلام (١٧٨٢) ، والخنزير الذي تدر تربيته أرباحاً طائلة . وتذكر في سياق الحديث عن النواحي التي تقيم فيها طوائف مسيحية ، كدلتا النيل (١٧٨٣) ، في حين يبقى المسلمون يمقتون هذا الحيوان (١٧٨٤) . ويذكر السنور ، الحيوان المنزلي نادراً جداً . ويقال إن أول من اتخذه ، الفرس القدامى (فريدون) (١٧٨٥) لكنه معروف جداً ، يشبه الأشق به (١٧٨٦) ، ولا يرد إلا في أمثال هذا التشبيه . ويقول المقدسي : هراة مدينة صغيرة . . . يقال إن نساءهم يختلمن إذا ازهرت أشجار الغبيراء كما تغتلم السنانير (١٧٨٧).

وماذا عن الكلب (١٧٨٨) ؟ لقد اتخذ كالسنور في فارس القديمة (١٧٨٩) ، ولا يشار إليه إلا إذا انفرد بخاصية مميزة ، مثل عظمه في ارمينية (١٧٩٠) . لكن هل يصحب الكلب الانسان ؟ قد يشك في ذلك ، باستثناء كلب أصحاب الكهف الذي مر ذكره مع حمار بلعم ، أو فيما عدا تقليد يعتقد ان الكلاب ذكية وكلها أهلية ، فيظن انها تمتلك عقلاً — وربما — روحاً (١٧٩١) . وزعم بعض الناس انها على حدود الأهلية والوحشية ، لأنها تعدو خلف الوحش (١٧٩٢) ، وتتعدى على البشر . إذ يروى أن في الجزيرة (أرض الموصل) دير الكلب الذي يحمل إليه من عضة كلب عقور فيقيم عند رهبانه خمسين يوماً فيبرأ (١٧٩٣) . ولاريب في نجاسة الكلب وهوان شأنه . فاحدى الخوارق انه لا يتعدى حد الجبال الشريفة في اقليم الشام (١٧٩٤) . ويؤخذ على الفسطاط كثرة كلابها (١٧٩٥) . ويحتقر امبراطور بيزنطة بتسميته كلب الروم (١٧٩٦) . ويستنكر أكل لحوم الكلاب التي تباع جهراً

على القنارات في مدينتين من مدن المغرب (١٧٩٧) . وتطرح في هرائس مصر ويثرب سراً . أما الكلاب السلوقية ، فهي صنف خاص ، يقال إنها وقعت من بلاد الهند إلى جزيرة العرب ، لكن أهي حقاً كلاب أم نتاج مسافدة الكلاب والثعالب أو الذئاب (١٧٩٨) ؟

الحيوان الوحشي والهوام أولاً

جهد الناس في القرون الوسطى الأولى في درء أخطار وحوش مازال دأبها اقتحام معمورتهم من الأطراف التي كمنت فيها . هذا ما بدأت أشرحه . ووردت هذه الوحوش أكثر من مرة في النصوص الجغرافية. لكن تعكس قلة ذكرها الاعتياد عليها . وقد شاء حسن الحظ ألا تصحب دوماً الإنسان الذي يعرف مكانها جيداً ، ويدرك أنها تتربص به . ويستذكرها مصنفو الجغرافية فيتحدثون عنها استطراداً ، ويصورونها تترصّد القطعان أو تترقبها الكلاب (١٧٩٩) لتكون طريدتها أو فريستها . وقد أشار إليها ملك فارس سابور بن اردشير ، الذي اعتزل ملكه سراً ، وآجر نفسه من عظيم إحدى القرى ، فكان يحرث في النهار ويعمل في طرد الوحوش في الليل . ولما عاد إلى ملكه سأله أحد وزرائه عن أشد شيء مر عليه . فأجاب : « طرد الوحوش عن الزروع بالليل ، فانها اتعبتني ، وأسهرتني ، وأبلغت إليّ . فمن أراد كرامتي ، فليصد لي منها ما أمكن لأبني من حوافرها بنياناً ، يبقى ذكره لنا على غابر الدهر وعلى مر الليالي والأيام . فتفرق الناس في صيدها فصيد منها ما لايحصى كثرة . ثم أمر بقطع أيديها وأرجلها ، وأخذ حوافرها وأحضر البنائين ، فبنوا له منارة عظيمة تكون ثلاثين ذراعاً في عرض عشرين ذراعاً . وبناها مصمتّة بالكلس والحجارة ، ثم رَكّب فيها الحوافر ، وسمر

بمسامير حديد ، فصارت كأنها منارة من حوافر » . هذا هو أصل ذات الحوافر . . وهي مبنية من حوافر حمر الوحش » (١٨٠٠) .

وهكذا يبين أن البشر يصطدمون بصعوبات جمة في ايقاف توسع عالم الوحوش الطاغي ، الذي يجتاح حدودهم أحياناً ، ويكسب ما يتوحش من حيوانهم الأهلي (١٨٠١) . لكن هل تعتبر الحشرات والطفيليات والهوام سباعاً فعلاً ؟ قد يظنّ انها ، هي أيضاً ، أهلية أو أهلت ، نظراً لوجودها في جميع الأماكن تقريباً ، حتى ليعجب المرء إذا لم ير تلك الهوام — أحد آقسام الحيوان عند الجاحظ (١٨٠٢) — والحشرات وذوات السموم القاتلة أحياناً (١٨٠٣) . فما أسعد اقليم الجبال أو مدينة اصفهان ، اللذين يسلم أهلهما منها جميعاً في الشتاء (١٨٠٤) ، ومما يقاسيه أهل عمان وأهل البصرة وسيراف والعراق في الحر (١٨٠٥) من أذى الذبان والجعلان والخنافس والحيات والعقارب والجرادات والنمل والبعوض والبق والجرجس وما إليها (١٨٠٦) . ويغتبط الناس إن فاتتهم رؤية شيء منها ؟ فلا عقارب في غزنة أو حمص (١٨٠٧) ولا في اقليم الجبال (الصحيح في همذان) بفعل طلسم بليناس (١٨٠٨) . وفيما عدا هذه الأماكن الأمينة ، تظهر العقارب في عمان وسيراف والبصرة كما قلنا ، وفي المغرب واقليم الشمال وسجستان (١٨٠٩) . لكن لا تنفرد هذه البلدان بوجود العقارب ، إنما تشاهد فيها أكثر من غيرها أو تزداد خطورتها فيها (١٨١٠) . والمصاب الجسيم يلم بلا جدل بنصيبين والجزيرة ومدينتي الأهواز وعسكر مكرم في خوزستان (١٨١١) اللواتي يكثر ذكر عقاربها في العجائب .

ولا توصف العقارب أبداً ، باستثناء الجرارات التي اختلف في

حجمها ، وعرفت بأنها تجر بطنها على الأرض جراً ولا ترفعه . ويبدو أنها تنتشر في اقليمي العراق وفارس وتقتل بسمّها (١٨١٢) . والحقيقة أن أخطار العقارب وطرق الحماية منها تستقطب اهتمام المصنفين بتمتمة : فقد قلّ من يسلم من لسعها إذا لدغته ، وهي أبلغ في القتل من بعض الأفاعي القاتلة ، وأمضى سمّاً (١٨١٣) . وسمع أن أبا موسى الأشعري ، لما عجز عن فتح مدينة قاشان حمل إليها من عقارب نصيبين في الجرار ، ثم رماها إلى داخل الحصن ، فسلمّوا البلد (١٨١٤) بهذه الحرب «البكتيريولوجية » . لكن لا علينا . فالعقرب حيوان مقيت قطعاً ، ويشبه لسان الانسان بشولة العقرب السامة الرهيبة (١٨١٥) إذا أريد الطعن به . ويجب محاربة هذا العدو . وإذا لم يسعد الحظ البشر ، ويلتقوا برجل مثل بليناس ، ويحصلوا منه على طلاسم ، فليستعينوا عليه بخدمات الحرذون الذي اشتهر بقتال العقارب (١٨١٦) . وإذا وقع المحذور ، وتمّ اللسع ، فلا يتضرّر الملسوع إذا شدّ بساقه كعب أرنب . أما حمص في اقليم الشام ، ففيها على باب المسجد الجامع ، بجنب البيعة ، على حجر أبيض ، صورة ، أعلاها صورة إنسان وأسفلها صورة عقرب . فاذا لدغ العقرب إنساناً ، فأخذ طينا ، ووضعه على تلك الصورة ، ثم أدافه بالماء ، وشربه ، سكن وجعه ، وبريء من ساعته . وفي الأناضول ، يعرف بيت بقاليقلا ، في بيعة للنصارى ، إذا كانت ليلة الشعانين ، يخرج من موضع منه تراب أبيض إلى الصباح . فيأخذه الرهبان ويدفعونه إلى الناس ، وخاصيته للسموم والعقارب والحيات ، يداف منه وزن دانق بماء ، ويشربه الملدوغ أو الملسوع فيسكن (١٨١٧) .

وينقلنا العقرب إلى العالم اليومي الذي لا يطاق ، نعني عالم الجعل . حيوان القمامة (١٨١٨) والنمل الذي يعض (١٨١٩) ، والدلم المؤذي

(١٨٢٠) ، والزنبور الذي لا ينفك يطوف حول اللحوم والثمار (١٨٢١). ويفاجأ المرء بغياب القمل . لكن يقابله وجود دائم لأربعة أنواع من الحيوان تشمل الذباب والبعوض والبق والبرغوث هنا أيضاً ، يشار إلى غيابها ، ويشاد باقليم الجبال لأن برده يقضي على نتنها وجراثيمها (١٨٢٢) . أما سائر الدويبات ، فتضيع بلا تعيين في اخبار ملازمتها المزعجة المألوفة ، التي لا يشار إليها في الحقيقة إلا عندما تفرضها ، بمعنى هذا الفعل الصحيح (١٨٢٣) ميزة فريدة جداً : لا الكثرة بل غاية الكثرة (١٨٢٤) ، وعظم الحشرة أو نتنها (١٨٢٥) . بخاصة تعديها الذي يدفع إلى مقارنة هجوم البراغيث مثلاً ، باللغة العربية والفارسية ، بهجوم الذئاب أو الكركان ، وإلى تشبيه حمة البق بالابرة ، وإلى التأسف على لطف هواء الخريف ، والاكتنان بالأكواخ المحكمة الغلق أو الاحتماء بالجامع المحمي بأعجوبة ، أو بالكلل (١٨٢٦) .

ويشاء حسن الحظ ألا تكون جميع الحشرات ضارة ، بل ان بعضها عجيب مثل القطرب أو الحباحب ، كما يصفهما المقدسي (١٨٢٧) ويقول : « في رستاق الزارجان (١٨٢٨) قرية يقال لها ماثة ، بها دويبة في خلقة الخنفساة . تدب في الليلة الظلمة ، تتقد مثل السراج ، وترى موضع الوقيد بالنهار أخضر » ولا صعوبة البتة في معرفة الحشرة المقصودة في هذا المقطع (١٨٢٩) الآخر : في البلدان الواقعة إلى جنوب بحر الخزر (الصحيح طبرستان) دويبة سوداء براقة ، تظهر أيام العنب فقط ، قدرها دون الخنصر طولاً ذات ألف قائمة ، وهي قوائم قصار نابتة على بطنها . فاذا تحركت ، كأنها أمواج تضطرب » .

بحث الحيات

فماذا يقصد بالزواحف الحقيقية ؟ طبعاً جميع الهوام . وقد أجاب الجاحظ من قبل بهذا المعنى . إلا أنه استعمل لفظ الحشرات ليدل على الحيوان الذي ينساب والحيات والعظاء ويضمنها الجعلان ، والعقارب ، والعث ، والقراد ، والعناكب ، أو النمل ، وأيضاً اليربوع والخلد ، والجرذان ، وابن عرس ، وابن مقرض أو القنفذ (١٨٣٠) . وهذا يرينا التباين في التصنيفات (١٨٣١) : فالالتصاق بالأرض ، وانعدام طول الحيوان يحدثان ما نسميه الفصيلة . لكن لنعد ، ولو لسهولة العرض المعاصر فقط ، إلى ما نعتبره زواحف (١٨٣٢) في عرفنا . ونذكر منها حيواناً غريباً يسميه المسعودي عربدا ، وهو خاص باحدى مناطق جزيرة العرب — المقصود حجر اليمامة — حتى إنه إذا قبض عليه وحمل منها ، عدم من الوعاء الذي حمل فيه بعد مسافة معينة ، وعاد . ويوحي لنا اسم عربد وما يذكر الجاحظ معه من أنواع الحيوان ، بأنه حية رمال . لكن لو أن هذه الحية إحدى الحيات العادية ، هل كانت لتثير عند أحد الخلفاء — المتوكل — اهتماماً بالغاً يدفعه إلى أن يسأل — حنين بن اسحاق — ان يتأتى له في حمل أشخاص من النسناس والعربد ، والنسناس حيوان عجيب شهير سوف نعود إليه فيما بعد ؟ ويقول المسعودي إن أهل اليمامة ينتفعون بالعربد لمنع الحيات — والعقارب وسائر الهوام — كمنفعة أهل سجستان بالقنافذ . بالتالي لابد ، فيما يبدو ، من حيوان ليس بحية ، لكن يشبهها بقدر كاف ، لأن المسعودي يقول بدقة ، إن جاز لي هذا التعبير : والعربد « نوع كالحيات » . فأنا أميل إلى اختيار عظاية صغيرة من فصيلة العظائيات ، وهي مستطيلة وقوائمها قصيرة جداً ، وتتحرك في الرمال ، وتصطاد الأفاعي أحياناً (١٨٣٣) .

ولدينا عظائيات أخرى ، ليست غامضة كالعربد . فالحرذون يقاتل العقارب . كما قلنا من قبل . وإذا ظفر بالجدي أكل أذنه ، وينفع زبله من وجع العين ، ومن(دهّن بشحمه ثم ألقى نفسه على التمساح في الماء صاده لأنه يحميه منه (١٨٣٤) . ولا يعثر على اضبّة على وجه العموم (١٨٣٥) ، بل على ما هو من فصيلتها : مثل الورل الغريب في الحقيقة ، الذي يتفاوت تمييزه عن التمساح (١٨٣٦) عند المصنفين ، وبخاصة السقنقور (الاسقنقور) (١٨٣٧) وهو نموذج العظائيات ولايكون في مكان ، في رأي ابن حوقل ، الا في النهرين الشقيقين أي النيل وبدقة في النيل الأعلى ونهر مهران . مهما يكن ، يعتبر السقنقور إحدى عجائب مصر . وهو صنف يتولد منه ومن السمك ، فلا يشاكل السمك لأن له يدين ورجلين ، ولا التمساح لأن ذنبه أجرد أملس غير مضرّس ، وذنب التمساح مسنن ومضرس ، ويزعم ابن الفقيه ان للذكر عضوين تناسليين ، ولا عجب في ذلك لأنه يتعالج بلحمه أو شحمه الجماع ، حسب التقليد المتبع . .

مع ذلك ، جميع أنواع الحيوان السابقة أنصاف زواحف والزواحف الحقيقية ، تعريفاً ، هي الحيات . وتعريفها غريزي أصلاً ، لا يتقيد في الواقع بمباديء تصنيف . وترد في النصوص الجغرافية ثلاثة ألفاظ تدل عليها ، هي الحية والثعبان والأفعى ، إلا أن معانيها الدقيقة في المعاجم العربية لا تسمح بتمييز صفات فئاتها ، ولا بتحديد بعض فصائلها أو إعطاء وصف بسيط لها . فالحية اسم عام (تكون للذكر والأنثى) . وقيل (ابن شميل) والحيات كلها ثعبان : الصغير والكبير ، والاناث والذكران (١٨٣٨) . وقيل سميت الأفعى أفعى لجرشها في مشيها أو

لبعض صفاتها ، كعرضها أو عرض رأسها (١٨٣٩) . ولم يأت الاستعمال الشائع إلا بتدقيقين متناقضين فيما يبدو : فالاسم العام يظل الحية . ويدل الثعبان ، سواء كان ساماً أم غير سام ، على الحية الضخم الطويل (١٨٤٠) وتعني الأفعى الحية السام ، صغيرة كانت أم كبيرة (١٨٤١) . أخيراً ، أسهم الجاحظ والموسوعيون (١٨٤٢(باجراء ارتباط جغرافي جديد : فالأفاعي في سجستان والأهواز ، والثعابين في مصر : كوبرا ، ناجا ، هاج (١٨٤٣) . .

تلك هي الزواحف الحقيقية والحيات القاتلة فعلاً . وما أسعد البلدان التي تخلو منها (١٨٤٤) كما تخلو من الهامة . فلما أمر بليناس ان يطلسم آفات اقليم الجبال ، اتخذ طلسماً فوق منارات للحيات ، فانحازت إلى جبل وهي فيه . والحيات بقرية جكاذة مطلسمة ، لا تؤذي حتى يلعب بها الصبيان فلا تضرهم (١٨٤٥) . ويحمي الناس أنفسهم أو يتعالجون كما يستطيعون في بعض الأماكن الأخرى : بالعوذ في بيت المقدس (١٨٤٦) وبالترياقات مثل حشيشة المخلّصة أو التراب المداف بالماء (١٨٤٧) ، أو لحوم الحيات الترياقية (١٨٤٨) . وأفضل وسيلة الاستعانة بالدواب . ويمكن أولاً استعمال طريقة غير مباشرة : فجميع الناس يعلمون أن الحيات لا تقدر على النقب وتمهيد الأماكن لأنفسها ، فتتبع أحجرة الفأر ، فمتى أبعد الفأر باحدى الوسائل ، عدم وجود الحيات أيضا (١٨٤٩) . وتعتبر الاستفادة من أعداء الحيات (١٨٥٠) أنجع طريقة للقضاء عليها : كالقنافذ في سجستان ، ويشترط أهلها ألا يقتل لهم قنفذ ولا يصاد ، وقلّ بيت لا يكون فيه قنفذ بمنزلة السنانير عندنا . وكالنمس في مصر ، ولعله سنور الفراعنة أو فأرهم ، وهو دويبة

متحركة كأنها قديدة ، وإحدى عجائب الدنيا . فاذا رأت الثعبان دنت منه ، فينطوي عليها ، فتزفر زفرة تقده بقطعتين ، وربما قطعته قطعاً .

فهل تستحق الحية هذا المصير ؟ نحن نعرف دورها في جنة عدن ، واهباطها في اصبهان ، حيث اضطرت طلسمات بليناس أن تلاحقها من جديد أو أن تحتوي أضرارها في الحد الأدنى (١٨٥١) . فوراء الحية ، تتراءى قوى غامضة ، تكمن في الأرض والماء ، كما هي الحال في فارس أيضاً (في رستاق الغامدان) في عين يخرج أيام الربيع منها سمك ثم تخرج منها حية سوداء ، فاذا خرجتا غارت إلى الحول بزيادة (١٨٥٢) . وأكل لحم الحية محرّم ، ولا يأكله إلا البدو الفقراء (١٨٥٣) . والحية منبوذة ، يقتلها الناس رجماً بالحجارة (١٨٥٤) ، ويؤخذ عليها على وجه التخصيص ، انها تمثل المنيّة محمولة أو خافية ، وترقب لتقتل بسرعة صاعقة (١٨٥٦) . ويزيد الفزع قدرة الحية : فأحيانا تقتل برؤيتها (١٨٥٧) ، في حين تتأثر المخيلة بحجمها وسمها في مصر ، حتى قيل لولا النمس لغلبت الثعابين على أهل مصر من لسعها أو ابتلاعها ، على غرار الحيوان الذي تتغذى به الثعابين (١٨٥٨) . أخيراً قد تتضمن أضرارها سرعة رهيبة ، مثالها الحية «الوثابة» ذات الرأسين ، المعروفة في بلاد خوزستان أو في صحارى شمال شرق مصر ، وهي صغيرة ، تختفي في الرمل أو في جوف التراب ، وتثب إلى المحامل والركاب على الدواب ، فتتفل سماً على ضحيتها ، فتأتي عليها ، ولا يعلم بالحية لجمود الضحية من فورها ، ويتوهم الناس أنها قد ماتت فجأة حتف أنفها . وقد بعثت قلبطرة من احتمل لها حية منها ، وقتلت نفسها بها . ونظن أن هذه الحية هي الحية القرناء (١٨٥٩) ، ولو بولغ بسرعتها بعض الغش

أجناس متنوعة من الحيوان

يندر ورود الوحوش من ذوات الأربع في النصوص الجغرافية إلى حد يخيب الآمال لأنها مألوفة كثيراً في آفاق الشرقيين حوالي العام ألف ، كما قلت من قبل . وإذا ما ظهرت ، أو بالأحرى عادت إلى الظهور ، ندرك أنها لم تفارقنا البتة ، وأننا نحن الذين سهونا عنها . ولنستعرض الضواري ، التي لا تذكر إلا عندما تذكر ضحاياها أو أعداؤها ، كالقطعان والكلاب ، المعروفة جيداً هي أيضاً (١٨٦٠) . فالسبع مثلاً ، ليس سوى حيوان تاريخ قديم أو أسطوري ، مثل السبع الذي قتل في مصر وحيد عجوز ، فبنت حائط العجوز الشهير (لتمنع السباع أن ترد النيل) ، أو مثل الأسد على باب مدينة همذان ، وهو طلسم للبرد من حجارة من عمل بليناس الرومي . وتعود بعض الأسود إلى تاريخ العراق القديم ، كالتي طلسمها بليناس حول المدائن ، أو التي كانت تعرض للناس ، فوجّه إليها أحد الخلفاء الأمويين (الوليد بن عبد الملك) أربعة آلاف جاموس وجاموسة (١٨٦١) . ونستطيع أن نتحدث أيضاً عن أسطورة الذئبة التي في عظم البغال في جبل دنباوند ، أو الذئب الذي يلاحق الظبي . فاذا دخل الظبي الحرم كفّ عنه (١٨٦٢) . وما دمنا نتكلم عن الظباء ، فهي عكس الوحوش كلاسيكياً ، لكنها تلقى مصيرها هنا ، وتظل في نطاق الأساطير . والبرهان على صحة هذا القول الظبية التي أثبتت مهارة ملك فارس بهرام جور في الصيد . فقد تشهت عليه جاريته أن يرمي ظبية كانت ترعى على ذروة جبيل ، ويصل ظلفها مع أذنها مع قرنها بسهم واحد . فرمى بهرام الظبية ببندقية ، فأصاب أذنها فرفعت ظلفها لتحك أذنها ، فانتزع سهماً ، فخاط ظلفها

مع أذنها مع قرنها ، ثم قام إلى الجارية الجميلة ، فذبحها لتحديها له ، ودفنها مع الظبية وبنى عليهما ناووساً من حجارة (١٨٦٣) .

وتتيح التجارة مناسبة أخرى للتبسط في الحديث عن الوحوش . فما هو الفهد إن لم يكن جلداً يباع (١٨٦٤) ؟ لكن أنفس الجلود هي الفراء التي تعدد بأسماء حيوانها بلا أدنى وصف ، باستثناء ايراد بعض التفاصيل المحدودة والعارضة عن بلدها ولون وبرها أو جودتها : مثل السمور (زبلين أو سواها) والسنجاب ، والثعلب ، والقاقم ، والفنك ، والأرنب البري ، وكلب الماء ، والقندس ، والدلق ، والاشق . . . (١٨٦٥) . ويسترعي الاشق وحده الانتباه أكثر من غيره : فهو دابة شبه السنور ، لينة المفاصل ، وبرة الجلد ، ويبلغ الثوب جملة ، وأنيابها جيدة للمحبة ، تؤخذ أنيابها ومخالبها فتجفف ، وتسقيه من تحب فانه يحبك حباً شديداً (١٨٦٦) . بالتالي ، يلاحظ أن الاشق يضيف إلى إثارة الاهتمام التجاري ناحية العجائب .

وينظر مصنفو الجغرافية إلى القواضم نظرة مماثلة . فالفأر ، وهي النوع العادي منها ، لا تظهر إلا في تاريخ لا ينتهي أبداً من بطولات بليناس الذي أبعدها عن اصبهان بطلسمة سورها (١٨٦٧) . وتبدو الاهتمامات التجارية من جديد عند ذكر فأر المسك (١٨٦٨) . ولا يستدعي اليربوع ، رغم مظهره الغريب ، الاشارة إلى أكل البدو للحمه (١٨٦٩) . وأعجب ما في جميع ذوات الأربع هذه ، الخلد — وهو ليس من القواضم بل من آكلات الحشرات . وهو دابة عمياء ، تخرج من جحرها ، فتفتح فاها ، فيتساقط الذباب في فمها وأشداقها ، ولاتزال تضم فاها على الذبان ، وتبلعه حتى تشبع ، ثم تدخل جحرها (١٨٧٠) .

وابن عرس من صغار أنواع الحيوان ، وسوف أتحدث عنه في الكلام عن التمساح والقنفذ (١٨٧١) .

ويطول حديثنا عن القردة بعض الشيء (١٨٧٢) . وماوجه الغرابة في ذلك ؟ فاذا كان الانسان يحتل مكانة فريدة في الخليقة ، فالقرد يمتاز في عالم الحيوان بشبه ظاهره بظاهر الانسان في تشكل ذوات الأربع . وهو يجمع كل مزايا الانسان وكثيراً من مزايا ذوات الأربع ، فيؤكد اتصال النوعين اللذين نراهما منفصلين عادة . وتثبت أعماله دون سائر الكائنات حقيقة أساسية تنفي وجود أي انقطاع مطلق بين ممالك الحيوان في هذه الدنيا ، فيما عدا ما وهبه الله البشر من عقل ولغة تعبير لا يصرمان تشابه النسيج البيولوجي في العالم (١٨٧٣) . وتبرز أوجه شبه القرود بالبشر انها منتصبة القامات ، ومستديرة الوجوه ، وربما كان لها لحى وسبال وجمم مسرّحة على أكتافها . وهي كالانسان يدل مظهرها على سنها ، وعاداتها العائلية كعادات البشر . وتتوزع الأنثى والذكر مهمة حمل القرود الصغار ، كحمل المرأة والرجل أطفالهما . لكن تنفرد القرود ببعض الصفات : فقد تلد القردة في بطن واحد عدة من القرود نحو العشرة والاثنى عشر كما تلد الخنزيرة خنانيص كثيرة ، ولا حد لتكاثر نوعها في بعض الأماكن فيمايبدو . وتتميز أيضاً باكتساء أجسامها بالشعر « مما يحول دون اعتبارها شبيهة تماماً بالبشر » (١٨٧٤) . وتشمئز الطبيعة من محاولة الإنسان الاتصال بها : ويحكى أن أحد اليانانية جامع قردة « لها خلق وجثة » ، فوضعت قرداً أو قردين وجهاهما يشبهان وجوه بني آدم سواء ، ولا شعر على صدريهما ، وفي ذنبيهما قصر عن أذناب القرود . وبعد مدة طويلة ، اقر الباناني السيء المصير أن بصره ضعف في تلك المغامرة .

وظاهرة القرد هامة جداً حتى انها تقضي على جميع الفوارق بين الأجناس وتسويها . ويتوافق توزع أنواعها على الأرض مع توزع المجموعات البشرية الكبرى . ففي أفريقية السوداء ، تعيش القردة المعروفة بالنوبية ، وهي صغيرة القد ، صغيرة الوجوه ، ذات سواد غير حالك . وفي اوربة (في ناحية الشمال ، نحو أرض الصقالبة وغيرها ممن هناك من الأمم) يقرب شكلها من صورة الانسان . وفي الشرق الأقصى (بخلجانات بلاد الزابج وفي الصين وفي مملكة المهراج) قرود ذات صور تامة ، بعضها ذو لحى وسبال . أخيراً في دار الاسلام ، القرد الوحيد المعروف قرد يسميه أهل اليمن الربّاح ، وليس في جميع البقاع التي تكون فيها القرود أحسن ولا أخبث ولا أسرع قبولاً للتعليم من قرود اليمن . ولهم جمم قد سرحت . وقدرة القرود على تقليد الانسان وفهمه دليل من الأدلة القاطعة على ذكائه الذي يأتي بالحيلة لكشف التماسيح في جوف الماء ، أو عروق الذهب التي يتوق البشر إلى جمعه . وتذهل كفاءة القرود في فهم ما يخاطبون به بالاشارة . ويظهر ذكاؤهم أيضاً في أداء الحركات التي يتعلمونها من العارض ؛ وفي القيام بالأعمال المنزلية ككنس البيوت وحراسة الأبواب ، واضرام النار وابقائها ، وكش الذباب ، والنفخ على كور الحدادين ، ومعرفة المسموم من المأكل والمشرب باجتنابها إياه . ويحوي كتاب عجائب الهند حكايات عن القرود ، مثل قصة قرد أوحى إليه صاحب المنزل أن يحفظ لحماً جاء به ، فنشلته حداءة . فصعد القرد إلى رأس شجرة ورفع استه إلى السماء ، فظنت الحداءة استه من جملة اللحم الذي اختطفته ، فانقضت عليه ، وقبض عليها القرد ووضعها تحت الحفنة ثم سلمها إلى سيده . ومثل قصة قرد بغداد ألف ليلة وليلة ، الذي يتلقى

قراطيس الحلوى ، ويحث الشاب بالاشارة على الفعل بالمرأة ، ومثل القرد المنصف الذي رمى في البحر بنصف مال سيده تاجر الخمر المشموط بالماء مناصفة .

ولعل أهم ما نطرحه هو تساؤل عن اشكال تجمعات القردة التي تكاد تشبه المجتمعات البشرية ، وان كانت تقوم بها دون أن تتأثر بما يفعله الانسان . ويقال بلاريب ان سليمان وكّل هذه القردة بحفظ شياطين محبّسين في هذه الناحية من الجن ، وان فيهم قرداً عظيماً في عنقه لوح يقال إنه عهد من سليمان . وفيما عدا ذلك لا نرى الا قطعان القردة المسالمة أو فرقهم الخارجة إلى الطرق والمسالك لتضرب السفارة وتمنعهم السبيل إذا لم يعطوها شيئاً . ولو كان لكل جماعة فيهم ، على مثال اليعسوب ، للنحل . أمير خلقته أعظم من خلق باقيها ، أو أيضاً أندية ومجالس القردة (الاناث) . « فيسمع لهن حديث ومخاطبات وهمهمة ، والاناث كالنساء متميزات عن الذكور . وإذا جلس القرود يجلسون مراتب دون مرتبة الرئيس ، ويتشبهون بالناس في سائر أعمالهم . وهنا يغيب التقليد ، ويستعاض عنه بالاشارة والتنظيم والنقاش ، دون التأثر بأي نموذج بشري ، حتى لو حاكوه بلا علم منهم . ونعرف حيواناً آخر من خارج دار الاسلام ، فائق المواهب على مستوى التصرفات الشخصية : ونقصد به الفيل (١٨٧٥) لكنه لا يتكلم رغم كل مواهبه . ويحل هذا اللغز على الوجه التالي : ان طرف لسان الفيل إلى الداخل وأصله إلى الخارج ، ولولا ان لسانه مقلوب ثم لقن الكلام ، لتكلم . ولا نجد شيئا من ذلك في وضع القردة . ويبقى سرهم مغلقاً . وبالمقارنة بالقردة لا يسع الانسان إلا أن يتحقق من البطلان المطلق الخاص بوضعه في

العالم . ويرى في عيون الحيوان الذي ينظر إليه ، أسباباً أخرى تدفعه إلى زيادة خضوعه إلى الباري تعالى الذي صانه بعناية قصوى ولطف عظيم من كل انتقاص من حظويته عند الله .

الدواجن ووحوش الطير

يكاد مصنفو الجغرافية لا يتحدثون عن الدواجن . وإذا تحدثوا ، تكلموا عنها كما يفعل هاوي العجائب أو التقاليد الذي يهتم أحياناً بالتجارة . ومن أقوالهم إن مصر تشتهر باوزها الذي نتوقع وصفه عبثاً ، وببطها الذي يرعى كما ترعى الغنم (١٨٧٦) . ولا نعني بالحمام إلا لأنه هامشي في الحقيقة ، وأهلي بلا ريب — لا يلمح المصنفون أبداً إلى أنواعه أو عاداته الوحشية — ومتحرر من الارتباط الوضيع بفناء الدواجن . وتقبل العرقة من حمام مكة ، حتى إذا حاذت الكعبة ، افترقت فرقتين ، ومالت عن ظهرها ، ولم ير أحد على طول الدهر ذرقة حمام في الكعبة . ولم يطر على ظهرها طير قط . ولا يسقط على ظهر الكعبة من الحمام إلا العليل منها ، فاذا وقع عليه ، بريء . وتتوزع أبراج الحمام في ريف الموصل ، وتشهد على عمل نبيل آخر ، هو تربية الحمام الزاجل التي يلهو بها الملوك ، ويجد فيها نور الدين في وقت لاحق وسائل تأمين بريد فعّال (١٨٧٧) وأول من اتخذ الدجاج والديكة مع الكلاب والسنانير ، فريدون (١٨٧٨) ، أحد ملوك فارس القدامى ، وكانت قبله وحشية . ونعرف نوعاً قديماً منها ، يدعى « الدجاج السندي » ، أو الغرغر (١٨٧٩) . وفيما عدا ذلك ، تغلب الاهتمامات التجارية ، فتذكر الجواجيق (١٨٨٠) التي ترتفع من الموصل ، أو العجائب في أغلب الأحيان : كالدجاج الذي لا تأكل العذرة ، والدجاج

الذي لا تعرض له الثعالب ، وتصرف الديك الذي يعض على الحبة بطرفي منقاره ، ثم يحذف بها قدام الدجاجة (١٨٨١) .

وفيما عدا تربية الدواجن ، تصاد الطيور البرية لريشها . واختصت مصر بهذا النوع من الزخرفة . في حين رغب نبلاء فارس في زغب الحواصل للزينة (١٨٨٢) . لكن اتجه جل الاهتمام إلى الطرائد . وهذا لا يعني ان كل ما يصاد يؤكل . فقد يمجه الذوق أو تتأثر به الصحة كما يحصل لمن يأكل طير السمّاني في الفرما ، فانه يزمن وتتعقّد مفاصله (١٨٨٣) . وحالة السماني في الفرما شاذة ، لأن السماني مستحبة وتحمل إلى سائر النواحي . وتحتل مكانة هامة في تجارة الجزيرة هي والدراج والقبج والتدرج الذي يصاد في آسية الوسطى أو يحمل من البلدان المجاورة لبحر قزوين (١٨٨٤) .

ويشير مصنفو الجغرافية إلى طير الماء ، ولا يميزون أنواعه ، بل يكتفون بالقول إنه في جملة ما تغتذي به طوائف من البشر (الزط) ممن يقاربون الماء في بطائح العراق والسند (١٨٨٤ مكرر) . ولاريب البتة ان طير الماء لا يهمنا بقدر ما تهمنا أنواع الطير التي اعتادت على التمساح — وسوف نتحدث عنها فيما بعد — أو تلك الدويبة التي في عظم الثعلب ، لها شعر كشعر الدلق ، وجناحان لاصقان كأجنحة الخشاشيف . ولها أنياب ، وتطعم الثمار . فهذا هو الثعلب الذي يطير بجناحين (١٨٨٥) . والنعام على حدود عالم الطير ، ويجلب من أرض العرب . ويشاهد حتى حدود العراق (١٨٨٦) . وليس من الطير (١٨٨٧) على حد قول الجاحظ ، بل حيوان وسط . ويشير ابن الفقيه إلى عجائب جبل دنباوند ، ويذكر « طيوراً أمثال النعام في خلق الفصلان » (١٨٨٨) . فما الحاجة إلى الحديث عن تلك الطيور ، مادام النعام يكفي

وتبرز جوارح الطير . ويظهر اختلافها الكبير عن وحوشه مثل الحمام عن الدواجن . ونعني على وجه التخصيص بما يمكن تأهيله منها . ونترك جانباً المهمل أو المحتقر ، كالحدأة التي يسخر أهل الشام من أهل مصر بسببها ، ويقولون إن طيرهم الحدأ (١٨٨٩) ، وكالرخم (النسر المصري) شر الطيور وأسؤها لحماً (١٨٩٠) . بالتالي ، نهتم كما فعل مصنفو الجغرافية ، بالطيور الكريمة : كالعقاب الذي يؤهل هو أيضاً أحياناً ، ولاسيما الصقر أو الشاهين ، والبؤبؤ ، والباشق ، والبازي وهو أكرمها . وتربية الصقور أو بتعبير أدق البيزرة ، مجموعة قصص أو أساطير قبل كل شيء . يرويها المسعودي ، ويسندها إلى الثقات من علماء اليونان ، مثل جالينوس وبليناس وارستجانس وارستيجينوس (١٨٩٢) وإلى عبد الله بن عباس (١٨٩٣) وأخبار جزيرة العرب عند العرب . وكان من رتبة ملوك الأندلس اللذارقة أنه إذا ركب ملك منهم ، صارت الشواهين في الهواء مظلة لعسكره مخيمة على موكبه . وذكر أن الملك قسطنطين خرج متصيداً بالبزاة ، فرأى في مرج فسيح شاهينا يتكفأ على طير الماء ، فأمر أن يصطاد له ، وضرّاه . وبنى في المرج مدينة القسطنطينية . وقيل ان قيصر أهدى كسرى عقاباً يصطاد الظباء ، وان كسرى أهدى إلى قيصر نمراً يقتل الظباء . وكان هارون الرشيد يصيد ببازي أبيض . والحقيقة أن الكواسر من الطيور ترد في شتى الأخبار المتمازجة الفارسية والهندية والرومية والتركية والعربية . وتتنوع ألوانها ، وتتراوح بين الأسود الحالك كالغراب وبين الأبيض الناصع ، مروراً بالدرهمي والمغرنق والقرطاسي (١٨٩٤) . وتجارتها شائعة في ما وراء النهر وآسية الوسطى وخراسان ومشارف بحر الخزر واليمن وبلاد البربر ، إضافة إلى ما يجلب منها من خارج

دار الاسلام . لكن ماذا عن الطير نفسه بحد ذاته ؟ يكاد لا يذكر شيء عنه سوى ما يروى عن جالينوس ان البازي لا يتخذ وكراً الا في شجرة لفّاء مشتبكة بالشوك مختلفة الحجون طلباً للكنّ ودفعاً لألم الحر والبرد . أما ما تبقى من كلام المسعودي الطويل ، فإطناب في مدح هذا الطير الجارح ، رفيق الأمراء والملوك الذكي ، الذي يألف الآفاق الواسعة ، ويحلّق في الهواء حتى يغيب ، أو أيضاً ذريعة يحتج بها ، فيقدم وصف تقني (١٨٩٥) لقنص هذا الجارح العظيم طريدته ولقتله إياها ، أو يحلل سلوكها أو تصنف ، كما عند الجاحظ بالذات (١٨٩٦) ، حسب موطنها الأصلي وريشها .

وهكذا يختتم عرض هذه الطيور بالأنواع الراقية منها وببعض مما هو مفيد جميعه أو غريب ولا ينفصل في التحليل الأخير عن بصر الانسان الذي ينظر إليها بعينه قبل أن يضع يده عليها ليداعبها أو ليتعدى عليها ويقتلها . لكن ماذا عن الطير عامة ؟ فاتصالاته بالبشر ، المنتظمة أو الطارئة ، لا تنسي قط انه بعيد إلى أقصى حد عن الناس . ونرى أصلاً أن هذا الفارق يطمئن الانسان خلافاً لشبه القرد الذي يكاد يكون صورة عنه . وعلى غرار كثير من أنواع الحيوان ، ينفرد الطير بكثرة توالده إلى حد الافراط بلاريب ، ثم بالعلاقة بين وفرته وبين المكان والزمان اللذين يختارهما أحد أجناسه . ولابأس أن يكثر هذا الجنس ، خاصة في بعض كور آسية الوسطى وخوزستان وبطائح العراق ، ولا نغفل مصر التي يقوم فيها سوق طير دائمة (١٨٩٧) . وأعجب من ذلك ، ما يحكى عن موضع في سرخس في خراسان، يقصده طير في يوم من السنة ، فيطرح نفسه فيه ، ويجمع الناس منه شيئاً كثيراً. (١٨٩٨) وما يروى من أن بوادي النيل في الصعيد (١٨٩٩) جبلاً . أعلاه بيت

في صخرة ، وانه يجتمع في كل سنة في يوم بعينه إلى ذلك الجبل طير كثير ، فلا يزال دائباً الواحدة بعد الواحدة ، تدخل رأسها في ذلك البيت من الجبل ، حتى تعلق منها واحدة لا يمكنها اخراج رأسها . فاذا كان ذلك انصرفن جميعاً ، ثم عدن في ذلك اليوم بعينه من السنة المقبلة .

على أن أعجب ما في الطير هو طيرانه ، كما يخطر لنا . وتكاد النصوص الجغرافية تخلو من أي أثر عن الحلم البشري القديم بالطيران أو تكاد . فلم يشأ الله أن يطير الانسان . ولا يجسد ذلك الحلم إلا شخص خرافي في الأساطير الفارسية تعجّب سابور من حكمته ومهارة كفّيه بعد أن هرب من جوره (بأجنحة من خشب في أعقاب بنائه منارة ذات الحوافر له) (١٩٠٠) . أو أيضاً في تجميل جغرافية القصة ، البطل الذي حمل على جناحي الانسان – الطير أو الجن إلى عنان السماء ، وظل يرتفع فيهما إلى أن سمع تسبيح الملائكة (١٩٠١) . وتفيد هذه الشواذات ان القدرة على الطيران ، في النظام الطبيعي الذي نتطور فيه ، محصورة في الحيوان الذي يهبها الله إياها . لكن أي حيوان أعطي هذه القدرة ؟ يقول الجاحظ (١٩٠٢) : لايسمى الطائر طائراً بطبيعته ، بل بطيرانه الفعلي . فالنعامة مثلاً ليست من الطير (١٩٠٣) . لكن أيعتبر كل ما يطير طيراً ؟ كلا . قطعاً . فالطيران شرط ضروري غير كاف . فالوطواط من الطير ؛ أما الحشرات المجنحة فلا تسمى طيراً .

ولا يوضح الجاحظ البتة أسس إدراجه الحيوان في عداد الطير أو اخراجه منه . مع ذلك ، يمكن فيما أظن ، أن يستخلص الباحث من أمثلته أن تعريف الطير يعتمد على علاقة بين الطيران من جهة وبين

الحجم والوزن من جهة أخرى . ويخطر لي أن أقول إن الطيران الفعلي يدل على الطير ، لكنه ليس دليلاً مسبقاً قاطعاً ، فلابد ، على النقيض ، أن يتضح بجلاء ،حتى في الآلية المجنحة الواجب توفرها وعملها ، أن الطيران يمثل نصراً تغلّب فيه الحيوان على القوى التي تجذبه نحو الأرض . فعلى هذا الأساس ، نفهم لماذا يستحيل التحدث عن الطير متى عظم الحجم ، كما هي الحال في وضع النعامة التي أخلّ وزنها بالتوازن المطلوب . أما الطير العظيم جداً ، فيظل أسطورياً مثل الرخ في رحلات السندباد البحري (١٩٠٤) . ويؤخذ تشكل الجناحين وطولهما بعين الاعتبار بوضوح أيضاً ، لكن ليس بحد ذاتهما ، بل في مدى تحكمهما بامكانات الطيران المتواصل نوعاً ما . من هذه الناحية ، لا تجوز المقارنة بين السماني والحجل وحتى البازي ذاته ، وبين الصقر ، حتى او عوّض البازي عن هذا النقص وكان أقدر على السرعة وأبعد غاية في الارتفاع في الهواء (١٩٠٥) . وربما قيل إن الحشرات وغيرها من سائر الدويبات ، صنفت في قسم الحيوان الذي يمشي (١٩٠٦) ، فاذا طارت ، لا يمكن أن يؤثر طيرانها في الأقسام الأساسية في علم الحيوان (١٩٠٧) . وهذه الحجة صحيحة ، ولا تناقض الحجة الأخرى الخاصة بحجم الحشرات بالذات . فالحشرات صغيرة جداً ، ولا تستطيع أن تكون شيئاً سوى دويبات « تمشي » ، محدودة الأفق ، وتزحف على وجه الأرض . وإذا طارت لا تعتبر طيراً ، بسبب صغرها . فمن جهة أولى يسهل عليها الطيران لخفتها ، ويحملها الهواء بلا جهد ، إذا توفر لها الجناحان . لكن في الوقت ذاته ، ورغم هذا الاستعداد الطبيعي ، لا تغادر الحشرات البر مطلقاً ، وتحدد باستمرار المجال الذي تتحرك فيه ، ولا يتمكن

جناحاها أن يفتحا لها آفاق الطير الحقيقي الواسعة . باختصار ، ليست حيوان هواء كالطير الذي يعبر عن نفسه تعبيراً كاملاً .

وتعطي الجوارح أفضل صورة عن هذا الفضاء لا المتناهي ، وعن الصعود نحو السماء أو الاندفاع إلى ما وراء الأفق . وهي نبيلة دون سواها ، لا لأنها ذكية ، وتصحب الأمراء ، وتفيدهم فحسب ، بل لأن لديها قدرة لتجسيد وظيفة بعض الخلائق وغايتها على أفضل وجه ، بالطيران إلى أبعد مدى والتحليق إلى أقصى علو . وقد أكدنا على الهواء الحر . مع ذلك لابد أن نشير إلى أن بنية الطير ونمط حياته لا يسمحان له أن يتعدى حدود عالمنا الطبيعي : فهو ليس عبقرياً مجنّحاً ، بل حيواناً أرضياً وهبه الله جناحين . لكن هل يعيّن حدود الحياة في الجو ، باستثناء حياة الملائكة أو الجن (١٩٠٨) ؟ ثم هو الذات ، ماذا يشاهد عندما يسمو في الجو ويتوارى عن أنظارنا أحياناً؟ بلاريب دواب الهواء الحقيقية التي تولد فيه وتحيا . فهل هذا ضرب من التوهم ؟ كلا مادامت البزاة ، إذا سقطت أنفس فراخها إلى الفضاء ، تسمو إلى آخر الجو ، وتنزل دواب تسكن هناك ، فتغذي بها فراخها ، فلا تلبث فراخها أن تقوى وتنهض بدورها لتستكشف الجو الذي لا يخلو من شيء فيه وساكن ، لأن الهواء فيه حار ورطب . وفيه نار أيضاً (١٩٠٩)

الكائنات الأسطورية على الأرض وفي الهواء

قال ديديرو : « لا يدوم الجمال إلا إذا قام على علاقات بالكائنات في الطبيعة . . . وليست الحقيقة إلا توافق أحكامنا مع تلك الكائنات . وليس جمال التقليد سوى توافق بين الصورة والشيء » . وقال أيضاً : « يقف المتخيّل عند حدود نظام الأشياء ، الذي يتصوّره الناس ويرتضوه

لأنفسهم : ويجب أن يفرض هذا النظام الإيمان به ، ويبعث في الانسان روح اليقين » (١٩١٠) . لذلك لا تنقذ إلا الطبيعة المسخ الذي يعتبر سيد القصص الخيالية : « فهي تخلق المسوخ لا في مناقع حدودها ، إنما تركبهم من بعض ما يختار من ذاتها (١٩١١) . ولا تبذل هذا الجهد في التركيب منفردة وتلقائياً ، بل تستعين بالمتخيّل وتتوسط العقل في نظام الأشياء . ويختلف المسخ عن التهجين . فهو يحتاج دوماً وأبداً إلى المخيلة . . . ويشترط ادخال البعد الاستشباحي . . . وينبغي أن يكون علمه ظاهراتيا لا طبيعياً . . . . فهو من نتاج المخيلة لا من نتاج رحم أو تزاوج » (١٩١٢) . باختصار ، لا ينشأ المسخ إلا من طبيعة تحولت من صورة إلى صورة .

بقي أن نعرف كيف تجري الأمور . لكن قبل أن ندرس آلية اتحاد الواقع والمتخيل ، لابد أن نتساءل أين يتم الاندماج . وقد أشرت في مكان آخر (١٩١٣) إلى دور الغربــاء في العثور على العجيب : ففي دار الاسلام ميل شديد إلى معرفة الغريب ، وتتبرأ هي منه لأنها دار الحكمة الخالية من تلك الشناعة ، فتثبت طهارة نفسها وتنقل أخباره من وراء حدودها . نقول دار الاسلام دار الحكمة ، والمقصود المجتمع البشري بعينه . فعندما كان أحد المصنفين يسهب في حديثه عن المحظورات ، كان ينهي كلامه بقوله « لطف الله بنا » . ويريد بهذا الدعاء انه عاد إلى الحاجز الأمين الذي يفصل البلد الغريب الضال عن دار الاسلام المؤمنة ، ولاشيء سوى ذلك . فالعالم من صنع الله فيما تبقى . ولابد أن الزابج والزنج واروفا تحوي نباتاً وحيواناً خاصين بها ، لكنها تدخل في كون أرضي واحد هي ودار الاسلام ، بأحد أنواع النبات والحيوان وباحدى صفات الوسط الطبيعي . أما على مستوى

المجتمعات البشرية ، فينزلق الغريب نحو الشر لوقوع الناس في الزلل . ولا يحدث مثله في النبات والحيوان : فغريبهما واحد ضمن دار الاسلام وبعيداً عنها ، ويطرح هذا الغريب أمام البشر سر خلق لا يتغير . ولا يفرض على الانسان في هذا المجال أن يعيد تلك الانحرافات إلى ما وراء الحدود ، وأن يسدل ، إذا اقتضى الأمر ، ستاراً من الحياء المحترس — لاسمح الله — على ما يخالف النظام العام في الجانب الآخر . وعلى النقيض ، ومادام الحديث مباحاً ، يجوز لمصنفي الجغرافية أن يتكلموا عن الدواب العجيبة التي تحتمل رؤيتها في دار الاسلام ، لا بل يجب عليهم أن يتكلموا عنها ، ليثبتوا أن ليس لدار الاسلام ما تحسد البلدان النائية عليه في سفر أسرار الطبيعة الكبير . أخيراً يجد النقاش الجاري بين شتى أجناس البشر في دار الاسلام في عجائب الحيوان دواعي افتخار جديدة : وهكذا يبرز تفوق جزيرة العرب على فارس بما تحتويه مفاوزها من ثروات .

والآن كيف يتم صنع المسخ (١٩١٤) ؟ يمكن في طريقة أولى أن يؤخذ حيوان معروف الأوصاف ، فيضخّم أو يصغّر بنسب هائلة : فينشأ عنه مثلاً ديدان جبل دنباوند العظيمة (١٩١٥) أو صغار ابل ارمينية . ويتبع نهج آخر في معظم الأحيان ، فيركب المسخ تركيباً من أجزاء طبيعية افرادياً ، تجمع في صورة تخالف الطبيعة : كأن يضم رأس كلب ومخالب وحش وعرف فرس . وهذا امكان من بين آلاف الامكانات الواردة (١٩١٦) . وقد شرحنا من قبل الشقّاحة ، التي ركبت بهذا الأسلوب . وفي أحيان أخرى ، يعدل توزيع أعضاء الحيوان الطبيعي ، ويضاف إليها رأس مثلاً ، كما يعمل في بعض الأفاعي ، أو تبتر أعضاء جانب من الجسم كما يحصل في النسناس الذي سوف

نتحدث عنه فيما يلي .. وبوسع المرء أيضاً أن يعدل سلوك الحيوان الطبيعي ، كأن يجعل حيواناً معروفاً جداً كالحية ، يتحرر من انسيابه ويثب وثبات عظيمة . وماذا يحتمل أن يحدث لو أطلق العنان لأحلام الانسان وخياله ؟

في الختام ، لن ننسى جنساً أخيراً من المسوخ (أنواع الحيوان) ، يقول عنه المسعودي (١٩١٧) إنه « بقي شاذاً فريداً متوحشاً نادراً في العالم ، طالباً البقاع النائية من البر ، مبايناً لسائر أنواع الحيوان من الناطقين وغيرهم » . فهنا ينشأ المسخ من نقص في الخلق ، فيما نظن . ويشرح المسعودي هذا الوضع ويقول : « أخرجتها الطبيعة من القوة إلى الفعل ، ولم تحكمه » ، فلم يكتمل الكدائن ، « ولم يتأت فيه الصنع كتأتيه في غيره من الحيوان » ، أي أنه ، في هذه الحالة وقبل كل شيء ، عدم المشاكلة التي بينه وبين الحيوان . وهكذا يتضح أن المسخ يخل بالقانون الطبيعي الكبير الذي ينفي وجود انقطاع في أنواع الحيوان أو في ممالكه . وينال جزاء خرقه القانون ، فلا تدوم حياته . ويتحدث المصنفون عنه في مثل هذه الحالات ، دون أن يكونوا قد رأوه أو دون أن يتأكدوا من وجوده فعلاً . ولا يخفي المسعودي شكّه . فنقول ختاماً معه : إذا استطاع هؤلاء المسوخ أن يعيشوا رغم عزلتهم التي تؤول بهم إلى موت محتّم ، فلا أحد يعرف في جميع الأحوال ان كانوا قد جاؤوا إلى الحياة في هذه الدنيا مادام استحال إجراء أي اتصال بهم . ويلح المسعودي على ناحية الاتصال والانقطاع الذي يفهمه على ضوء « الضدية التي فيه — أي المسخ — لغيره مما قد أحكمته الطبيعة وعدم المشاكلة والمناسبة التي بينه وبين غيره من أجناس الحيوان وأنواعه » . فالمعول عليه ، مثلما نرى ، هو درجة المسخ لا أصله . فالمسخ نشأ عن

مسخ تعاظم حتّى تعذر تشبيهه بأي شيء في الطبيعة . ثم ان المسعودي لايعرض فئة من المسوخ ، بل قانون المسخ : فلا وجود للمسخ المطلق عنده والا ترتب عليه تحدي امكانيات الطبيعة والمتخيل . والمسخ المطلق في الطبيعة والخيال ، مسخ ميت أو مجهول على حد سواء (١٩١٨) .

ويفتتح ابراهيم بن وصيف شاه (١٩١٩) وصفه الأقوام التي خلقت قبل آدم ، باستعراض تلك المسوخ التي يحتمل ان يكون عثر عليها في مطالعاته ، ولا يدري احد إن كان قد أضاف إليها شيئاً من بنات افكاره . فهو يقول : « هنالك جنس قامته طويلة جداً ، وحركته سريعة جداً ، له عيون واجنحة ، ولغته تصفيق بالأصابع . ولجنس آخر أبدان اسود ، ورؤوس طيور ، وشعور ، واذناب طويلة ، ولغته دندنة . ولآخر وجهان أماميّ وخلفيّ ، وعدّة أرجل ، وتشبه لغته زقزقة العصافير . والجان من هذه الاقوام . فمنهم من هو بصورة الكلاب المذنّبة ، ولغته قباع لايفهم . ومنهم ما يشبه البشر ، إلا ان فمه في صدره ، وكلامه صفير . ومنهم ايضاً من يشبه الافاعي الطويلة المجنّحة ، ذات الارجل والاذناب . ومنهم من هو على صورة نصف انسان ، بعين واحدة ، ويد واحدة ورجل واحدة ، ويقفز قفزاً ، ويتفاهم كالكراكي . ومنهم من له وجه انسان على حقوه ذَبَلٌ ، وعلى يديه مخالب ، وعلى رأسه قرون طويلة ، ولغته كعواء الذئاب . ومنهم من له وجهان شبيهان برأس الاسد ، وهو عظيم البدن يتكلم لغة لاتفهم . ومنهم من له وجه مستدير ، وشعر ابيض ، وذنب كذنب الثور ، وفم ينفث النار . ومنهم من يحاكي النساء بشعره وثدييه ، ولاذكور في هذه الفئة ، بل تحمل جماعتها من الريح ويلدن اطفالاً على شاكلتهن ، ولهن اصوات ساحرة تجتذب افراد الجماعات الاخرى

بعذوبتها . ومنهم من هو على صـــورة الزواحف والحشرات على ضخامة حجمه ، يأكل ويشرب كالحيوانات . واخيراً منهم من هو كدواب البحر ، إلا ان له انياباً كانياب الخنزير البري وآذاناً طويلة . ولسائر هذه الاجناس الثمانية والعشرين صور متباينة ، مظهرها كلها وحشي : ويقال بانها تهزوج ،وان عدد انواعها المتمايزة ،ارتفع إلى مائة وعشرة.

وتتجاوز هذه الاجناس الاصلية الثمانية والعشرون ـ التي ليس لدينا منها هنا سوى ثلاثة عشر ، كما لو ان المخيّلة علقت هذه المرة بحبائلها ـ حدود الارض والهواء ، بدليل وجود النار والبحر . ثم ان ابراهيم بن وصف شاه يقول بدقة : « انها خلقت من اخلاط مختلفة » من العناصر الاربعة (١٩٢٠) ويغطي توزيعها كل حقل الممكن : فهنالك اربع وعشرون جماعة من الجان تمشي على الارض ، وعشرون تعيش في الماء ، واثنتا عشره تنتقل في الاعاصير ، وعشر في اللهب ، يضاف إليها ثلاثون تختص بسحر الانغام (١٩٢١) . ويبقى الشيطان معزولاً وهو المسخ المطلق الوحيد ، الحي فعلاً مع الاسف ، وان كانت صورته ، بشناعتها تفوق كل وصف (١٩٢٢) . فهو على حدة . إلا ان امثاله والمتعصبين له لايحطّمون البتة الصلة الطبيعية التي تهيمن على نظام هذا العالم . على النقيض ، ليسوا سوى احدى النتائج ضمن الف تحوّل من حال إلى حال يجعل الانسان يصير حية ، والحية جملاً ، والجمل جناً ، والجن كلباً يعتبر ذكاؤه حاداً جداً ، كما قلنا . ، ويقتضي تحليه بالوعي (١٩٢٣) .

وتمتاز جزيرة العرب بوجود هذا الخلق الوسط بين خلق دنيانا وبين خلق مكانه ماوراء الطبيعة ويعجز البشر تماماً عن تصوره . وألح على

« تمتاز جزيرة العرب » ، وأقصد جزيرة العرب الوثنية على وجه الدقة . ولا يتمثل ما يذكر من حيوانها المشوه في ضروب تستوطن اصقاعاً حائدة بعيدة عن مسالك الناس ، في تضاعيف المفاوز ، بل في جنس شاذ يذكره التاريخ ويتحدث عنه في العصور الغابرة (١٩٢٤) ، ولم يقض الاسلام على أخباره فأفاد المتخيل من بقائه . ولنسمع المسعودي (١٩٢٥) يتكلم عنه : « ذكر فريق منهم — أي الناس — ان ما تذكره العرب وتنبيء به من ذلك ، انما يعرض لها من قبل التوحد في القفار ، والتفرد في الأودية ، والسلوك في المهامه والمروراة الموحشة ، لأن الانسان إذا صار في مثل هذه الأماكن ، وتوحد ، تفكر ، وإذا هو تفكر وجل وجبن وإذا هو جبن ، داخلته الظنون الكاذبة والأوهام المؤذية والسوداوية الفاسدة ، فصورت له الأصوات ، ومثلت له الأشخاص ، وأوهمته المحال ، بنحو ما يعرض لذوي الوسواس ، وقطب ذلك واسه سوء التفكير ، وخروجه على غير نظام قوي ، أو طريق مستقيم سليم ، لأن المتفرد في القفار والمتوحد في المروراة ، مستشعر للمخاوف ، متوهم للمتالف ، متوقع للحتوف ، لقوة الظنون الفاسدة على فكره ، وانغراسها في نفسه » .

لكن لمن الغلبة ؟ أينتصر الزمن الذي يتحتم عليه منطقياً أن يقضي على الأساطير بعد مجيء الاسلام ونبذ الخرافات القديمة ؟ أم يقيّض الظفر للمكان ، أعني جزيرة العرب التي يجب أن تثبت للبلدان الأخرى أنها ليست أقل غنى منها بكنوز الابتداع ، وأنها ليست جامدة وفقيرة في حقل المتخيّل ؟ ومن هنا تأتي ضرورة اعطاء اجابتين . فمن جهة أولى ، يجابه الوضع بالشك الحاسم ، لأن « الحدث المتنازع فيه لا يستدعي تبرير انكار وجوده ولا الاصرار على صحته « من جهة ثانية ، يحرص

الانسان على حقوق المخيلة . ويستتر وراء نوع من مذهب اللاارادية في موضوع الأسطورة » .

« وهذا باب داخل في حيّز الممكن الجائز ، خارج عن باب الممتنع والواجب . . . ونحن لم نحل وجود . . . هذا النوع من الحيوان الغريب النادر في العالم عن طريق العقل ، فان ذلك غير ممتنع في القدرة . ولكن احلنا ذلك لأن الخبر القاطع للعذر لم يرد بصحة وجود ذلك في العالم » (١٩٢٦) .

وسلكت نزعة الجاحظ الموسوعية (١٩٢٧) نهجاً صان عالم الجن والأغوال وغيرها ، أو عرّف به تعريفاً واقعياً . وتتناسب الألفاظ مع سعة حقل المعرفة المطروق ، وتتراكم . ويدل بعضها على انفراد بعض البقاع ببعض الجنّ . فقد خلق الله الجانّ ، وجعل له ذرية عديدة ، توزعت على شتى عناصر الأرض : فالأبالس مسكنهم البحور ، والمردة الجزائر ، والغيلان الخلوات والفلوات ، والسعالى الجبال ، والوسواس الهواء . ويتميز بعض الجن بشكله : فالوسواس هوام في صورة حيات ذوات أجنحة ، والقطربة على صورة الهرة ، والشق نصف انسان . ويشار أحياناً إلى وظيفته وسلوكه : فالشق يقتل الناس بالمنصل ، وينفرد بعض الجن بالانسان « بين الصخور أو الخرائب » و « يمسك بيده ، ويجبره على الرقص حتّى يدوخ ويقع أرضاً ، فيمتصّ دمه » . وذهب كثيرون من الناس إلى أن الجن نوعان ، «أعلاهم وأشدهم الجن» ، «وأخفضهم وأضعفهم» الحن (١٩٢٨) . أخيراً ، يكتفي أحياناً بذكر بعض الأسماء كالشياطين ، والخماميص أو الدواسق ، وربما كانت هذه الأخيرة دوال — باي ، وهو لفظ فارسي يعني نوعاً من الجن يقفز إلى كتف الانسان ، ويخنقه بين فخذيه ، مثلما كاد يحدث لسندباد البحري » (١٩٢٩) .

لكن لا يبدو الحلم حالك السواد على الدوام . ففيه مكان للحب . فالغول تتصور في أحسن صورة امرأة ، وتعبث مع الرجال بعيداً عن أنظار المتطفلين خاصة في الليل . وهي حيوان شاذ مشوّه ، لم تحكمه الطبيعة ، ذهبت طائفة من الهند إلى أن ذلك إنما يظهر من فعل ما كان غائباً من الكواكب عند طلوعها ، إلا أنها لابد أن تكون رجلاها حوافر حمار وجفون عينيها طويلة خلافاً لجفون الأنس . وتثير الارتباك قصة سعلاة ، دون سائر قصص زواج النساء : فقد أقامت في بني تميم حتى ولدت فيهم ، فلما رأت برقاً يلمع من شق بلاد السعالي حنّت وطارت إليهم . ولم تصغ لنداء أولادها الحزانى ، بل قالت لزوجها : « اترك الأولاد في عهدتك » .

ويتغير الجو في الحديث عن عدار (١٩٣٠) ، ويسود العنف والحقارة والموت . ومتى ظهر عدار في أكناف اليمن والتهائم أو أعالي صعيد مصر ، وعاينه الانسان ، سقط الانسان مغشياً عليه . ومن الناس من يظهر له عدار ، فلا يكترث به لشهامة قلبه وشجاعة نفسه . وتبدو هذه الجرأة حدثاً سليماً إذا ما قورنت بالخطر الآخر : فقد يتعرض عدار للنساء والرجال وينكحهم ، فيجرحهم لصلابة ذكره كالقرن ، ويتقرّح جرحهم ويموتون .

وحتى الآن ، تبيّن أن المسخ يقع على هامش الانساني ، في تشكله وعلاقته الاجتماعية ، كما لو أن هذه المقاربة كانت ضرورية لايضاح ما يبتعد عن طبيعتنا . لكن هناك كائنات نفترض قربها منا مثل الهام ، وهو نفس الانسان في صورة طائر يصرخ على قبر الموتى مستوحشاً ، والصدى الذي ينزل إلى قبورهم ويصعد منها (١٩٣١) . أما الجوع ، فيتمثل في الصفر ، وهو دويبة ، حية أو دود ، تعض البطن أو شراشيف

الأضلاع (١٩٣٢) . وتنتمي أنواع الحيوان السابقة إلى جنس خاص . ولم يشاهدها بشر أبداً . وإذا كان بعض الناس يزعمون ، عن حسن أو سوء نية ، أنهم التقوا بالجن أو الغيلان ، بلحمها وعظمها ، فلم يرو أحد منهم شيئاً عن الهام والصدى والصفر لأنها تكمن في داخل البشر هذه المرة . ويعطيها البشر شكلاً طبيعياً ، فيعترفون بصراحة كافية بعجزهم عن تصور البعد الفاصل بينهم وبينها الزائل نهائياً ، لكنهم ينفرون من هذا التصور . ومن هنا جاء حديثهم عن الدود ، رفيق حياة الانسان الفانية ، وعن « طائر يتبسط في جسم الانسان » ، ويتوق إلى التحرر منه .

ويعود المسخ إلى الابتعاد عن البشر مع النسناس (١٩٣٣) ، وبالتالي تبتدع أشكاله بالذات بحرية تامة . فهل يرتبط النسناس بالمتخيل المحض ، أم يعود إلى تاريخ غابر ، لا يتوغل كثيراً في القدم ؟ ثم ان أخبار الماضي ، بعد بيوده ، وان كان واقعياً فيما غبر ، إحدى الطرق التي تحفظ ما تحدثنا عنه من قبل من حقوق المخيلة . ويستشهد باليمن «البائد» ، وبالخليفة المتوكل الذي جلب نسناسين إلى عاصمته سر من رأى . وتروي الأخبار أحياناً أخرى قصصاً عن وجود النسناس في الممالك النائية والأمصار القاصية . ويذكر أهل المشرق كونه بالمغرب ، وأهل المغرب انه بالمشرق . والنسناس جسم مقسوم قسمين ، ويقال أحياناً ان له نصف رأس وعينا واحدة وأحياناً أخرى ان له وجهاً كوجه الانسان ويداً ورجلاً في صدره . ويستخلص من مطالعة النصوص الجغرافية انه حيوان عاشب ، صبور جداً على العطش ، يشبه اليربوع المبتور ، يقفز قفزاً بسرعة كبيرة . ولعله يربوع بوجه إنسان ، ثنائي الجنس ، له شعرات في ذقنه ، ومثل الثدي في صدره . وهو حيوان ناطق يسترعي كلامه

انتباه الناس ، ويتحدث معهم ، فيقترب منه الصيادون ، ويذبحونه ويأكلونه .

ولاريب أن العنقاء أو عنقاء مغرب صيغة قريبة للفينيق الذي بقيت صورته في شتى الأماكن على جدران الحمامات والمباني الأخرى (١٩٣٥) وعلى الأشياء المنزلية لاسيما البسط . ودخلت العنقاء في تاريخ الأنبياء ، منذ اليوم الذي أوحى الله إلى موسى أنه خلق طائراً عجيباً ، فضّل به بني إسرائيل ، وعاش معهم حتى أخرجهم الله من التيه . عندئذ انتقلت العنقاء إلى جزيرة العرب (فوقعت بنجد اليمن والحجاز في بلاد قيس عيلان) ، ولم تزل هنالك (تأكل من الوحوش و) تأكل الصبيان . فشكا الناس (إلى النبي خالد بن سنان) ما كانت العنقاء تفعل بالصبيان (فدعا الله عليها أن يقطع نسلها) فقطع الله نسلها . ويتضمن معنى اسم العنقاء الحركة السريعة الحرة إلى أقصى حد . وللعنقاء وجه على مثال وجوه الناس ، ولها أربعة أجنحة من كل جانب ، فيها كل لون حسن من الريش ، ولها يدان فيهما مخالب ، ولها منقار على صفة منقار العقارب .

والسمع حيوان خرافي هوائي ، أسرع من الريح والطير ، يقال إنه لا يموت حتف أنفه ، ويزعمون انه ولد الذئب من الضبع . وهو « نحو العنز الكبير » ، وقد اشتهر بأنه كان قد احتمل ابنة ملك الترك ، ثم استنقذها بهرام جوبين ، أحد أبطال تاريخ فارس القديم (١٩٣٦) . وقد أشرت من قبل إلى الجان المجنحة وإلى ما تهوى به البزاة ، عندما تحلق حتى تغيب في الهواء ، وتعود لتغذي به فراخها . واستطاع الخليفة هارون الرشيد أن يرى بازياً عائداً بمثل تلك الطريدة ، الشبيهة بالحية أو السمكة » ولها « ريش كأجنحة السمك » . وأحضر العلماء وسألهم ، هل تعلمون للهواء ساكناً ؟ فقال أحدهم (مقاتل) : « إن الهواء معمور

بأمم مختلفة الخلق ، فيها سكان أقربها منا دواب تبيض في الهواء ، وتفرخ فيه ، يرفعها الهواء الغليظ ، ويربيها ، حتى تنشأ في هيئة الحيات أو السمك لها أجنحة ليست بذات ريش » . وقيل : تشاهد في الجو بمصر وغيرها من البلاد « حيات بيض تسعى كأسرع ما يكون من البرق . وانها ربما تقع على الحيوان في الأرض فتقتله . وربما يسمع لطيرانها في الليل وحركتها في الهواء صوت ثوب جديد ، وربما يقول من لا علم له وغيره من البشر ، هذا صوت ساحرة تطير ، ذات أجنحة من قصب » .

بقي أن نتحدث عن النار ، الموجودة أصلاً ، مثلما قلنا من قبل ، في طبقات الهواء العليا . الا أن للنار الخالصة حيواناً خاصاً بها . فبخراسان هوة في جبل ، تتقد فيها نار لا تطفى ، يكون فيه جرذان ، تخرج ، فاذا رأت انساناً خاضت النار ، فلا تحترق . ويعتبر البنجس صورة أخرى الفينيق ، جاءت من الشرق . فهذا الطائر يتكاثر بطريقة غريبة : فهو يطير ويجمع بمنقاره عيدان الدارصيني ، ثم يضطرب عليها بجناحيه حتى يشعل ناراً من تلك العيدان ، فتأكله ، حتى يصير رماداً . ثم ينشأ من ذلك الرماد دودة . فلا تزال تنمي وتزيد حتى تكون طيراً كما كان ، وذلك في خمس مائة عام . إلا أن حيوان النار الحقيقي هو السمندل أو السمندر أو الفينيق (١٩٣٦) . وهو طير ملّون بحمرة وبياض وخضرة وزرقة . يدخل النار فلا يحترق ، ويمكث الأيام لا يطعم إلا التراب . فاذا أحضن بيضه لم يشرب الماء إلا حتّى يفقس . فاذا خرجت فراخه ، تركه أياماً لايدنو منه ، ويطوف الفراخ الذباب والبق إلى أن يخرج ريشهم ، فاذا ريشوا وتحركوا زقهم حينئذ .

في جوف الماء حياة أخرى

قلت من قبل (١٩٣٨) ان البحر خاصة ، والحياة عامة ، يحويان حياة فريدة تجعلهما يؤلفان عالماً قائماً بحد ذاته . وتعكس تسمية حيوان تلك الحياة هذه الرؤية ، إذ تدعى سمكاً ، والسمك يشمل الحوت وكل حيوان يعيش في الماء (١٩٣٩) . وتسيطر تحت سطح الماء قوى وأشكال غريبة وخفية ، تتمتع بقدرات واقعية غامضة فيما يقال . فبرستاق القامذان عين يخرج أيام الربيع (١٩٤٠) منها سمك ، ثم تخرج منها حية سوداء ، فاذا خرجتا غارت إلى الحول . (وعلى ايزا جبل نهاوند) في فارس صورة سمكة وثور من ثلج لا يذوبان في شتاء ولا صيف ، يقال إنهما للماء ألا يقل بها (١٩٤١) . وهنالك أيضاً آثار السمك المباشرة فينا وفي جسدنا . فلا شك أنه أحد أغذيتنا ، ويأكل أهل مصر رأس السمك ويولوعون به ، ومن واظب (في الفسطاط) على أكل السمك جرب جربا لا يفارقه سبع سنين ، أي طيلة مدة كارثة كلاسيكية كالقحط (١٩٤٢) ، مثلما رأينا .

ونتحدث الآن عن حياة السمك وموته . فنحن نعرف أن السمك يتمتع بجلد عظيم ، فيستطيع أن يقطع مسافات هائلة . وسوف نتكلم فيما بعد عن هجرة بعض أنواعه . وينتظم أحياناً عالم الماء كأنه يريد أن يستمر بعرض مظاهر الحياة ، كما في هذا الوادي « العجيب » في تونس الشمالية ، ففيه يخرج في كل شهر نوع من السمك ، وإذا أهل الهلال لا تجد من ذلك النوع واحدة ، ويظهر غيره (١٩٤٣) ، على حد قول ابن حوقل . وفي بعض الأحيان الأخرى ، يشار إلى ظاهرة أعجب على الأرجح : نعني صمت الحياة الخفية ، ثم ظهورها وانفجارها

فجأة ، ثم عودتها إلى الاختفاء في اللحظة ذاتها تقريباً . ويقصد النص بداهة ذرء السمك الذي يتخذ هنا ألوان الأساطير . ففي بحيرة خلاط ، لا يرى ضفدع ولا سرطان ولا سمكة (١٩٤٤) طيلة عشرة أشهر ثم يظهر السمك بعد ذلك شهرين ، وكلها مسترات (١٩٤٥) . وفي مكان من النيل موضع يجتمع إليه في يوم ما بعينه من السنة السمك الكثير ، ويخرج إليه أهل ذلك البلد يصيدونها بأيديهم ، لاتنفر عنهم بتة ، ولا تنتحي عن الأخذ حتى ان الرجل ليأخذ حاجته من ألف إلى ما شاء . فاذا غابت الشمس في ذلك اليوم ، لم يقدر على واحدة من تلك السمكة بتة إلى ذلك اليوم من السنة المقبلة ، ثم تكون الحالة كما كانت (١٩٤٦) .

ولابد أن تضطرب الحياة إذا أرادت أن تتغلب على أعداء بقائها . وقد قلنا إن قانون الأدغال يسود تحت سطح الماء أيضاً ، ويزداد عنفه . فالسمك كله يأكل بعضه بعضاً : والنوع يفتك بالنوع ، والوالد يفترس ولده (١٩٤٧) حتى ان كل سمكة كبيرة تعتبر دمية روسية ، إذا شق بطنها ، تخرج منها سمكة من جنسها ، وإذا شق بطن الثانية وجد في بطنها مثلها ، وقس على ذلك (١٩٤٨) . وتضاف هجمات الانسان إلى جنون الحياة الداخلي في جوف الماء . فوفرة صيد السمك ميزة اختصت بها الأنهار الكبرى ، لاسيما دجلة التي بها من أجناس السمك أربعة وعشرون ، عدّد المقدسي أسماءها ، مثلما اختصت بها أيضاً أنهار أغفلت أسماؤها ، ومناطق وبحيرات ، منها بحيرات فارس وخلاط وسجستان وطبرية (١٩٤٩) . وقد يتحدث المصنفون في الجغرافية هنا وهناك عن « معدن السمك » (١٩٥٠) ، ويقولون بأنه في بعض البلدان أساس غذاء أهلها ، كما في مصر أو في بطائح واقعة بين المنصورة ومكران ، في وادي نهر مهران الأدنى ، فمن قارب الماء من الزط

يكون طعامهم السمك ، وطير الماء (١٩٥١) في جملة ما يغتذون به . ويشير المصنفون ذاتهم في أماكن أخرى إلى أسواق السمك وأسعاره ، عندما تكون رخيصة جداً (١٩٥٢) وإلى تجارته عامة : مثل حمل السمك الطري أو المالح من بحيرات فارس إلى مدينة شيزار الكبيرة ، أو من بطائح سواد العراق إلى البصرة ، ثم غراء السمك وأسنانه من بلغار عن طريق خوارزم (١٩٥٣) . باختصار يعتبر السمك سلعة لا يجوز إهمالها في حياة العصر الاقتصادية ، وتتجلى أهميتها البالغة في أن صيد السمك الكثير في إحدى بحيرات مصر (البشمور) كان عليه قبالة كبيرة للسلطان (١٩٥٤) .

وتوزع الأسماك الوافرة التي لا تنفد وتسعد الناس في أغلب الأحيان ، في أربع مراتب . ففي أدناها ، يأتي السمك العادي الذي يباع على حاله ولا تعطى تفاصيل عنه ، بل يكتفي بالقول إنه منتج للغذاء أو الارتفاع إلى سائر النواحي . وتجيء بعده أسماك ، بلا أسماء أيضاً ، توصف باحدى الصفات ، كأن يقال عن سمك مشارف بحر الخزر (طبرستان) إنه يضر بالأسنان ، وتنعت أسماك بطائح نهر مهران الأدنى بأنها كبار وجليلة . وبفارس أيضاً (بدارابجرد) حوت (في الخندق المحيط بالبلد) لاشوك فيه ولاعظم ولافقار ، وله فلوس ، وهو من ألذ السموك (١٩٥٥). وتلي أخيراً الأسماك المسماة كالطرخنة الواردة في حديث عن نهر الإبره ، والموصوفة بأنها سمكة كبيرة لها عظم واحد (١٩٥٦) ويخرج من أنهار أرمينية وبحيرة خلاط (الصحيح : من بحيرة في جنوب بركرى وخلاط وارجيش) سمك صغار أشبار يعرف بالطرّيخ ، فيُملّح ويحمل إلى كثير من الأقطار (١٩٥٧) . وفي الكرّ والرسّ أيضاً (١٩٥٨) سمك يعرف بالدراقن ، وقلّ من يثبت لأكله من شدة سمنه ، وفيهما

القشوية ، وهو سمك لذيذ . وتذكر أسماك دجلة بأسمائها ، ومنها بنّي واسط الذي حمل من دجلة إلى بحيرة الحولة في اقليم الشام (١٩٥٩) ، وشيم واسط . ويضاف إليهما شبّوط البصرة الذي يشير إليه ابن الفقيه إشارة عابرة (١٩٦٠) . والشبوط سمك بحري ؟ يطلب الماء العذب ليبيض (١٩٦٢) ، ويضاف إليهما أيضاً اثنان وعشرون نوعاً أدرجها المقدسي في قائمة (١٩٦٣) خاصة . ويستحيل في الواقع أن يكتشف الباحث ما تعنيه هذه الأسماء التي يشك أحياناً في صحة صورها ، لكننا على الأقل ندرك على الاجمال أن نهر دجلة غني جداً بالسمك ، وان مجراه الأدنى يحوي سمك المياه العذبة وسمك البحر والجريّ والقشريات (١٩٦٤) .

أخيراً يحتل نوعان من السمك أعلى المراتب ، ويستحقان عنوانين حقيقيين ، أولهما السرماهي أو الشرماهي ، وهو غذاء فاخر . ولا يذكر الكافيار هنا ، بل يتناول الحديث لحم السمك ويقال إنه يحمل إلى اردبيل والري والعراق . ويستهدي من أهل بردعة وتجارها لطيبه ولذته وكثرة دسمه ورطوبة لحمه . ويؤخذ من نهري الكر والرس الشماليين . وحصره ابن الفقيه في نهر الرس ، وذكر أيضاً أن الشرماهي يجيء في كل سنة في وقت معلوم ، كمثل « أصناف حيتان البحر وقواطع السمك » ، لكن دون أن يقول بصراحة انه يعيش في بحر الخزر ، ولا يصعد النهر إلا ليبيض . ولايشك مصنفو الجغرافية في أن السرماهي من أسماك المياه العذبة (١٩٦٥) .

والرعادة (١٩٦٦) أشهر من الشرماهي ، لأنها تدخل في قائمة عجائب مصر ، لابل النيل على وجه التخصيص . وهي نحو ذراع . فاذا ماتت صارت كسائر السمك ، وفقدت قدرتها على ارعاد من

يمسها . مادامت حية . ومن مسها ، أطلقت نحوه شحنة جديدة جداً . ان صبر ترتعد يده وعضده ويضطرب قلبه ويخفق ، حتى لو وقعت في شبكته أو أمسك بها بطرف شصّه ، وان أخذ عصاه فوضع أحد طرفيها على هذه الشبكة ، وأمسك الطرف الآخر بيده ، خدرت يده أيضاً . ويربط ابن الفقيه هذه الظاهرة بجذب المغناطيس (١٩٦٧) ، ويتبع المسعودي جالينوس،فيرى فيها وسيلة معالجة: فان وضعت على رأس من به صداع شديد أو شقيقة،وهي في الحياة، هديء من ساعته .

مرة أخرى ، ولابد من الاعتراف بأن التدوين موزع ومجزأ . ولا تسمح المعطيات برسم خريطة أجناس السمك ، التي لا تذكر إلا في علاقتها بالبشر ، إما لتغذيتهم بالقدر الكافي أو إشباعهم أو تقديم وجبة طعام استثنائية لهم ، وإما لاثرائهم بالتجارة ، أو أخيراً باثارة فضولهم ، ثم حملهم على التأمل في أسرار العالم وعجائبه . وأشك في المقدسي ذاته ، وأظن انه لم يعط قائمة أسماء أسماك دجلة لسبيل العلم والأخبار فحسب ، بل توخى أيضاً أن يطوّل لائحة فضائل هذا النهر ، الذي ينبع من الجنة ، أي نهر بغداد ونهر الماء العذب المختار : كما لو أن ازدهار الحياة تحت سطح الماء . ونقول الآن باختصار : لاسمك في النهر أو البحيرة ، إلا إذا صاده الانسان أو استهلكه ، أو حمله إلى سائر النواحي ، أو أعجب به ، أي إلا إذا جعله الانسان في موقع وسط بين الأسرار المجهولة في المياه وبين الأراضي الهادئة الخاضعة للتأهيل .

على ضفاف المياه : التمساح

يستأثر السمك بالمياه . ولا يذكر ضفدع الماء العذب وسرطانه إلا نادراً : فلا يرى ضفدع ولا سرطان عشرة أشهر في بحيرة خلاط

(١٩٦٨) ، ويقال إن سراطين نهاوند تحمل إلى حافتيه طيناً أسود كالقار يصلح للختم (١٩٦٩) . إلا أن بعض أنواع الحيوان ليست من حيوان الماء ، بل تعيش بجواره ، وتمضي فيه ردحاً من الزمن ، منها ثلاثة أعلى شأنها الأدب العربي ، نعني التمساح ، وفرس الماء ، وذا القرن الخاص بمصر والنيل ، على حد قول ابن الفقيه (١٩٧٠) . وقد شرحت الفرس وذا القرن في موضع آخر (١٩٧١) لأنها ليست من حيوان دار الاسلام . أما التمساح ، فلا تنفرد به دار الاسلام . وهذا ما أعرفه جيداً . لكنه يرتبط بداهة بعجائب نهر النيل وقرينه نهر مهران (١٩٧٢) ارتباطاً وثيقاً ، حتى ليصعب أن يتغاضى الباحث عن اعتباره من حيوان دار الاسلام فعلاً (١٩٧٣) .

ويطرح مصنفو الجغرافية القضية بطريقتهم الخاصة . فمن جهة أولى يقف الجاحظ ، ليؤكد ان التماسيح لا تكون إلا بنيل مصر ونهر مهران السند ، وأحياناً في النيل وحده ، وتموت ان نقلت إلى دجلة والفرات (١٩٧٤) . ومن جهة ثانية ، يقف كل الذين يعرفون أن التماسيح تكثر في خلجان آسية الجنوبية الشرقية (الزابج) (١٩٧٥) . مع ذلك ، يتفق الطرفان عامة على نقطتين : فالتمساح حيوان ماء عذب ، وإذا وجد على سواحل بعض البحار ، فلأن الأغلب من أمواهها أن تكون عذبة لصبّ مياه الأمطار إليها والأنهار أيضاً (١٩٧٦) ، على حد شرح المسعودي . وهو حيوان مصري في الأصل وفي الدرجة الأولى ، إذ ينسب إليها تلقائياً ، ويوصف معها .

والتمساح (١٩٧٧) حيوان على شبه الورل أو الحرذون ، لكنه أعظم منهما طبعاً : ألم يخبر من شاهد التماسيح ان منها ماطوله (ثلاث

أذرع) إلى ستين ذراعاً ؟ ورأس التمساح مستطيل ، ورأسه ثلث بدنه ؛ وقيل نحو نصف طول ذنبه . وذنبه مستطيل أيضاً وحادّ جداً ، « فربما قتل من الضربة » ، وهو سلاحه الرهيب . ويوحي فمه بالرعب ، وتبرز غرابته أولاً لأن حنكه الأعلى يتحرك ولا يتحرك الأسفل ، وليس ذلك في غيره من الدواب (١٩٧٨) ، ويقوى التشكل أطباق فكه من الأعلى إلى الأسفل : « فاذا عضّ أوغل أسنانه ، واختلفت ، فلم يدع ما أخذه حتى يقطع بأسنانه ما قبض من شيء ، ثم ان جلده سميك كأنه مدبوغ (١٩٧٩) ومغطى بالأصداف من رأسه إلى ذنبه ، فهو قطعة واحدة ، ولا يعمل فيه صيد سلاح إلا تحت ابطيه وباطن فخذيه . ومابين رأسه وذنبه عظم واحد فلا يلتوي ولا يتقبض لأن ليس في ظهره خرزاً . وبذا تجر بنيته الصلدة الوبال عليه ، فلا يستطيع أن يتحرك إذا انقلب على ظهره .

ويستبعد حصول هذه الحالة القصوى . فالتمساح المعروف عادة ، حيوان يرصد دوماً ، ويمعن في العدوان بقوة عظيمة وجلد كبير ، ويختطف من يدنو من الشط من الناس والسبع والجمال ، وكل ما يقبض عليه ويمده في الماء . فله سلطان على كل شيء إلا الجاموس فانه لا قوام له بالكبير منها . ويخرج من الماء ليأكل ، فيمشي في البر ويقيم فيه خارج الماء والليلة ، وليس سلطانه في البر كسلطانه في الماء .

وتستغرب عاداته أيضاً . فاذا خرج من بيضته خرج مثل الحرذون في خلقه وجسمه ، ويعظم حتى يكون عشرة أذرع أو أكثر ، ويزيد كلما عاش ، كأنه لا يبلغ أبداً أشده . وإذا سفد الذكر الأنثى ، خرج من الماء ، فيلقيها على ظهرها ثم « يأتيها مثل ما يفعل الرجل بالمرأة ».

(١٩٨٠) . فاذا فرغ قلبها . وان أقرها على ظهرها ، صيدت لأنها لا تقدر أن تنقلب . وهكذا تبدو التماسيح لبقة حتى في تسليتها . ولديها ضعف آخر ، هضمي هذه المرة : « ذلك ان التمساح لا دبر له . وما يأكله يتكون في بطنه دوداً . وإذا آذاه ذلك الدود ، خرج إلى البر ، فاستلقى على قفاه ، فاغراً فاه . فيقيض الله إليه طير الماء كالطيطوي والحصافي (١٩٨١) وغير ذلك من أنواع الطيور . وقد اعتادوا ذلك منه . فيأكل ما ظهر في جوفه من ذلك الدود » . ويقصر ابن الفقيه عن بلوغ القصة الأسطورية التي يحكيها المقدسي ، ويضع الأمور في نصابها ، ولا يعتبر سنّة ما يجري مرة واحدة ، وهو ضليع في سرد العجائب ، ويقول : وربما دخل اللحم في خلال أسنانه فيفتح فاه ، وله « صديق » من الطير (١٩٨٢) يجيئه حتى يسقط على شدقه ، فيخلل بمنقاره ذلك اللحم ، فيكون ذلك « طعاماً للطير وترفيهاً للتمساح » .

وحان الآن أوان التحدث عن أعداء التماسيح أو عن تحديد أعماله الضارة ، بعد أن تكلمنا عن أصدقائهم . ولحسن الحظ ، شاء الله أن يكون لهم أعداء ، ولابد من وجودهم في بعض أنحاء مصر التي تكثر فيها التماسيح (١٩٨٣) . وحري بالإنسان أن يحتال في قتلها ان أمكنه ، لا أن يؤهلها ، لأن الأذية تلحق بمن يجاورها (١٩٨٤) . وقد ابنت بعض نواحي الضعف فيها . وها أنا أضيف نواحي أخرى جديدة تأتيها من الخارج . وأولها الطلسمات . فهنا أو هناك (في اشمون) على إحدى ضفتي النيل ، التماسيح كثيرة مفرطة الكثرة . وبحذائها من الجانب الآخر (قرية يقال لها اصنا) لا تقربها التماسيح البتة ، والناس منها آمنون ، فان وقع منها تمساح إلى ذلك الموضع ، أيام المد ، بقي منقلباً على ظهره ، حتى ان الصبيان يجتمعون عليه يغطونه في الماء ، ويلعبون به . وكذلك

الحال في فسطاط مصر ، من فوق فسطاط مصر بأميال إلى أسفل منه بأميال نحو عشرة ، فانها بين هذين الموضعين لا تمر إلا منقلبة على ظهورها (١٩٨٥) . والتمساح لا يؤذي من أدهن بشحم حرذون (١٩٨٦) في جميع الأماكن وفي جميع الظروف . وهو يفيد أحياناً : « فان أخذ من جانب حنكه الأيمن أول سن من الحنك ، وعلق على من به حمى نافض ، تركته من ساعته » . ويطارده « عدو قاتل » إذا ينبهه « صديقه الطير » . ويكمن له هذا العدو ويراعيه ، وهو اما ابن عرس أو دويبة على صورة ابن عرس لها قوائم شتى ومخالب (١٩٨٧) . ويجيء إلى التمساح وهو نائم ، ويحب النوم على شط النهر ، أو عندما ينقي له الطير ما في أسنانه من اللحم ، وفاه فاغر . ويستحم ابن عرس في الماء ، ويتمرغ في الطين ، ثم ينتفض حتى يقوم شعره ، فيثب في فم التمساح ، « فيقتله قتلاً عنيفاً أو يأكل مافي جوفه . . . فيخبط — التمساح — بنفسه في الأرض فيطلب قعر النيل حتى تأتي الدويبة على حشوة جوفه ، ثم تخرق جوفه ، وتخرج . وربما يقتل نفسه قبل أن تخرج ، فتخرج بعد موته » .

لاشيء في جميع ما قلناه يخلد ، فيما نظن ، ذكرى العصور القديمة وتأليهها حيوان سوبك . مع ذلك ، خص التمساح الذي انقرض في مصر بشرح مستفيض يثبت المكانة الكبرى التي حظي بها في المشهد الطبيعي وفي حياة البشر اليومية وأذهانهم . والتمساح حيوان ، لكنه يختلف عن سائر الحيوان . فمن جهة أولى ، يعتبر أحد أسياد الدنيا العظام ، لأنه يحكم في حياة جميع الخلائق ومماتهم أو يكاد ، ويقبض على ماشاء ، دون أن يصيبه أذى ، ويتحصن ضمن ترس متراص من الجلد والأصداف . وفي الوقت ذاته ، يتجلى ضعف جميع قواه ،

متى عكست ووجهت ضده . فدويبة حقيرة تقضي على هذا الحيوان العظيم الخلق ، وتوافيه المنية من فمه الرهيب الذي يجلب الموت الزؤام . ولا يسع بدنه ، الخالي من الدبر ، أن يعيش محروماً من خادم أو صديق يخلصه من عذرته . وهو يمثل كتلة مغلقة متينة يفشل أمامها كل هجوم يأتيها من الخارج أو من فوق ، الا أنها تتدمر من داخلها أو من تحتها ، من مفاصل قوائمها ، من هذا المكان الضيق التافه الذي تسخر دقته من ضخامة الجهاز المحصول فوقه . ولا يساوي شيئاً هذا التمساح الذي يعض بفكيه من الأعلى إلى الأسفل ، ويجر ضحاياه إلى قعر الماء ، عندما تنقلب حركة القوى ضـــده في السفاد أو فيضـــان الماء . في النهاية ، لعل التمساح يرمز إلى صيغة قديمة وضع فيها مبدأ مقبول في أيامنا الحاضرة ، يقول إن القوى التي تعمل معه أو ضده ، وتتباين شدتها وحقلها واتجاهها ، تعبر عن توازن بيولوجي محتوم ، ولاشيء سواه .

مع ذلك ،تبقى ناحية الرعب قائمة . فما هي قدرة الإنسان حيال قدرة التمساح ؟ ولماذا ضمت الخليقة حيواناً بغيضاً من هذا النوع ؟ لقد أجاب الجاحظ قديماً على هذا التساؤل . فاذا كان الانسان أعجز من كثير من الحيوان ، فهو على الأقل يدرك عجزه ، وإدراكه عجزه إمعان في التفكير ونصر له ،وهذا التفكير أمضى سلاح لديه، وخصلة فريدة خص بها لا تتقادم أبداً . ثم ان التمساح شر ، إذا نظر إليه الإنسان من زاوية منفعته الذاتية ، لكنه مناسبة ، شأنه شأن سائر الحيوان المؤذي (١٩٨٨) ، يتجاوز فيها البشر حدود الفكر وفئات تصنيفه ، ويتأملون في أسرار الخليقة . وإذا عجزوا عن كشف كنه الأسرار الالهية، يسعهم قطعاً أن يفترضوا وجود نظام لما قصروا عن فهمه ، وأن يكيفوا قوة

إدراكهم معه . فالتمساح مسخر للانسان كسائر الكائنات في العالم ، فما على الانسان إلا أن ينسجم معها ، في رأيي .

البحر : عالم فريد

البحر عالم فريد ، أي غريب ورتيب . وهو منعزل ، ينقطع عن البرّ برّ دار لاسلام دخل فيها أم لم يدخل . وحيثما وجد ، يحدد نفسه بنفسه وبكائناته وبحياته ذاتها دون سواها . لذلك صرحنا في مطلع الفصل أننا سنتناول جميع حيواناته ، سواء شوهدت على سواحل دار الاسلام،على سواحل غيرها أو في الباحة الكبرى . من جهة أخرى ، لفت بحار الشرق أنظار الناس ، ويرتادها ذهاباً وإياباً البحريون المسلمون حتى الصين (١٩٨٩) ، مسلمة كانت أو غير مسلمة . وفيها تحصل العجائب التي يروون قصصها متى عادوا إلى بلدهم . ويقول ابن رستة : « البحر الذي يركبون فيه من البصرة إلى الصين هو بحر واحد وماء واحد ، متصل إلى الصين والهند » (١٩٩٠) .

وسبق وابنت أهوال (١٩٩١) هذا العالم الفريد الغريب المقلق ، الذي يبقى مع ذلك عالماً وعد الله بثرواته الانسان الذي يعرف جيداً أن المغامرة فيه طريقة يمارس فيها هباته الطبيعية ، وينمي ثروته وفهمه الخليقة ، مهما قاسى بعيداً عن وطنه . وقال رسول الله : « موت الغريب شهادة » . وروى عن شريح بن عبيد انه قال : « ما مات غريب في أرض غربة غابت عنه بواكيه ، الا بكت السماء عليه والأرض » (١٩٩٢) . ولو لم يركب المرء إلا البحــر لركوبه أياه مغامرة كبرى قصوى ، لخصها القرآن وأشاد بها عندما أعطى صورة الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس (١٩٩٣) .

لكن لنتريث في الحديث عن سائر الثروات، ولنتأمل فقط بما يُوَفِّره البحر من المتاع (١٩٩٤) لجميع الذين يركبونه أو يكتفون بالعيش على سواحله ، من صيده ومن طعامه . وتبارى بحر الروم وبحار الشرق ليتفوق عليها في الصيد معتمداً على تونس ومصر . وتضم بحار الشرق بحر القلزم وشواطىء جزيرة العرب الجنوبية (١٩٩٥) قبل غيرها . ولا يتصل بحر الخزر لا ببحر الروم ولا ببحار الشرق ، ويشار إلى ثرواته خاصة في جنوبه (١٩٩٦) . مهما يكن ، تعود بحار الشرق إلى الظهور بقوة ، وحدها تقريباً ، عندما يعدل الباحث عن العناوين العامة ، ويعكف على الدخول في التفاصيل المتعلقة بالأسماك التي تشاهد فيها ، ويصفها البحريون ، حتى لو لم يقع بعضها في حوزتها : فقد أحصى صيادو الخليج ، في أيامنا بالذات ، ٣٦٠ نوعاً منها (١٩٩٧) . وراقب البحريون قواطع السمك ، وتحدثوا عن مجيئها في كل سنة في وقت معلوم ، من شواطىء بلاد الزنج ، لتستعذب الماء من دجلة البصرة ، وذكروا الجواف والاسبور والرستوج ، الذي يستدل من قدومه على هبوب العواصف (١٩٩٨) .

وترد في النصوص أسماء أخرى ، يكتنفها الغموض ، ومنها حوتان أغفل ذكر اسميها يثب أحدهما إلى عيون غواصي اللؤلؤ (١٩٩٩) ، والحوت الآخر ، من بحر الخزر ، مثل فلق الجميز (٢٠٠٠) . ويعين اسم المسك في بعض الأحيان ، لكنه يثير صعاباً جديدة . من ذلك ذكر سمكة بالاسكندرية (٢٠٠١) تعرف بالعروس ، حسنة المنظر ، مخططة أو نقشة لذيذة الطعم ، إذا أكلها الانسان رأى في منامه كأنه يؤتى ، إن لم يتناول عليها الشراب أو يكثر من أكل العسل . ويثور ابن حوقل على هذه الترهات ، ويطعن بابن الفقيه دون أن يسميه ، ويضيف انه

أكلها هو وجماعة من ذوي التحصيل ، فشهدوا بكذب تلك الحكاية ، وخلص إلى القول : « والناس يكذبون لما كانت ذوات الأربع لا تنطق » (٢٠٠٢) . وقد أصاب لأن المرء يرى جيداً كيف أدى اطلاق اسم « العروس » على هذه السمكة ، إلى انتشار الحكاية (٢٠٠٣) . وفي النهاية ، جعلت هذه القصة من أكل السمكة مجهولة ، قذف بها الموج ميتة إلى الساحل ، أعظم وسيلة لتقوية الباه ، « إذ يلهب في الظهر مثل النار » ، فيكثر الشيخ الأشيب ذاته من مطالبة النساء ، فلا يطقنه (٢٠٠٤).

ويشاء حسن الحظ ألا تكتنف الأسرار والأخطار جميع أسماء الأسماك . ولعل لفظ « صير » الذي يعني في مصر السمك الصغير المملح ، يقصد به البلم (انشوفه) (٢٠٠٥) . وفي جنوب جزيرة العرب ، يعلفون بالسمك الصغير المعروف بالورق ،المجفف ، الابل والدواب (٢٠٠٦) . ولاشك أيضاً أن سمك اللخم ، « سبع يبتلع الناس » ، هو القرش بالذات (٢٠٠٧) . وتصف النصوص سمكة الخراطيم ومنقارها الشبيه بمنقار الكركي ، الذي له من جانبيه مثل أسنان المنشار ، إذا ضربت به السمك قطعته . وعندما تموت هذه السمكة ، تأخذ الناس خراطيمها التي كالمناشير ، ويستعملونها في الحرب بينهم ، فتعمل أحد من السيوف (٢٠٠٨). فالانزلاق سهل من المنشار إلى السيف . وتظهر الكنعدة بجلاء أيضاً وراء هذا الخبر : « . . . وطفرت من البحر كنعدة ، فبقرت برأسها بطن الرجل . . . وتخلصت من الجانب الآخر » (٢٠٠٩) .

وتثير الأسماك التي تطير جانباً كبيراً من فضول البحريين. فالعنقتوس عدو الميج ، والميج جراد الماء أو اصبعيّ الجناحين ، ويرصده من تحت الماء حتى إذا سقط ابتلعه الا أن هذا السمك المفترس يطير أيضاً بلاريب ،

إذا كانت تسميته مشتقة من « اكزوكيتوس » ، أي الذي « يخرج من بيته » ، ومنها جاء عنقتوس (٢٠١٠) . وللميج ميزة أخرى : فوجهه كوجه البوم ، بلاشك بسبب عينيه الكبيرتين المستديرتين ، ويزعم آخرون انوجهه يحكي وجه الانسان. وتقودنا هذه الصفة إلى قول آخر يتناول عجل البحر وما شاكله (٢٠١١) . وهنا أيضاً ، نتتبع تطور الأسطورة : ويحدثنا ابن خرداذبه وابن الفقيه والمقدسي (٢٠١٢) عن « أسماك » (٢٠١٣) ، من بحار الشرق وبحر الخزر ، تعمل الدرق من جلدها ، وهو طبق من شحم وطبق من لحم ، وهي ، برأسها على وجه التخصيص ، على خلقة الثيران أو الخنزير ، أو الجمال ، أو القرود ، وتلد وترضع ، أي اجمالاً « عجول البحر » (٢٠١٤) التي توصف وصفاً تقريبياً . وبذا نصل إلى الأسماك العجيبة (٢٠١٥) : فان « في بحر الحبشة ، سمكاً له وجه كوجه بني آدم وأجسامهم لها الأيدي والأرجل ، وان الصيادين المتعزبين ، الفقراء المتطرفين في أطراف السواحل المهجورة والجزاير والشعاب والجبال التي لا تسلك ، المعالجين فيها طول أعمارهم إذا وجدوا ذالك السمك المشابه لبني آدم اجتمعوا به (٢٠١٦) ، فيتولدون نسلاً شبيهاً لبني آدم يعيش في الماء والهواء » .

ويأنس إلى البشر ، لكن بأساليب أخرى ، دخس بحر الروم أو دلفين بحيرة تنيس المصرية (٢٠١٧) . والحقيقة عنه تقع بين ما يقوله ابن حوقل الذي يرفض دفعة واحدة جميع ما يحكى عنه ، ويجزم أنه في خلقة الزق الكبير ، وبين ما يزعمه ابن الفقيه من أن الدخس يعرض للغريق ، ويدفعه ويغتّه مرة ، ويشيله مرة ، أو يدنو منه حتى يضع الغريق يده على ظهره ويتعلق به ويرفعه إلى ماء رقيق .

والبال (الفال أو الوال أو الأوال أو الابلينة) (٢٠١٨) أشهر حيوانات البحر ، وعلى وجه الدقة ، البال المجنح في بحار الشرق ، وهو من فصيلة الهركول (٢٠١٩) . وهو حيوان ضخم هائل ، يقال إن طوله يبلغ مائة ذراع ، وتصل بعض أجناسه إلى خمس مائة ذراع مع ذلك ، يعتبر وصفه أهم من هذه الأرقام . فقد قيل ربما أرسى عليه أصحاب المراكب يقدرون انه جزيرة (٢٠٢٠)، وربما نشر أحد جناحيه الذي في صلبه فيكون مثل الشراع ، وربما نفخ الماء من فيه ، فيكون كالمنارة العظيمة ، يرتفع إلى مرمى سهم (٢٠٢١) . ورأسه عظيم ، إذا فتح فمه يرى السمك في جوفه يغوص كأنه يغوص في بئر . أخيراً تحدث البحريون عن وقوع البال على أحد السواحل ، فلما ذهب لحمه وبقي عظمه ، دخل من إحدى حدقتيه وخرج من الجانب الآخر وهو قايم من غير أن ينحني ، ودخل فارس من فكه وخرج من الجانب الآخر وهو راكب .

وتتناقض حيوية البال مع عظم حجمه . فقد يرميه حماسه للصيد على الساحل . ويطيب له أيضاً ، بحماس مماثل ، أن يلهو : فيلعب بذنبه وأجنحته ، أو يسير مع المركب اما ليسقط منه شيء فيلتقمه ، أو أنه يتعجب من شكل المركب فيظنه حيواناً بعضه في الماء وبعضه في الهواء ، فيجاريه ، ويمرح معه ، فاذا أعيا وقصر ورأى المركب يتقدمه ، رجع إليه ، فحمل عليه حملة واحدة . ويصاب البحريون بالذعر من جراء حملة البال ، الشارد أو الضاري ، على المركب . ويروون أنه أغرق بعض المراكب ، وكسر بعضها بضربة من ذنبه . ولا يسعهم إلا أن ينفروه بدق الطبول أو بضرب الصنوج أو حتى الخشب على الخشب .

والثدييات كالسمك ، والذكر والأنثى ، كله يحمل البيض ، إلا أن الذي يحمله الذكر لا يكون منه شيء ، والذي تحمله الأنثى يكون منه الأولاد . مهما يكن ، يبدو أن اصطياد أنثى البال وشق بطنها والعثور في جوفها على مثلها أصغر منها ، قاد إلى تصور وجرد سمك في بطن بعضه بعض (٢٠٢٢) . لكن قد يقصد إعطاء صورة مذهولة عن الجشع عند هذا الحيوان الذي يحوي السمك المجتمع بذنبه قبل أن يبتلعه .

ولكل حيوان على الأرض حيوان آخر يسيطر عليه ، مثلما قلنا في حديثنا عن التمساح . والبال ضار وشرس ، لكنه لا يعمل ما يشاء ، فله أعداؤه ، وأولهم الانسان . وقد خلف لنا ابراهيم بن يعقوب تدوينات قيمة جداً (٢٠٢٣) . فالبال الصغير يولد في شهر ايلول ، ويصاد من شهر تشرين الأول إلى شهر كانون الثاني . ويجتذبه البحريون بأصواتهم (٢٠٢٤) . فمتى اقترب منهم ليلعب ويتقبل المداعبة ، يسددون إلى إلى وسط رأسه ضربة قوية بكتلة حديد ، موضوعة على الخطاف المزوّد بالكلاليب . فيهرب البال الصغير ، ويسحب الحبل المثبت بالخطاف ، ثم ينتفض ويموت . ولم يبق قبل جره إلى الشاطىء ، سوى أبعاد أمه بنثر بعض الثوم المقشر في الماء ، لأنها لا تستطيع أن تتحمل رائحته .

وقد قلت إن هذه المعلومات قيمة ونادرة . ولا تحوي النصوص الجغرافية ما يماثلها عن البحار الشرق في الحقبة ذاتها . فالمصنفون يهتمون بفائدة الحيوان أو باحتمال الاستفادة منه . ولحم البال المملح ، غذاء أساسي عند الارلنديين . إلا أن الشرق سعى إلى الحصول على عظامه وشحمه . فعظامه مستعملة في صنع الارائك وهيكل السقوف ، والجسر الصغير في حديقة نزهة مرة واحدة . ويرغب جداً في شحمه ، بخاصة

في شحم عينيه ، وهو غال وكثير ، إذ ينزف نوع واحد من البل خمس مائة جرة من الدهن أو زيادة من إحدى عينيه فقط . ويقطع البال قطعاً تلقى في حفرة معرضة للشمس ، فتذيب أشعة الشمس دهنها ، ويجمع بمعالق كبيرة ، ويباع إلى نواخذة المراكب ، الذين يسدون به شقوق أخشاب سفنهم والثقوب المفتوحة لامرار الحبال فتثبتها . ويعتبر العنبر الأبيض أو الأشهب أو الأزرق ، الذي يقذفه البحر إلى سواحل جنوب جزيرة العرب وبلاد الزنج ، أنفس من شحم البال وليس العنبر سلح الحوت — ينبغي أن نقول هنا البال (٢٠٢٥) — بل يقذفه البحر الهائج في خلقة البعير أو الصخرة الكبيرة ، وهو يفور لا يدنو منه شيء لشدة حره وفورانه ، وربما أتت السمكة العظيمة التي يقال لها البال ، وابتلعت من ذلك العنبر الطافي وهو يفور . فلا يستقر في جوفها حتى تموت ، وتطفو . ولذلك أناس يرصدونه ، فيطرحون فيه الكلاليب والحبال ويشقون بطنه ، ويستخرجون منه العنبر . فما يخرج من بطنه يكون سهكاً ، ومابقي على ظهر الحوت منه كان نقياً جيداً على حسب لبثه في بطن الحوت .

ولايعتبر الانسان عدو البال الوحيد ، بل تترصده أخطار أخرى في البحر ذاته . مع ذلك ، يعلم الله أن جلده ثخين ، وأن على ظهره ما يشبه حجارة الارحية ، مما تراكب عليه طول السنين من الحشور والطين ، فاستحجر وصار لا يعمل فيه الحديد (٢٠٢٦) . فهل تدفع هذه المناعة فراسخ السمك إلى السير في البحر يمنة ويسرة ووراءه وبين يديه ، لا يفارقونه ؟ مع ذلك هنالك سمكة تقضي على هذا الفال العظيم . فاذا بغى ، بعث الله عليه سمكة نحو ذراع ، تدعى اللشك . فتلتصق « بأصل أذنه » ، ولا تفارقه حتى تقتله ، أو يطلب قعر البحر ويضرب

نفسه حتى يموت . ولاريب أن البال يخشى اللشك ، حتى إذا التصق هذا الأخير بالمركب ، هرب البال عندما يراه . وقد يخطر لنا أن نفكر ، رغم اختلاف الحجم ، في اليوركة التي يذكر هجومها على الشفاه واللسان والراس ، بهجوم اللشك (٢٠٢٧) . إلا أن جنوب جزيرة العرب يعرف ويصف بهذه الصفات سمكة صغيرة ، تسمى سيجان ، التي لم تخف على علم سوفاجيه الثاقب (٢٠٢٨) .

البحر أيضاً : من السرطان إلى اللؤلؤ

يدل اسم السمك ، مثلما قلنا من قبل ، على دواب الماء (٢٠٢٩) ، أسماكاً كانت أو عجول بحر أو حيتاناً . ويشمل هذا اللفظ (٢٠٣٠) السرطان ذاته ، وان كانت غرابته تطغى على كل ما حوله . فهنا يرى سمكاً يخرج حتى يصعد على النارجيل ، فيشرب ما في النارجيل من الماء ، ثم يعود إلى البحر . وهناك ، يعظم ، ويبلغ طوله شبراً أو حتى ذراعاً ، فاذا بان عن الماء ، وسار على البر ، صار حجارة تدخل في أكحال العين . ويعظم جداً في أماكن أخرى : فقد روى أن أحد الربابنة سلك في بعض الأيام بمركبه بين قرنين ظاهرين في البحر ، أو أيضاً ان السرطان يجر المركب ويلعب بالانجر . أخيراً ، يتحول هذا الحيوان بكامله إلى زجاج أو صفر أو رخام ترتكز عليه منارة الاسكندرية ومسلاتها (٢٠٣١) .

وعلى النقيض ، لا تدخل بعض حيوانات البحر ، فيما يبدو ، في فئة السمك ، لأنها تشبه حيوانات البر . ومنها تمساح سواحل الهند (٢٠٣٢) ، وورل سواحل بلاد الزنج (٢٠٣٣) ، والسلحفاة . وتشتهر السلاحف (٢٠٣٤) بذبلها ، الذي يعتبر أحد الأصناف الهامة في التجارة

الخارجية (٢٠٣٥) . وهو جلد ظهرها . وتكبر السلحفاة أحياناً حتى تبلغ استدارتها عشرين ذراعاً ، ويحوي بطنها مقدار ألف بيضة . ويقول ابن الفقيه إنها تحيض وترضع . ويشك في ذلك مصنف كتاب عجائب الهند ، لكنه يميل إلى سرد القصص عنها ، منها حكاية قرية بنيت فيها الدور راكبة على الماء ، وسائر أهلها بهم الشبكرة ، لكثرة أكلهم العيلم وهو ذكر السلاحف . ويشد كل واحد منهم حبلاً على وتد من باب منزله الماء . فاذا اصفرت الشمس ، أخذتهم الشبكرة ، فيخرج الواحد من بيته ، ويمسك الحبل إلى الماء ليقضي حاجته ويعود إلى منزله . ويأخذ مجان الغرباء حبل هذا ، فيجعلونه مشدوداً على باب هذا . فيخرج الواحد منهم إلى الماء ، ويعود إلى منزل الآخر ، فيدخله ، ويقع بينهما الشر . ويروي الكتاب ذاته أيضاً أن شيوخ المراكب توهموا أن إحدى السلاحف جزيرة ، وكانت تطفو على وجه الماء ، وتمكث أياماً تسدر كالسكرى على سبيل الاستراحة من طول مقامها في كهوف الجبال في قعر البحر ، وربما اجتمع الذكر بالأنثى ، فيكون بينهما السفاد ، وهما طافيان على وجه الماء .

ولابد من ابراز ناحية تتعلق بالأصداف : فالمقدسي يشمئز من أكل لحمها ، بخاصة بمصر ، حيث يكثرون من أكل الدلينس الذي يحسى مثل المخاط (٢٠٣٦) . أما الشنك ، فأفضل من الأصداف ، ويعمل منه البوق ينفخ فيه في سرنديب (٢٠٣٧) ، وكذلك أبو قلمون (٢٠٣٨) الذي ينسج من وبره ثياب زاهية لماعة مثل دابة أبو قلمون التي جاءت التسمية منها . ويتحدث المقدسي عنها في اقليم المغرب ، ويقول : « وأبو قلمون ، وهي دابة تحتك بحجارة على شط البحر ، فيقع منها وبرها ، وهو في لين الخز ، لونه لون الذهب ، لا يغادر منه شيئاً ،

وهو عزيز الوجود فيجمع وينسج منه ثياب تتلون في اليوم ألواناً .
ويمنع السلطان من حمل ذلك إلى البلدان إلا ما يخفى عنه . وربما بلغ
الثوب عشرة آلاف دينار » .

ومهما بلغت قيمة أبو قلمون ، فاللؤلؤ (٢٠٣٩) أنفس منه وأشهر .
ويستخرج اللؤلؤ من بحار الشرق ، والمرجان من بحر الروم (٢٠٤٠) .
فالمحار ، المعروف بالبلبل ، يحوي في صدفه « حيواناً » من لحم وشحم ،
يشبه قطعة لحم حمراء ، مثل جذر لسان الانسان لا عظم ولا عصب
ولا وريد فيها . لكن ما هي الدرة ؟ ان الله وحده يعلم . ولا يسعنا
إلا أن نطرح فرضيتين : فاما أن المحار يطفو على وجه البحر ، ويفتح
فاه ، ليتلقى قطرات المطر ثم يحولها إلى لؤلؤة ، واما أن تتكون ضمنها
من صدفتيها ، فيقال إنها نباتها ، أو ولدها في زعم البعض . وإذا عاد
المرء إلى مثل الثعلب والمحارة،وجد انهما يموتان لأن خطم الثعلب يبقى
محصوراً بقوة بين صدفتي المحارة التي تدافع عما فيها من اللؤلؤ ، « مثلما
تدافع المرأة عن ولدها » (٢٠٤١) .

ويبدأ موسم الغوص على اللؤلؤ في أول نيسان ، ويستمر إلى آخر
ايلول ، لكن لا يعمل الغاصة سوى شهرين ، ولا يكادون يتناولون
شيئاً من الاقوات سوى السمك والتمر وحرم عليهم اللحم . وتشق أصول
آذانهم ، ويجعل على منخريهم شيء من الذبل أو من القرن ، يضمهما
كالمشقاص ، لا من خشب ، ويطلون أقدامهم وأسواقهم بالسواد ،
خوفاً من بلع (٢٠٤٢) دواب البحر اياهم ولنفورها من السواد . ويجعلون
في آذانهم قطناً فيه شيء من الدهن ، فيعصر من ذلك الدهن اليسير في
الماء في قعره ، فيضيء لهم بذلك في البحر ضياء بيناً » . ويصيح الغاصة
في قعر البحر كالكلاب،فتخترق أصواتهم الماء،ويسمع بعضهم بعض

وتصنيف اللآليء المصيدة حسب أصلها وشكلها ووزنها ولونها وحتى مذاقها . فاذا كان في باطن اللؤلؤة دودة » ، وجدت حارة المص واللمس ، وإذا لم يكن فيها دودة ، كانت باردة المص واللمس . واللؤلؤ العماني عذب المذاقة ، والقلزمي مالح المذاقة ، وكلاهما يرسب في الماء . والمعمول من اللؤلؤ مر المذاق مع دسومه فيه ، وهو خفيف الوزن ، يطفو على الماء . واللؤلؤ « اللحمي الجوهري » مستوى الصورة لين وأملس ، « والصدفي العظمي » خشن غير مستوى الهيكل . وخير اللؤلؤ الصافي العماني المستوى الحدّ ، الشديد التدحرج والاستواء . والصغار من اللؤلؤ مرجانة (٢٠٤٣) ، والكبار درة . والبيضية دون الدرية في الثمن . وترتفع أثمان الدرة على زيادة وزنها وندحرجها ، فاذا بلغ وزنها مثقالين ، أصبحت لا قيمة لها (لا تقدر بثمن) ، «فريدة». من ناحية أخرى ، تصفو جميع اللآليء وتحسن ، إذا لفت عليها الية طرية مشرحة ، وأخذت في جوف عجين ، وأدخلت في التنور ، وبولغ في احمائه . كذلك تصفو إذا بخرت بكافور ، أو عوبلجت بمخ عظم أو بماء بطيخ .

وخير اللآليء الدرة « اليتيمة » التي قيل عنها تارة أنها قلزمية ، أنفس من لآليء عمان والخليج ، وتفوقها بكونها فريدة ، وطوراً أنها أخذت من المياه المباركة في عمان . وتستحق حكايتها أن تروى ، ولا يسع كتاب عجائب الهند ان يغفل سردها على الوجه التالي :

« كان بعمان (٢٠٤١) رجل يقال له مسلم بن بشر . وكان رجلاً مستوراً جميل الطريقة . وكان ممن يجهز الغواصة في طلب اللؤلؤ . وكانت بيده بضاعة . فلم يزل يجهز الرجال للغوص ، ولا يرجع إليه فائدة ، حتى ذهب جميع ما كان يملكه ، ولم يبق له حيلة ، ولا ذخيرة ،

ولا ثوب ، ولاشيء يجوز بيعه ، إلا خلخال بمائة دينار لزوجته .
فقال لها اقرضيني هذا الخلخال لأجهز به ، فلعل الله تعالى يسهل شيئاً .
فقالت له : يا هذا الرجل ، لم تق لنا ذخيره ، ولا شيئاً نعول عليه ، وقد
هلكنا وافتقرنا ، فلأن نأكل بهذا الخلخال أصلح من أن تتلفه في البحر .
فتلطف بها وأخذ الخلخال ، وصرفه ، وجهز بجميعه الرجال إلى الغوص .
وخرج معهم . ومن شرط الغوص أن يقيم الغواصة فيه شهرين لاغير ،
وعلى هذا يتشارطون . فأقاموا يغوصون تسعة وخمسين يوماً ، ويخرجون
الصدف ، ويفتحونه ، فلا يحصل لهم شيء . فلما كان في اليوم الستين ،
غاصوا على اسم ابليس ، لعنه الله ، فوجدوا فيما أخرجوه صدفة
استخرجوها منها حبة لها مقدار كبير ، لعل ثمنها يوفي بجميع ما كان
يملكه مسلم منذ كان وإلى وقته . فقالوا هذا وجدناه على اسم ابليس
لعنه الله . فأخذها ، وسحقها ، ورمى بها في البحر . فقالوا له : يا هذا
الرجل ، لم فعلت أنت هذا . قد افتقرت ، وهلكت ، ولم يبق لك شيء
يقع بيدك مثل هذه الحبة ، التي لعلها تساوي آلاف دنانير ، فتستحقها .
فقال : سبحان الله ، كيف استحل ان انتفع بمال استخرج على اسم
ابليس ، وان اعلم ان الله تبارك وتعالى لا يبارك . وإنما وقعت هذه
الحبة بأيدينا ليختبرنا الله تعالى بها ، ويعلم من يعرف خبرها اعتقادي .
ولئن انتفعت بها ليقتدين كل أحد بي ، فلا يغوصون إلا على اسم ابليس
لعنه الله ، فاثم ذلك يعظم على كل فايدة ، وان عظمت . والله لو كان
مكانها كل لؤلؤ في البحر ، ما تلبست به ، امضوا فغوصوا وقولوا
باسم الله وببركة الله . قال : فغاصوا على ما رسم لهم . فما صلى صلاة
المغرب من ذلك اليوم ، وهو آخر يوم من الستين ، حتى حصل بيده
درتان ، احداهما اليتيمة ، والأخرى دونها بكثير . فحملهما إلى الرشيد ،

وباع اليتيمة بسبعين ألف درهم ، والصغرى بثلاثين ألف درهم . وانصرف إلى عمان بمائة ألف . (٢٠٤٥) فبنى بها داراً عظيمة ، واشترى ضياعاً ، واعتقر عقاراً وداره معروفة بعمان » .

وحوش البحر وعجائبه

هذه القصة مؤثرة جداً ، تسبح بحمد الوهّاب العادل ، وتحكى إحدى عجائب البحر أيضاً . والبحر عالم فريد ، يعرف بأنه ، كما قلت ، موطن كائنات أو أحداث من رتبة خاصة . وهذه الرتبة كثيرة الأنواع بحد ذاتها . وقد آن لنا أن نتحدث عن بعض العجيب منها . ونستغرب أولاً أن تعيش في البحر دواب الأرض كالخيل ودواب الهواء. وقد تخرج الخيل من العين (٢٠٤٦) في بعض الأماكن أو من البحر في الزابج . ويتحدث كتاب ألف ليلة وليلة عن هذه الدابة الفاتنة (٢٠٤٧) . وجاء الآن دور حيوان الهواء ، والطير التي تجمع من قذى البحر عند سكونه فتبيض وتفرخ على وجه الماء ، ولا تخرج إلى الأرض . وفي كتاب عجائب الهند صيغة أخرى من طائر يجمع عشا على الماء ، ويبيض عليه ويحضن البيض أربعين يوماً . فاذا كان بعد الأربعين يوماً رمى البيض في الماء . وجلس على الساحل بازائه لا يبرحه عشرين يوماً يأكل السمك . فاذا مضى عشرون يوماً،خرج إليه فراخه من ذلك البيض،فيجتمعون حول أبويهم . وفي الكتاب ذاته، قصة طائر كبير ، إذا أفرخ على شاطىء البحر،لم تهب الرياح في تلك الناحية إلا بعد أربعة عشر يوماً(٢٠٤٨) .

ويقدر أن في جوف الماء عجائب أيضاً . ويعدد ابراهيم بن وصيف شاه بعض الأسماك العجيبة ، ويتحاشى تسميتها : فهل يخشى أن يتعرف الناس على بعضها عند مرورها ؟ فأحدها يخنق فريسته بذنبه ، وشكل

آخر مستدير يخترقها بحسكة مروّسة على ظهره ، وتعطى مرة بعض السمك حبـــراً يتألق كالفوسفور . أخيراً ، لشحم بعضه طعم لذيذ جداً حتى أن من يذوقه ، يمتنع عن تناول الأطعمة الأخرى عدة أيام (٢٠٤٩) لكي لا يفقد نكهته . وتروى مجموعة من القصص عن دواب البحر التي تُشَبَّه بالبشر من قريب أو من بعيد: ويدخل الاطمر أحياناً فيها (٢٠٥٠) ، كما قلنا . ونلقى في بعض الأحيان (٢٠٥١) دواب ذوات أصداف ، لها ما يشبه رؤوس الأطفال وأيديهم وأرجلهم الصغيرة ، أو (رقيقا) رؤوسهم صغار وتحت كشح كل منهم جناحان كجناحي السلحفاة ، يسبحون بخفة ونشاط ، ويلعبون ، ويتضاحكون ، ويغنون في قعر موج كالجبال . وهؤلاء قوم ينحدرون من رجال نزلوا على اناث البحر ، واضطجعت نساؤهم لذكران الحيوان بالبحر، فتنتّج بينهم خلق يشبهون هؤلاء وهؤلائك ، ويصبرون على طول المقام في البحار وعلى طول المقام في البر للسر المشترك بينهم . فرغم شبههم بالبشر الأسوياء بجميع الصفات ، يهربون منهم متى سنحت الفرصة لهم . وهذا ما حدث لامرأة منهم (من نساء جزاير الحوت) عاشت ثمانية عشر سنة مقيدة عند أحد الرجال الذي استولدها ستة أولاد ، أطلقوها من القيد بعد وفاة والدهم ، فخرجت كأنها الفرس السابق ، وطرحت نفسها في البحر (٢٠٥٢) ولم تصغ لتوسلاتهم .

ويأتي التنين (٢٠٥٣) ، وحش الوحوش ، بعد الدواب الوحشية الخفية . وقد تحدثنا عنه في فصل سابق (٢٠٥٤) ورأيناه مرة عمود ماء على حقيقته وبشكله الطبيعي . وحوّلته مخيلتنا مرة أخرى إلى حيوان شرير مستطيل ، طوله فرسخان ، وعرضه أذرع كثيرة ، وجسمه مستدير ، ولونه مثل لون النمر ، مفلّس كفلوس السمك ، وله جناحان

عظيمان كأجنحة السمك بالقرب من رأسه الذي يتشعب منه الرؤوس ، وهذا الرأس على خلقة رأس الانسان مثل التل العظيم ، وله أذنان طويلتان عريضتان كآذان الفيل ، ويتشعب من ذلك الرأس ستة أعناق طول العنق عشرة أذرع على كل عنق رأس شبيه برأس الحية . والتنين هيدرة واعصار وحية بحر وأكثر من ذلك كله . وهو ابن البحر أو ضيفه ، ويضاهيه أو يفوقه ، ويعود مثله إلى جميع الحقب الجيولوجية . وهو فريد لا ذرية له (٢٠٥٥) ، ويبدو قديماً قدم البحر والخليقة : « فاذا أراد الله تعالى بقوم شراً ، أسقطه في أرضها ، فيبتلع جمالهم وخيلهم وأبقارهم ومواشيهم ، ويهلكهم ، ويبقى حتى لا يجد شيئاً يأكله » . ويتابع كتاب عجائب الهند بقوله : « فيموت أو يهلكه الله سبحانه عنهم » ، والمضمور : ان الله يهلكه بشيء آخر غير الجوع . فهل يمكن بالتالي أن ينقرض التنين عن وجه الأرض ؟ قطعاً كلا . وقد شاهده بقراطيس ووصفه . وقتله ذو القرنين ؟ ثم طلع التنين من البحر ، وقال لانوشروان ان الله بعثه لسد ثغر بلنجر إلى الأبد لحماية امبراطورية بني ساسان . ويطرح التنين إلى ياجوج وماجوج ، ويستمر في الظهور فوق البحر . ويغطي في النهاية الأرض بأجمعها في الزمان والمكان . ويخطفه السحاب الموكّل به ، ويحتمله إلى أنحاء مجهولة في أطراف العالم (٢٠٥٦). وقد ينفلت ويقع وينتن . وهو يغادي قرن الشمس من مبدأ طلوعها إلى حال غروبها فاغراً فاه نحوها ليبتلعها (٢٠٥٧) ، ثم يدور بدورانها طلباً لعينها . وهنا يصل عالم الحيوان والحيوان نفسه إلى حدوده القصوى أي إلى تخوم البلدان المعروفة والأسطورية أيضاً ، التي يقوم التنين ، حسب تصور الانسان ، باخفائها في ظله الشاسع ، المنتشر بلا انقطاع على الأرض والبشر وأحلامهم .

تأمل في الحيوان

لن نتأمل في الحيوان (٢٠٥٨) تأملاً شاملاً . فهذا العمل يتجاوز نطاق دراستنا ، ويحتاج إلى مدوّنة أخرى تتناول حقلاً واحداً من الاختصاص أو على النقيض تتبسط في نصوص يرتفع عددها إلى أقصى حد يمكن الوصول إليه (٢٠٥٩) . أما كتابنا فهو أضيق أفقاً ، ولا يحوي تلك المادة الواسعة ، ولا ينهّج دراسته الحيوان ، ولا يبدأ بها أصلاً في بعض الأحيان . ويشذ نصّ واحد من المسعودي (٢٠٦٠) فيتطرق إلى المحاكاة في التشكل ، ويقول : « فغلب طبع كل أرض على ساكنها ، كما نشاهد الحرار السود والأغوار وحشها إلى السواد . ووحش الرمال البيض على ذلك اللون . فان كانت الرمال حمراء ، فوحشها عفر وهو لون التراب . وكذلك وحش الجبال من الاراوي وغيرها يكون على ألوان تلك الجبال ان حمراً وان بيضاً وان سوداً . وعلى هذا السبيل ، تكون القملة في الشعر الأسود سوداء ، وفي الشعر الأبيض بيضاء ، وفي المشيب شهباء ، وفي الأحمر حمراء » .

وفيما عدا ذلك ، نعود مع المصنفين الجغرافيين إلى مبدأين أساسيين ، يتفاوت ادراكهم لهما ، ورغم ذلك ، يستلهمون نهجهم منهما ، وتقترن نظرتهم إلى العالم بهما . وينفي أول المبدأين وجود انقطاع حاسم في الطبيعة سواء كان في الممالك الحيوانية أو حتى في أنواعها ، بما فيها الانسان . وعلى مستوى الأنواع ، لاريب أن نتاج التهجين يستحق عناية خاصة ، بسبب ما يحدث عنه من حيوان عجيب كالابل والبغال ، أو أيضاً كالفهد من نتاج اللبؤة والنمر في زعمهم ، أو النتاج الغريب الناشيء عن تسافد الضباع والذئاب والحمير والبقر (٢٠٦١) . ولنتاج

هذه الأنواع المهجنة أهميته في اقتصاد تلك الأيام وفي سرد العجائب ، ولاجتماع الحيوان مغزى آخر أيضاً لأنه يعتبر على وجه التخصيص مثالاً على ما يحتمل تطبيقه في حقل الطبيعة الواسع . ويعلن المسعودي ذلك صراحة ، ويساوي بين جمع الأشياء وبين اجتماع الدواب (٢٠٦٢)، ويقول : « وكما يجمع بين أشياء ، فيحدث باجتماعها معنى هو غيرها ، كما يحدث من ماء العفص والزاج عند الاجتماع من شدة السواد . وكحدوث جوهر الزجاج عند جمعنا بين الرمل والمغنيسا والقلي عند الطبخ والسبك لذلك . وكذلك لو جمع بين ماء القلي وماء المرتك (وهو المرداسنج) ، خرج الحادث من مزاجهما كالزبد بياضاً . وإذا مزج ماء القلي بماء الزاج ، خرج من مزاجيهما لون أحمر كالعصفر . كجمعنا في النتاج بين الفرس الأنثى والحمار فتحدث بغلاً ، ولو نتج دابة على اتان لخرج منها بغل . يسمى«الكودن » وبوسعنا أن نستمر في اعطاء الأمثلة وفي ذكر جميع ما نلقاه من « عجائب » في هذه المملكة أو تلك : كحيات الهواء أو حيوان النار ، أو السرطان المستحجر ، أو الطين الذي يشفي من سم العقارب ، أو معالجة اللؤلؤ بالكافور . فجميع هذه الأمثلة من كثير سواها ، تثبت وجود شبكة لا نهاية لها من الانتقالات المحتملة والاتصالات والاستحالات .

ايجوز لنا والحالة هذه ان نتحدث عن العجائب ، أم علينا بالأحرى أن نسلم بأننا ننظر إلى العالم بعكس ما يجب ؟ فاذا قبلنا بوجود العجائب ، الا نرضى بها لأننا نطلق اسمها ، بحكم ضعفنا ، على النظام الذي يفوتنا إدراكه ، ولأن العجائب ذاتها تدلنا عليه وتخفيه عنا بآن واحد ؟ وألا نقر بعجزنا عن فهم الكل ، إذا أعلنّا عن تقصير عقلنا عن الاحاطة بجزء تافه يتراءى لنا من خلاله القانون العام الذي يسيّر الكل ، اقصد

قانون الاتصال الدائم الشامل ؟ فهذا الوضع بالذات هو الذي يبعث فينا الكآبة . ونحن نشعر أن تضايقنا وفئاتنا وركائزنا وغيرها من مناهج تفكيرنا ، ليست سوى اقرار بتقصيرنا عن الوصول إلى سر الوحدة الأولى . « والله عز وجل قد استأثر بعلم الأشياء ، وأظهر للعباد ماشاء مما لهم فيه الصلاح على قدر الوقت وحاجتهم فيه إليه . وأشياء استأثر بعلمها لم يظهرها لخلقه ، فلا تقف العقول على كنهها » (٢٠٦٤) .

وبذا نصل إلى موقف أساسي في الفكر الاسلامي الكلاسيكي ، ينطوي على ما نريد التعبير عنه : فالانسان يدري أنه يجهل،وأنه لن يتعلم كل شيء أبداً ، لكنه لا يتخلى عن التعلم ما وجد إلى ذلك سبيلا . ويمثل هذا الموقف أقصى ممارسات العقل البشري ، ويلخص المبدأ الثاني الذي تعتمد عليه أعمال مصنفي الجغرافية . وقد ألححنا مراراً كثيرة على اعتبار الانسان حقيقة الكون المركزية ، ووصل هذا الاعتبار إلى أوجه في التصور الفعّال ، الذي يقول إن الإنسان نفسه عجيبة العجائب ، وان الانقطاع الوحيد المقبول والصحيح هو الانقطاع الذي يعزل هذا الكائن الفريد لا بجسده الخاضع كأبدان سائر الحيوان إلى جميع القوانين الطبيعية ، بل بعقله ، الذي وهب الفكر والنطق . ونأخذ خاتمة بحث الحيوان من ابراهيم بن وصيف شاه الذي يصف الانسان في مقطع خصصه إلى عجائب الأرض قبل آدم ، وقبل أن يشير إلى « عجيبة » أخرى يسميها النسناس . وهكذا أدرج هذا الانسان في التاريخ وفي الحديث ، وصار أيضاً عجيبة بل أعظم العجائب . فهو حيوان مثل سائر الحيوان ، لكنه يأخذ شيئاً من كل منها،ويمتاز عنها بشيء:(يقال (٢٠٦٤مكرر) ان في الانسان شيئاً من جميع الكائنات الأخرى . لذلك يتفوق على سائر

الحيوان ، ويصطاده ويستعبده . وقد هيأ الله له النبات والحيوان غذاءاً . واعدّ له جميع ضروب المسرات . ومكنّه ان ينجز بيديه شتى الأعمال . ويمتاز الانسان بالضحك والنطق والتفكير والذكاء والقدرة على الابتكار . وبه يتصل الخالق . وهو يأمر وينهي ، ويخترع الفنون ، وينظم العلوم ، ويصنع الادوات ، ويفتح المناجم ، ويستخرج الروائع من قعر البحار ويبسط سلطته على العالم اجمع » .

* * *

الفصل السادس

النبات

كيف ترجو أن تنعم بخيرات الأرض
إذا لم تنعم الأرض بعملك
شيكسبير

نستهل هذا الفصل الأخير بعرض أسئلة تمهيدية أو حتى ببيان بعض نواحي الشك . ونحافظ على نهجنا المعهود (٢٠٦٥) ، فلا نتناول فيه سوى النبات المعروف في دار الاسلام . لكن ما هو موقفنا من فئة متوسطة منه ، نقصد ما يحمل عامة إلى دار الاسلام من البلدان الأجنبية ؟ فالمقدسي يتحدث مثلاً عما يخرج إلى عمان . وعمان بلد مباح عرفاً على الطرق البحرية الذاهبة إلى الهند وبلدان تحت الريح والزنج (٢٠٦٦) والقادمة منها جميعاً . ومن تجاراتها الصندل والساج والابنوس من بين سلع أخرى كثيرة . فلاريب أن هذه الأصناف تحمل إليها من الهند أو تحت الريح أو الزنج . فهل نغفلها ؟ لقد عرفت دار الاسلام الابنوس في صعيد مصر (٢٠٦٧) ، وعرفت السياج والصندل في اقليم السند (٢٠٦٨) . اذن تنمو هذه الأشجار في أطرافها ، ولايجوز السكوت عليها ، والا لأصبحنا نتكلم عن نبات دار الاسلام الواقعة إلى جنوب بحر الروم وفي الشرق الأوسط الجاف أو الخصب ، دون سائر أراضيها .

ولا يعتد أيضاً بندرة وجود بعض النبات ، فربما أصبح في متناول البشر أوفر إلى حد كبير مما هو في الطبيعة.وتتباين ألوان الأيدع ويستعمل الساج في هياكل البيـــوت أو في زخرفة المنـــازل وفي المباني العامة . فلا يجوز بالتالي اهمال الأخشاب والتحدث عن الشجر وحده ، فيحتمل أن تطغى على الأشجار في جميع الأماكن تقريباً . وقد تضمن الفصل الأول من هذا الكتاب أحاديث عن مشاهد حقول الأعشاب الكثيفة ، والمشاجر الملتفة ، والأرياف الخصبة ، لم تكن سوى نظرات اجمالية عن النبات . ويختلف البحث متى تطرق إلى النبتة افرادياً وعينها باسمها . وقد لا يتناولها النص بحد ذاتها ، بل يستعرض استعمالاتها ، مما يستتبع بداهة كونها مقطوعة . ويستبعد ترابط أفكار هذه الجغرافية ، ودقة بنيتها الداخلية ، واهتمامها بالبشر في أكثر أبحاثها واقتصارها عليهم في أغلب الأحيان ، الخوض في علم النبات لكي تدرج النباتات في آفاق حياة الناس اليومية . فالحديث عن الأعشاب والأشجار ، يؤول إلى استعراض أعمال الحقول وزراعة الشجر ، وإلى التطرق إلى ممارسات الطهي والزينة أو التطبيب أو الحياكة اليدوية ، وهذا يعني الشروع بكتابة الجزء الرابع الذي سوف يتناول نشاط البشر في دار الاسلام .

اذن لا تتضمن مصنفات الجغرافية إلا أسماء النباتات المفيدة ، دون سواها ويبدو ان الالمام بها سيء . ونعني المام القاريء طبعاً ، لا المام المصنفين الذين يعرفون جيداً عما يتحدثون ، ويدركون فحوى كلامهم حتى انهم يتحاشون الدخول في التفاصيل ، لأن النبات يعد من الأشياء اليومية المألوفة ، والمألوف معلوم . مع ذلك ، يعلم الله وحده عدد الأسئلة التي نرغب أن نستخلص الجواب عنها من تلك النصوص ، ويحتمل أن نحذو في النهاية حذوها ، ونعتبر الذات أساس نشاط البشر

أو حاجة من حاجاتهم . من تلك الأسئلة ، هل يطلق اسم معين على جملة من أنواع من النبات ؟ وان صح هذا القول ، ما هي خصائصها ؟ وهل تطعم ؟ وما هي تقنيات تطعيم الأشجار المثمرة وحراثة الحبوب ؟ وهل نجمع بعض النبات جمعاً من البراري أم نزرعه في حقولنا ؟ وما هي فائدة بعضه الآخر ؟ يندر جداً أن تجد أجوبة على جميع هذه الأسئلة ، ونصطدم في الغالب بصمت الكاتب العارف كأنه يتحدانا ، منذ عشرة قرون ، بالمعارف التي أضعناها .

وهذا يعني أننا لا نثق بالتصنيف الوارد في هذا الفصل . ونستبعد كل إحالة إلى قوانين التصنيف الحديثة ، سواء وضعها كارل فون لينه أو سواه ، ونتبنى التقسيم الذي توحي به النصوص ، ويستند إلى الاستهلاك الغذائي أو الاستعمال الحرفي أو الطبي أو سواه . مع ذلك لابد في كثير من الحالات ، أن نتمم أقوال المؤلفين ، ونحدد ناحية الافادة من النبات ، معتمدين على استعمالاتنا المعاصرة بالذات أو على ما اندرس من استعمالات تقاليد القرون الوسطى والعهد الكلاسيكي التي كانت أو لا تزال ترتبط بالبستان أو المشجرة أو العقاقير أو التوابل أو الأصبغة أو العطور في البحر المتوسط والمشرق .

لكن قد لا يتسنى لنا ، حتى في هذا النهج ، أن ندرج بعض النبات في أحد المخططات الدقيقة جداً : فالحنة مادة تجميل ومادة صباغة أقمشة ، ويستفاد من البردى في غير الكتابة ، وتصنع الحبال من ألياف النخيل ، وتستخدم الحبلة في التجارة.اذن لابد من ذكر هذا البعض مرات عديدة. وهنالك ناحية شك أخرى : ففي المجال الشاسع للنبات الغذائي ، يتحتم علينا بداهة أن نميز ، لتبسيط العرض ، نبات الحقل والبستان والمشجرة .

إلا أن البستان في عرف الجغرافيين ، يعني أحياناً المزرعة بأشجارها وثمارها ، وبالتالي الشجرة أيضاً التي يقصد بها — لكن متى بالتأكيد ؟ — في أماكن أخرى شجراء أو حتى غابة . ثم أين نصنف الأعشاب والثمار البرية عندما تصلح للأكل ؟

أخيراً ، تعترضنا أحياناً بعض الترددات اللغوية . فتارة نعثر على صور مشكوك فيها أو على تشكيل غير صحيح ، وطوراً تجابهنا ألغاز حقيقية ، وأحياناً أيضاً يختلف اسم النبات عن اسم ثمره أو تتبادل الثمار الأسماء من اقليم إلى آخر . فتعداد نبات دار الإسلام حوالي العام ألف ناقص وتقريبي على حد سواء ، فيما يتعلق ببعض أنواعه . لكن لن نيأس . فعلى الرغم من هذه الشكوك ، يبقى لدينا ، إذا استثنينا بعض الغوامض ، مجموعة شاملة هائلة ، مأخوذة من ثروة كاملة — استخرجها رجال ذلك الزمان وتلك الأماكن من أرضهم ، بحكم عادة قديمة من عادات طبيعتنا ، وبتأثير طمأنينة الإيمان ، كما جاء في القرآن الكريم : الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء ، فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم (. . .) ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون (٢٠٦٩) .

هوامش الجغرافية النباتية

لا يرد النبات في نصوص الجغرافيين إلا ضمن موضوع علم الجغرافية ووفق نهج بحثهم فيه ، أي أن المؤلفين يتناولون محاصيل النبات أو يعتبرونه سلعاً تجارية ، أو غرائب مثيرة ، أو أيضاً جزءاً لا يتجزأ من وصف إحدى النواحي التي يرون لزاماً عليهم أن يعطوا المسافر صورة حقيقية عنها ، تارة إجمالية ، تبرز نضارة الخضرة أو ندرتها ،

وطوراً متفاوتة التفاصيل ، تعدد أوسع الأنواع انتشاراً وأنفعها وأميزها (٢٠٧٠) . وفيما عدا هذه الاستعمالات ، الطبيعية في جغرافية من هذا النمط ، تعتبر الأعشاب والأشجار أيضاً سمات تستغلها الجغرافية أو تدرجها مجدداً في علم البلدان العام الذي تتنطع فيه .

وتدل هذه السمات على المواضع الجغرافية أولاً . من ذلك الأمثلة التالية : قرية الرمان في فارس ، ودار البطيخ في الري ، وحصن التينات في شمالي اقليم الشام ، وقلعة البلوط في صقلية (اصقيلبة) ، ومدينتان في قوهستان هما طبس التمر وطبس العناب (٢٠٧١) . تدل على معالم إحدى الطرق أيضاً : « ثم نسير في أرض مستوية عن اليمين مفازة وعن اليسار نخيل ومزارع (. . .) الطريق في صعود وهبوط على يمين الوادي وعلى حافتيه أشجار الدفلى (. . .) وعلى وادي (حلوان) قنطرة فتعبر عليها وترتقي عقبة حتى تصير إلى وسطها . فهنالك طاق مبني بحجارة مفروش بالمرمر في وجه الطاق شجرتا فستق » (٢٠٧٢) . وتكون علامات في أحد المباني أو غيرها : في قنطرة الجسر (٢٠٧٣) تينة ، أو في أحد الجوامع ، حسب الأماكن ، نارنجة ، أو نخلة ، أو شجرتا عناب وشجرة توت ، أو حتى غابة زيتون تقوم بسرجه وزيادة (٢٠٧٤).

وتعنى الجغرافية أيضاً بالثقافة العامة (الأدب) ، وتقرن حتماً الحديث عن النبات وعن المواضيع الأخرى ، بذكر معطيات المعارف الدنيوية أو التقاليد الدينية . وتعتبر قائمة محاصيل أحد الأقاليم لائحة تختلف عن محاصيل اقليم آخر ، وتذكر معها جنباً إلى جنب وفي نص واحد ، وتعدد ما ينفرد به أحد البلدان أو يتميز بأجوده من الأصناف النباتية أو غير النباتية (٢٠٧٥) . من جهة أخرى ، يؤدي هذا النوع من السرد إلى

استخدام طرق تعبير متنوعة . فتارة يرد في صيغة مقتضبة ، كما هي الحال عندما يعلن ابن رسته أن « بمصر من الأشجار النخيل والموز والجميز » (٢٠٧٥ مكرر) . وتميز أعراف جزيرة العرب نجداً عن الحجاز بنباتهما : فما أنبت الغضا فهو نجد، وما أنبت الطلح (الطلح أو السمر) والاسل فهو حجاز (٢٠٧٦). وطوراً يتوسع الإطناب في المدح والتبريك، كما يفعل ابن رسته اياه في حديثه عن اصبهان اذ يقول إن الأعناب والصيني (الاجاص) والتفاح والسفرجل والرمان والزعفران ، تسهم في جمال هذه المدينة وغناها ، هي وهواؤها وتربتها والمعادن المستخرجة منها ، وعسلها وملحها وحماتها والماء المتحجر في كرمند ، والأماكن المطلمسة (٢٠٧٧) .

وفي بعض الأحيان ، يسمو نوع فريد في اطراء مديح الأدب ، وتسلط عليه جميع الأنوار لحظة من الزمن : مثل تلك التفاحة (بشيراز) التي نصفها حلو في غاية الحلاوة ونصفها حامض في غاية الحموضة ، أو النخلة والحبلة اللتين كتبت صفحات طويلة في مدحهما . وإذا تدخلت الخصومة بين البلدان ، يلجأ إلى المقابلة ، كما حصل بين البصرة ، مدينة سواد العراق الكبرى وبين الشام ، عبر الحبلة والنخلة ، في افتخار كل من البصريين والشاميين بفضل نبتتهم وذم نبتة خصومهم (٢٠٧٨) .

أخيراً يأتي نبات التقليد المقدس . ومنه « سدرة المنتهى » ، الواقعة في طرف السماء السابعة ، التي لا يتجاوزها الملائكة . وتتحول هذه السدرة عند المقدسي إلى استعارة ، ترمز إلى جودة المنتج (٢٠٧٩) . ويدل الناس في سواد الموصل إلى الموضع الذي لفظ الحوت فيه النبي يونس من بطنه ، وجاء في القرآن عنه : فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا

عليه شجرة من يقطين (٢٠٨٠) . وفي جبل سينا ، شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء لو لم تمسسه نار (٢٠٨١) . وفي بيت لحم نخلة تساقط منها على مريم رطب جني ، وليس يرطب النخل بها لكن جعلت آية (٢٠٨٢) . وأول من عمل القراطيس يوسف النبي (٢٠٨٣) . وقد أوصى الرسول بأكل الزبيب ووعد الله المتقين (٢٠٨٤) بجنة فيها أنهار من خمر لذة للشاربين . ويبادر فقه اللغة إلى دعم تأريخ النبات المقدس في هذه الناحية بالذات : فلا يتردد ابن الفقيه (٢٠٨٥) باشتقاق اسم الكرم من الكرم والكرامة والاكرام والتكرم .

هذه هوامش التقصي عن البلدان أو خلفياته . وتذكرنا كثرتها الكبيرة بأن جغرافية المحاصيل الزراعية نشأت عن نظام ثقافي خاص . على أن هذه الكثرة أوفر بلا أدنى ريب مما يقدر اعتماداً على ورود النبات الصريح في النصوص الجغرافية ولو فكرنا قليلاً لاستطعنا أن نتحدث عن نظام ثقافي يحدده الأدب ، لادراكنا أن المعرفة فيه ليست حدثاً بحد ذاتها ، بل معياراً أي أدباً . بدقة . فهنا يفرض المعطى نفسه ، مقدساً كان أم دنيوياً ، قبل أن يجري عرضه ، وتسبق المعرفة كحدث وطريقة علم ، المعرفة ، كموضوع أو مضمون . لذلك ، من يخطر بباله عندما يتكلم المؤلف عن النخلة أو الحبلة ان هذا المصنف يجهل هو وقارئه صفتهما السامية ، ولو لم ينص صراحة عليها ؟ من يسعه أن يتناسى في بحث البخور أنه من جزيرة العرب ؟ وفي بحث التفاح انه لبناني أو فارسي ؟ وفي بحث المرجان انه من بحر الروم ؟ وقبل كل شيء ، من يستطيع أن ينكر أن رحمة الله وراء كل نبات مفيد ؟

بالتالي لايجوز أن يخدعنا التسجيل الجاف في الظاهر . فصحيح

أن النبتة تسمى تسمية بسيطة في الغالب دون أن توصف أو يشار إلى استعمالاتها أو ماضي نوعها أو خصائصها المحلية . لكن في الواقع ، تبقى في ذهننا على الدوام حتماً كل هذه الخلفية التي بيناها ، ويكفي أن يميط أحد المصنفين اللثام عنها ولو عرضاً . وحتى لو اقتصرنا على سرد التعداد ، كما فعل الجغرافيون ، نظل ، نحن أهل القرن العشرين ، نحتفظ ، بعد الصفحة الأخيرة ، بذكرى صورة بستان دار الاسلام النضر ، مزروعاً كان أو برياً ، لأننا تجولنا فيه عبر أسمائه ، وتذوقنا ثماره وتنشقنا هواءه .

النبات : الأصل فيه الزراعة وزراعة الحبوب

نستهل هذا البحث بملاحظة تمهيدية أخرى : فشدة الحر والبرد تقضي على النبات . إلا أن دار الاسلام لا تتعرض إلى الحر الشديد الذي يفترض أنه يتنافى مع جميع أشكال الحياة على مقربة من خط الاستواء . أما البرد القارس ، فيسود في جبالها ، مما يدعو المقدسي إلى وضع هذا المبدأ العام في حديثه عن اقليم فارس : « اعلم أن بفارس صروداً لا يثمر فيها الأشجار من شدة البرد ، ولا ينعش فيها الزرع » (٢٠٨٧) . وتحدد هذه الشروط بالاستدلال بالتناقض ، المناخات التي تنتمي إليها النباتات والمزروعات في دار الاسلام في العام ألف ، أي المناخات المعتدلة والباردة أو الحارة ، والجافة أو حتى المدارية في وادي نهر مهران على الأقل .

وتبين الأراضي المزروعة والأراضي غير المزروعة من النظرة الأولى على وجه الاجمال. ويتأمل المصنفون في دار الاسلام من أقصاها إلى أقصاها . ولا تفوتهم أصغر واحاتها ، ولا أضيق رقعة اقتطعت من المفازة ، ولا الجزر ، ويعددون الزرع أو الزروع أو المزارع ، المروية

أو المسقية بالدلاء أو بماء المطر وحده (مباخس ، بعل ، عذى) والغلات ، و « السواد » الذي يتمايز بخضرته عن البادية المجاورة له ، والضياع . ويشيدون بها جميعاً أحياناً ، ويذكرون تشابك نباتها وتنوع زروعها (٢٠٨٨) . وعلى النقيض ، يبرزون الترب الفقيرة ، أو الأراضي العارية والزروع الموقتة أو المتقطعة (٢٠٨٩) .

وقد قلنا من قبل إن النبات الغذائي على وجه التخصيص ، لاينتمي إلى علم النبات ، بل إلى الجغرافية البشرية ، ويتوارى وصفه وراء ما يصنع به الناس الذين يعيشون من استهلاكه أو من حمله إلى نواحي أخرى في بعض الأحيان . والمثال الشهير عليه الحبوب التي تحمل من مصر كل أسبوع إلى المدن المقدسة في جزيرة العرب (٢٠٩٠) وهكذا يعد أحد البلدان خزانة أو مغيثة أو سوقاً أو متجراً للحبوب على وجه التخصيص (ممطار) . وتحوله هذه الثروة وتجاراته الأخرى إلى خان أو مطرح ممتاز أو فرضة بيع وشراء ضمن أحد الأقاليم أو بين اقاليم متعددة . وقد تدعى إحدى النواحي خزانة ، تقنياً أو رسمياً ، بمعنى أنها تقوم بتموين إحدى المدن الكبرى أو كل البلاد (٢٠٩١) .

وعلى هذا النحو ، تستعرض المصنفات أعمال البشر وأفراحهم في الحديث عن أعشاب الحقول وأشجار المشاجر : كالحصاد والخبز ومعصرة الزيت وأشربة الثمار والخمر والحلوى . . . وهذا تحويل أزلي أراده الله . فمن جهة أولى ، يطبع الانسان الأرض بطابعه ، ويصلحها ويحرثها ، ويتنازل عنها أحياناً ، شاء أم أبى ، إلى السلطات العامة (٢٠٩٢) ، ويجعلها وقفاً للجهاد (٢٠٩٣) أو يدخلها ضمن أسوار إحدى المدن الكبرى (٢٠٩٤) مع الربض . وعلى النقيض ، فرض النبات

التقويم الزراعي على البشر قبل الاسلام بكثير : ففي فلسطين ، يقع عيد الصليب وقت قطاف العنب، وعيد لُدّ وقت الزرع (٢٠٩٥) ، في حين ثابرت الأرياف المصرية على التقيد بسنة مازالت قائمة عندهم منذ عهد فراعنتهم وعهد يوسف وموسى (٢٠٩٦) ، تقضي بربط توالي أعمالهم الزراعية وأيامهم (٢٠٩٧) بالأشهر القبطية القديمة وبنهر النيل . وفيما يلي خلاصة عن ذلك : ففي شهر بابه (تشرين الأول) ، يتكامل ري الأرض ، وفي شهور هتور يبدأ الحرث ويحصد الأرز ، وفي شهر كيهك تزرع الزروع المتأخرة ، وفي شهر برمهات (آذار) يزرع قصب السكر ، وفي برموده (نيسان) وبشنس (أيار) يطلق الحصاد لجميع الناس ، أخيراً شهر ابيب (تموز) أصل زيادة ماء النيل ، ويستتم فيه ثلاثة أرباع الخراج ، وفيه يزرع الأرز بالفيوم .

وسوف نميز الحقل والبستان والمتجرة في هذا التنوع الهائل من النبات . ولن ننسى مااستعرضناه من أوجه الابهام في ضروب هذه التصنيفات . ولدينا تصنيف جديد يتناول محتوى الحقل بالذات . ونحن نبدأ ببحث الحقل المألوف (العادي) ، إذا جاز لنا هذا التعبير ، ونرجيء إلى وقت لاحق دراسة مافيه من نباتات أخرى . ونقصد بالحقل المألوف حقل الحبوب ، وفي طليعتها القمح ، التي تحوز معظم الحقل في أغلب الأحيان ، أو أيضاً معظم المشهد الطبيعي على وجه أعم . وتشهد كثرة التدوينات على صحة هذا الواقع (٢٠٩٨) . لكن كيف يعبر عن الحبوب بأجمعها ؟ هل يستعمل لفظ الحبوب بالذات ؟ لايشك أحد في هذا الاستعمال ، ولو سوغ لنا التفكير في بزوربستان البقول وحتى في بعض الثمار (٢٠٩٩) . ويختار المصنفون أحياناً لفظ زرع (جمعه

زروع) أو مزارع – الذي مر معنا ، ويعني البذور التي تزرع ، أو المزروعات ، أو بالأحرى الحبوب (٢١٠٠) دون استبعاد غيرها . وأورد لسان العرب هذا المعنى بوضوح تام وقال : « والاسم الزرع وقد غلب على البر والشعير ، وقيل الزرع نبات كل شيء يحرث » (٢١٠١) . ويوصلنا شرح لفظ خيرات إلى نتيجة مماثلة ، لأنه يعبر حرفياً عن أفضل الأشياء أي الحبوب ، أو عن المواد الغذائية والمحاصيل (٢١٠٢) ، وهو اقرب إلى المعنى العام والأصلي .

إذن تسود الحبوب في الحقل ، دون أن تشغل أرضه بتمامها . فهي غالبة فيه ، وسمته الكبرى والحقيقية . بالتالي ، نقترب كثيراً من الصواب إذا قلنا إن الحبوب هي المقصودة بجميع الألفاظ التي سميناها ، ومنها كلمات زرع وزروع ومزارع التي اعتبرناها مصطلحات عامة تتناول مجمل الأرض المزروعة (٢١٠٣) . فماذا يقول المصنفون ؟ يقولون إن الحبوب تتوفر في جميع الأماكن أو تكاد ، ولا يقتصر وجودها على « الخزائن » التي أشرنا إليها من قبل ، وعلى « بلدان الحبوب الحقيقية ، بل يشمل أيضاً المزروعات الأقل قحطاً في البوادي (٢١٠٤) ، وحتى في النواحي التي تشتد قسوة البرد فيها ، وتستبعد زراعة الأشجار المثمرة والبقول (٢١٠٥) . ويثبت هذا الانتشار ان الحبوب سيدة جميع الزروع ، لا بسعة حقولها فحسب ، بل أيضاً بمرتبتها في تدريج قيم المزروعات ، لأن صفاتها تسمح لها بتغذية البشر في الأماكن التي تعجز النباتات الأخرى عن تقديم القوت لهم . ويستشهد ابن الفقيه (٢١٠٦) بآيات قرآنية في الجدل بين أنصار النخلة وأنصار الحبلة (البصريين والشاميين) ، ويبرهن أن مشيئة الله جمعت الحب والكرم

والنخل وجعلت الحب في مكانته من التقدم ، والنخل في ترتيب من الخلف (٢١٠٧) والكرم بينهما .

فلأول وهلة ، تتميز حقول الحبوب بوجود الحبوب فيها ، ويشار إليها على حالها بلا تعليق أو توشلك . ونكاد نتصور المحصول أو الدرس ، والبيادر داخل الحصن ، والحصاد ، والاكرة والحواصيد في سوق الموصل (٢١٠٨) . وفي أغلب الأحيان ، تعطى مكاييل الحبوب(٢١٠٩) ، وحقل الخراج والكرى (٢١١٠) ، أو التجارة أيضاً ، ويرد ذكر بعض منتجي الحبوب الكبار ، مثل مصر ونواحي نهر الأردن ، والجزيرة وخراسان (٢١١١) . ويختلف وضع هذه الأقطار التي تزرع ما تستطيع ، وتشبع ، وتربح من مواسمها ، عن وضع بعض المدن التي تفتقر إلى القوت : مثل بغداد التي تأتي ميرتها من الموصل ، والمدن المقدسة في جزيرة العرب التي تحمل ميرتها من مصر بلا انقطاع ، والاهواز ، مصر خوزستان التي يجلب إليها الدقيق من البعد (٢١١٢) ، وعن وضع كرمان وفرغانة ، ونواحي بحر الخزر ونهر جيحون ، التي يقول عنها المقدسي إن رغفانهم صغار وفراسخهم كبار (٢١١٣) .

القمح والخبز

تكفي قرينة واحدة لاقناعنا بأهمية القمح في نظر الناس في العام ألف في الشرق ، ولا نقصد بهذه القرينة كثرة ورودها في النصوص الجغرافية ، بقدر ما نعني طريقة الاشارة إليها . فمن جهة أولى ، نبرز ، مثلما فعل ابن حوقل ، وجودها من المغرب إلى طرف دار الاسلام الآخر ، باستثناء بعض الاغفالات ، وحتى ضروب الضعف كما هي الحال في سواحل بحر الخزر الجنوبية (٢١١٤) . من جهة ثانية ، نلاحظ

بذل جهد ، طاريء لكن أكيد ، يتوخى تمييز الأنواع المتوقعة . فاذا استعرضنا معنى ألفاظ القمح والحنطة والبر استناداً إلى آراء فقهاء اللغة ، وجدنا أنهم يؤكدون أن القمح هو النبتة من لدن انضاجها إلى اكتنازها ، وأن البر أفصح من قولهم القمح والحنطة (ابن دريد) (٢١١٥) . أما اليعقوبي والمسعودي (٢١١٦) ، فيتحدثان عن قمح مصر ، بخاصة عن القمح اليوسفي المجزع ، وهو أعظم القمح حباً وأطوله شكلاً وأثقله وزناً (٢١١٧) . ويذكر ابن حوقل قمحاً (بذراً) ، يزرع في المغرب على تخوم المفازة ، يحصد على تواتر السنين بسنبل لا يشبه سنبل الحنطة ولا الشعير ، وخلقه ما بين القمح والشعير (٢١١٨) . أما ابن رسته ، فيقول : « وطعامهم (أي أهل صنعاء) البر النقي والعلس ، وهو شبيه بالحنطة ، إلا أنه أدق من الحنطة في سنابل لاتشبه سنابل الحنطة ، عليها قشرتان إحداهما قشرة المسنبلة ، والأخرى قشرة مقاربة لقشرة الأرز . فيقشر من قشرتيه ، ويطحن ، ويخبز فيوجد طعمه أطيب من طعم خبز الحنطة » (٢١١٩) .

وعلى وجه التخصيص ، يعمل أهل دار الاسلام في حصاد القمح دفعتين ، كما هي الحال في اليمن (٢١٢٠) وفي طحنه وكيله ودفع ضريبته وحمله إلى سائر النواحي (٢١٢١) . ويضنعون منه الدقيق والخبز . ويسمى الطحين باسمه الشائع الدقيق (ارد بالفارسية) (٢١٢٢) الذي يشاد به بشكل أدق « الحوارى » وابيضها (٢١٢٣) أو بشكل مستحضرات لذيذة كالكعك والحلوى المحشية بالسمن والعسل أو عصير الفواكه (٢١٢٤) . لكن من يتحدث عن الدقيق ، يعني الخبز والرغيف المعروف في سائر الشرق (٢١٢٥) ، ويدون المقدسي وجوده بانتظام وأمانة ، ويطرى عليه متى تسنى له .

ولنبدأ باستهلاك الخبز ذاته . فهو مصنوع من القمح وحده في الفسطاط ، وفي جميع الأماكن تقريباً ، ما عدا خوزستان حيث ينافسه خبز الأرز ؛ والسند حيث أكثر طعام المسلمين الحنطة وغير المسلمين الأرز (٢١٢٦) . وتوحي بتدوينات كثيرة وفرته أو ندرته وما يترتب عليها من اختلاف الأسعار . ونذكر حالتين قصويين : فمن جهة أولى تقع مفازة فارس حيث لا خبز إطلاقاً ، ومن جهة ثانية الأرياف التي فيها خباز على كل فرسخ ، والمدن التي لا يباع فيها الخبز بل يقايض بصنف آخر أو يعطى (٢١٢٧) . ويعتمد الحكم على جودته على الذوق أو على أثره في الهضم . ويأتي العجين السيء التخمير ، وهو « حساء » حقيقي في أدنى الدرجات ، ثم الاخباز الرديئة التي يصعب ابتلاعها لشدة ثقلها أو يسهل كثيراً ولا تشبع . ويحتل أعلى المراتب خبز الدقيق الأفضل ، والخبز المؤنق ، الشهير والممتاز والفريد ، الشيق الطعم الدسم كأنما عجن بالزيت والادهان (٢١٢٨) . وفي جميع الأحوال ، نقصد الخبز الذي يجهز بعناية وبالوسائل المتوفرة ، التقنية أو المالية . ففي اقليم الشام ، برستاق ايليا ونابلس في الحد الأدنى ، للقرياتيين الطوابين ، تنور في الأرض صغير ، يفرش بالحصى ، ويوقد الزبل حوله وفوقه . فاذا احمر طرحت الأرغفة على الحصى . أما في اقاليم مصر ، فيخبزون في الرساتيق ، وقت البيادر ، ما يكفيهم إلى عام قابل ، ثم ييبسونه ويخبونه (٢١٢٩) .

الشعير والأرز والدخن والذرة

واليمن أرض شعير ممتازة ، تعطي ثلاث دفعات منه وأربعاً (٢١٣٠) . ويعثر عليه أيضاً في جميع الأماكن تقريباً ، حتى في اقاليم

فارس في الحد الأدنى ، إنما ليس بتواتر القمح بلاريب . وان كان يرى بجواره في الطبيعة والنصوص . ويلح ابن حوقل على وجوده في المغرب بوجه خاص ، ويشير في سياق بحثه إلى البلدان الفقيرة به ، مثل تخوم الصحراء في المغرب بالذات أو سواحل بحر الخزر الجنوبية (٢١٣١). أما المقدسي ، فلا يتحدث عن الشعير إلا في سياق كلامه عن المكاييل والخراج (٢١٣٢) ، وينتهزها فرصة ليقول ، استطراداً ، إن الشعيرة تستعمل في قياس الأطوال (٢١٣٣) أو في عيار العملة المسكوكة (٢١٣٤) . من ناحية أخرى ، يؤكد ابن حوقل في حديثه عن جبل نفوسه في طرابلس الغرب ، ان خبز الشعير ينفرد بلذة ليست في خبز إلا ما كان من سميذ أو حوارى قد تأنق صانعه فيه . مع ذلك ، يرى ابن حوقل على الأقل ، فيمايبدو ، ان هذا الغذاء غير مألوف . إذا أخذنا نصه حرفياً إذ يقول « وأكثر زروعهم الشعير ، وإياه يأكلون » ، وتتمة الجملة مضمرة : لا القمح (٢١٣٥) . ولا يقل الوضوح في تعبير المقدسي عنه في تعبير ابن حوقل ، رغم طرقه الملتوية. فهو لايتحدث مطلقاً عن احتمال استهلاك الشعير إلا في كلامه عن فئة من الناس ، صغيرة جداً ، وهامشية ، وفقيرة اختياراً ، تقيم في جبل الجولان ، عددها أربعون رجلاً ، لباسهم الصوف ، ولهم مسجد يجتمعون فيه ، ويتقوتون بالبلوط المر ، يفلق ويحلى ثم يطحن ، وثم شعير بري يخلط به (٢١٣٦) . فلاشيء أفضل من حياة الزهد والتصوف للتعبير عن البون الشاسع الفاصل بين الشعير والقمح السائد .

أما الأرز ، فلا يساورنا الشك بأنه أحد الحبوب الرئيسية في الحياة اليومية . ويبدو انتشاره عكس انتشار الشعير : فالمغرب خال منه ؛

في حين يحتل مكاناً واسعاً على الخريطة في مشرق دار الاسلام وفي السند . ويضم المنتجون الكبار اقليم مصر بما فيه واحات غرب النيل واليمن ، والجزيرة ، وخوزستان ، وبلدان ساحل بحر الخزر ، وخراسان ، وفرغانه . وتأتى على رأس الجميع البلدان التي يحمل منها الأرز ، مثل الفيوم ، وصعيد مصر ، ووادي نهر الأردن ، وفارس ، ونواحي هرات وبلخ ، وغرجستان ، والسند (٢١٣٧) . وتعطى براهين عديدة على أهمية الأرز ، منها مكانته في العقود (٢١٣٨) ، واستعمال حبته (ارزة ، تمونة) في المكاييل أو عيار العملات المسكوكة (٢١٣٩) ، والاعتقاد السائد باثر الأرز في الماء الذي يجري على مزارعه فيصير حاراً وغير صحيح (٢١٤٠) ، وأخيراً استهلاكه خبزاً . وخبز الأرز غذاء رئيسي في خوزستان ، وبلدان ساحل بحر الخزر ، وعند سكان السند غير المسلمين (٢١٤١) كما مر معنا . مع ذلك ، تبرز قيمة الأرز الذي يدقق اكله الاخصار ،ويعتبر دوماً أخف من خبز القمح الرديء (٢١٤٢) . ونختتم بالقول ان الرز نقل في الماضي من الأودية الجافة في آسية الوسطى (٢١٤٣) ، ثم انتشر في مساحات شاسعة من دار الاسلام . ولعله حل محل القمح والشعير أحياناً . وتعطي مطالعة الاصطخري وابن حوقل الانطباع بأن اتساع رقعته سار في هذا الاتجاه في خوزستان بين عامي ٩٣٠ و ٩٧٠ (٢١٤٤).

ويتفوق القمح والأرز معاً تفوقاً كبيراً على سائر الحبوب . ونود أولاً ان نحسم قضية الذرة الصفراء . فلا نزاع (٢١٤٥) في أصلها الامريكي ،.فيما يبدو ، رغم تمسك المعترضين باعتراضاتهم وبراعتهم . وبقيت قضية النبتتين — أو النبتة الواحدة ؟ — المعروفتين بلفظتي ذرة

(٢١٤٦) ودخن أو جاورس باللغة الفارسية ، القريبتين من بعضهما (٢١٤٧) . فالنصوص الجغرافية غامضة في هذه الناحية ، وغموضها متقن ، ولاشيء فيها يسمح بالتفريق بينهما بوضوح . وتختلط جميع الأفكار في تاريخ هذه النجيليات القديم المبهم أيضاً . فبعض أنواع الذرة (٢١٤٨) ، وان كنا نعيد أصل الذرة إلى افريقية بطيبة خاطر بالغة . وتتوزع أصناف الدخن على افريقية وآسية (٢١٤٩) . فما علينا اذن إلا أن نحافظ مع المصنفين على غموضهم الذي يحد منه شبه النبتتين . وتنتشر الذرة أو الدخن ، والدخن لا يذكر إلا قليلاً ، في دار الاسلام في آسية الوسطى (٢١٥٠) ، وفي ناحية اصفهان ، وفارس ، وتخوم الصحراء الكبرى في المغرب وليبيا . وتكثر في بعض الجهات مثل سباخ السند حيث يأكل الزط خبز الذرة ، وفي كرمان ، وبعض السواحل التي تعتبر الذرة فيها الزراعة والغذاء الرئيسيين ، هي والتمور ، وأخيراً اليمن بخزائن ذرتها التي كانت « تحفظ مدة طويلة » (٢١٥١) قبل ظهور بندقية قرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر .

وهكذا ، نستطيع أن نعتمد على نصوص الجغرافيين ، ونلخص مشهد الحبوب في دار الاسلام حوالي العام ألف في بعض الملامح البسيطة . فاذا اعتبرنا المساحة ، أتى القمح في الطليعة وتقدم كثيراً على سائر الحبوب ، وتوزع على جميع الأماكن أو كاد ، وشمل حتى أودية الجبال وواحات المفازة وتخوم البوادي . ويصحب الشعير القمح في الغالب ، لكنه لا يجاريه في الاتجاه نحو المشرق ، فيمايبدو ، وعلى النقيض ، لم يشر إلى زراعة الأرز إلى غرب اقليم مصر . أخيراً تتبعثر أنواع الذرة والدخن هنا وهناك ، وتكثر في بعض النواحي . ويزداد

وضوح الرؤية . إذا اعتبرنا غذاء البشر واستجليناه تماماً كما فعل مصنفو الجغرافية . فعلى هذا الأساس . ساد نوعان من الحبوب ، وبقيت الأنواع الأخرى على الهامش ، اذ ان دار الاسلام كانت آنذاك دار للقمح أولاً ودار الأرز ثانياً .

السكر تالي الخبز

وقصب السكر ، أو القصب باختصار (ناي في اللغة الفارسية) (٢١٥٢) نبات من فصيلة النجيليات ، لا يهتم أحد ببزره ، وتطغى عليه قيمة منتجه السكر (٢١٥٣) . ولاريب انه ينمو في المناطق الحارة أو المعتدلة الحارة الغربية ، أي في جنوب المغرب ، وفي صقلية ، ومصر ، واليمن وبعض رساتيق فلسطين ، وساحل لبنان ، وسواحل بحر الخزر ، وخراسان حول بلخ ، ومشارف بحيرة خوارزم ، والبلدان الواقعة على سواحل الخليج وبحر الهند الشمالية مثل خوزستان ، وفارس ، وكرمان ، ومكران ، والسند .

ويغفل المصنفون كل شيء عن النبتة ذاتها وعن محصولها واستغلالها . ويشير ابن حوقل إلى زراعة قصب السكر في شهر برمهات (آذار) ، وإلى معاصره (٢١٥٣ مكرر) دون أن يصفها . ويعني الجغرافيون بالأسعار والمكاييل والتجارة في المقام الأول ، ويقولون إن السكر يحمل من كرمان والسند ومكران أيضاً. ويذكرون ان قصب السكر يزرع في جميع أنحاء (٢١٥٤) اقليم خوزستان الذي يحمل سكره إلى بلدان الاعاجم والعراق واليمن (٢١٥٥) ، وان عامة سكر خراسان والجبال من جند يسابور وحدها .

ويهتم المصنفون كثيراً بالسكر . ويتحدثون عن نوعيته : فهو رديء في لورستان ، وممتاز في السند ، وفلسطين ، وخوارزم قرب بحيرتها ، حيث حلاوته شديدة جداً . ويرد ذكر السكر ذاته باسمه المعتاد (سكر) ، ويوصف بأنه أحمر (٢١٥٦) وفي أغلب الأحيان قند ، وأبيض ، ومصفى (فانيد ، فانيد) (٢١٥٧) ، ونقي أو متخذ بالكمون (٢١٥٨) . ويتدخل الشره أحياناً ، فيمص أهل طبرية قصب السكر ويزمرون ، ويبدون قليلي التهذيب (٢١٥٩) . وفي فلسطين أناس من أصحاب الأذواق الرفيعة ، يتخذون من السكر ناطفاً (٢١٦٠) وبعض الأشربة على وجه الدقة مثل « عسل القطر » (٢١٦١) . وتعبر هذه المستحضرات تعبيراً كافياً ، هي وتكرار ذكر قصب السكر في النصوص الجغرافية ، عن تطور هذا القصب (٢١٦٢) وعن تزايد توسع الناس في ادخال سكره في استهلاكهم اليومي .

البستان : أرض غامضة الأوصاف

استعرضنا في مطلع هذا الفصل جملة المصطلحات المشكوك في مدلولها ، من أبرزها « البستان » ، الذي كان يقوم على أراضي واسعة من دار الاسلام حوالي العام ألف . فماذا قصد المصنفون به ؟ لقد تواتر استعمال لفظه على نطاق كبير في النصوص الجغرافية ، وجاء معناه واضحاً في بعض مقاطعها ، منها مقطع ورد عند المقدسي (٢١٦٣) ، يقول فيه إن هراة « بستان » خراسان . وهراة واقعة على الخريطة على طرف هذا الاقليم . فلابد ان هذا المؤلف أراد أن محاصيل بستانها تحمل إلى سائر نواحي خراسان . مع ذلك ، نعود إلى الشك ، ونتساءل : هل اقتصرت محاصيل البستان على البقول وحدها ، أم شملت الفواكه أيضاً ؟

ولا يلتبس معنى البقول . ولا ينكر أحد أنها من نبات البساتين ، وبتعبير آخر ، انها مما ينمو من بزر ، ويجنى عاماً بعد عام ، وانها تختلف عن الحبوب التي تطلق على أنواعها أسماء خاصة ، وانها تعرف بالخضرة (٢١٦٤) على وجه العموم . أما سائر نبات البستان أو الجنة (٢١٦٥) فيكتنفه الغموض في أغلب الأحيان . ويحول هذا الغموض دون تمييز المبقلة والمشجرة والمتنزه أحياناً ، ويعبر أفضل من أي تدوين آخر على الأرجح ، عن غنى بالزراعة الكثيفة جداً ، وعن الجهد المبذول لنيل قدر أعظم من غذاء البشر وللحصول على جمال المشهد (٢١٦٦) بالتالي تصبح الخضرة أو الخضر ، من هذه الناحية الاجمالية العائدة إلى المشهد ، ما يؤكل (٢١٦٧) أو على الأعم ما يتميز به المشهد المزروع أي المزارع .

اذن نحن عاجزون عن إزالة الغموض . ومادمنا على هذه الحال ، فلنحدد الاتجاهات التي يجرنا عجزنا إليها . فالملحوظة الأولى أن المبقلة والمشجرة تتشابكان وتلتفان . ويتحدث المقدسي عن غرناطة ، ويقول إنها على واد ، منية ، أي « حلم » على حــد زعمنا ، لكن في الواقع سهل خصب أو ريف ينتج ثماراً — يذكرها ويشيد بها المقدسي (٢١٦٨) — ونباتات أخرى . ويستفيض في وصف البستان في مكان آخر (سابور) فيمشي تحت ظل الأشجار طبعاً ، ويرى ثماره الدانية ، ويعددها ، ويغفل ما تبقى ماعدا قصب السكر والبنفسج والياسمين (٢١٦٩) .

ويوسع هذا النص الأخير ، كما يتضح لنا ، مدلول المشجرة بالذات ، فيستطيب طعم فاكهتها ، ويبهج الناظرين برؤيتها ، ويجعلها تعبق بروائح أزاهرها . ويعود المقدسي (٢١٧٠) فيما بعد إلى بساتين شهرستان ، فيقول إنها تعبق بروائح الياسمين . إلا أن الياسمين لا يزرع

لجماله فقط . فمنه تستخرج عطور تجني التجارة أرباحاً منها. ومن ينكر أن رؤيته لا تثير حماس الزوار ؟ فالبستان ليس بالتالي مبقلة أو مشجرة أو كليهما فحسب ، بل هو أيضاً متنزه . ويتحدث المقدسي إياه (٢١٧١) عن دار بناها عضد الدولة بشيراز ، وخرق حولها الأنهار ، وأحاطها بالبساتين والأشجار . ونظن ، ولا نخشى الزلل ، ان تصميم هذه الدار وما حولها من أشجار مثمرة أو غير مثمرة ، استهدف ابهاج الملك . بهذا المعنى يستعمل لفظ الجنة أحياناً : فالمقدسي يذكر في حديثه عن بيت المقدس ، جنان ربضها سلوان وبساتين وادي جهنم بعد بضعة أسطر ، أما ابن حوقل فيجمع البساتين والاجنة في كلامه عن مصر (٢١٧٣) . وترتسم هنا بداهة صورة بستان آخر يؤمن الغذاء ويسر الحواس تماماً . ويتسامى أو يسمو باقترانه بلفظ جنة ليرتفع إلى مستوى صورة الجنة العليا أي الفردوس الذي يعتبر جنة قبل كل شيء (٢١٧٤) . ولنذكر بهذا الشأن أن جنات الدنيا الأربع ، وانها تدل أمام أعيننا المبهورة على أغنى الجنات وأنزهها (٢١٧٥) .

لكن تتبسط الأمور كثيراً إذا كانت الجنة تتميز بافعل التفضيل (٢١٧٦) : فلفظ البستان يؤدي (٢١٧٧) معنى البهجة في أغلب الأحيان . لكن ماذا نفعل عندما تترافق الجنة ولفظ آخر ، مثل روضة (جمعها رياض) التي تدل على البستان النزه ، الذي يروق للناظرين ؟ فهل يستدل من استعمال لفظي جنة وروضة ان الأمر إطناب عادي أم أن الجنة تحولت باقترانها بالروضة إلى بستان عادي (٢١٧٨) ؟ لكن هل نحن واثقون من معنى « الروضة » ؟ لاريب أن معاجم اللغة تقول إن الروضة بستان حسن ، أو موضع يجتمع إليه الماء ، ويكثر نبته ، والا يقال في

موضع الشجر روضة . والروضة عشب وماء (٢١٧٩) في برية على وجه التخصيص . فجميع هذه « الرياض » ، الطبيعية أو غير الطبيعية ، تقترن في النصوص الجغرافية لا بالمزارع (٢١٨٠) وحتى بالمراعي (٢١٨١) أو المتنزهات ، في اصفهان وسواها (٢١٨٢) . وترد أسماء أخرى مع الروضة أو عوضاً عنها وبالمعنى ذاته (٢١٨٣) ، خاصة منتزه في نصيبين أو الفسطاط أو ما وراء النهر (٢١٨٤) . والمنتزه مشتق من نزه ، والمكان النزه هو البعيد عن فساد الهواء ، الهاديء ، الذي يرتاح الانسان لوجوده فيه ، وقد يكون البستان بالذات ، يسلي لتبرز لذة التمتع به البسيطة (٢١٨٥) .

وقد قلت من قبل إن البستان رقعة غامضة الأوصاف . فالألفاظ تعبر تارة على غرار ما فيه من نبات ، عن مداليلها بدقة ، وطوراً عن مغاني متشابكة . مع ذلك ، يزول هذا الغموض تلقائياً عندما يتحول إلى معلم ، ويؤدي ما تعنيه الحيرة من انتشار النبات بكثرة . من جهة أخرى ، يسهل جلاء الغموض بالعودة إلى النص في أغلب الأحيان . فبساتين القصور أو المدن الكبرى نضرة وملتفة الأشجار . وبساتين الأملاك الواسعة مباقل وأنوار . أما بساتين القرى فتجنى منها المواد الغذائية على العموم . وتزيل تسمية النبت المزروع فيه ما يتبقى من الشك في ذهن القاريء .

بالتالي ، فيما عدا التحفظات التي أبديناها ، وبالتقريب الذي يحتمل أن يطرأ ، يحتل المنتزه أو البستان المفيد ــ مبقلة كان أو مشجرة ، أهمية كبرى في مشاهد دار الاسلام (٢١٨٦) ، وقطعاً في حياة أهلها . والشاهد على صحة هذا القول حرص المصنفين على ذكر البلدان المتوفر فيها

أو المحرومة منه (٢١٨٧) . وبذا تصبح دار الاسلام أشبه بنضور ، متقطعة حتماً ، إنما كثيفة عندما تسمح بها التربة . ولا يظهر فيها الخلاء المحدد على الخرائط ، بين المساحات العامرة الكبرى ، أو بين مراكز الحياة الصغرى ، إلا من جراء شدة المناخ . فالبرد في جبال فارس وآسية الوسطى (٢١٨٨) أو قسوة المفاوز في خراسان مثلاً وفي البلدان القريبة من نهر سيحون ، يثبتان ان سلطة البشر على الأرض ليست مطلقة ولا دائمة .

لكن لنتحدث عن مآثر الانسان أي عن بساتينه . فهي تتوزع على حضيض الجبال والأودية . وعلى السهول الساحلية وسهول الهلال الخصيب ، وعلى أحواض الأنهار الكبرى في مصر والجزيرة ، وحتى في بعض الأنحاء الجافة ، العالية كما في اليمن ، أو المروية في الواحات الصحراوية الرائعة . وتتجاوز بعض التدوينات الأخرى النطاق الضيق لجغرافية الأرض أو الهواء أو الماء ، وتحدد قيمة البستان في حياة المجتمع . فلاريب أن أهمية البقال عند المسافر تضاهي أهمية الخباز . ويطرى على كل بلد فيه خباز وبقال في كل فرسخ (٢١٨٩) ، وحتى على المفازة عندما يعثر في كل من منازلها على بقال مقيم ترسله العناية الالهية (٢١٩٠) . مع ذالك . الحقيقة ان البستان يختص بالخضر بالدرجة الأولى ، وان علاقته بالمدينة على وجه التخصيص بارزة في نصوص الجغرافيين . وهكذا ، انفردت مناطق بأجمعها بتغذية إحدى المدن أو حتى أحد البلدان : مثل بساتين الطائف لمكة أو بساتين هراة لخراسان (٢١٩١) كما مر معنا . لكن يعتبر حمل البواكير (٢١٩٢) إلى مسافات قصيرة أو طويلة حلاً سيئاً ، ولو لم يتوفر سواه . وتقيم المدن ، متى تمكنت ، بساتينها عند أبوابها : مثل زرنج ، مدينة سجستان العظمى ، التي يسمى

أحد أبوابها باب الطعام يخرج منه إلى رساتيقها (٢١٩٣) . أما المدينة التي خطها عضد الدولة قرب شيراز ، فقد بناها كلها ، وشق إليها نهراً ، وجعل إلى حبها بستاناً سعته نحو فرسخ أي حوالي ستة كيلومترات (٢١٩٤) . أخيراً الحل المثالي منزل فيه لصاحبه بستان ضمن أسواره (٢١٩٥) أو المنزل مع الكرم والاصطبل أحياناً (٢١٩٦)

نبات البستان : البقول

لو فرضنا أننا ميزنا المشجرة عن البستان ، والبستان المفيد عن أحواض الأزهار ، يبقى علينا أن نعرف بهذا البستان المفيد . ونتساءل أولاً وهل يسيطر الانسان عليه تماماً ، أم انه نصف بري في بعض أقسامه ، ويتألف من نبات أخذ الناس « يستنبتونه » ؟ وهل تتطابق حدوده دوماً مع حدود المزدرعة ، أم يجنى من البراري بعض نباته الذي لا تعطى أسماؤه ؟ ونتساءل أيضاً هل البستان المفيد بستان بقول فقط أم بستان عقاقير أيضاً ؟ لاريب أنه يضم النوعين وأحياناً في نبتة واحدة . لكن لسوء الحظ ، لا يدقق المصنفون البتة في استعمالات الأصناف المزروعة . بالتالي لا بد لنا أن نعين كيفياً (٢١٩٧) قطاعات في البستان المفيد ، وان نبدأ بالنبات الغذائي طبعاً ، ثم ننتقل إلى العقاقير ، فنبات الزينة والارايج .

ولا يسع من يطالع كتب مصنفي الجغرافية ، أن يتصور بستاناً منتظماً ، بمربعاته وصفوفه ، بل يعثر على أصناف تعرض عليه تباعاً في صفحات متوالية متباعدة ، ويدخل بعضها في المحاصيل الكبرى لبلد محدد ، أو في غرائبه أو في صادراته . ولا يجد الباحث إلا تصنيفاً أولياً يكاد لا يظهر ولا يركن إليه ، يشمل القطاني (٢١٩٨) . ونقولها

مرة أخرى : يهتم المصنفون بالنظرة العامة إلى المزروعات ، وبفوائدها : كأن يكون لأهل طبرستان حدة الأبصار وحسنها من أكل الخضرة (٢١٩٩) .

ونتحدث أولاً عن « الرحالة الجليد » كما يسميه ايمانويل لي روا لادوري : أي البطيخ وما يماثله ، الذي انتقل إلى ايطالية ، ثم وصل إلى بساتين فرنسة الجنوبية في أوائل القرن الخامس عشر (٢٢٠٠) . ويسمى هذا الصنف « المبتذل » بأربعة أسماء في النصوص الجغرافية (٢٢٠١) هي القثاء (٢٢٠٢) والخيار ، والقرع والبطيخ (٢٢٠٣) . وقد يظن أن زراعته تقتصر على المشرق لأنه ينتشر في جميع أنحائه بدءاً من مصر . ويزرع في بساتين مستقلة ، ويندرج في قوائم الضرائب ويضم أنواعاً عديدة : منها خيار له « مثل شوك القنفذ » ، والبطيخ الحلو أو ما يؤكل منه مع السكر ، أو ما ينشطر إلى شرائح بطبيعته ، أو القرع الكبار ، كل قرعة مثل جرة كبيرة وكلما كبرت كثر شحمها. ويذكر لنا أيضاً بطيخ كبير جداً عجيب ، يقدد أحياناً ويحمل إلى سائر النواحي . وتسمى بعض أنواعه : مثل برنلك مرو (٢٢٠٤) ، والأزدهري باذربيجان ، وهو مستطيل الخلق قبيح المنظر ، لكنه غاية في الحلاوة (٢٢٠٥) ودستنبوي (تستر) في خوزستان وتخوم العراق وفارس (٢٢٠٦) وساف بخارى الشبيه بالأخير (٢٢٠٧) . وقد أولع الخلفاء بالبطيخ ، كما أولع به فيما بعد ملوك الغرب ، فحمل من خراسان إلى بغداد في قدور من نحاس (٢٢٠٨) . وكما حصل في الغرب ، حيث لقى أربعة أباطرة واثنان من البابوات حتفهم من سوء هضمه (٢٢٠٩) ، كذلك قد يتعرض آكله في الشرق إلى خطر الموت ، ويقال إن « بطيخ الري يقتل » (٢٢١٠) .

وننتقل الآن إلى القطاني . فالحمص يحمل من ناحية بلخ . يشيع في مصر . بل يكثر حتى ان المقدسي يعتبر انتشاره فيها كاسحاً (٢٢١١) . ويشير المقدسي إياه إلى الجلبان في مصر . ويبدو وكأنه بقل الفقراء . ويؤكد أنه أكل الخبز والجلبان بالسويق في ضيافة ابراهيم الخليل (٢٢١٢) وفي قرية حبرى ضيافة دائمة تقدم العدس بالزيت لكل من حضر من الفقراء . وفي اقليم الشام طباخون للعدس يجهزونه ويبيعونه (٢٢١٣) . والترمس غذاء أساسي في الاقليم ذاته . وأهله يملّحونه ويكثرون من أكله . والترمس في مصر على قدر الظفر ، يابس ، مرّ ، يحلّى ، ويملّح ، ويباع في الأسواق ، ويدّق ويخمّر ، ثم يطرح عايه الابازيز ، ويحمل إلى بخارى يشترونه للقدور (٢٢١٤) . أخيراً ، يرد المنج (في روذان) في سجستان (٢٢١٥) ، والباقلي أو الفول الذي يستهلك رطباً في اليمن أو يحفظ ليطبخ به البيسار ، ويقلون الفول المنبوت بالزيت ، ويسلقونه ، ويباع مع الزيتون (٢٢١٦) .

ويحوي البستان أيضاً الكرنب (٢٢١٧) ، والهليون (٢٢١٨) ، ورطباً أخضر من السلق في غاية الحلاوة (٢٢١٩) ، والعكوب ، وهو « نبات شائك حسنه العرب » (٢٢٢٠) ، والكراث الذي يتولد منه عرق المديني (٢٢٢١) ، والخس وهو من جملة البقل إلا في خوزستان (بالاهواز) ، فانه غاية ، ويفرد عن البقل في سواد العراق أيضاً (بالبصرة) (٢٢٢٢) ، والطرخون وهو ناعم مثل المرسين (٢٢٢٣) ، ويحمل بزره إلى الآفاق ، والبصل السيء السمعة الذي أفسد حواس أهل صقلية لكثرة تغذيهم بالنيّ منه ، حتى رأوا الأشياء أو أكثرها على خلاف ما هي عليه (٢٢٢٤) ، والثوم الذي يكثر جداً في بعض أنحاء خراسان والأصقاع القريبة من بحر الخزر (طبرستان) التي يمتاز

أهلها بطيب النكهة ، من أجل أكله (٢٢٢٥) ، والباذنجان الجيد في خراسان (شهرستان) الذي يمرّض في مكة (٢٢٢٦) ، والقلقاس ، وهو في مصر والشام على قدر الفجل المدور ، عليه قشر وفيه حدة يقلى بالزيت ويطرح بالسكباج ، سوداوي ، وورقه حسن يشبه ورق الموز ، ومن شق قلقاسة وجعل فيها نواة تمرة ، وغرسها في الأرض ، نبت منها شجرة موز (٢٢٢٧) . ونختم هذه الفقرة بالكمأة المذكورة بين الكرنب والترمس في لائحة ما يجتمع بكورة فلسطين ولا يجتمع في غيرها ، ونعرف حتى الآن وفرة محصولها البري وتجارتها الفصلية (٢٢٢٨) .

وتفتح بعض البقول ، كالطرخون والثوم والترمس والكمأة ، باب الحديث عن التوابل (٢٢٢٩) في البساتين . فالى جانبها نجد السمسم الذي يستخرج منه زيت السيرج ، ويستعمل حبه في صنع الحلوى مع الزبيب والجوز والفستق (٢٢٣٠) ، ثم نجد أيضاً القرنفل (٢٢٣١) ، والخردل (٢٢٣٢) ، والفلفل (٢٢٣٣) ، والكراوية (٢٢٣٤) ، والزنجبيل (٢٢٣٥) ، والكبر المربى خاصة (٢٢٣٦) ، والكمون (٢٢٣٧) ، وأخيراً في البستان البري : الغوشنة (٢٢٣٨) ، وهي فطر من نوع الفقع ، والاشترغاز (« شوك الابل ») الذي يذكر بـ Asa Fotda التي سنتحدث عنها فيما بعد (٢٢٣٩) .

العقاقير والاصماغ والراتنجات

الصحة في ما يتداوى به من النبات . وهذا هو السر . لكن هل هذا سر حقاً ؟ فجميع أنواع النبات التي مرت معنا ، أو كلها تقريباً ، تعرض في دكاكين العطارين المثالية . وسوف يضع ابن البيطار قائمة مفصلة أصنافها في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي . ويتزود

بها الصيدلاني من البستان ، زرع أم لم يزرع ، ويجدها دوماً جاهزة فيه . وتتوفر الأدوية في جميع أقسامه إلى جانب الأغذية والتوابل ، مثلما ينطوي نباته على مخاطر لأن بعضه ضار كالباذنجان والبطيخ ، كما أشرنا من قبل . بالتالي ، لابد أن يعرف الانسان جميع أنواع النبات ، النافع منها له والمؤذي ، وأن يستعمل المفيد ضد الضار عند الحاجة ، وأن يدرك كيف يتقبله جسمه بدءاً من أوسعه استهلاكاً . اذن يعرض النبات بلا ترتيب ، وتذكر الأدوية والعلاجات والعقاقير ، والمفردات ، والمعاجين العسلية ، الشعبية منها والعلمية . وقد أخذت بعض أسمائها من اللغة اليونانية (٢٢٤٠) .

ولا يتوقع أن يصف مصنفو الجغرافية النبات بالذات ، ولا أزهاره أو أوراقه أو سوقه أو جذوره أو بزوره الداخلة في تلك المستحضرات ، ولا آثارها . أفيعزى هـذا النقص إلى الجهل ؟ ربما فيما يتعلق ببعض الأصناف النادرة ، المحلية الانتشار ، أو الغريبة . مع ذلك وعلى وجه الاجمال ، يختلف الموضوع كلياً ، ولا يشكل البتة ، كما قلنا ، علم نبات ، مثلما سوف يظهر عند ابن البيطار فيما بعد ، بل علم بلدان يتسامى فوق جميع المعطيات التي يتألف منها . وفي هذا المنظور ، يحتمل أن يتخذ المصنف أحد موقفين . فاما أن يذكر النبتة في سياق كلامه عن أحد البلدان الذي يشتهر بها دون غيرها ، لأن هذا هو المقصود وليس التعمق في معرفتها : وهذا ما يهم الرجل المثقف والأديب . من جهة أخرى ، وينسى القارىء بلا ريب ، وهو يطالع النصوص الجغرافية ، ان تركيب الأدوية الطبيعية (اقراباذين) كان مألوفاً وشائعاً جداً في الماضي ، وأن الرحالة يرجع إلى المصنف الجغرافي ، ويستنير به ، ويتوقع

فقط أن يتأكد بأنه سوف يجد في البلد الذي يقصده النبات المنقذ له ، كما لو ان صاحب الكتاب شريكه في المعرفة ، يبوح له بكل شيء عندما يعطيه أحد الأعشاب .

ويشتهر بعض النبات بزيته : كالخروع (٢٢٤١) والفجل المدور (٢٢٤٢) ، والكتان وبزره (٢٢٤٣) . ويظن بأن سائر النبات يحمل أسماء يكفي ذكرها : كالصبر المعروف على أطراف دار الاسلام في الحد الأدنى في جزيرة اسقطرة ، وكالسنا ، والجنطياني ، وبزر قطونا ، والراسن ، والبادرنك ، والخولنجان ، والترذوغ (٢٢٤٤) . وتعطى بعض التفاصيل الدقيقة عن هذا النبات أو ذاك أحياناً : كالجدامية ، وهي نوع من التمر ينفع من البواسير (٢٢٤٥) ، وحب الزلم وهو عسقول سعد جيد للجماع (٢٢٤٦) . أخيراً الكيلكان ، وهو كراث بري ، « عظيم » خاص بخراسان وما وراء النهر (٢٢٤٧)

ويعثر في إحدى زوايا البستان ، البري طبعاً ، البالغة السرية على الأرجح ، على الترياق (٢٢٤٨) لأن خصائص هذا النبات تقاوم أذى لدغ الحيات والعقارب ، المشار إليه في الفصل السابق . فباصبهان نوع من الخلاف ، زكي الرائحة ، يربّى به السمسم ، فينفع دهنه من لسع الجرارات ، ومنه يحمل إلى الاهواز ، وقد امتحن فوجد نفعه (٢٢٤٩) . وباصبهان ذاتها أيضاً حشيشة يسمونها المخلصّة أي « المنقذة » ، لعلها كتانية ، تنفع من لسع الحيات ، اثارها أمير اصبهان ، وتعجب من غفلة أهل البلد عنها ، فوصفها ونبّه عنها ، فاستعملها الناس بعده (٢٢٥٠) . أخيراً في خراسان حشيشة أخرى قليلة ، لم يذكر اسمها ، تنفع أيضاً من لسع الحيات (٢٢٥١) .

ولا نخرج عن نطاق المداواة ، ان نحن أحصينا مع مصنفي الجغرافية بعض الاصماغ والراتنجات. فقد كان ابن البيطار يستفيد منها (٢٢٥٢)، ويبدو بعضها شهيراً جداً . ففي اصبهان ، السكبينج ، الذي يعتمد عليه الأطباء « ويدخلونه في كبار الأدوية » ، ولا يوجد إلا في هذا الموضع (٢٢٥٣) على حد قول ابن رستة . وتنتج جزيرة العرب دم الأخوين الذي يضاف إلى المسك ، وخوارزم الكهروا (العنبر الأصفر) (٢٢٥٤) . وفيما يلي أشهر النبات : أولاً العصب ، وهو نوع من القتاد ، يشبه صمغه صمغ الكثيراء ، وتملأ اليمن به الدنيا (٢٢٥٥) ، على حد قول ابن الفقيه . وباقليم فارس ، شجر مثل الشوك ، يسمى نواره العنزروت وهو Sarcocollier (٢٢٥٦) والانجزان ، وهو Asa Foetida ويعرف صمغه بالحلتيت الذي يرتفع من مفازة سجستان فيما بينها وبين مكران غلة عظيمة منه حتى انه غلب على طعامهم، ويجعلونه في عامة أطعمتهم (٢٢٥٧) . والبلسم نبت يزرع كالقضبان ، ويتخذ منه دهن البلسان في الربيع لا يعرف بمكان من الأرض إلا في مصر ، ويؤكل لحاء هذه القضبان (٢٢٥٨). أخيراً المن شيء يسقط على الشجر في الجزيرة وارمينية وحتى في ما وراء النهر (٢٢٥٩) .

الأزهار والارايج

ونطل بالاصماغ والراتنجات ، على بستان آخر ، مزروع أو بري ، نعني بستان العطور . وتكثر الألفاظ الدالة على العطور ، ويتناسب عددها مع الغنى بها . وتذكر حوالي عشرة أسماء في المشرق (٢٢٦٠) تعرف في بعض الأماكن في فلسطين واليمن واقليم الجبال والجزيرة وخوزستان وخراسان وما وراء النهر ، وفي كل فارس والهند المسلمة

(السند) . ويشار في هذا البحث إلى بعض الجنان ، وإلى روعة تفتح آلاف النواوير في وقت واحد (٢٢٦١) ، وإلى الأزهار البرية المباحة كلها (٢٢٦٢) ، وإلى البساتين العابقة بروائح الياسمين (٢٢٦٣) ، وإلى « أنواع النواوير الحسنة ، المختلفة الأشكال ، الطيبة الارابيج والاصباغ (٢٢٦٤) .

ولنميز أولاً نبات العطر الحقيقي ، أقصد ما لايجمع منه طيب الرائحة إلى روعة المنظر ، وماليس زهراً . فالاغلاجون (عود الند) أو عود العقاب ، وحتى العود الممتاز باختصار ، يأتي من الهند المسلمة (السند) اومن غيرها (٢٢٦٥) ، كالسنبل الهندي . ويتحدث اليعقوبي عن الأودية التي ينبت فيها هذا السنبل وعن كثرة الأفاعي فيها ، وليس يأتيها أحد الا وفي رجليه خف طويل غليظ منعّل بالخشب أو بالحديد . وهو ضربان ، ضرب يضرب لونه إلى الصفرة وضرب آخر إلى السواد . ويحصد جافاً ، ويتـّقى في جمع الأسود منه ، لأن من مسّه مات ، سيما ان كانت يده قد عرقت أو هي رطبة . ويخرج البيش من السنبل في بندر الأبلّة بكلبتين من حديد (٢٢٦٦) . ويحمل الصندل (٢٢٦٧) والدار صيني من أقصى شرق دار الاسلام ، وينمو الدار صيني في كرمان أيضاً (٢٢٦٨) . وفي فارس ، بنهاوند ، قصب تتخذ منه الذريرة التي ليست لها رائحة زكية حتى يجاز بها ثنية الركاب قرب نهاوند ، فاذا جازت الثنية ، فاحت رائحتها (٢٢٦٩) . وفي اليمن البنك ، ويقال إنه من خشب أم غيلان Mimosa Gummifera (٢٢٧٠) . وفي اليمن خاصة ، وفي جزيرة العرب عامة ، الكندر والبان ، تملأ بهما الدنيا (٢٢٧١) . وفي المدينة على وجه التخصيص ، البان الذي يمزج بالمسك (التبتي) والعنبر لصنع الغالية (٢٢٧٢) .

وماذا نقول عن الأزهار ؟ يقول الجغرافيون في معظم الأحيان عندما يتحدثون عنها ، انها تقطف ، وتجهز ، وتقطر . . . . ويذكر ابن الفقيه (٢٢٧٣) ، عرضاً ، ثلاثاً من الأنوار « الجبلية » الفارسية ، لا يوثق حتى بأسمائها ، إلى جانب أزهار أخرى معروفة جيداً . ويشار إلى الزردلال (٢٢٧٤) ، والكستج (٢٢٧٥) ، ثم يهملان كلياً . وتشاهد أشجار الدفلى على حافتي الوادي (٢٢٧٦) على طريق في صعود وهبوط ، وقلما توجد الا مع البنجكشت ، اي الارثد (Agnus Castus Gattilier) (٢٢٧٧) .

ويقتصر الحديث عن سائر الأزهار على رائحتها وخصائصها ، وما تعطيه من « مياه » وزيوت ودهون ومراهم ومستحضرات تجميل أو زينة تحمل اسمها ، حتى ليظن أن دار الاسلام في العام ألف تستخرج عطوراً ، دسمة خاصة ، من جميع النبات (٢٢٧٨) . ونترك جانباً العفص ، الذي يعمل منه الرامك (٢٢٧٩) ، ونستعرض ما يقدم لنا العطار والصيدلاني (٢٢٨٠) والرجل المثقف من معارف تؤلف ذخيرة الكاتب والقارىء معاً . وتعمل الأدهان من ماء طلع النخيل وماء طلع الخلاف ، مثل دهن كارده ودهن مرسين (٢٢٨١) ، ويؤخذ ماء أو دهن أيضاً (٢٢٨٢) من حنّة جزيرة العرب أو العراق أو صقيلية أو فارس أو زعفرانها ، وتصنع الأدهان أيضاً من النيلوفر والمرذنجوش والقيسوم والخيري والبنفسج الذي يفيد دهنه الصحة كثيراً (٢٢٨٣) .

وقد ذكرنا من قبل أن روائح الياسمين تعبق ببساتين شهرستان في قصبة صابور ، على حد قول المقدسي . ويعمل من الياسمين دهن شهير يدخل في تركيب العطور الغالية ، ويبهج منظره ، ويمثل أحياناً

ثروة في مصر وارمينية واذربيجان وخاصة فارس (٢٢٨٤) . ويبدو أن النرجس يختص بجزيرة العرب والمشرق : وتعبق رائحته ورائحة النارنج في بساتين فارس وكرمان (جيرفت)،على حدّ قول المقدسي ، وينتشر النرجس المضّعف (٢٢٨٥) في كل الصحراء حول خان ازاذجرد . ولا يضاهي السوسن الأبيض أو الملون أبداً في العطور ، وينمو في فارس واقليم الجبال وفي اليمن حيث تكثر أجناسه (٢٢٨٦) . ويتكّون من السوسن والنرجس ، زهرة جديدة تحمل اسميهما أي السوسن النرجس ، ورقها كورق السوسن وفي داخله عيون صفر كعيون النرجس سواء (٢٢٨٧) ، وليست هذه الزهرة سوى الشاه سبرم ، الشهير في فارس وخوزستان ، على ما جاء في كتاب حدود العالم (٢٢٨٨) .

أخيراً نصل إلى الورد ، ملك الزهور ، الذي يطيب للمصنفين أن يتحدثوا عن أشكاله وألوانه وأنواعه وعطوره طبعاً . ويرد ذكره كثيراً دون غيره ، ويعتبر أحب الأنوار وفخر البساتين . ويسود في فارس وخاصة في مدينة جور ، « معدن » ماء الورد الجوري الذي يحمل منها إلى جميع البلدان . ويجوز القول إن سحب ماء الورد نوع من الصناعة النفيسة ، يفرض عليها الخلفاء خراجا كل عام (٢٢٨٩) . ويمثل الورد الفرح والصحة والسعادة . وكثيراً ما حضر المقدسي عقود زواج أهل بيار ، مهد أجداده ، وقال عنها : « يجتمع الناس بعد العتمة ، مع كل رجل قارورة من ماء ورد ، والنيران تقد على باب الختن والعروس ، فيبدأ بعض المشايخ ، فيخطب خطبة بليغة يطلب فيها الزوجين ويطلب المرأة ، ثم يجيبه آخر من قبل العروس في خطبة بأحسن جواب . وأكثرهم خطباء أدباء . ثم يعقدون النكاح ، ويقوم أصحاب القوارير ، فيضربون

بها الحيطان . ثم يعطي صاحب كل قارورة طبقاً من افروشة (٢٢٩٠) .
أخيراً يمثل الورد الجمال ، ويستغرب ابن حوقل بقاء الورد إلى آخر
الخريف في اقليم ماوراء النهر (باشروسنة) ، ويتحدث عن نواحي
خراسان ، فيذكر وردا غريب الألوان يوجد إلى آخر الزمان من نواوير
مختلفة ، فيكون في باطن الورقة بلون وظاهرها بخيره من صفرة مظاهرة
بسواد ومن حمرة تخالفها زرقة وكحل (٢٢٩١) .

الثياب والحاجات الأخرى : عودة إلى النبات المفيد

ولايجوز أن تنسينا المتعة الخالصة الناشئة عن رؤية الأزهار ، ان
النبات ، مهما كان فخماً ، لابد أن ينظر إليه ــ وهذا ما يحصل في
أغلب الأحيان ــ من زاوية احتمال الافادة منه . ويستأثر الغذاء والصحة ،
كما رأينا ، بجانب كبير من البستان ، المزروع أو البري ، وقد تستعمل
الزهور ويعجب بها المرء، في سبيل صحة الأبدان . ويستخدم بعض
النبات في الغسيل مثل الاشنان (٢٢٩٢) وفي صبغ الجلود : مثل ورق
نوع من الاقاقيا (السلم) (٢٢٩٣) . والبردي أشهر منه ، وأول من
عمل القراطيس منه يوسف النبي . ولمصر قراطيس ، لا يشركها فيها
أحد وينمو البردي أيضاً حول بحيرات ؟ فارس ، وحتى في صقليه التي
يعتبر بربيرها نظيراً لما في مصر ، وأكثره يفتل حبالاً لمراسي المراكب ،
وأقله يعمل للسلطان منه طوامير القراطيس . وهو نبات نفيس . وقد
حمل أحد الخلفاء (المعتصم بالله) صناع القراطيس إلى سر من رأى
مع تربتها ومائها ، وأمرهم باتخاذه هناك ، فلم يخرج منه إلا الخشن
الذي يتكسّر . وقضى كاغد سمرقند المجلوب من الصين على البردي .

ويكفي ذكر الكاغد والبردي لايضاح تاريخ البردي وعجزه عن منافسة الورق الجديد (٢٢٩٤) .

وتعيدنا المواد النسيجية إلى الحقول ، فتنسينا البستان وتنوع نباته وعفويته أحياناً ، وتضعنا أمام أراضي تمتد على وتيرة واحدة ، يزرع فيها بكاملها القنب أو الكتان أو القطن (٢٢٩٥) . ويشار إلى زراعة القنب في السوس الأقصى وتونس ، والجزيرة وقرب بحـر الخزر وفي ما وراء النهر . وتجمع بزوره أحياناً ، لكنه يستعمل لصنع الحبال ، وتنسجه خوزستان ثياباً (٢٢٩٦) . وتختلف قيمة الكتان كلياً عنه ، بلا منازعة ، ويكفي أن يجهل الانسان استعماله لكي يصنف بين أفقر الناس ، ويعتبر على هامش الحضارة (٢٢٩٧) . ويذكر مصنفو الجغرافية زراعته في الجزيرة وسواد العراق ، وفي بلدان بحر الخزر ، وخاصة في فارس ومصر — في الدلتا والفيوم قبل غيرهما — والمغرب فيما عدا التخوم الصحراوية ، وفي صقلية والأندلس التي يحمل منها نسيجها إلى مصر وجزيرة العرب أو اليمن (٢٢٩٨) .

وتكثر وجوه استعمال الكتان ، وتشمل سلعاً متنوعة جداً ، تأتي الثياب في طليعتها طبعاً ، ثم الأزر والسباني ، والمناديل ، والكتان المحلول لصيد المرجان . أخيراً ، تعمل في طرز الفيوم ستور طوال ، طول الستار ثلاثون ذراعاً ، والشرع والخيام والبسط والمضارب والفساطيط العظام بأصباغ لا تستحيل وألوان تثبت فيها صورة البقة إلى الفيل (٢٢٩٩) . ويشار إلى جودة الكتان أيضاً ، فتذكر الثياب الصفيقة العادية الرخيصة ، والرفيعة السلسة الدقيقة (٢٣٠٠) . أخيراً تعتبر أسماء أنواع النسيج وافرة ، منها الدق (٢٣٠١) أي « الرقيق » ، و « الشرب »

العجيب لخفته (٢٣٠٢) ، والقصب ، وهو خاص بمصر يعجب به الناس ، ويحاولون تقليده (٢٣٠٣) . والخيش أو الكتان الخشن ، الذي يستعمل في بيوت الخيش ، فينزع عليها الماء من متن حولها من فوق بالدوام لابقائها رطبة (٢٣٠٤) . وتستخلص من هذا العرض صورة العمل الحرفي النشيط جداً ، الذي يشكل ثروة بلدان عديدة ، ومدن وجماعات ، يطلق اسمها على نسيجها ، أو على ما يقلدها ويصنع بعيداً جداً عنها وعن مكانها الأصلي . ومن تلك الأماكن الشهيرة ، صقلية ، ومدن فارس ، وتّوز ، وسابور ، وجنابة ، وسينيز (منها الثياب الكتان السينيزي ، التي وقع الاجماع ان الطيب لا يعلق ويعبق بشيء من الثياب كعلقه وعبقه بها لترفها ونعمتها) في حين يعود شرف انتاج ثياب الكتان في مصر إلى الاقباط في قسا وشطا ودبيق . ولعل دبيق أشهر المدن في صنع الكتان (٢٣٠٥) .

ويدل القطن ، كالكتان ، على وجود حضارة (٢٣٠٦) . وتثبت النصوص الجغرافية انتشاره في جميع الأراضي المزروعة ، فيما عدا الأندلس وصقلية وجزيرة العرب ووادي نهر مهران وأيضاً مصر التي لم يكن يزرع فيها إلا في حقول صغيرة وضيقة ، إذ لم يكن قد اجتاحها بعد (٢٣٠٧) . وفيما خلا ذلك ، فالقطن في موطنه من المغرب إلى سجستان وخوارزم ، ويستحيل علينا أن نذكر « معدن القطن » ، لأن جميع البلدان تفخر بجودة قطنها أو نسيجها القطني الذي يحمل طبعاً إلى سائر الآفاق النائية جداً أحياناً (٢٣٠٨) . ويلحّ المصنفون على جودة الاقطان ، لا على استعمالاتها المقتصرة على الثياب (٢٣٠٩) ، ويصفون القطن بالجودة والنفاسة والحسن والرقة واللين (٢٣١٠) .

ويعرف القطن باسم العطب أو الكرسف (٢٣١١) ، وتحاك منه شتى الأقمشة ، منها الكرباس الذي تصور عليه الحرائ (٢٣١٢) على وجه التخصيص ، وثياب الزنبفت « النسائية » (٢٣١٣) والثياب البنبوزية من نسا (٢٣١٤) في خراسان ، وثياب آرنج في خوارزم (٢٣١٥) ، والمناديل البيض القطنية المعلمة — قومس — من نواحي جنوب بحر الخزر (٢٣١٦) ، والسبنيات من كابل وارمينية أو اذربيجان (٢٣١٧) ، والشرابيات من كابل أيضاً ، وهي مثمنة وحارة الألوان (٢٣١٨) . وعلى غرار الكتان ، تتميز بعض البلدان بثياب القطن ، وتطلق عليها اسمها . وهكذا يحمل البغدادي والمروي في خراسان إلى كثير من النواحي القاصية ، ويثبت أمجاد بغداد ومرو (٢٣١٩) . ويرتفع من بخارى ونواحيها ثياب تعرف بالبخارية ، وهي كرابيس ثقال الأوزان ، غليظة السلك ، مبرمة الغزل (٢٣٢٠) . وويذار مدينة سغدية ، يعمل بها الثياب الويذارية القطنية ، وهي ثياب كأنها للينها خز ، ولها بقاء معروف ، وتجلب بخاصة إلى فارس والعراق وخراسان . وليس بخراسان أمير أو عامي أو قاضي أو ناتيء أو جندي ، الا والثياب الويذارية الظاهرة على ما يلبسه من فاخر الثياب في الشتاء ، وجمالهم بها ظاهر ، وهي ثياب ضيقة ترفة ودافئة وغالية الثمن . ألم يسمها بعض السلاطين ببغداد « ديباج خراسان » (٢٣٢١) ؟

وتدعم مواد النسيج النباتية أو الحيوانية ، بدورها ، عملاً حرفياً آخر ، يستخرج من النبات مواد تلونها بأزهى الألوان : وهنا نعود إلى ذكر الحنة (٢٣٢٢) التي تصحب الاسبرك (٢٣٢٣) ، ورس اليمن ، الذي يعطي اللون الأصفر (٢٣٢٤) . ويصبغ البقم الثياب باللون الأحمر القانيء (٢٣٢٥) ، ويصبغها العصفر باللون الأصفر (٢٣٢٦) . وتنمو

الفوّة ، البرية أو المزروعة ، في الأندلس وفي واحات مصر ووادي نهر جيحون ، وخاصة على سواحل بحر الخزر ، وعلى ضفاف نهري الكر والرس الكبيرين ، وفي جزر بحر الخزر ،التي تحمل منها إلى الهند جذورها الثمينة ، وتصبغ بها الثياب بلون أحمر جميل (٢٣٢٧) .

ويبدو أن الزعفران والنيل أهمها جميعاً . فالزعفران أصفر يضرب أحياناً إلى اللون البرتقالي ، وينمو من الأندلس إلى سجستان وما وراء النهر ، إلا أن أشهر الأصقاع ، حسب خريطة النصوص الجغرافية ، شرق المغرب ، والبلدان القريبة من بحر الخزر ، وضفة نهر جيحون اليمنى ، وخاصة اقليم الجبال . فهنا فضل الزعفران ظاهر على كل ما في سائر المواضع ، لأنه أذكى رائحة وأشبع صبغاً دون سواه . وأجرى نهر إلى سلمية الواقعة في البرية إلى شمال شرق حمص ، واستنبطت أرضها حتى زرع فيها الزعفران . وتفرض على الزعفران ضريبة عند وصوله إلى بنادر جزيرة العرب . وقضت بنود إحدى المعاهدات على أمير ديلمي مهزوم ، أن يؤدي سنوياً مقادير كبيرة من هذا النبات الثمين .

وينبت النيل في البلدان الحارة . ويقارنه المقدسي بالنخيل والموز من هذه الناحية (٢٣٣٠) لذلك ينمو في انهدام البحيرة المنتنة ونهر الأردن ، وفي اليمن حيث يبدو لونه كأنه لازورد . وفي نواحي كابل وكرمان . فجميع هذه البلدان معادن نيل (٢٣٣١) ، ويحمل منها ، ويجني من تجارته الأفراد والسلاطين أرباحاً طائلة : وتنتج كابل أفضل النيل ، وتبيع منه سنوياً بما يزيد عن مليوني دينار من محصول الحقول فقط ، عدا ما يختزنونه التجار في مستودعاتهم .

المشجرة والفواكه

مهما عظم شأن الحقل والبستان ، المزروع أو البرى ، فلا شيء من نباته يقارن بالشجرة ، ولا شيء في الدنيا أروع من الثمرة الناضجة . وتتمثل أبدع المزارع الحقيقية بشجرها وثمرها . وإذا توصل البشر إلى كسب حقل من الصحراء ، واقتطعوه منها ، فلن يكتب لهم النصر النهائي إلا عندما يشملها كلها عملهم ويغمرها الماء بأجمعها ، ويحلون محلها الواحة التي تعتبر الرقعة الصغرى من الأرض المستصلحة أفقياً ، والأشجار التي تنتصب باسقة فوق سطحها شاقولياً .

ومتى أعطت الأرض ثمارها ، يبادر المصنفون الجغرافيون إلى ابراز هذا الحدث ، ولا يطول بهم الزمن لابداء إعجابهم به ، الكامن دوماً في قرارة أنفسهم ، إذا تحققوا من الوفرة أو الجودة أو الغرابة . مع ذلك يتساءل المرء عن ناحيتين . فلو فرضنا أن الأمور تتجلى بوضوح متى وردت أسماء الثمار عامة أو اسم ثمرة معينة بالذات ، هل يدرك القارىء أن الأشجار التي يحدثه عنها المصنفون في الغالب بلا أي تدقيق ، هي الأشجار التي يتغذى الانسان من ثمارها فعلاً ؟ الجواب واضح . إذا لم يتضمن كلامهم لفظاً يشير إلى الغابة أو الشجرة البرية أو إذا لم يوضح سياق (٢٣٣٢) حديثهم قصدهم ، فاهتمامهم ، مثلما قلت ، بعيد جداً جداً عن الطبيعة المتوحشة ، وينصب على الوسط الذي يحوله الانسان . بقي أن نزيل غموضاً آخر تعرضت له سابقاً ، تناول معاني الألفاظ الدالة على البستان التي لا يراد بها التعبير عن البقول دوماً : هذا إذا أغفلنا الزروع بأوسع مضمونها . وتخرج الشجرة المثمرة منتصرة من هذا الغموض ، لأننا نفكر فيها اضطراراً ، حتى لو لم ترد صراحة في النص .

إذن ، قد يخطر ببالنا أن نقول إن الشجرة المغذية قائمة في جميع الأماكن . أجل في جميع الأماكن ، شريطة أن تلائمها التربة ، وفيما عدا وضعين يستبعدانها ، هما شدة البرد (٢٣٣٣) وفرط الجفاف ، اللذين يترك لنا تصورهما من خلال أسماء البلدان . اذن تقل الأشجار والثمار وتغيب لأحد هذين السببين في مكة ، وعدن ، وفي جزيرة العرب عامة ، باستثناء سلسلتها الساحلية ، وفي بعض كور فارس الجبلية ، وفي بعض الأماكن في السند وخوزستان وخراسان والأندلس . ويبدو أن حظ مصر ذاتها ضئيل من هذه الناحية ، إذا وثقنا بالمقدسي الذي يقارن مصر بداهة وضمنياً وبلا موضوعية ، بموطنه فلسطين ، بلد جميع العجائب (٢٣٣٤) .

ونرى أن كل هذه الأمور هامشية ، لأن لكل بلد في دار الاسلام ، أشجاره وموسمين أحياناً في كل عام ، كما في اليمن ، وثماره الرخيصة وحتى المباحة (٢٣٣٥) ، وهذا أمر عجيب . ويصنف المؤلفون الجغرافيون هذه الهبات السماوية أحياناً ، ويعتمدون على الطبيعة أولاً ، فيميزون ثمار الشتاء والصيف : كالجوز واللوز ، والأعناب والرمان (٢٣٣٦) ، وثمار السهول أو الجبال (٢٣٣٧) ، وبخاصة ثمار الصرود والجروم والمناطق المعتدلة ، التي تتحدد في الحقيقة بجمع نوعي الثمار السابقين (٢٣٣٨) . لكن لسوء الحظ ، لا يعرض المصنفون بدقة التوزيع الذي نتوقعه منهم (٢٣٣٩) ، ولا يتحدثون عن الفئتين الأوليين إلا من خلال الفئة الثالثة التي يشيدون بثمارها المنتجة في الصرود أو الجروم في النواحي الأخرى . وتقدم جميع تلك الثمار مجتمعة بلا تمييز وبلا سبب واضح ولا يراد منها أن تمثل منشأها الأصلي . بل ان تبين فوضى تعدادها ثروة

البلد السعيد . فلا ندري أين نضع الحمضيات والجوز ، والتمور ، والأعناب والموز ، واللوز ، والتين والزيتون والرمان . وتزداد حيرتنا لأن جغرافيي عصرنا يعتبرون أن معظم الصرود والجروم التي نريد أن نوزع الثمار عليها ، يدخل في المناطق الجافة أو المعتدلة الحارة ، وأن على الباحث أن يتحدث عنها وكأن حرها أخف أو أشد ، لا أنها باردة وحارة . ولايبقى لدينا سوى تضاد واحد واضح ، يفرّق ، حسبما جاء في بعض المقاطع ، بين النخيل والموز المرتبطين بالحرارة الشديدة ، وبين شجرة الجوز ، شجرة « الصرود » التي يصحبها أحياناً الحبة واللوزة وشجرة التفاح (٢٣٤٠) .

ويجوز تصور وجود توزيع آخر ، يميّز الثمار التي تعتبر مستهلكة محلياً لنقص معلوماتنا عنها ، عن الثمار المرتفعة إلى إحدى النواحي لتغذية المدن الكبرى ، خاصة بالعراق وجزيرة العرب ومصر ، حيث تبدو الفسطاط وكأنها مصابة بالجوع دون سواها ، وتستغيث لا بوادي النيل وحده ، بل باقليم الشام أيضاً وبفارس والمغرب (٢٣٤١) . ومتى تأمن هذا الامداد بالثمار ، الضخم أحياناً ، محلياً أو من أماكن قاصية ، سمح بتصنيف المنتجات المستهلكة إلى ثمار طرية وجافة (٢٣٤٢) ، وأشربة ومشارب (٢٣٤٣) ، ومربيات وحلويات (٢٣٤٤) .

الثمار : بعض الشكوك في معرفتها أو تسميتها أو استعمالها

لنتأمل المشجرة المثالية في دار الاسلام في العام ألف ، وفي وسطها المنظر الخارق الجمال الذي تحدث عنه ابن حوقل في كلامه عن الرساتيق (٢٣٤٥) . لن نعثر على كرزة واحدة مثلاً (٢٣٤٦) بين شتى أنواع النبات الكثيرة ، المزروعة أو البرية ، التي تمر أمام أعيننا ، وتضم

أشجاراً نادرة وبيض الزهر من النيلوفريات بالذات . وتشتمل أيضاً على بعض النبات الغامض ، ومنه أشجار تتكتم على نظام حياتها وتبدو مجهولة أحياناً . لنأخذ السماق مثلاً . فالمقدسي يذكره بين الموز والكرنب في لائحة التجارات المرتفعة من فلسطين ، وبين المن وحب الرمان في التجارات المحمولة من الموصل ، في حين يدرجه ابن حوقل — وهو ليس أوضح من المقدسي — في منتجات « الصرود » هو والسماق والجوز واللوز والزيتون والاترج والرمان الكبير (٢٣٤٧) . يبدو اذن بجلاء ان السماق يؤكل ، ويؤيد ابن البيطار هذا الاستنتاج ، على الأقل باعتباره أحد التوابل ، وإن كان استعماله الشائع ، ولو لم يشر إليه ، يكاد لا يتجاوز دبغ الجلود (٢٣٤٨) . والزعرور مثال على الشك في معرفة نوع النبات . فهو وارد في محاصيل بلدان بحر الخزر (شهرستان في اقليم الديلم) . فهل يقصد به الزعرور العادي Azerolier أم الجرماني Néflier (٢٣٤٩) ؟ وكما نشأ ، يدل اللفاح على البطيخ الصغير Brugnon في مصر والشام وعلى الشمام Mandragore (٢٣٥٠) ؟ أخيراً في برذعة ، نوع من الفاكهة يسمى الزوقال ، في قدر كبار الغبيراء ، وله نوى حلو الطعم ، إذا أدرك لذيذ ، وبه عفوصة قبل أن يدرك ويستدرك . وأميل إلى أنه نوع من الغبيراء Cormier ولا يزيد يقيني عن ذلك (٢٣٥١) .

بالمقابل ، يرد اسم السفرجل (٢٣٥٢) صراحة ، وأحياناً باسم أحد أجناسه : السفرجل المعنق . والسفرجل شهير في اليمن وفلسطين والجزيرة وفارس وخراسان ، وخاصة في المغرب ، ففيه السفرجل المعنق الذي يفوق سواه لحسنه ونعمته وحلاوته وطيب رائحته ، ربما

باستثناء سفرجل اصفهان الذي يقال إنه إذا بلغ ما يجاب من تفاحها وسفرجلها إلى بغداد النهروان اشتم ّ روائحه في القصبة واستقبل وابتيع . والمعنفة « جنس من الكمثرى » عند المقدسي (٢٣٥٣) . إلا أن الكمثرى الحقيقية (٢٣٥٤) التي يستعمل المصنفون الجغرافيون هذا الاسم لها ، حسبما جرت العـــادة في المشرق ، هي الفاكهة الرطبة التي تنمو في جروم خوزستان والجزيرة وحضيض جبالهما ، وأخيراً واحات فارس ، التي تشتهر بالكمثرى النهاوندي و « الصيني » . ويبدو الاجاص أوسع انتشاراً أيضاً ، لأنه ينمو من خراسان إلى طرابلس الغرب ، إذا اعتمدنا على أسماء أنواعه . فمنه الاجاص « العمري» و « الكافوري » و«الطري» ، و« العيون » (٢٣٥٥) . والمشمش ،وهو اسم خاص بالمشرق ،أو البرقوق ، وهو اسمه بالمغرب (٢٣٥٦) ، معروف في المغرب واليمن ومصر وناحية نيسابور ، حيث يطلق عليه اسم العصلوني (٢٣٥٧) . أما الفرسك (وهو الخوخ) ، فينمو في اقليم الجبال وعلى نطاق ضيق في اليمن وطرابلس : وهو ثمرة رطبة بافراط لجهة صحة البدن ، على حد قول ابن الفقيه (٢٣٥٨) .

مَنْ مِنَ الناس اليوم ،لا يستغرب أن تترافق شهرة هذه الفواكه وشهرة العناب ؟ مع ذلك ، يشاهد العناب في واحات مصر ، وفلسطين ، وعلى تخوم مفازة فارس الكبرى ، ويحكم على كثرته وجودته ، ويرتفع من بلدان بحر الخزر (طبرستان) أو بلدان بحيرة خوارزم (البلغار) إلى سائر الاقطار (٢٣٥٩) . ويشبه النبق العناب ، ويثير اهتماماً مماثلاً للاهتمام بالعناب على الأقل ، وهو ثمرة شجرة السدر أي نوع من العناب أيضاً Zizyphus Spina Christi (٢٣٦٠) وأشير إليه في عمان ومصرو فلسطين وفارس وسجستان والمناطق الجافة المجاورة

لها . وهو على قدر الزعرور (٢٣٦١) ، فيه نواة كبيرة حلوة ، لكنه يذكّر على وجه التخصيص بماض بعيد ، إذا ما اعتبرانه النيلوفر الأبيض الأسطوري ، وبنعيم الجنة بآن واحد . ألم يجيء في الخبر أن نبق الجنة كالقلال (٢٣٦٢) ؟

وتتحمل شجرة التوت ، وهي شجرة دودة القز ، الشروط القاسية جداً في المناطق الجافة ، وشروط المناخات الجبلية في اذربيجان ومشارف جبل القبق ، حيث توتهم مباح لا مالك له ، ولا يباع ولايشترى (٢٣٦٣). ويبدو الجميز وكأنه رمز فلسطين ومصر ، وهو على قدر التين ، ويختلف عنه بذنبه الطويل ، ولونه الأحمر وطعمه . وشجرته عظيمة الكبر لا ترى أغلظ من ساقها ، منه عامة أبواب الفنادق ، يتثمّر الشجر سبع بطون ، فيعجب الناس لعظمتها ووفرة ثمرها ، ولاجرم ان يكون رخيصاً مباحاً (٢٣٦٤) . وهذه الشجرة محترمة منذ القديم ، ويرافقها انشاء السبيل .

ولا ينازع أحد في أن التين يحتل المرتبة الأولى . ويشاد بوفرته ، وحلاوته ولبه ورطوبته ، إلى حد الافراط أحياناً ، على الأقل في رأي ابن الفقيه ، وتضر كالخوخ (٢٣٦٥) . وينمو التين في جميع الأماكن من الأندلس إلى بحر الخزر وفارس وخراسان . إلا أن تحفظ ابن الفقيه فريد من نوعه في الاجماع على مدح التين الذي يثير اهتماماً بالغاً به سواء كان طرياً أو يابساً . والبرهان على ذلك تعيين أسعاره (٢٣٦٦) ، والعناية بتلقيحه بالذكار مثل النخلة أو الحبلة (٢٣٦٧) ، وبتعداد بعض أنواعه : كالتين الدمشقي الفائق ، و « السباعي » ، و « التمريّ » ، و « الحماء » الذي لا يستحق أي مديح ، وأخيراً القطين الصغير جداً الذي لا نظير له (٢٣٦٨) .

ويذكر الخرنوب من مصر إلى بحر الخزر وفارس ، ويشتهر بشرابه أو قبيطه (ناطف الخرنوب) الذي يصنع من لب قرونه دون إضافة شيء من السكر إليه . وهو لذيذ في فلسطين (٢٣٦٩) . ويبدو الريباس قبل كل شيء وكأنه من خصائص نواحي نيسابور في خراسان ، ولا نظير له في مكان آخر ، ويتداوون به ، وهو تمر عظيم ، يحمل إلى موائد الملوك (٢٣٧٠) . ويتسع انتشار الرمان كثيراً دون سواه . ويتوزع من المغرب إلى جبال جزيرة العرب ، إلى آسية الوسطى إلى بعض نواحي الهند المسلمة (السند) ذاتها التي لا يدوم الحر فيها . وهو شجر مزروع أو بري كثير حتى صار مباحاً ، إذا لم يحدّ من قطافه المباح حمله إلى سائر الآفاق ومقتضيات الربح (٢٣٧١) .

ونضيف بعض الثمار والبزور الأخرى : مثل قضم قريش الذي لا نظير له في بيت المقدس (٢٣٧٢) ، والفستق الذي يجتنى من تونس إلى آسية الوسطى ، وتشتهر به بعض البلدان كفارس حيث يوجد فستق موصوف بالجودة وعلى قدر كبر اللوز ، وفي جبال ما وراء النهر من الفستق المباح ما ليس ببلد غيره ، ولمنبج في الشام الشمالية من ناطف الزبيب المعمول بالجوز والفستق والسمسم ما لا يرى به شبه (إلا في بخارى) (٢٣٧٣) . ويأتي البندق من الجزيرة والجبال المجاورة لها ، ومن فارس ومن السغد وأخيراً من خوارزم ، التي يحمل إليها في الحقيقة من البلغار (٢٣٧٤) .

أما اللوز والجوز ، فثمرتان من أوائل الثمار . وينتشر اللوز ، المزروع أو البرى ، عملياً في جميع أنحاء دار الاسلام (٢٣٧٥) . ويباع بقشره أو مقشوراً (٢٣٧٦) ، جافاً أو طرياً ، (٢٣٧٧) ، ويميزون

في هذا الغذاء الثمين ، الأنواع المرة أو الهامشية من التي يهم خشبها أكثر من ثمرها (٢٣٧٨) . أما موطن الجوز فأضيق (٢٣٧٩) . وقلنا إنه من أشجار الصرود ، وان كانت هذه التصنيفات كلها نسبية ، ويظهر متى سمح له ارتفاع المكان أو رطوبته ، وهو لا يتلاءم البتة مع كثرة الماء المفرطة (٢٣٨٠) . وأفضل تربة له بالتالي هي الأراضي الكثيفة النبات ، مثل غوطة دمشق ، وبخاصة الجبال التي يظهر في جميع أنحائها ، إذ إنه يجود في الأراضي الصخرية (٢٣٨١) : فالمغرب واليمن وفلسطين وشمال اقليم الشام والجزيرة واذربيجان وفارس وخراسان وما وراء النهر وفارس وحتى مكران ، تتنازع على شرف تمثيله وتصدير ثماره أحياناً.

وأنواع النارنج ثمار وعطور معاً : فسابور في فارس بأنها تعمل عشرة أدهان » اريجة، منها دهن النارنج (٢٣٨٢) . ويأتي على رأسها الاترج (اترنج ، ترنج) الذي يستعمل أحياناً كلفظ عام يدل على النارنج والليمون معاً (٢٣٨٣) . ويكثر الاترج مع ذلك (٢٣٨٤) في جنوب المغرب (السوس) وتونس وفي مصر ، وخاصة في المشرق ، كاليمن وفلسطين والشام ، وسواحل بحر الخزر ، وخوزستان وفارس وخراسان . ويشاد بصنف من الاترج شمامات ذكية كالاكف بأصابعها (٢٣٨٥) . وبمصر على حد قول ابن الفقيه ، برصانة ، أعجوبة وهي الاترج ، ربما وضع الرجل الاترجة بينه وبين صاحبه ، فلا يرى أحدهما الآخر لكبرها . ويروى ابن الفقيه نفسه قصة قوم فلاسفة سجنهم بعض ملوك الفرس ، وقال : لا يدخل عليهم إلا الخبز ، ويخيّرون الادام في سائر الأيام ، فاختاروا الاترج ، وقالوا : « أما قشره الظاهر فطيب نشتمه ، وأما داخله ففاكهة ينتفع به ، وأما حمّاضة فانه خل نافع طاهر ، وأما حبه فدهن ينتفع به » .

والاترج وحده قديم في المشرق ، خلافاً لليمون . فالليمون والنارنج حملا في وقت لاحق ، بعد القرن الثالث الهجري / بعد التاسع الميلادي ، من أرض الهند إلى أرض غيرها ، وزرعا بعمان ثم نقلا إلى البصرة والعراق والشام وفلسطين ومصر . ويقدم المسعودي عن هذا الموضوع معلومات قيمة جداً (٢٣٨٦) ، ولا يحتمل الشك انه يقصد بالاترج في نصه شجرة الليمون والحامض . ويؤيد مصنف « حدود العالم » المسعودي ، وقد ألف كتابه في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، ويذكر الترنجات الصفر في حديثه عن دمشق ، ويريد الليمون الحامض فيما يبدو (٢٣٨٧) . مع ذلك ، لاشك أن الحاجة دعت إلى إطلاق اسم خاص على هذه الثمرة ، فزال الابهام . ويتحدث الاصطخري وابن حوقل والمقدسي عن ليمون ، ينتشر في خريطتهم على أراضي تكشف الوضع بجلاء ، نعني من الهند المسلمة (السند) باتجاه الغرب ، أي باتجاه فارس وبطائح العراق التي تختص به وتفخر . ويتلخص وصف هذه الثمرة ، الجديدة جداً . أو تكاد تكون ، في كلمة واحدة : الحموضة (٢٣٨٨) . وتنطبق الصفة ذاتها أحياناً على النارنج : الذي يدعى ترنج نرنج أي النارنج الليمون في نواحي بلخ (٢٣٨٩) . بالفعل يبدو أن هذا النوع الحامض سبق تاريخياً النوع الحلو في انتقاله نحو الغرب (٢٣٩٠) . في جميع الأحوال ، هنا أيضاً ، تسمح لنا النصوص الجغرافية أن نتتبع انتقال هذه الثمرة . ويشير المقدسي إلى كثرته في اقليم كرمان وإلى الأرياح العابقة في بساتين جيرفت ، كما يذكره على سواحل بحر قزوين وحتى في فلسطين (٢٣٩١) .

حوت دار الاسلام من جانب الهند في العام ألف . بعض الثمار التي اعتبرها مصنفو الجغرافية من النوادر . فالنارجيل في نظرهم نوع من النخيل الغريب ، يشاهد ويوصف عند الغرباء ، إلا أن دار الاسلام تعرفه على الأقل في اقليم واحد ضمن حدودها ، أقصد وادي نهر مهران أو السند . ويحمل إليها من هذا الاقليم عن طريق جزيرة العرب الجنوبية . ويصنع منه شراب يسكر . ويزرع على سواحل اليمن (٢٣٩٢) . ويرتفع أيضاً من الهند المسلمة أو غير المسلمة . الأنبج الذي يشبه الخوخ ، ويقارب طعمه (٢٣٩٣) . وقد انتقل شجر الاهليلج من الأماكن ذاتها إلى فارس وافغانستان ، ويحمل من كابل الاهليلج الكابلي الكبار . ولا يشير أحد من الجغرافيين إلى وجه استعمال هذه الثمار ، التي تربى وتجفف ، وظلت مدة طويلة تشكل عقاراً شهيراً (٢٣٩٤) .

ونقل الموز من الهند إياها ومن الزنج أيضاً (٢٣٩٥) . ويذكره الجغرافيون في اقليم السند المسلم (وادي نهر مهران) الذي حمل منه إلى عمان ، مثلما يشيرون إليه في اقليم مصر . ولعل اليمن تلقته من الهند وافريقية . مع ذلك يبدو استيطانه فيها أقدم بكثير ، ويقال إن الموز وافر في اليمن ، يدرك في كل موضع عندهم في كل أربعين يوماً ، وتقطع ثمرته . ولا ينقطع القطاف عنهم أبداً . والوضع في مصر مماثل لوضع اليمن ، لأنه يقال بأن فيها من الأشجار ، النخيل والموز والجميز ، ويتميز بها المشهد الطبيعي . أما في فلسطين ، فلا ينمو الموز إلا في الأماكن الحارة ، مثل وادي البحيرة المنتنة ونهر الأردن وأودية

روافده ، فهنا يظن أن استيطانه حديث جداً ، والا لما قال المقدسي ، الفلسطيني الأصل : من شقّ قلقاسة ، وجعل فيها نواة تمرة ، وغرسها في الأرض، نبت منه شجر الموز . ولماذا شعر بضرورة وصف الموز لو كان معروفاً؟ . وهذا وصفه له: والموز على قدر الخيار ، عليه جلد رقيق ، يقشر عن ثمرة على لين البطيخ ، إلا أنه أطيب وألذ وله عفرصة (٢٣٩٦) .

ويختلف الوضع مع الشاه بلوط ، الذي ينمو في الشام والجزيرة وخاصة في جبال ارمينية واذربيجان . ويقال إنه بكبر نصف جوزة ، ويقارب طعمه البندق ورطب التمر (٢٣٩٧) . ويدخل التفاح في معارف الأدب الضرورية (٢٣٩٨) على الأقل لنوعين منه . أولهما تفاح لبنان ، وهو تفاح جبل عذي ، لا طعم له ولا رائحة ، فاذا توسط نهر البليخ (٢٣٩٩) ، فاحت رائحته كالمسك . وثانيهما تفاح شيراز في فارس ، التفاحة منه نصفها حلو في غاية الحلاوة ، ونصف حامض في غاية الحموضة (٢٤٠٠) فيما عدا هذه النوادر ، يشار إلى التفاح في تونس وطرابلس واليمن وفلسطين وفارس وماوراء النهر ، لكن لا تفاح في السند (٢٤٠١) ويفتخر هنا وهناك ببعض أصناف التفاح الشهيرة التي يقدرها حق قدرها الجغرافيون الرحالة هذه المرة بأرضها بالذات ، مثل التفاح الشيزي ، نسبة إلى شيز في فارس ، والتفاح الشامي نسبة إلى الشام الذي يؤخذ منه « ماء التفاح » المطيب ، وتفاح اصطخر بفارس ، أو تفاح اصبهان الذي يحتفظ برائحته حتى وصوله إلى بغداد النهروان ، وربما أطلق عليه أحياناً اسم إحدى المناطق الغنية (كلمان) (٢٤٠٢) .

والزيتون شجر الزيت ، وقيمته أعظم ، وتقترن معرفته بالانفتاح على آفاق الايمان ، لأنه من أبدع نعم الله على البشر . وشجرته مباركة

كالزرع والنخيل والأعناب (٢٤٠٣) لا بل مقدسة . وهي شجرة كونية ، لا شرقية ولا غربية ، تخرج من طور سينا (٢٤٠٤) ، ويحمل زيتها إلى الملوك (٢٤٠٥) . وفي بيت المقدس يسمى جبل باسمها ، وهو جبل زيتا (٢٤٠٦) . وتصنع سبح بيت المقدس من بزر الزيتون . لكن لنرجع إلى الشجرة العادية . فابن الفقيه يقول إن شجر الجوز والزيتون والفواكه ما ينبت في الصخر (٢٤٠٨) . إلا أن مطالعة مصنفات الجغرافيين تخبرنا أن الزيتون شجر يطيب للانسان في الواقع أن يغرسه ويحرثه ويستثمره . وتقف حدود استيطانه الشرقية عند فارس (٢٤٠٩) . أما في الشمال ، فلا يرى إلا على سواحل بحر الخزر (٢٤١٠) . وتقع مواطنه الحقيقية قبل هذه التخوم القصوى . فهو قليل في العراق ومصر ، ويزيد عنهما في الأندلس والجزيرة (٢٤١١) ، وكثير بخاصة في اقليم الشام الذي يقال إن زيتون فلسطين فيه نقل من اليونان (٢٤١٢) ، وكثير أيضاً في المغرب إذ « قد غاب في الزيتون مدنه » . وتأتي تونس في المرتبة الأولى به (٢٤١٣) . ويتحدث المقدسي عن مواجين الزيت (٢٤١٤) ، (في القيروان) ، وعن معاصره (٢٤١٥) ، وعن جودة الزيتون الكبير في الأندلس (قرطبة) (٢٤١٦) أو عن جودة الزيت : مثل الزيت المشهور في دمشق وفلسطين ، المعصور من الانفاق (٢٤١٧) . ويستهلك زيت الزيتون في المآكل العادية وفي تجهيز المآكل الفاخرة (٢٤١٨) ، وفي الاضاءة أيضاً : ويقدّر المقدسي وظيفة المسجد الأقصى في بيت المقدس في كل شهر بمائة قسط زيت (٢٤١٩) . ولاريب أن زيت الزيتون كـــان سلعة رئيسة في تلك الأيام حتى إن ابن حوقل يستغرب ارتفاع أسعاره في سفاقس التي يجلب زيت مصر منها (٢٤٢٠) .

وتعتبر شجرة الزيتون قطعاً رمز حضارة ، نعني حضارة حوض البحر المتوسط ، القائمة ضمن حدوده المناخية زراعة الزيتون ، وربما كانت رمز الحضارة عامة (٢٤٢١) .

نمو الكرمة في جميع الأماكن وفضائلها

وهنا نصل إلى أهم الأشجار في قائمة أصناف النبات ، التي تتنافس فيها الكرمة والنخلة على احتلال المرتبة الأولى . وسوف نستعرض فيما بعد فضائل كل منهما ، ونبين لماذا يتقدم النخل قليلاً على الكرمة في النهاية ، في ختام دعوى معارضة أبرز فيها النخل من جعبته وثيقة أساسية انتزع بها القرار الحاسم لمصلحته . لكن لنتحدث أولاً عن الكرمة (٢٤٢٢) ، التي يحتمل ألا يرد ذكرها ، كما هي حال سائر النبات ، إلا عند تسمية ما يستخرج منها من مواد سوف نعددها في وقت لاحق . مع ذلك ، نستدل على وضعها المتميز من حرص المصنفين على الاشارة إليها باسمها . فهم يذكرونها تارة بلفظ جنسها أي الكرم ، وطوراً بصيغة الجمع أي الكروم أو الكرمات ، وأحياناً أخرى بصيغة المفرد أي كرمة ، أو دالية (٢٤٢٣) أو حبلة : أي أصل الكرم (٢٤٢٤) ، وأحياناً أخيرة بلقب الثمر العجيب ، أي العنب أو العنقود (٢٤٢٥) ، الذي يبهج الناظرين إلى حد يشعر الانسان في وقت ما بالحاجة إلى تحديد النبات الذي يحمله وإلى مشاهدة حباته المستديرة المليئة (٢٤٢٦) والتحديق بها .

فأين وكيف تنمو هذه الكرمة ؟ يخبرنا ابن حوقل أن أهل زغر يلقحون كرومهم وكروم فلسطين كما يلقح النخل بالطلع الذكر والتين بالذكار (٢٤٢٧) . وأن بعض عنب اليمن يدرك في السنة دفعتين (٢٤٢٨) . ويحدثنا في مكان آخر عن الكروم البرية أو المهجورة ، كما

هي الحال في الثغور الشامية الاناضولية ، المباحة كرومها وسائر ثمارها (٢٤٣٩) . إلا أن الكرمة المزروعة غالبة . فمن جهة ، يشار إلى الكروم الاعذاء في الشام الشمالية وعلى شطي جيحون أو حتى في إحدى واحات مفازة فارس (٢٤٣٠) . ومن جهة أخرى إلى الكروم المسقية في خراسان أو بلد السغد (٢٤٣١) . مع ذلك ، تحتاج إلى حد أدنى من الماء : فلا كرم على تخوم الصحراء الكبرى في المغرب ، ولا عنب في بلد القلزم في أنحاء خليج السويس (٢٤٣٢) ، ويلتبس أحد أسمائها ، أي الدالية ، مع اسم دواليب الماء (٢٤٣٣) . وسواء توفر الماء أو لم يتوفر ، فالكرمة تخشى قسوة المناخ : فشدة الحرارة تستبعدها ، كما هي الحال في وادي نهر مهران (٢٤٣٤) . وعلى النقيض ، يؤدي البرد القاسي إلى نتائج مماثلة كما هي الحال في الجبال الواقعة إلى جنوب سيحون ، حيث تزيل قساوة المناخ فائدة الماء (٢٤٣٥) .

ويدرك الانسان اتساع نطاق الكرمة الهائل من ذكر بعض البلدان المنتشرة فيها : ويشمل هذا النطاق عملياً ، ولو بصورة متقطعة ، حيز دار الاسلام بأجمعه في مطلع العام ألف تقريباً . ونعجب نحن لهذه الظاهرة ، لأننا لا نزال ، على الرغم من وجودها في وادي نهر الرين أو المجر أو كاليفورنية ، نرى في الخمر أحد محاصيل حوض البحر المتوسط ، بل ميزة من ميزاته . ونستغرب أيضاً كيف تمكنت أن تدوم في هذا العدد الكبير من البلدان ، أو كيف استطاعت أن تتوزع فيها ، في حين يعتبر الاسلام الخمرة أحدى المحرمات الكبرى (٢٤٣٦)؟ أما ربط الكرمة — والزيتون أيضاً — بحوض البحر المتوسط وتمييزه بها ، فصورة خاطئة جزئياً . فاضافة إلى أصنافها في الشرق الأقصى أو امريكة ، تنمو في القارة القديمة في « قطاع اوراسي » يمتد حتى

جبال تيان شان ، وتستوطن في الهند ذاتها أيضاً (٢٤٣٧) . مع ذلك ، وعلى وجه الاجمال ، لابد أن تشبه شروطها الجوية عناصر المناخ المتوسطي أو أن تقترب من ميزاته ، كي تظهر الكروم : مثل التشمس الكافي ، والتجمد الربيعي إن وجد ، القصير والضعيف إلى الحد الأدنى ، وفصول صيف حارة ورطبة .

ولنتبع الآن الكرمة على خريطة مصنفينا . فالأندلس (٢٤٣٨) مشهورة بها ، وصقلية (٢٤٣٩) كثيرة الاعناب ، والمغرب ، على حد قول المقدسي على الدوام ، قد غاب في الزيتون مدنه وبالتين والكرمات أرضه (٢٤٤٠) . وتبتعد الكرمة في المغرب عن تخوم الصحراء الكبرى ، ماعدا سجلماسة ، وتفضل الشمال وأنحاء الجزائر (٢٤٤١) التي تنمو فيها في وادي شلف ، حول شرشال ومسيلة ، وأخيراً في الجانب الشرقي (٢٤٤٢) الذي يتصل بتونس في القيروان وقابس والساحل (٢٤٤٣) وفي الداخل الجبلي في طرابلس الغرب (٢٤٤٤) .

وتنتج مصر السفلى والعايا وواحاتها أعناباً طيبة أحياناً (٢٤٤٥) . لكنها لا تضاهي بلاد الشام ، وهي إحدى مناطق الحبلة المتميزة ، التي تتفوق كثيراً على مصر . ففي مناظرة تفرد البلدان ببعض الفضائل ، يفتخر العراق بنخيله ، وترد عليه الشام باعتزازها بمجد وشهرة أراضي خصبة تضم أغوار زغر واريحا ، وبيت المقدس وعنبه الخطير ، وحوران و « أعنابها اللذيذة » ، وجبل عاملة ولبنان الجنوبي ، والبقاع والشام الشمالية وثغور الأناضول (٢٤٤٦) .

وقد يظن أن جزيرة العرب لا تلائم زراعة الكرمة لشدة حرها . وهذا كلام صحيح في جوهره ، إلا أن ارتفاع الجبال الساحلية فيها

يعدل تأثير فرط الحرارة الظاهر في البوادي : فالعنب أحد ثمار اليمن المتنوعة ، وفي الطائف قرب مكة عنب جيد (٢٤٤٧) . ولم تذكر الاعناب في العراق إلا في حلوان الواقعة في الحقيقة على حدود فارس ، وفي عاصمتي سرمن رأى وبغداد ، كصدى حذر وضعيف للخمر والحانات التي تغنى بها شعراء العصر العباسي (٢٤٤٨) .

وللكرمة أيضاً ترب مختارة أخرى تقع في الجهات الشمالية في حضيض الجبال أو في التلال أو الأودية . وتكثر على حد قول المقدسي في ارمينية واذربيجان ، وأجلها جميعاً الجزيرة التي يحمل منها زبيب شهير ، بخاصة من نصيبين التي بها سعة كروم رائعة وزائدة على حد الرخص (٢٤٤٩) . ولا تتطلع بلدان بحر قزوين إلى مثل هذه الميزة ، لأن مناخها الشديد الحرارة مثلما قد يتصور السيدلوتي ،لا يوفر للكرمة شروط النمو المثلى ، وان كانت تتكيف جيداً معها أحياناً (٢٤٥٠) ، فيما يبدو .

وتشتهر فارس الداخلية في نهوند وقزوين وبخاصة في اصبهان ، بطيب الهواء ، الذي يسمح ببقاء العنب فيها سنة بلا انقطاع (٢٤٥١) . إلا أن « معدن الاعناب » في مشرق دار الاسلام يقع في شمالها الشرقي . ويشير المصنفون إلى الكروم الواسعة والفواكه الكثيرة الرائعة وإلى تصديرها ، عندما يتحدثون عن مرو وبلخ وهرات ونيسابور ومدن خراسان الاخرى (٢٤٥٢) . ويستدعي ما وراء النهر تدوينات مماثلة وتعجبات حماسية مشابهة ، من ضفة جيحون اليمنى (اوكسوس) حتى بلدان خجندة وطشقند وخوارزم ، حيث لها على الشط خمس مائة كرم مذكورة ، وطول موضع الكروم فرسخان (٢٤٥٣) .

ولنذهب الآن صوب البحر ، مغفلين ما تحويه الواحات الصغيرة في مفازة فارس من موارد شحيحة (٢٤٥٤) ، لنلقى حقول الكرمة من الغرب إلى الشرق في خوزستان في حضيض جبال زغروس. أو اسافل سفوحه التي تلائم كثيراً وجودها (٢٤٥٥) ، وفي داخل فارس الجبلي (٢٤٥٦) ، وفي كرمان الغنية التي تحمل أعنابها إلى سائر النواحي (٢٤٥٧) ، وفي مكران على تخوم الهند (٢٤٥٨) . وينتهي استعراضنا لكروم دار الاسلام في العام ألف ، في الجهة الشمالية الغربية في واحة سجستان الكبرى ، على الحدود الحالية لايران وافغانستان . فسجستان ناحية كبرى كثيرة الاعناب ، وتحمل اعنابها إلى بلدان أخرى (٢٤٥٩) .

ويلخص العنب وحده وضع الكرمة أو يكاد . ولم تختف الخمرة من الحضارة الاسلامية ، كما هو معروف ، رغم حظر شربها شرعاً ، لأنها تترافق في ذهن الأثرياء والعظماء ، مع الموسيقى والشعر واطايب الدنيا. مع ذلك ، تزرع الكرمة في دار الاسلام لاعنابها في معظم الأحيان ، فتفقد مفاجأة وجود الخمرة أسباب بقائها في الغالب .

والوقائع ناطقة ، وفي طليعتها الاهتمام بشتى أصناف العنب : ففي اليمن وحده قريب من سبعين لوناً من العنب ، على حد قول ابن رسته (٢٤٦٠) الذي يكتفي بذكر هذا الرقم دون أن يسمي ولو نوعاً واحداً . ونعطي تفاصيل أخرى تدفعنا إلى تصديق كثرة هذه الأنواع . ففي بلخ ونواحيها عنب طيب ، وفي اصفهان عنب رقيق القشر (٢٤٦١) . وفيمايلي بعض الألفاظ التي يقتصر استعمالها على الخبراء العارفين : فالودع ، وهو نوع من الكرمة ينمو في غرب فارس ، يعتبر لغزاً ، لأنه ينتج في إحدى السنين عنباً عادياً وفي السنة التالية بزوراً

يذكر شكلها بشكل الأصداف المسماة غوري (٢٤٦٢) . ويحمل إلى سائر الآفاق (٢٤٦٣) كشمش فارس وبخاصة كشمش خراسان الشهير . ويغني اسم عنب السكر عن كل تعليق (٢٤٦٤) . وهنالك أيضاً أصناف حددت أسماؤها بدقة : مثل العنب الطائفي الذي يجنى في الجبال غرب مكة ويعرف في خراسان ذاتها (٢٤٦٥) ، والعنب العاصمي في فلسطين (٢٤٦٦) .

أخيراً نورد قوائم ، أو بالأحرى أسماء اعناب جاءت في سياق المفاخرة في ديوان الخراج بين الشاميين المدافعين عن فضل الحبلة وبين البصريين المؤيدين فضل النخلة (٢٤٦٧) . ويستشهد الشاميون في غمرة حماسهم بجميع أنواع الكرمة في العالم ، حتى ما كان منها في العراق . وتؤلف جميع البلدان التي يذكرونها ، أي العراق والشام والجزيرة وخوزستان وفارس رقعة واحدة أي نطاق الحبلة التي تتوزع أجناسها فيه : فالعنب الفارسي انتقل من فارس معدنه إلى شمالها ، وحمل الجرشي ، وهو دقيق وله عناقيد تكون ذراعاً ، من اليمن إلى بغداد ، كالملاحي ، في حين وصل العنب الرومي إلى جزيرة العرب (٢٤٦٨) . وتعبر ألفاظ أخرى ، عربية أو فارسية ، عن لون العنب أو شكله : كالأحمر والسماقي ، والاشهب والصقلبي ، والمختم والأبيض والزروى والأسود (٢٤٦٩) . ويترافق حسن الكرمة مع نبلها وكرمها ولذتها : فيوصف بعض عنبها بالمغذى ، وغيره بنادر المثيل وبالظافر والحلو ومعدن القوة (٢٤٧٠) . ونختم بالاشارة إلى الاستعارات أو الكنايات : فسنسمي الحمرى والاسفيذمشك والسياوشلك ، والقوارير ، والضروع — وهو عنب أبيض كبير الحب قليل الماء عظيم العناقيد — وعيون البقر —

وهو عنب أسود عظيم الحب — وأطراف العذارى — وهو عنب أسود كأنه بلوط عنقوده نحو ذراع (٢٤٧١) .

ويضاف إلى الاعناب الطازجة الزبيب الذي يجفف في الشمس أو في ظل الأقبية أو يعلق في المخازن والاهراء (٢٤٧٢) . والزبيب مصدر الرزق في كور عديدة ، ويحمل من مدينة إلى أخرى ومن اقليم إلى آخر . ويشير المصنفون الجغرافيون إلى هذه الثروة في المغرب الجنوبي والقيروان في تونس ووادي النيل الأعلى والشام والحجاز المكي والجزيرة واذربيجان وفارس وخراسان وخوارزم (٢٤٧٣) . ويعثر في هذه البلدان على أسماء أنواع زبيب مفضلة جداً : مثل الزبيب الطائفي (كالعنب الطائفي) ، وزبيب كشمهان في منطقة مرو ، والزبيب العينوني والدوري في بيت المقدس (٢٤٧٤) . ويؤكل الزبيب وحده (٢٤٧٥) أو يدخل في تحضير شتى الحلويات مع الجوز والفستق والسمسم (٢٤٧٦) ، لكنه لايستنفد حب الحلويات ، ويجود كرم الكرمة بالمنتجات التي تزاحم الزبيب . فاذا استثنينا الحصرم والخل (٢٤٧٧) ، تستسيغ أذواق الناس سكر العنب ودبسه وعسله وعصيره الطازج أو المغلي أو الشمسي (٢٤٧٨) .

أخيراً نذكر الخمر الذي يستغرب المقدسي الورع في الفسطاط كيف لا يتورع مشايخهم عن شرب الخمور ، ولا يغفل لا المقدسي ولا سواه من المصنفين الاشارة إلى انتاج الخمور في بعض الأماكن وحملها إلى سائر النواحي . ولا تزال ذكرى قصور كسرى حية في الأذهان ، هي وذكرى قناة رفعت بالصخر من نحو فرسخ ، كان يجري فيها الخمر . . . كالماء الجاري على حد ما روى في عجائب الاكاسرة (٢٤٧٩) .

وننهي باعطاء استشهاد أخير عن مكانة الكرمة ومنتجاتها في الحضارة الاسلامية لعام ألف : فقد اهتم المؤلفون بأسعار محاصيلها (٢٤٨٠) وبنظام مكاييلها (٢٤٨١) وخراجها . فتارة تفرض الضريبة على الكرمة حسب المساحة ، وطوراً حسب المحصول . ويطلق على ضريبتها اسم خاص أحياناً . ويشار أيضاً إلى انقلاب في الأعراف ، عندما عدلت السلطة الاسلامية مثلاً عن التقيد بالعرف الفارسي الذي كان يعفي بعض الرساتيق من الضريبة العقارية على الكروم (٢٤٨٢) .

المقايسة المتناقضة بين الحبلة والنخلة

الكرمة نبات كريم بين سائر النبات : فاسم الكرم مشتق ، مثلما قلنا من قبل ، من الكرم والكرامة والاكرام (٢٤٨٣) . ولها تاريخها ككل كريم : وقيل إن طائراً ألقى بحبها إلى أحد ملوك الهند ، وقيل إن نوحاً أول من زرع الكرمة (٢٤٨٤) . ويقع عيد الصليب عند النصارى وقت قطاف العنب (٢٤٨٥) ، وهو أحد أعيادهم الرئيسية . وأول ما غرس في الأرض الكرم (٢٤٨٦) في زعم بعضهم .

وقدمت الكرمة على سائر النبات إلا أن النخلة اعترضت سبيلها ، ونازعتها ، وانتزعت منها المرتبة الأولى (٢٤٨٧) في نهاية الأمر . وحدث ذلك في ديوان الخراج بسرمن رأى ، عاصمة الخلفاء العباسيين . وجرت المناظرة بين فريقين : جماعة من القراء البصريين يرأسهم القارىء ابن العلاف ، يفاخرون بالبصرة والعراق ، وفتية من كتاب الانبار ومعهم أبو حمران الشاعر . وبدأ النقاش حول فضل البصرة واعتبارها واسطة الأرض ، وبلداً أقرب براً من بحر وريفا من فلاة . وأجاب الخصوم بأن ما من بلد إلا وقد أعطي نوعاً من الفضل يتفرد به ، وعارضوا

كثرة وجود النخل في سواد العراق بخصب الشام والجزيرة . وأحس أبو حمران أن الجدل سوف يدور حول شجرة فريدة ، فضمن رده جملة أساسية سوف تستقطب حديث المفاخرة : « للحبلة أفضل من النخلة ، وللعنب أحلى من الرطبة ، وللزبيب أطيب من التمرة » .

وعدل ابن العلاف لحظة عن جوهر الحوار ، وافتخر بأرض البصرة، وقصر أنس بن ملك وغناها ، وبدا وكأنه يتحاشى الموضوع الأساسي ، ثم عاد إليه بفصاحة فائقة وقال : « فالنخل في مكاربه (٢٤٨٨) كالزيتون عندكم في منابته ، ثم هو في أكمامه كذلك في أغصانه ، ثم هو في ابانه كذلك في زمانه . هن الراسخات في الوحل ، المطعمات في المحل ، الملقحات بالفحل ، يخرجن اسفاطا عظاماً وأوساطاً (٢٤٨٩) نظاماً كأنما ملئت رباطاً . ثم تفتر عن قضبان اللجين منظومة باللؤلؤ الأخضر (٢٤٩٠) ، ثم يصير ذهباً منظوماً بالزبرجد الأخضر ، ثم يصير عسلاً معلقاً في الهواء ، ليس في قرية ولا سقاء (٢٤٩١) ، بعيداً من التراب كالشهد المذاب (٢٤٩٢) ، ثم يصير في اكيسه (٢٤٩٣) الرجال ، يستعان به على العيال » .

وقطع أبو حمران الكلام على ما بدا من أطناب ابن العلاف في مدح البصرة ، وقال : « إن لنا معكم بنخل بيسان ونواحي الأردن (واضح أن الخطيب يغالي) لأعظم الشرك في النخل ، فما نعبأ به » . « ويمضي الشامي في استطراد شعري ، ينهيه ليرجع إلى اطرائه » : « والكرمة أفضل الأشجار ، والعنب سيد الثمار ، وهي ناعمة الورق ، ناضرة الخضرة ، غريبة تقطيع الورقة ، بديعة الزوايا ، مليحة الحروف ، حسنة المقادير ، كأنما قورت من سرقة حرير ، واستخرجت من ثوب

نسيج . كثيفة الظل . خفيفة الفيء ، لدنة الأغصان ، لينة الافنان ، خضرة الأطراف ، كريمة الاخلاف ، سلسة القياد ، رفيعة جوهر الاعواد ، لذيذة الجنى ، قريبة المجتنى ، صغيرة العجمة ، رقيقة الجلدة . عذبة المذاق ، سهلة المزدرد ، كثيرة الماء ، فاضلة المخبر (٢٤٩٤) على المنظر . شريفة العنصر والجوهر » .

وهنا يتمكن أبو حمران الشامي جيداً من الحديث ، ويمضي فيه ويذكر كل شيء عن الحيوانات المؤذية أو المزعجة ، التي لا تستكن في جوانب الكرمة ، مثلما تفعل في النخل : كالغربان والعصافير ، بصيلان أصواتها ، والدود والحشرات والحيات والذر والفراش والعقارب وعظام العناكب (٢٤٩٥) . ويستعرض صفاتها الطبيعية : فمن رأى الكرمة حالت أو أخلفت ، كما يفعل النخل ؟ ويذكر اشتقاقها ويوازي بين الكرمة والكرامة (٢٤٩٦) . ويستشهد بالآيات القرآنية (٢٤٩٧) . فالجنة المؤنقة ، في الفراديس (٢٤٩٨) ، حديقة كرم ومعروشات .

أخيراً ، احتفظ بالحجة الرئيسية إلى نهاية المناظرة : نعني آثار العنب في الجسم . فأجرى مقايسة صارمة ، في جميع مراحل النضوج ، بين العنب والتمر ، وخمور الشجرتين وخلهما وعصيرهما ، واستخلص أن « الحبلة سيدة النخلة لأن الحبلة خير ونفع كلها والنخلة شر وعر » . ويسأل المرء : الم يبالغ الخطيب ؟ فقد تخلى بعد ارسال هذه التعابير القاطعة والجارحة ، عن المناظرة الخطابية بالمعنى الضيق ، وتحدث عن كثرة الكروم وحدها وعن أنواع الأعناب ، وحاول لحظة أن يبرر حماسه البالغ ، ثم عاد إلى تعداد أصناف أخرى من الاعناب ، وختم كلامه بأخطر موضوع ، نعني الخمر ، فاعتبره دواء لاداء فيه ، يطيب لمشوهي خصاله أنفسهم أن يقروا به .

فهل انتهى السجال ؟ قد يظن القاريء ذلك بعد سماعه هتافات المديح في الخاتمة . لكن يخيل لنا أن الجلسة رفعت فقط ، وأن الجدل سوف يستأنف هنا أو هناك ، وأن نصير النخل ترقب مرور العاصفة ، ثم انطلق بدوره في الأسطر الأولى ، وعرض حججاً جديدة . لكنه أبرز في البدء سوء النية الواضح في الاحتجاج بأن القرآن يتحدث عن وصف الكرمة باللذة . وكذب باسقاط بعض الآية الذي يذكر مخاطر الكرمة (٢٤٩٩) . ويدعم المسعودي هذا الرأي . ويروي ان ابليس سرق الكرمة من نوح حين خرج من السفينة (٢٥٠٠) . بالتالي ، تنطوي الكرمة على ما يبهج الروح ويصح البدن ، وتحمل بذور الشر أيضاً ، إذ يطلق عليها أحياناً اسم الخطيئة بالذات (٢٥٠١) .

بالمقابل ، ترفع النخلة رأسها ، بالمعنى الأصلي والمجازي ، لأن القرآن باركها بلا تحفظ ، وكذلك النبي الذي قال : « اكرموا عمتكم النخلة ، فانها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم . وليس من الشجر شجرة تلقح غيرها . واطعموا نساءكم إذا ولدن الرطب ، فان لم يكن رطب ، فالتمر الحديث » . (٢٥٠٢) . ويشار أيضاً إلى تبادل رسائل بين قيصر الروم والخليفة عمر (٢٥٠٣) : » ، حيث قال الملك : « أما بعد ، فان رسلي أخبرتني ان قبلكم شجرة يابسة ، ليس بخليقة من الشجر ، تخرج مثل آذان الحمير ، ثم تفلق عن مثل اللؤلؤ ، ثم تخضر فتكون كالزمرد الأخضر ، ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر ، ثم ترطب فتكون كالفالوذج اكلا ، ثم تيبس فتكون عصمة المقيم وزاداً للراكب (٢٥٠٤) . فان يكن رسلي صدقتني ، فانها من شجر الجنة . فكتب إليه عمر إلى قيصر . أما بعد ، فان رسلك قد صدقتك ،

وانها الشجرة التي أنبتها الله الكريم حين نفست بعيسى (٢٥٠٥) . فاتق الله ، ولا تتخذ عيسى الهاً من دون الله » .

وتحتد الأجوبة في نواحي أخرى . فمقابل أنواع الكرمة . أحصى نخل البصرة وحده . فبلغ عدده ٣٦٠ ضرباً ، جميعها موصوفة وبديعة مع طيب عجيب (٢٥٠٦) أما الحجة الأخيرة المأخوذة من النزاع أو الدعوى . كما نريد ، فتغني عن سواها . أجل ، الحبلة قديمة . عرفت قبل الاسلام الذي انتقلت إلى مملكته وتبناها . في أفضل الاحتمالات . أما النخلة ، فتعود إلى ما قبل الاسلام أيضاً ، لكنها تتدرج أكثر من الكرمة في أفق العرب ، وكثرتها الفتوح العربية ، ونقلتها إلى أنحاء بعيدة . فكانت ولازالت شجرة العرب ، حتى ان الافريقي يسجد عندما يرى أحد العرب ويقول : « هذا الرجل من بلد النخلة » (٢٥٠٧) . فنخل دار الاسلام كريم بين الأشجار الكريمة ، وزاه وباسق وجواد . وهو ، على حد قول السيد لينّي فيما بعد ، « أمير الشجر وشجر الأمراء (٢٥٠٨) » ، واميز دليل على حضارة (٢٥٠٩) العرب الذين شاؤوا أن يكونوا أمراء التاريخ .

انتشار النخيل

اذن تعتبر شجرة النخيل العظيمة رمزاً . ولا توجد ببلدان الروم ، وتوجد في جميع أقاليم الاسلام (٢٥١٠) إلا الرحاب . وكلام المقدسي واضح في هذه الناحية . إلا أن النخيل شجر المناخات الحارة أيضاً (٢٥١١) . لكن إذا تأمل الباحث في موقع بلدان دار الاسلام الجغرافي ، وجب ألا يلقى عقبة كبرى في التحقق من ظهور النخل المزدوج (٢٥١٢) . مع ذلك ، تستعيد الطبيعة حقوقها هنا وهناك . ويلفت

المقدسي الانتباه إلى سيطرتها ، ويقول : جميع أقاليم الاسلام يوجد فيها النخيل إلا الرحاب ، أي الا — الران — وارمينية واذربيجان لعلو أراضيها ولارتفاعها الشاهق ، والا صرود فارس حيث يندر . وعلى الباحث نفسه أن يستكمل هذه الصورة ، ويحدد البلدان التي يتضاءل وجود النخيل فيها أو يستبعد كلياً ، وذلك على سواحل بحر الخزر وفي المناطق الواقعة في أقصى شمال شرق دار الاسلام ، أي خراسان وما وراء النهر (٢٥١٣) .

ويا لسرعة نمو النخيل وحمل غروسه إلى البلدان الأخرى . ولاشك أن المصنفين الجغرافيين لم يتحدثوا عن جغرافيته التاريخية . إلا أن القارىء يتبين مراحل انتشاره عندما يطالع تصانيفهم . وأبرز أولاً حمل غروسه صعداً من سواد العراق (٢٥١٤) إلى أودية دجلة والفرات ، وثانياً نقلها من عمان والحجاز (المدينة) وتخوم الشام وجزيرة العرب وجنوب فلسطين (ويلة وصغر) وسواد العراق (البصرة والكوفة) (٢٥١٥)أيضاً، إلى اقليم كرمان الذي أصبح أرضها المفضلة وكثرت فيه التمور .

ويوجد النخيل في بلدان لم نتطرق إلى ذكرها حتى الآن ، وغالباً مايزدهر فيها ، ولو لم تدون أخبارها بصراحة مثلما جرى من قبل . ويثبت وجوده فيها سرعة حمل غروسه إليها (٢٥١٦) . ففي المغرب ، استثنيت الأندلس وحدها (٢٥١٧) من انتقال النخيل إليها . وفيما عداها ، اعتبر أن كثيراً من النخيل يوجد في هذا الاقليم ، ويفوق مايوجد في سائر الاقاليم (٢٥١٨) في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . ففي المغرب الأقصى ، تحمل التمور من فاس . ولسجلماسه ، على تخوم الصحراء الكبرى ، رطب أخضر من السلق في غاية الحلاوة ، يعتزون

به . ويوجد النخيل في جنوب تونس . وفي واحات ليبيا ، وعلى سواحل سرت (٢٥١٩) . وإذا ثابرنا على الاتجاه نحو الشرق ، وجدنا أن النخيل كثير بمصر ، ويتوزع في جميع أنحاء وادي النيل ، وحتى في مشارفه ، من اسون والواحات إلى الفرما وإلى واحات تيه بني اسرائيل (٢٥٢٠) .

وتختلف الصورة تماماً في الشام . ويعلم جميع الناس ، وتؤيد النصوص الجغرافية معرفتهم ، ان النخل لا يجود في هذا الاقليم إلا في غور البحيرة الميتة ونهر الأردن وأودية روافده . والنخل في الغور بديع حقاً ، ويفاخر به الشاميون أهل العراق (في الأصل / العربي) . ويشبه العراق الغور على حد قول ابن حوقل . ولعل ندرة النخل في الشام دفعت أهلها إلى تمجيد نخل الغور وإلى تسمية جميع أماكنه الأخرى ، مثل بيت المقدس والرملة وبيروت ذاتها . ونركن إلى حماس المقدسي لبلده فلسطين ، فلن يفوته ذكر أحدها (٢٥٢١) .

على النقيض ، يعتبر العراق من مواطن النخيل التي لا ينازع فيها أحد . ففيه يبدو نخيل البصرة وكأنه غرس في يوم واحد في أحد المواكب ، على حد قول الاصطخري وابن حوقل . وتبهج الناظرين رؤية نضارة اطلاع النخل في بغداد وسامراء وواسط والكوفة وبخاصة البصرة التي لا ينقطع الرطب منها إلا شهرين (٢٥٢٢) أما في شمال الجزيرة ، فيتوزع النخل في أودية دجلة والفرات وروافدهما (٢٥٢٣) ، ويتضاءل حائشه ، فيندر بقرب صرود ارمينية واذربيجان (٢٥٢٤) ، وبعوائق المناخ على سواحل بحر الخزر الذي ينمو فيها النخيل ولا يعمل أبداً (٢٥٢٥) . وفي اقليم الجبال ، في غربه وجنوبه الغربي ، أماكن تناسبه لأنها تبعد عن آفاق الثلج وتتأثر بحر سواد العراق (٢٥٢٦) . خلافاً

لذلك ، لا يتحدث المصنفون عن النخيل في الأراضي الواقعة إلى الشرق والشمال الشرقي ، باتجاه اقليمي خراسان وما وراء النهر . ولا تذكر النصوص إلا واحة مدينتي الطبسين : طبس التمر وطبس العناب ، على طرف مفازة فارس . ولا نخل في بلد كابل ذاته (٢٥٢٧) رغم شدة حرارته وانتاجه محاصيل المناطق الحارة .

ونعود إلى الجنوب لنرجع إلى بلدان النخيل . فهو كثير أحياناً في جزيرة العرب ، فيما عدا المفاوز ذات الشروط القاسية والجبال الشاهقة : فاليمن ليس ببلد النخيل في بعض أرجائه ، مع وفرة الفواكه فيه . اذن لم يبق للنخيل سوى واحات داخل الجزيرة والحجاز ، في المدينة خاصة ، وعمان والبحرين (٢٥٢٨) . وتمتد على جانب الخليج الثاني بلدان نخيل أخرى ، نعني خوزستان (٢٥٢٩) وفارس القارية أو البحرية (٢٥٣٠) وكرمان البعيدة عنهما . ويجمع المصنفون على الاشادة بجودة تمور السيرجان في كرمان وحلاوتها واتساع حوائشها الشاسعة والغنية إلى حد يغلب فيه التمر على طعام أهلها ؛ ويعملون بسنة تقضي ألا يرفعون من تمورهم ما تسقطه الريح (٢٥٣١) ليأخذه الضعفاء والمساكين . وتقع آخر أراضي النخيل إلى شمال كرمان وشرقها ، فتظهر في بعض واحات مفازة فارس التي بقي فيها النخيل أحياناً قائماً فيها حتى بعد أن هاجر منها غارسوها لصعوبة الاقامة فيها (٢٥٣٢) ؛ وفي سجستان التي تحمل منها التمور (٢٥٣٣) ، وفي مكران التي تعتبر واحة خضراء في وسط مفاوز تتابع على ساحل البحر حتى الهند (٢٥٣٤) ، وأخيراً في السند التي يزاحم فيها النخيل النارجيل في موطنه (٢٥٣٥) .

ويعنى المصنفون الجغرافيون ، مثلما فعلوا في بحث الكرمة والأعناب

بأسعار التمور وبالضرائب المفروضة على زراعة نخيلها ، وبالمواد المستخرجة منها ، كالعصير أو الشراب أو ماء الطلع (٢٥٣٦) . إلا أن اهتمامهم بالتمور يزيد على اهتمامهم بالأعناب ، لأنهم يعتبرون التمر حلوى طبيعية تفوق جميع الحلويات المجهزة في المطابخ (٢٥٣٧) . وقلت من قبل إن احصاء ضروب التمر أعطى ٣٦٠ نوعاً في البصرة وحدها . وقد عددت كل الأسماء الواردة في النصوص الجغرافية فحصلت في جميع الأحوال على ما يقرب من ثمانين صنفاً (٢٥٣٨) . وتتوزع هذه الأصناف إلى مجموعات أعم منها : كالبلح والرطب والتمر والقسب (٢٥٣٩) . وتميز تصنيفات أخرى النخيل المعروف عن الدوم الذي يعطي المقل (٢٥٤٠) أو أيضاً التمور الجيدة عن التمور الرديئة (الدقل) (٢٥٤١) .

لكن لنرجع إلى النخيل الأصلي وإلى تموره . فالى اقليم كرمان ، حملت شتى أنواعه . ولا نظير لثمانية أجناس منها . فقد نقل إليها الانقلي من صغر الواقعة إلى جنوب البحيرة الميتة ، والمسقر من ويلة الواقعة على خليج العقبة ، والبردى من المروة (٢٥٤٢) الواقعة قرب المدينة ، والصيحاني من المدينة ذاتها ، والمصين من عمان ، وازاذ من الكوفة ، والمعقلي من البصرة . ويضاف إليها تمر كرمان نفسها ، نعني الكرماشاني . وتشير هذه الأسماء أو عشرات غيرها ، إلى منشأ التمر الأصلي أو إلى اسم علم أو إلى الطعم : فالسكر الذي ذكرناه في الأعناب نوع من التمور (٢٥٤٣) أيضاً . وتدل أسماء أخرى ، أوفر عدداً ، على الشكل أو اللون : كالأحمر والأصفر والمختم والباذنجاني والطويل (٢٥٤٤) ، أو على تشبيه : كقسب العنبر ، وزب رياح والعروس والجناني والفحل وبيض البغل (٢٥٤٥) ، أو أخيراً أحياناً على علامة

أو وصف أولي : مثل الصفرقان ، وهو تمرة سوداء طيبة ، والجدامية وهو تمر ينفع عن البواسير ، والاتقلاء ، وهو تمر ثقيل لونه أصفر كالزعفران وحلوه شديد ، والطن الذي يعطي ماء الشرب طعماً لذيذاً كطعم الخمر المعتق (٢٥٤٦) .

والآن يحسن بنا أن ننهي نزهتنا في الحدائق والرياض عند هذا الحد بعد أن استعرضنا سمة هذه الوفرة التي غالباً ما أكسبتنا الميل إلى سعة العيش ووجدنا فيها تحقيق وسائلها . وقد عرفتنا دار الاسلام ببعض الخضار والثمار ، بفضل الأندلس وصقيلية ، أو ساعدتنا على اكتشافها مجدداً فيهما ، فعلقنا عليها ودققنا فيها . وبحثنا في بعض النباتات دون غيرها في سياق تقصينا ، فسهونا عن ذكر أنواع أخرى تحولت في عرفنا إلى نباتات برية أو نادرة يهتم بها العلماء . وتركنا على وجه التخصيص كثيراً من العقاقير التي تشاهد في مستودعاتها قرب البساتين والجنائن ، ويحتمل أن نعود إليها في المستقبل . ولا نقصد العقاقير الطبية بالمعنى الضيق ، بل ما يتجاوزها من قواعد ذهبية وضعها ابن البيطار لكل وجبة طعام ، لنعرف تأثير كل عشب وكل ثمر فينا ، لكي نحافظ على صحة جسدنا الذي يصلنا بالعالم بعد أن سخره الباري بلطفه لنا ، ونديم انسجامه وتوازنه .

أنواع النبات البري

هنا يطرأ تغييران على البيئة ، لأننا ننتقل من الأراضي المستغلة إلى أماكن وحشة ، ومن مشاهد وافرة الوصف إلى قليلته . وقد نبدي تحفظاً هاماً عن الصحراء ، الواقعة دوماً على تخوم الأراضي المزروعة أو فيما بينها ، مثلما رأينا . مع ذلك ، إذا عدلنا عن المشهد الطبيعي

وتأملنا النبات ، لاحظنا أن الصحراء تتأثر بلامبالاة أو احتقار الجغرافيين لعلم النبات بمعناه الحديث (٢٥٤٧) . فاذا كان النبات لا يثير الفضول ، أو لا يفيد ، فما جدوى وصفهم له ؟ إنطلاقاً من هذا المبدأ ، يقتصر وصفهم المفاوز ، بعد النظر إليها من هذه الزاوية بالذات ، على ذكر المراعي المحتملة ، إن وجدت (٢٥٤٨) . لذلك ، لا تنعزل المفازة أو البادية (السهب) ، لجهة خصائص نباتها ، بل تندرج في فئة عامة تشمل أراضي العشب والكلاء والحشيش والعلف (٢٥٤٩) والمراعي والمروج . ونحن نشعر بالسعادة عندما يرد اسم نبت ، ولو صدفة ، نجيلي بري لو شوكي ، يوحي لنا بوجود أرض جافة (٢٥٥٠) ، أو عندما يشار إلى حشيش كثيف ، تغيب فيه الدواب ، ينبؤنا بوجود أماكن مميزة (٢٥٥١) . ففيما عدا هذه الحالات الاستثنائية ، لابد لنا أن نستعين بالخريطة ، متى أردنا أن نفرق بين ما نسميه اليوم المرج وبين مراعي المناطق الجافة (٢٥٥٢) . ولم يبق علينا إلا أن نلقي نظرة عاجلة على الزروع والمروج ونباتها : فقد قامت دار الاسلام بنقل النبات وتوزيعه في سائر النواحي (٢٥٥٣) . وتذكر نصوص الجغرافيين ثلاثة بلدان منها هي فارس والعراق ، ومصر على وجه التخصيص ، وتلح على نبتتين هما القرط والرطبة التي تدعى القت متى يبست (٢٥٥٤) .

وتترافق الآجام والغياض عادة ، وتغطي مساحة شاسعة من سواد العراق ، أي البطيحة . ولا يختلف الوضع في غياض نهر مهران أو سجستان . إلا أن السمات البارزة قليلة ، ولا وصف لهذه الأرجاء . ويقول الاصطخري أن لإحدى المدن في فارس سورا ، وأن عليه خندقاً تتولد المياه فيه . وفي هذا الماء حشائش إذا دخلتها دابة (٢٥٥٥) أو إنسان ، التفت عليه ، فلا يتهيأ له عبوره ، ولا يكاد يسلم منه إلا

بشدة وجهد. ويتحدث المقدسي عن البادية الواقعة بين البصرة والكوفة. وعن وجود نبت فيها يقال له الغث (٢٥٥٦). يجمعه البدو إلى الغدران، ثم يبلّونه بمائها، ويتقوتون به. فهنا، في الحقيقة، ينظر إلى المشهد الطبيعي من زاوية الانتفاع بالنبات النامي فيه كالأقصاب والبردي والحلفاء (٢٥٥٧).

ويعتبر النطاق الوحشي الأخير الغابة أو الأشجار (٢٥٥٨) على حد ماورد في النصوص الجغرافية. ولهذه الأشجار تاريخ حافل كامل؛ لكنها تثير قضية تموين دار الاسلام بالخشب، وهذه القضية عويصة. لأن دار الاسلام تستهلك كثيراً منه، ولا تنتج إلا النزر القليل (٢٥٥٩). من ناحية ثانية، لا تغطي الغابة إلا بقاعاً ضيقة على الخريطة. ولايسمى منها إلا الشرق، ويقتصر وجودها على أربع مناطق، هي جبال فارس وجبال هرات التي يحمل منها الخشب إلى جميع النواحي تقريباً؛ وكردستان العراقي التي تقطع أشجاره وتنقل إلى سواد العراق، وأخيراً سواحل بحر قزوين بغاباتها الرائعة التي أعطى استثمارها اسم طبرستان أي أرض الفأس الحادة (طبر، تيبر) (٢٥٦٠).

الخشب والأخشاب

ويلح ابن حوقل، والمقدسي على وجه التخصيص، على وفرته أو ندرته، ويقنعاننا بأنه مادة نفيسة مهما كان ثمنها بخساً، مثل خشب الحرق. فلا حطب ولا شجر على سواحل خليج أمير المؤمنين، في حين الحطب والفحم بالمجان أو رخيص في الشتاء في اقليم الجبال. ومحتطب بخارى من بساتينها وما يحمل إليها من المفاوز (٢٥٦١). وإذا كان مثل هذا الاهتمام يوجه إلى الخشب الذي يحرق، فما هي حال الخشب الذي

يستعمل في ميادين أخرى ؟ تختفي في هذا المجال الغابة والاجة والغية ، أي باختصار الشجرة . ويبرز الخشب المصنع من أدنى نوع له إلى أجوده . فالخشب العادي يستخدم في ألواح أبواب السدود وسياجات صرف رياح الرمل (٢٥٦٢) إلى غير اتجاهها . ويطاوع خشب التجارة تماماً العمل بأدواتها (٢٥٦٣) ، فتنحت منه السفن (٢٥٦٤) ، وتصنع هياكل المنازل (٢٥٦٥) ، وأواني المطبخ والأدوات والصناديق والسلالم (٢٥٦٦) والمنجور . ونذكر أيضاً مشربيات مصر وأجنحة الخشب في مكة ، أو ما لأهل بخارى من حياض واسعة مكشوفة، قد اتخذ على حافتها بيوت من الألواح بأبواب يغتسل فيها (٢٥٦٧) ، وعلى وجه العموم ، تبنى البيوت من الخشب واللبن أو الآجر والقرميد أو القش أو القصب أو الحلفاء (٢٥٦٨) . وتحتل المباني العامة أعلى الرتب .. فخزائن الكتب ازج بمقسم إلى بيوت من الخشب المزوّق ، وقناطر الأنهار من خشب تجري تحتها السفن ، ويطرح الخشب على حيطان الجسور ، واشيدت بعض الأسواق من خشب بكاملها ، وتصنع الأبواب من الخشب وحتى جدران الحصون ؟ . (٢٥٦٩) أخيراً ، الجامع من خشب ، بمراقيه وقببه ، وسقوفه ، وزخارفه ، وأبوابه ، ومآذنه ، وأعمدته التي يتناوب فيها الساذج والخشب المخرم مع الآجر والجص (٢٥٧٠) .

وفي النهاية ، يتحكم الاستعمال ، تصريحاً أو تلميحاً ، بتضمين النصوص الجغرافية أسماء الأشجار وترد فيها أيضاً أسماء الأشجار المثمرة في سياق الكلام عن الأخشاب المستهلكة بكثرة ، كالارزن والجوز أو الكرمة التي توصف أعنابها وألوان حب عناقيدها وما يخالطها من سواد أو حمرة ، وما يجهز منها من الأطباق الفاخرة (٢٥٧١) .

فمن الشجر الجميز : وتصنع منه أبواب الفنادق . وقد استعمله جد المقدسي بالذات في بناء حائط عكا (٢٥٧٢) ، ثم النخيل نفسه الذي يستفاد من جذوعه ، وتفتل الحبال من ليفه (٢٥٧٣) . وتذكر الأخشاب الخاصة قبل أشجار الفاكهة ، فيأتي خشب البناء والأخشاب الجيدة في الطليعة : مثل الابنوس (٢٥٧٤) ، وبخاصة الساج الذي يحمل من الهند المسلمة أو الوثنية إلى بنادر جنوب جزيرة العرب وفارس والعراق وحتى إلى مكة حيث تلبس به الحيطان الضخمة ويستعمل في زخرفة الأجنحة الفخمة الشاهقة مع الحجارة والآجر . وقد صنعت سواري جامع المنصورة في السند من الساج الذي أبرز أيضاً عظمة قصور سامراء ، عاصمة الخلفاء العباسيين (٢٥٧٥) . ويزاحم خشب السرو الساج في فارس ذاتها . وهذا السرو مثل سرو بلد الروم (٢٥٧٦) . أما أبواب مغطى جوامع فلسطين ، فمن التنوب والشربين (٢٥٧٧) . ويشتهر حصن التينات في ناحية الاسكندرونة ، بمقطع خشب صنوبر كان ينقل إلى الشام ومصر (٢٥٧٨) .

وهنالك أشجار أخرى ، يحتمل أن يستعملها الانسان ، إلا أن الجغرافيين لم يحددوا وجه الافادة منها إلا نادراً . منها الحور والخدنك ، ويحملان من الولايات الشمالية أخشاباً أو قشوراً (٢٥٧٩) . ويخبر أصحاب المعاجم أن الأقواس والسهام (٢٥٨٠) تصنع من خشب الشمشاذ وخشب شجيرات أخرى . ومن هذه الأشجار أيضاً الخلنج البديع الألوان الذي يتخذون منه عجائب (٢٥٨١) ، والعرعر ، ويحمل خشبه من خراسان (٢٥٨٢) ، وبعض اللبخ الذي لا يزال باقياً في مصر (٢٥٨٣) (اهناس) ، والدلب الذي لا يثبت في مغيض أراضي بخارى (٢٥٨٤) . وتلتف باحدى مــدن فرغانة (نصراباذ) أشجار اسبيددال ، لا يجف

خشبها ويتميز بلينة عظيمة تمكن من يريد أن يجعل فيه عقداً (٢٥٨٥) . وروى أن رجالاً لباسهم الصوف كانوا يتقوتون بالبلوط ، وله ثمر مر على مقدار التمر (٢٥٨٦) . أخيراً ذكرت أشجار الغبيراء ، التي تختلم النساء إذا ازهرت (٢٥٨٧) .

وقد يستعين البناء بنبات خفيف : مثل الخيزران ، الذي يخرج من الهند إلى عمان (٢٥٨٨) ، والقصب العادي أو الفارسي (٢٥٨٩) ، الذي يستعمل وحده أو مع الحلفاء (٢٥٩٠) ويوصلنا القصب والحلفاء إلى نسج هذه الأخيرة الهائل . فهو هائل لأن حاكته يتسعون بمكاسبه ، ولأن الضرائب المفروضة عليه كبيرة (٢٥٩١) . وهو هائل بتنوع أصنافه : : كالغرابيل والحصر والقفاف والسلال ، والقتيل واسفاط الثياب والحبال وحبال السفن (القرمس) (٢٥٩٢) . وهو هائل بتفاوت جودة سلعه أيضاً : فالفرش الفندقية لا تقارن بالعبادى ، أي الحصر المعمولة في مدينة عبادان التي تقع بين سواد العراق وخوزستان ، وتعيش من نسج هذه الحصر الفخمة المصنوعة من الحلفاء (٢٥٩٣) . وهو هائل أخيراً بحجم انتاجه : ونحن نكتفي بهذا الشأن بالاحالة إلى المقدسي الذي قال إن وظيفة المسجد الأقصى في بيت المقدس (٢٥٩٤) كانت ٨٠٠٠٠٠ ذراع من هذه الحصر .

ويرد اسم النبات عند ذكر استعماله ، كما مر في بحث الشجر . وقد سبق وتحدثت عن شغل القنب والقصب (٢٥٩٥) والحلفاء وليف النخيل . إلا أن القصب يصنع منه غرابيل ، وتفتل الحبال من الحلفاء (٢٥٩٦) . ويضاف إليهما القش الذي تنسج منه الاسفاط (٢٥٩٧) ، ووزال المكانس (٢٥٩٨) ، وصنفان شهيران ، هما الاسل الذي تعمل

منه حصر سامان الرفيعة (٢٥٩٩) ، وقصب آخر ، لعله الخاص بمصر والهند (٢٦٠٠) ، ويصنع منه حبال للسفن وفتيل .

بعض النبات العجيب

نرى في الحقيقة أن الناحية العجيبة الأولى في النبات تتمثل في مايستفيده البشر منه عملياً ، نقصد في استخدام الانسان مهارته لاستغلال الهبة التي أنعم الله بها عليه . لكن لابد أن تنطوي هذه الناحية العجيبة ، مثلما تم في بحث الحيوان ، على عرض بعض الألغاز التي يعجز العقل عن فهمها ، وتحيل إلى الأسرار المطلقة التي يعلمها الله وحده (٢٦٠١) . ويتجلى العجيب أحياناً في تفرد النوع ، كما يستدل من موضع على طريق فارس الشمالية الشرقية « فيه دلبة لم ير أكبر منها » ، وتضيف : مفيدة جداً كأحد المعالم عليه . (٢٦٠٢) . وقد تكون الشجرة المنعزلة الوحيدة من نوعها ، مثل تلك التي لا يعرف ما هي ، في ارمينية الرابعة ، على قبر أحد أصحاب رسول الله ، وحملها يشبه اللوز وطعمه أطيب من الشهد (٢٦٠٣) .

وتبعث أنواع أخرى إلى الذهول بأحدى صفاتها التي تتناقض مع القوانين الطبيعية . فالخشب الذي يفترض فيه أن يطفو أو يحترق أو يتحول إلى رماد ، يشذ هنا أو هناك ويخرج على هذا الواقع . فالابنوس والشيز والعناب والاهندل (٢٦٠٤) ترسب في الماء . والسنط (٢٦٠٥) يحترق بلا رماد أو يكاد . ولا يحترق الطحلب المجفف في الظل . كذلك ، بكرمان عود لا تحرقه النار ، وابقى عليها من خشب صليب المسيح (٢٦٠٦) . والضخامة صفة الخيزران ، الذي تمتد جذوره إلى مسافة خمسة أو ستة فراسخ ، أي ثلاثين كم تقريباً (٢٦٠٧) . وبخاصة اثائب

الهند الذي يصفه المسعودي فيمايلي (٢٦٠٨) : « وهناك شجر من إحدى عجائب العالم ونوادره والغرائب من نباته ، يظهر من الأرض أغصان مشتبكة من أحسن ما يكون من الشجر والورق فتستقيم في الجو كأبعد ما يكون من طوال النخل ، ثم ينحني جميع ذلك منعكساً ، فيعود في الأرض مندساً ، ويهوى في قعرها سفلاً على المقدار الذي ارتفع به في الهواء صعداً ، حتى يغيب عن الأبصار . ثم تظهر أغصان بادئة على حسب ما وصفنا في الأول ، فتذهب صعداً ثم تنقطر منعكسة ، ولا فرق بين المقدار الذي يذهب منها في الهواء ويتسع في الفضاء وبين ما يغيب منه تحت الأرض ويتوارى تحت الثرى . فلولا أن الهند قد وكلت بقطعه من يراعيه من أمره لأمر يذكرونه ، وخطر في المستقبل يصفونه ، لطبق على تلك البلاد ، ولغشي تلك الأرض . ولهذا النوع من الشجر أخبار يطول ذكرها ، يعرفها من طرأ إلى تلك البلاد ورآها ، أو نمي إليه خبرها » .

وعجيب أيضاً السحر الطبي (٢٦٠٩) أو سواه . فعلى بريد من الموصل ، قرية بها نبت من قلعه وبه بواسير أو خنازير ، سقطت عنه . فان بعث من به هاتان العلتان وسيطاً بدرهم ومسلة ، وقلع ذلك النبت على اسم صاحب العلة بريء ولو كان بالشاش (٢٦١٠) . وبنواحي قاشان ، نبات ينبسط على وجه الأرض ، فيصير زجاجاً أبيض يبرق ، يستعمل في الأدوية (٢٦١١) . وبنواحي جرجان في جنوب شرق بحر الخزر ، بئر تظهر فيها شجرة كل سنة ، ثم تغيب . وقد احتال بعض السلاطين ، وشدها بالسلاسل الغليظة ، ففكتها وكسرتها وغابت (٢٦١٢) . وبمصر شجرة أخرى ، تدعى الومقس ، ترى بالليل من بعيد كأنها حريق ، فاذا دنا منها الانسان ، لم يجد عندها شيئاً البتة ،

فأي سحر يصيبها (٢٦١٣)؟ وما سر الشجرة التي تسمى بلغة أهلها « خش سايه » ، تفسيرها بالعربية « الطيبة الظل » ؟ وهي شجرة عظيمة مستديرة ، تعجب الموفق من حسنها ومما وصف له من حملها البق في ظروف منفوخة رقيقة القشر على مقادير التفاح (٢٦١٤) . وما هو هذا الشجر الموجود بزيادة جامع اليهودية الكبير في اصبهان ، الذي يشاكل الواقواق : البلد النائي المجهول ، ويحمل ثماراً لها وجوه بشرية تصرخ عندما تسقط أو عندما تهزها الريح (٢٦١٥) .

وقد تعرضت في بحث الحيوان (٢٦١٦) إلى ذهنية سرد عجائب مملكته . واتبع النهج ذاته في النبـــات . فلا يجوز أن يحتكر الغرباء النوادر ، إلا إذا اقتضت الحال التوقف في منتصف الطريق عندما ينتهي سلوكها إلى الوصول إلى المحظورات ، كما في مثال النبات البشري في الواقواق ، الذي لا يجرؤ أحد على أخذه على عاتقه . لكن ، على الاجمال ، لا تروى في مملكة النبات أعمال بطولة تضاهي مآثر مملكة الحيوان . فالحيوان يتمتع ، وهذا هو تعليل الفارق بين عجائب المملكتين بهامش أعظم بكثير من الاستقلال عن الانسان بحياته . فتسترسل مخيلة الانسان بحرية زائدة في تصور حياة الحيوان الذي لا يستطيع أن يؤهله أو لا يسعه أن يراقبه ويعرفه ويفهمه . وعلى النقيض ، تتفاوت استفادة الانسان من النبات مهما كان برياً . ويثبت هذا النبات في مكانه ، فيقع تحت بصر الانسان الذي تتسنى له فرصة تأمله كما يشاء . فالنبات لا يتوارى عن أنظار البشر ، ويطاوعهم . لذلك تتغير سمة العجيب في النبات . فلم يعد الانسان يشعر أنه نداء إلى استكشاف ميدان غريب عنه ، نعني الحياة الوحشية ، بل إنه دعوة إلى البقاء في سكنه مع صحبه ،

وإلى تعميق صلاته بهم وتطويرها وتنويعها . مع ذلك ، هل ينطوي هذا التصرف على تغيير سمة عجيب النبات حقاً ؟ فلنتذكر أن الحيوان الحر ذاته كان يفيدنا ، بمعنى أنه كان يدفعنا إلى التأمل من خلاله بعالم يظل عالمنا ومسخراً لنا : أهل أم لم يؤهل . وكل ما فعله الحيوان ، من جراء استقلاله المفروض ، هو أنه عقد علينا ، على الأرجح ، إدراك تلك العلاقة . ولا يعقد النبات الأمور على الانسان ، ولا يضلله ، بل يربط العجيب ، خالياً من نزوات الحيوان ، بوظيفته بالذات التي تقتصر على تحديد علاقة أساسية بأشكال عديدة بين جسدنا وروحنا وبين العالم ، في كل مناسبة يتيحها له العشب أو الورق أو الزهر أو الثمر .

نبات البحر : العنبر والمرجان

تحدثنا مرتين عن العنبر : مرة في هذا الفصل في كلامنا عن الصموغ والراتنجات والعنبر الأصفر ، ومرة ثانية في الفصل الرابع السابق في كلامنا عن الحيتان ، التي يظن أنها تبتلع العنبر الطافي على وجه الماء . ويسمى هذا العنبر الأشهب العنبر السمكي ، ولا يستحق نعت «السمكي» إلا لأنه يستقر مدة من الزمن في جوف الحوت ، وعلى وجه أدق في بطن البال . ويبعد بنشأته عن عالم الحيوان . فمن أين يأتي ؟ سبق وقلنا من البحر . الهائج . لكن ماذا أيضاً ؟

هنا لابد أن نفطن أن للبحر ، كما للبر ، عالماً خاصاً به ؛ له مشاهده الطبيعية وأشجاره وغاباته (٢٦١٧) ، وبإيجاز نباته . لكن لا يشار فيه إلى الاشنيات ، أو الخلق الكثير الذي تضعه أشكاله في مرتبة وسطى بين النبات والحيوان ، الا فيما ورد بصورة عامة وألمعنا إليه من قبل ،

باستثناء نبتتين شاذتين ، هما على وجه التخصيص العنبر والمرجان . ويؤتى بالكثرة الكثيرة من العنبر (٢٦١٨) من بحار الشرق . وتؤخذ من سواحل بلاد الزنج والهند وبورما وجزر الزابج ، إضافة إلى البحر المحيط على طول سواحل الأندلس (٢٦١٩) ، حيث يكثر أيضاً ، ويحمل إلى سائر النواحي . ولعل خيره ما يجمع من السواحل التي تدخل في دار الاسلام أو التي يرتادها المسلمون : مثل السواحل العربية أو الافريقية في خليج عدن وفي بحر القلزم ، على الأقل في جنوبه (٢٦٢٠) ، وبخاصة الواجهة البحرية التي تشرف على بحر الهند من اليمن باتجاه الشرق .

ولايشك أحد في أصل العنبر . انما ينفرد المقدسي بالقول صراحة انه لم يصح له ما العنبر . أما المصنفون الآخرون ، فواثقون من أنفسهم ، ويزعمون أن العنبر ينبت في قعر البحر نباتاً ، فاذا اشتد هيجان البحر ، قذفه من قعره مثل الفطر والكمأة ، تارة بأحجام هائلة كالصخرة الكبيرة أو الثور أو البعير ، وطوراً كبيض النعام وشكله أو دونه . وتتنوع ألوانه . فبعضه أبيض ، وبعضه أشهب ضارب إلى الزرقة ، أو أشهب صافي ، أو أزرق كامد . فما أغرب هذا النبات الذي لايقذفه البحر إلا في أوقات معلومة ، وخاصة إلى سواحل جزيرة العرب (من عدن إلى مخا) التي لا يقع عليها إلا وقت هبوب ريح الازيب (٢٦٢١).

وأغرب من ذلك أن العنبر يخرج من البحر وهو يفور . وهو ثلاثة أنواع في رأي اليعقوبي وأهل الخبرة . أولها عنبر السواحل الذي يجمع بعد تبرده وتصلبه . ويعين أبو زيد السيرافي وقت الجمع وطريقته ، فيقول إن لأهل الشحرنجبا ، يركبونها بالليل ، ويسيرون عليها على

ساحل بحرهم . فاذا أحست بالعنبر قد قذفه البحر بركت عليه ، فيتناوله الراكب . ولعل هذه الحكاية رواية شرقية لقصة الكلب أو الخنزير الكماء . والصنف الثاني من العنبر ، العنبر السمكي ، ويسمى أيضاً المبلوع ، أي الذي يبتلعه البال ، فتلتهب أحشاؤه ، ويموت ويطفو على وجه الماء . أخيراً ، النوع الثالث العنبر المناقيري ، وهو أعجبها : « فربما طرح البحر قطعة العنبر ، فيبصرها طائر أسود شبيه بالخطاف ، فيأتي إليها ، ويرفرف بجناحيه . فاذا دنا منها وسقط عليها ، تعلقت بمخاليبه ومنقاره فيها ، فيموت وبلى ، ويبقى منقاره ومخاليبه في العنبر » .

والعنبر نبتة عجيبة وغريبة ، تدخل في تحضير بعض أنفس العطور . ولاريب أن جودة العنبر متفاوتة . ويصنفه اليعقوبي تصنيفاً علمياً ، تفاضل أنواعه فيه حسب لونها ومعدنها وجوهرها وصفائها ورائحتها . ويقول مصنف أخبار الصين والهند : كلما كان البحر أغزر وأبعد قعراً ، كان العنبر أجود ، كما لو أن حيز السماء المشمس الضروري لحياة كل نبتة ، ينعكس هنا ، ويذهب إلى عمق مماثل نحو الأغوار السحيقة في ظلمات قعر البحر . ومتى انتزع العنبر من أسرار أعماقه ، لا يتداوله البشر بالحرية التي تدفعنا نزوات البحر في الظاهر إلى تصورها . فسواء التقط العنبر عن الساحل ، أو أخذ من الماء أو استخرج من جوف البال ، فقد ينتقل إلى يد صاحب السلطان الذي لا يتوقعه أحد ، ويظهر متى بدت بارقة أمل في الريح . وفي جنوب جزيرة العرب ، كل من وجد شيئاً من العنبر ، قل أو كثر ، حمله إلى صاحب السلطان ، ودفعه إليه ، وأخذ شقة وديناراً (٢٦٢٢) .

والمرجان (٢٦٢٣) رومي قطعاً . ويتميز به بحر الروم ، مثلما

تنفرد بحار الشرق باللؤلؤ (٢٦٢٤) . وتحدد نصوص الجغرافيين معادنه في سته وتنس ، وبخاصة في مرسى الخرز (٢٦٢٥) وطبرقة . ويتحدث ابن حوقل عن جمعه في قوارب ، بعضها قويربات لطيفة ، وبعضها كبير ، يعمل في القارب الواحد منها عشرون رجلاً ، ويبلغ عددها خمسين قارباً ويزيد . ويشرح المقدسي كيف يخرج الصيادون إلى جمعه ، ومعهم صلبان من خشب ، قد لفوا عليها شيئاً من الكتان المحلول ، وربطوا في كل صليب حبلين ، يأخذهما رجلان فيرميان بالصليب ، ويدير النواتي القارب ، فيتعلق الصليب بالقرن ، فيجذبونه .

« والمرجان نبت ينبت كالشجر في الماء ، ثم يستحجر في نفس الماء بين جبلين عظيمين » (٢٦٢٦) . ولا اشراق له ولا لون قبل جليه . ومتى جُلِيَ ، يصير رمزاً ، إذا يقال الوجوه كاللؤلؤ والمرجان (٢٦٢٧) . ونستطيع أن نستخلص تجارته من المعلومات الواردة عند ابن حوقل والمقدسي : فالصيادون يبيعون المرجان جزافاً رخيصاً في أسواق خاصة ، من تجار ، لهم أموال كثيرة من أقطار النواحي عند سماسرة وقوف لبيع المرجان وشرائه . وللعاملين في جمع المرجان مكاسب وافرة ، فيكثرون الأكل والشرب والخلاعة . وهنا أيضاً ، لسلطان المغرب أمناء على ما يخرج منه ، وناظر يلي ما يلزم ما يخرج منه . ومهما يكن يتضح بجلاء في النهاية أن الأسرار تكتنف المرجان أيضاً .

* * *

خاتمـــة

نظـــــرة شـــاملـــــة إلـــى دار الاســـــلام

تمتد دار الاسلام في أقصى غربها إلى حدود الدنيا ، إلى طرف العالم المجهول ، إلى القفر الرهيب الواقع على البحر . ويجاورها على تخومها الشمالية ، بلد الروم المريع ، الفاسد ، الراسخ البنيان ، ثم الفرنج وراء ثغور الأندلس ، فالصقالبة ، لا صقالبة بغداد من جند الخلافة العباسية أو غلمانها ، بل اشقاؤهم الذين ذهب بعض الرحالة الجريئين إلى ديارهم النائية . فقبائل خزر نهر اتل ، الذين اعتنقوا اليهودية وأقلقوا سواحل المسلمين على بحر الخزر . وتلي أقوام أخر جميع هذه الأمم ، مثل النورمان أو الروس أو البلغار أو الترك . ويسود بعدهم الجربى أي الشمال الحقيقي الذي يسيطر فيه البرد والظلام الدامس والسكون المطلق ، ما لم ينعطف نحو ياجوج وماجوج ، نذير قيام الساعة المتوارية خلف سده .

وتهيمن رهبة مماثلة في مشرق دار الاسلام وجنوبها ، بعد قطع البحار المجهولة ، واختفاء آخر الكواكب المألوفة في الأفق الهاوي بها . لكن تعبر أراضي معروفة ، ارتادها الرحالة ، تضم الهند والصين وممالك الزابج ، قبل الوصول إلى أقاصي الدنيا التي تستعر فيها النيران وتخلو

من الحياة . وتلحق افريقية بتلك الأراضي . وهي قارة تختفي في حيدة زائدة ، وتتوغل في أعماق بر عريض ، لم تستجل خباياه معارف القرون الوسطى إلا على نطاق ضيق وفي ناحيتين متناظرتين منها شرقاً وغرباً . فمن الجهة الشرقية ، يجيئها السفار من البحر ، مع أن وادي النيل يشق فيها طريقاً برية سالكة احتفظت بأسرارها بحرص شديد مدة طويلة من الزمن . أما من الجهة الغربية ، فتمّ الاتصال بها من البر ، واتبع السفار دروب القوافل التي تخترق حاجز مفاوز الصحراء الكبرى الهائل .

اذن لم تتثبت حدود دار الاسلام قبل القرن العاشر الميلادي إلا في جهتها الغربية . وتناهت إلى ما وراء مساكن أقوام باعدت بينها وبين غموم العدم أو المجهول . بالتالي ، لم تضم دار الاسلام كل العالم ، ولم تشمل سوى وسطه الحصين ومركزه . مع ذلك ، تتضح الحدود بجلاء على أطرافها في جميع الأماكن ، لأن المعمورة تنتهي على الدوام عند تخومها ، وهذا يعني أنها أفضل ما في الدنيا .

وتحوز دار الاسلام بحوراً وبروراً (١) ضمن حدودها الهادئة أو المضطربة . فتمتلك البحار الثلاثة القريبة منها ، أي بحر الروم الجنوبي أولاً ، وان كان التجار الاوربيون يسيطرون على تجارته على نطاق واسع ، وكانت قوة أسطول الروم وخطره الداهم يصلان إلى سواحله ، ثم بحر الخزر الجنوبي ثانياً ، ثم بحر العرب أو الفرس ثالثاً وأخيراً . ويحيط هذا البحر بجزيرة العرب من خليجي السويس والعقبة إلى العراق ، وتحف بركوبه الأخطار في الغالب ، وتهب فيه رياح عاتية ، وتكثر

(١) جمع بر ، كثير الاستعمال عند جميع الجغرافيين العرب .

الارقاق ، إلا أنه غني بالعنبر واللؤلؤ ، ومعروف جيداً ، فهو أشبه بضديق وفي غريب الأطوار . وتلي الباحة الكبرى البحار القريبة في الشرق والجنوب ، ونقصد بها بحر الهند ، بحر الرياح الموسمية وملاحة الإغزار ، بحر سندباد والتجارة الكبرى والأرباح الخيالية ، والبحر المباح الذي تجوبه وتلتقي فيه وفي بنادره بحارة دار الاسلام ونواتي الهند والصين ، وبحر القصص الشيقة والأساطير أخيراً .

وتتوزع برور دار الاسلام على طول المنطقة الجافة في العالم القديم . ويشاء حسن الحظ أن تتخللها أو تحدها من المحيط إلى المحيط ، الواحات ، والجبال ، والسهول الساحلية وأودية الأنهار الكبرى ، وغيرها من المزارع النزهة الخصبة التي تفضل الأراضي الوحشة المطلقة التي تنتشر في المفاوز أو الأراضي الوحشة نسبياً التي تقع في البوادي . وهكذا تتناوب في دار الاسلام مشاهد طبيعية تتباين أرضها ومياهها أو مناخها ، وتؤلف أقاليم بالمعنى الذي حدده المقدسي لهذا اللفظ ، أي وحدات جغرافية تختلف كثيراً عن البلدان المصاقبة لها ، وتتميز بقيام سلطة سياسية مستقلة فيها في حقبة ما من تاريخها ، شرعية كانت أو قائمة فعلاً .

في هذا المنظور تصبح اسبانية في جغرافية المصنفين الشرقيين شبه هامشية ومنهمكة في صراع دائم مع المسلمين الذين يفرضون عليها حدوداً متحركة ويصورونها عبر البلد السليم ، نعني أندلس البساتين والرياض التي تشمخ فيها الجبال ، وتخترقها الأنهار . ثم يأتي المغرب ، بلد مفترقات الطرق ومنتهى دروب القوافل القادمة إليه من الآفاق الصحراوية ، لأن القفار تنتشر بلا انقطاع في جميع أرجائه الجنوبية ، وتصل أحياناً حتى البحر فتجاوره في طرابلس الغرب وبرقه . أما شماله ،

فيشاء حسن الحظ أن تحوي سهوله أو جباله ، بجوار عيونه أو أنهاره ، مجتمعات قوية ومدن استعراب في وجه قبائل البربر . وتتابع مراكز حياة شبه متصلة ، من المغرب الأقصى إلى وادي الشلف فساحل تونس فجبال ليبيا . تضاف إليها جزيرة صقلية المعزولة في عرض البحر ، الشبيهة برقيب طليعة الجيش . وهي غنية ، لا تلم بها معارف المصنفين على الوجه الأكمل على الدوام .

وتتمثل مصر في النيل وواديه الضيق المار بين سلسلتين من الجبال في الصعيد ، والعريض في الشمال في رحاب الدلتا . وتعتبر أحد أقدم بلدان العالم . وفيها المعابد والضرائب ، والزراعة الكثيفة . وتعتمد حياتها على النيل . وتجاورها مفازتان قفرتان في الغربية منهما الفيوم والواحات . وجزيرة العرب مهد الأماكن المقدسة المسلمة ، وموطن أقدم القيم الانسانية ، تحيط بها الجبال ، وتسمى « جزيرة » لأن البحر والبادية يعزلانها عن سائر العالم . والحقيقة أن واجهتها البحرية الواسعة تربطها بالهند ، وباديتها تصلها بالبلدان الغنية المشرفة على حوضة البحر المتوسط الشرقية .

وتضم الشام سورية ولبنان وفلسطين . وهي بلاد عظيمة أيضاً . بها بيت المقدس ، وبها فلاحون يعملون في الزراعة منذ أقدم العصور . وتتحكم بالعبور من البحر إلى اقور . وتتنوع مناخاتها ومحاصيل حقولها من سلاسلها الساحلية إلى بواديها المحرقة ، مروراً بالغرائب المدارية في وادي نهر الأردن . ويعتبر العراق قلب البناء السياسي في دار الاسلام ، وكانت بغداد مقر الخلافة العباسية . ويشبه مصر انما له نهران مقابل نيل واحد . وهو أرض منبسطة خالية من الجبال التي تحجب الأفق .

وفيه زراعة يسود فيها النخيل، وتنافس تجارةً تتركّز في ميناء البصرة التي تقع على شط العرب عند التقاء نهري دجلة والفرات ، وتعتبر دهليز الشرق الأقصى . وتنحصر اقور ، آخر « أقاليم العرب » حسب تصنيف المقدسي ، بين نهري دجلة والفرات . إلا أن واديبهما وأودية روافدهما تمدها إلى الجبال في الجهة الشمالية . وبذا تضم الجزيرة أراضي عالية وأراضي منخفضة ، بين بحر الروم وداخل آسية . واسمها القديم اقور . وتعبرها محاصيل كثيرة تحمل إلى مدن العراق الكبرى .

وتبدأ أقاليم العجم ، أي الفرس والترك وسواهم ، وراء الجزيرة العليا أو المنخفضة . وأولها اقليم تدخل فيه ارمينية واذربيجان ومشارق جبل القبق ، ويشكل أرضاً مجزأة أو بالأحرى جملة بلدان صغيرة أو ممالك . وتكثر فيه الجبال الشاهقة ومنها جبل ارارات .ومياهها وافرةفي جميع الأماكن:في بحيراته الكبرى،ارمية وارجيش ،(خلاط) وفي أنهاره ، ومنها دجلة العليا والفرات الأعلى وروافدهما . وعلى السفوح الأخرى ، الكروالرس اللذان يخترقان أراضي تتخللها الحقول الحمراء المزروعة بالفوة . وينتصب حاجز جبلي إلى جنوب بحر الخزر . ويشمل الديلم وطبرستان وجرجان ، ويحوي جبل دنباوند العظيم الباسق . الاجرد ، المغطى بالثلوج والغابات والغياض والنبات النامي ، والغزير الأمطار . ويأتي اقليم الجبال بعد الحاجز الجبلي ، ويشتمل على سلاسل وعرة . ويسترعي الانتباه فيه التناقض الواضح بين شدة برد الشتاء وشدة حر الصيف الجاف ، ثم بين الواحات الرائعة ، لاسيما اصفهان . وبين البوادي القفرة أو المفازة الكبرى في الشرق ، ثم بين سعي البشر الدائم إلى التحرك في شتى الأماكن وبين الحواجز الطبيعية التي تعترض سبيلهم ، وتعيق تنقلهم .

وتقع خوزستان على ساحل بحر فارس . وتشبه أرضها سواد العراق ، بشواطئها غير الواضحة التي تكاد لا ترتفع فوق مستوى المد والجزر العظيمين وفوق مستوى الأنهار العريضة ، وبزراعتها الكثيفة التي انجزت أعمالاً فريدة. إلا أن في نواحيها الشمالية جبالاً لا تحسب منها . ووردت خصائص خوزستان في شتى التصانيف . فتميزت بأصالة ثابتة عن سائر الأقاليم . وكثرت علل هوائها . وانفردت بجراراتها وما عندها من قصب سكر وأرز . وتليها فارس بأنحائها الثلاث . ففارس الأولى تمتد على سيف البحر ، وفيها الحرارة شديدة إلى حد كبير . وهي نشيطة تسيطر على مرور المراكب إلى الشرق الأقصى وتستوفي أعشار السفن في بنادرها ، وغنية أيضاً تصطاد اللؤلؤ من مياهها . وتقع فارس الثانية في الداخل ، وفيها أقاصي جبال زغروس ، الخالية من الحياة قلما يكون في قممها الباسقة . وتشمل فارس الثالثة الجبال الضئيلة الارتفاع وأوديتها ، ببحيراتها وزراعتها التي تعتبر من عجائب الدنيا . وتحاك فيها أجمل المنسوجات ، وتنتج جميع الفواكه ، ويفوح عبير الأزهار في جميع أرجائها تقريباً .

ويتكرر نموذج فارس إلى شرقها في كرمان على نطاق ضيق . فالجبال فيها أندر وحرها أشد . وبين أضعاف مدنها مفاوز وبراري لا تخترقها إلا طرق القوافل . لكن تتضمن مظاهر الحياة فيها بساتين كرمان التي يجد فيها الانسان أقصى مناه ، وتزرع فيها جميع أنواع النخيل كما هي الحال في العراق . وتنبسط مفاوز مكران إلى شرق كرمان . ولا ملاذ فيها إلا في بعض أراضيها العالية . ثم يظهر وادي نهر مهران أي السند أو الهند المسلمة ، بل الهند بالذات بنباتها وحيوانها ، خاصة النارجيل والفيل ، وبفخامة بددها العظيمة وأصنامها ، وتنوع

ما فيها من أخشاب ثمينة أو توابل أو عقاقير ، أو حتى عادات ، إلى أقصى حد . فكل شيء في الطبيعة ينبيء بالوصول إلى عالم جديد . ويشاء حسن الحظ أن تتجلى بوضوح تام أوجه الشبه بين نهر مهران ونهر النيل ، فتسمح بالحاق اقليم ناء جداً باقليم مصر أحد أروع أقاليم دار الاسلام .

بقي ما يسميه المقدسي اقليم المشرق ، أو ، على الأصح ، اقليم الشمال الشرقي على الخريطة ، أي أراض شاسعة تشمل نواحي عديدة جداً أو بالأحرى ثلاث مناطق إذا ذهبنا في التبسيط إلى أقصى مداه . فالمنطقة الأولى سجستان على مقربة من الهند . وهي واحة واسعة تمتد حول سبخة هائلة وعلى ضفاف أنهار صابة فيها . والمنطقة الثانية خراسان الواغلة في أواسط آسية التي تضم البلدان المصاقبة نهر جيحون . أخيراً ، المنطقة الثالثة ماوراء النهر ، التي قد يسميها بوريس فيان المنطقة الواقعة خارج النهر .

ويتلخص وصف هذا المشرق في ثلاث كلمات : الجبال والبوادي والواحات . أما الجبال فقريبة هنا من عقدة آسية العليا التي تتفرع منها السلاسل لتذهب إلى أقاصي الدنيا . والبوادي بوادي الفوالج والارتحال في الصيف ، وهذا طبيعي ، لكن في الشتاء أيضاً على الثلوج . أخيراً ، تنتشر الواحات بفضل الأنهار النازلة من خزان الماء الجبلي ، مثل نهر جيحون الذي فصل قديماً أمم فارس عن أمم طوران ، ثم نهر سيحون الذي يجري على حدود دار الاسلام ، ثم أنهار أخرى كثيرة ، أذكر منها فقط نهر السغد لأنه يسقي نواحي سمرقند وبخارى ، التي تعتبر إحدى أجمل واحات الأرض وأوسعها وأغناها ، ويطيب لابن حوقل أن يرى فيها هبة من الله تعالى استثمرها البشر على أوسع نطاق .

ولابد أن جميع أقاليم العجم حيوية لدار الاسلام : فالدروب بين بحر الخزر وبين بحيرة خوارزم تصلها بأوربة الشرقية التي يحمل منها الرقيق والفراء ومواد كمالية أخرى ، ثم ان طريق الصين البرية الكبرى ، أي طريق نقل الحرير والورق وهما سلعتان هامتان ، واقعة فيها . لذلك ينبغي أن تهيمن دار الاسلام على تلك الأقاليم ، مما يقتضي بناء كثير من الرباطات على الثغور ، تقام فيها الصلاة ، وتراقب منها الآفاق — وهذه ضرورة حربية — : فربما انقض منها الأتراك على دار الاسلام في أي لحظة . وقد أجبرتهم دار الاسلام على الانكفاء عنها ، وغزتهم ، إلا أنهم يتحينون الفرص لاجتياحها . وهذا الاجتياح تاريخ ما بعد القرن العاشر . أما القرن العاشر فنهايته نهاية هذا الكتاب .

وبذا نصل إلى خاتمة بحث الوسط الطبيعي . وبقي علينا أن نرى كيف يعيش البشر فيه وماذا يعملون . وقد تطرقنا عرضاً إلى هذه النواحي هنا وهناك ، لأن الطبيعة لا تنفصل البتة لا في الواقع ولا في النصوص الجغرافية ، عن البشر الذين شاء الله لهم أن ينفذوا مشيئته فيها ، وقد نزعوا وفعلوا .

* * *

حواشي القسم الثاني

حواشي الفصل الرابع

(١٥٢٢) حول هذه الصفات وغيرها ، انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، جدول ص ١١

(١٥٢٣) حتى لو تكررت هذه الفترات بانتظام اضطراراً في سبيل تأمين متطلبات الحياة

(١٥٢٤) المقدسي ، آخر ٢

(١٥٢٥) أخذت الاستشهادات اللاحقة من المقدسي ، ج ٢ ، ٢١ – ٣٧ (نص عربي ٢٢ – ٣٩) ، مع تعديل الترجمة إذا اقتضى الأمر .

(١٥٢٦) الطلوع : ظهور الشمس فوق الأفق

(١٥٢٧) تقليد التوراة مثلما سوف نرى

(١٥٢٨) أشرنا في الفصل الأول إلى أن القول بارساء الأرض بالجبال في القرآن . يبرز الحرص على اكمال التقليد اليهودي المسيحي ، بحجة قول رجل مسلم ثقة ، أي ابن اسحاق (انظر ج . م . ب . جونز في م١ (٢) ، ج ٣ ، ٨٣٤ - ٨٣٥ ، و ع . ر . كحالة ، معجم المؤلفين ، دمشق ، ١٥ جزء ، ١٣٧٦ / ١٩٥٧ – ١٣٨١ / ١٩٦٨ : ج ٩ ، ص ٤٤)

(١٥٢٩) حسب ديموقريتس ، ذكره المقدسي ، ج ٢ ، اخر ٢٥ .

(١٥٣٠) البحر الكامل . المقصود أمية بن أبي الصلت ، المتوفى حوالي ٦٣٠ / ٨ : انظر ر . بلاشير تاريخ الأدب العربي من البدء حتى آخر القرن الخامس عشر . باريس ، ٣ مجلدات ، ١٩٥٢ – ١٩٦٦ : ج ٢ ، ص ٣٠٤ – ٣٠٦

(١٥٣١) فعل « جلد » الذي يعني أيضاً « وخز » في الحديث عن الحية : ومن هنا فكرة « همز » .

(١٥٣٢) يورد المقدسي (ج ٢ ، آخر ٢٣ — ٢٤) هذا الموضوع المجرب بصيغة أخرى :
لولا تهدئة الملائكة لا لتهمت الشمس جميع الأشياء .

(١٥٣٣) يأتي التفسير بالصدفتين بعد النص الذي سوف نستشهد به ، ويختتم الكلام عن السماء . ولعله ، في رأي المقدسي نفسه ، (ج ٢ ، ٣٧) صيغة رمزية للنص المشار إليه .

(١٥٣٤) قصص : انظر ش . بيلا ، م ١ (٢) ، ج ٤ ، ٧٦٣ — ٧٦٥

(١٥٣٥) المسعودي (م) : فقرة ١٣٥٩ ، ج ٧ ، ١٨٢ وما يليها . المسعودي (ت) : ٢٠ — ٢٣ . اخوان الصفا : ج ١ ، ١٢٨ — ١٣٠ . انظر الهمداني : ١٩١ — ١٩٢ عن جزيرة العرب .

(١٥٣٦) ابن الفقيه : ٢٢٧

(١٥٣٧) عن المجرة والنيازك ، انظر المقدسي ، ج ٢ ، ٢٦ — ٢٧

(١٥٣٨) يتحدث المقدسي عن « انقضاض الكواكب » وعن « الكواكب المنقضة » .

(١٥٣٩) عن الظاهرات المدروسة هنا ، انظر المقدسي ٣٣ — ٣٤

(١٥٤٠) الشهبان : حرفياً اللهب . يستعمل هذا اللفظ بمعناه الأصلي هذه المرة فيما بعد . وهو يعني اليوم أيضاً « مذنب » ويؤديه نصنا الفرنسي بما معناه « ذؤابة » .

(١٥٤١) وصفت أيضاً في الفصل السابق في بحث البحر .

(١٥٤٢) حرفياً : سحاب اعصار شكله مستطيل

(١٥٤٣) هنا وكما أشار هوارت في ترجمته (المقدسي ، ج ٢ ، ٣٣ ، حاشية ٢) ، يجب فهم فعل « شرق » بالمعنى الذي « اشتق من شروق الشمس عندما تهبط الأشعة مائلة على الأرض »

(١٥٤٤) المقدسي ، ج ٢ ، ٣٣ — ٣٤ . انظر ا . وايدمن ، « قوس قزح » في م ١ (٢) ، ج ٤ ، ٨٣٥ — ٨٣٧

(١٥٤٥) المسعودي (م) ، فقرة ٥٢٨ يقول بأن البعض يعدون ثمانية ألوان ، ولا يضيف شيئاً .

(١٥٤٦) شرح المسعودي أن اللون الأحمر يشبه الدم ، فيلائم مبدئياً رايات الحرب . إلا أنه حظر ، أو على الأقل حد منه ، لأنه أيضاً لون الفرح الذي يحبه الأولاد والنساء ، بالتالي يتنافى مع الاشارة إلى ضروب عنف الحروب .

(١٠٤٧) يشير المترجم ش . بيلا في الحاشية إلى ما يلي : « عند القدامى ، تتم الرؤية البصرية بشعاع ضوء يذهب من العين ويتجه نحو الشيء المشاهد » .

(١٠٤٨) الشمس ، القمر ، الزهرة ، المريخ ، المشتري ، عطارد ، زحل .

(١٠٤٩) انظر شرح الكندي المطول ، ج ٢ ، ٦٤ — ٦٨ ، و ١٠١ — ١٠٨ . انظر و . فيشر ، دراسة خاصة : Farb-und Formbezeichnungen in der Sprache der altar-abischen Dichtung, . ويسبادن ، ١٩٦٥ .

(١٠٥٠) الموضوع شهير . انقل المعطيات اللاحقة عن ابن رسته ، ص ٥٩ ، حيث تظهر بجلاء تام « التوافقات » السابقة لبودلير . انظر أيضاً ابن الفقيه : ٢٣ ، ٢٥ ، وابن حوقل : ٣١ ، من بين المصنفين . وعلى المستوى الدنيوي ، انظر مسمر ، ٢ روماني ، ٣٨ (مدينة لا يشتم فيها العود مهما كانت رائحته قوية جداً . انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ٩٨) ، في حين تشتم سائر الأعراف كالمسك والكافور والعنبر كما هي) . وعند ابن الفقيه : ٢٠٤ ، مثال سابور التي لم يزل من بدخلها يشتم روائح طيبة من غير علة .

(١٠٥١) انظر أيضاً على سبيل المثال : عن المطر : القرآن ، فهرس ، لفظ المطر . وعن الريح : القرآن : ٢ : ١٥٩ — ١٦٤ ، ٣ : ١١٣ — ١١٧ ، ٧ : ٥٥ — ٥٧ .
٨ : ٤٨ ، ١٠ : ٢٣ — ٢٢ ب ، ١٤ : ٢١ — ١٨ ، ١٥ : ٢٢ ، ١٧ : ٧١ — ٦٩ ، ١٨ :
٤٣ — ٤٥ ، ٢١ : ٨١ ، ٢٢ : ٨١ ، ٢٢ : ٣٢ — ٣١ ، ٢٥ : ٥٠ — ٤٨ ، ٢٧ : ٦٤ —
٦٣ ، ٣٠ : ٤٥ — ٤٦ ، ٤٧ — ٤٨ ، ٥٠ — ٥١ . ٣٣ : ٩ ، ٣٤ : ١١ — ١٢ ، ٣٥ :
١٠ — ٩ ، ٣٨ : ٣٥ — ٣٦ ، ٤١ : ١٥ — ١٦ ، ٤٢ : ٣١ — ٣٣ ، ٤٥ : ٤ — ٥ ، ٤٦ :
٢٣ — ٢٤ ، ٥١ : ٤١ ، ٥٤ : ١٩ ، ٦٩ : ٦

(١٠٥٢) رسالة الغفران : نشر عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) ، القاهرة ، رابع طبعة ، ١٩٥٠ ، ص ٢٧٦

(١٠٥٣) ينشيء

(١٠٥٤) الهمداني : ١٠ (الجليد ، الضريب ، الشفيف ، الصقيع ، القريص ، البليل . عن ترجمة الشفيف ، انظر غالب ، معجم ، اللفظ ذاته) . الهمداني : ١٩١ — ١٩٢ : تخصيص البروج بالفصول باليمن . النظرية العامة : الهمداني : ٢٨ — ٣١ ، ٣١ — ٤٤ (ترجم في جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ٣٤ — ٤٨ . انظر أيضاً المرجع ذاته ، ٦٤ وما يليها ، والفهرس ٦٠٨ — ٦٠٩ ، ٦١٧ — ٦١٨ وأماكن متفرقة) .

(١٥٥٥) من آيات القرآن عن الجنه ، نبرز الظلال والعطور والنعيم الذي يستشف ، بالتضاد ، من عذاب الجحيم : ٥٢ : ١٨ ، ٥٦،٢٧ : ٢٩ ، ٣٠ ، ٨٨ – ٥٧،٨٩ : ٤١ ، ٨٢ : ١٣ – ١٤ وأماكن أخرى . وضوح تام في ٧٦ : ١٣ : لا يرون (الأبرار) فيها شمساً ولا زمهريراً .

(١٥٥٦) ابن رستة : ١٥٤

(١٥٥٧) انظر جغرافيه دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٦٨ – ٦٩ . انظر أيضاً ابن رسته ذاته : عن اليمن (ابن رسته : ١٠٩) ، المسعودي (م) : فقرة ١٣٦٢ (في الحديث عن بلد يذكره بقراط) وآخر ١٣٦٣ عن (العراق)

(١٥٥٨) ابن الفقيه ٢٢٧ – ٢٣٧

(١٥٥٩) إشارة إلى الزمهرير ، « برد قارس » (من جذر يعني « حرق ») : القرآن : ٧٦ : ١٣ ذكر من قبل في الحاشية ١٥٥٥ : انظر بلاشبر قرآن ، ج ٢ ، ١٠١ حاشية .

(١٥٦٠) انظر ج د ا ، ج ٢،ص ١٣٢ ، ١٥٩ ، ١٧٦

(١٥٦١) عنوان كتاب بقراط : كتاب الاهوية والبلدان . ويظهر التوافق بين العنوان والعنوان اليوناني في مكان آخر : كتاب بقراط في الاهوية والازمنة والمياه والبلدان . ترجمة ثابت بن قرة وحنين بن اسحاق : انظر ب . كارادى فو ، م ١ ، ج ١ ، ٨٠٤ . م . ستينزشنيدر .

« Die arabischen Ubersetzun gen aus dem Griechischen », Zeitschrift der deutschen Morgenlandischen Gesellschaft, L,

١٨٩٦ ، ص ٣٩١ ، و ٤٠٩ – ٤١٠ . ٨ . ريتر و ر . والزر :

Arabische Ubersetzungen griechischer Arzte in Stambulem Bibliotheken, Si tzungsberichten der PreussischenAkademier der Wissenschaften (Phil. - Hist . Klasse) XXVI .

١٩٣٤ ، ص ٨٠٣ . يذكر ابن الفقيه أيضاً كتاب الفلاحة لفسطوس ، وصوابه قسطوس : انظر سيزغين ، Geschichte der arabischen Schriftums, Leyde, 1934 . لايدن ، ج ٤ ، ص ٣١٠ – ٣١٨ (ذكره م . حميد الله ، قاموس النبات لأبي حنيفة الدينوري ، مشار إليه من قبل ، ١٥) . وبولنز ، الطرق الزراعية في القرون الوسطى ، مشار إليه ، ٣٧ .

(١٥٦٢) انظر ما تقدم ، الفصل الثاني ، ص ١٥٩

(١٥٦٣) المسعودي (م) : فقرة ١٣٣١ ، ١٣٦٢ و ج ٧ ، ١٨٢ — ١٨٥ . المسعودي (ت) : آخر ٣٧ — ٤١ ، ٤٦ — ٤٧ ، ٦٨ — ٦٩ . يمكن التفكير أيضاً ببعض مقاطع ابن رسته : مثلا ص ١٠٩ (أوقات الأمطار في اليمن) ، ١٥٩ (خرزتان تذيبان البرد)

(١٥٦٤) انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، الفصلان ٤ و ٥ ، أماكن متفرقة .

(١٥٦٥) ذكر سابقاً في الفصل الأول ، ص ٤٨ .

(١٥٦٦) أشير إلى هذا النص باختصار فيما سبق في الفصل الأول ، ص ٤٨ (حاشية ٢٧٧)

(١٥٦٧) بوجه أدق ، على نحو ما أداه كارادى فو : أغنى بالامزجة ؟ : رطب

(١٥٦٨) حرفياً : حارة : ساخنة ، ومدة : حارة ورطبة

(١٥٦٩) نواحي : ترجمها كارادى فو بـ « صقع » ، أي كرر حشواً بلا فائدة . اخترنا هنا ما رأيناه ينسجم مع روح التصنيف الموسوعي : وقد استعمل لفظ ناحية بهذا المعنى فيما بعد (« من جهة . . . ») وفي نص مروج الذهب ، ج ٧ ، ١٨٤ ، الذي يعرض الموضوع ذاته ، ويختار المترجمون دوماً النواحي : « الجهات الأصلية » .

(١٥٧٠) والبرهان على ذلك الرواية التي ورد فيها هذا النص في كتاب مروج الذهب : فالخليفة الواثق بالله — أو نديمه — يطرح أسئلة على بعض العلماء في مجلسه ، ومنهم حنين ابن اسحاق ، بطريقة الأدب . لكن لابد من الاعتقاد بأن المجلس تجاوز المسائل المطروحة للبحث (نظراً للأفكار الدقيقة جداً التي تطرق إليها حنين) ، إذ إن المسعودي يقول : « فلما كثر هذا الكلام من السائل والمجيب ، أضجر ذلك الواثق ، فقطع ذلك . وهذا يثبت الخروج عن موضوع الثقافة العامة بالمعنى الصحيح ، والدخول في أبحاث تقنيتها زائدة ، ولا تعتبر جديرة بالطرح في مجلس الخليفة : فنظرية الاهوية اتجهت نحو التطبيق .

(١٥٧١) أشرنا من قبل إلى الابهام في معنى لفظ الأرض . فهنا ، خلافاً للنص السابق ، يتميز معنى الأرض : فالنواحي تسمى باسم خاص أي البلدان ، والأرض (تربة الأرض) تعني جزء من البر بدقة . اذن البلد هو فعلا المكان الذي تلتقي فيه العناصر الثلاثة المختلفة تماماً بعضها عن بعض .

(١٥٧٢) المسعودي (ت) : ٣٠٠ ، ذكر من قبل في الفصل الأول ، ص ٤٨ . صححت اللوحة للاسكندرية انظر مايلي حاشية ١٦٦٦ .

(١٥٧٣) نبرز في النص الذي سوف نستشهد به ، دور الحاجز الذي تلعبه الجبال بين نهر النيل وبحر القلزم (انظر ف . موريت ، فيدال دي لابلاش وغالوا ، الجغرافية العالمية ، ج ١٢ : افريقية الاستوائية والشرقية والجنوبية ، باريس ، ١٩٣٨ ، ص ١٩٦) .

(١٥٧٤) بحر القلزم .

(١٥٧٥) هذه هي السلسلة الجبلية الواقعة بين نهر النيل وبحر القلزم ، التي تحدثنا عنها في الفصل الأول

(١٥٧٦) حرفياً ، سمت مصر : على خط مصر على اتجاهها : اديته فيما بعد بـ « الخط المستقيم » . المعنى واضح : يفرقون بين الجنوب وبين نطاق الشرق (والجنوب الشرقي) ، أي منطقة بحر القلزم .

(١٥٧٧) المسعودي (ت) : آخر ١٧ . عرضنا عن الرياح مأخوذ من الكندي ، ٢ روماني ، ٨٦ — ١٠٠ ، والمقدسي ، ج ٢ ، ٢٨ — ٣٠ ، والمسعودي (م) ، فقرة ١٣٢٩ — ١٣٣٠ (انظر ابن خرداذبه ، ١٥٨) ، ١٣٦٢ — ١٣٦٤ ، والمسعودي (ت) ، ١٧ — ١٨ ، ٢٥ — ٢٨ ، والهمداني : ١٥٤ — ١٥٥

(١٥٧٨) انظر ما تقدم : ص ٢٨١ . أعطيت خصائص أخرى ، لم آخذها بعين الاعتبار هنا : كالساعات ، والقوى العضوية ، والطعوم ، والكواكب والبروج .

(١٥٧٩) انظر ما تقدم ، ص ٢٨٨

(١٥٨٠) انظر ما تقدم ، ص ٢٨٩

(١٥٨١) شرق : شرق — شمال — شرق . شمال — شمال—شرق . شمال : شمال — شمال — غرب ، غرب — شمال — غرب . غرب : غرب — جنوب — غرب ، جنوب — جنوب — غرب . جنوب : جنوب — جنوب — شرق ، شرق — جنوب — شرق .

(١٥٨٢) بلدية : نسبة إلى بلد

(١٥٨٣) انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ١٥٦

(١٥٨٤) جميعها أو كلها تقريباً نعوت مستعملة أسماء . لعل حرجف وحده اسم علم في الأصل ، وهو مشروح في لسان العرب ، وله معنى بارد . ويطلق على الرياح الرئيسة

ذاتها أسماء خاصة في جزيرة العرب (انظر لسان العرب أسماء الرياح المذكورة هنا ، ومولر في الهمداني : ١٦٧ ، س ١٠ – ١١) : يلاحظ أصلا (اللسان ، أماكن متفرقة) أن جهة هبوب هذه الرياح أقل وضوحاً مما يوحى لنا هنا ، فيما يبدو .

(١٥٨٥) من الفارسية باد (ريح) وخوش (أو خشك : جاف) ، ويضيف النص بأنه ريح ميت . يلاحظ أن هذا الاسم فارسي ، ينسب فعلا إلى الشرق أي الجهة الّتي تشرق على فارس .

(١٥٨٦) لها معنيان : « شمال » و « المنحرفة » (الواقعة بين ريحين أصليتين) و « ضارة » انظر النكباء في لسان العرب .

(١٥٨٧) مولر (الهمداني ، ١٦٧ ، س ١٢ – ١٣) يقارب بين دجين ولفظ سرياني يعني « جليد »

(١٥٨٨) انظر آثار هذه الريح في لسان العرب .

(١٥٨٩) اذاب : ميع

(١٥٩٠) اسباب : قد تعني أيضاً « وسائل » العلم .

(١٥٩١) المقدسي : آخر ٢ (مذكور سابقاً ، ص ٢٧٨) و ٢٩٤ : غذاء الهواء

(١٥٩٢) أجريت البحوث التالية معتمداً على ابن حوقل : ٧٤ ، ٨٠ ، ٩٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٧٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٥٣ ، ٢٨١ ، ٢٨٨ – ٢٨٩ ، ٣١٢ ، ٤٣٣ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٩٨ ، وخاصة على المقدسي : ٣٣ ، ٣٤ ، ٧١ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٥١ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٩٧ ، ٢١٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ (حاشية هـ) ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ – ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ (حاشية د) ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ (وحاشية آ) ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٨ – ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ – ٣٦٠ ، ٣٦٥ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ – ٣٧٨ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ (وحاشية آ) ، ٣٩١ ، ٣٩٢ (وحاشية آ) ، ٣٩٣ ، ٣٩٦ ، ٤٠٢ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ – ٤٠٩ ، ٤١١ ، ٤٢٠ ، ٤٢٢ – ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٨ ، ٤٥٥ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ – ٤٦٧ ، ٤٧٨ – ٤٨٠ ، ٤٨١ (بأحرف رفيعة :

أرقام الصفحات التي تتضمن أكثر من حاشية) . حول النعوت خالق ، رشيف ، كشف وقوي ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٢٩ ، ٢٤٧ ، ٣٢٥ ، ٣٣٧

(١٥٩٣) أمثلة على التوالي : المقدسي : ٤٠٧ (س ١١ : السوس في الصيف غير طيبة) و ٢٦١ (قل ما يقحطون) .

(١٥٩٤) اسحاق بن الحسين : ٤٣٧

(١٥٩٥) ابن الفقيه : ٢٦٧

(١٥٩٦) المقدسي : ١٦٦ ، ٣٢٢ ، ٣٨٩ (حاشية آ) ، ٤١٠ ، ٤٢٧ .

(١٥٩٧) دبس : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٣٢

(١٥٩٨) صفة ، جمعها صفاف : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٨١

(١٥٩٩) تنقص ثلاثة أشهر ، أغفل ذكرها ، مثلما نرى (إلا إذا كانت هذه الدورة لا تهتم بالهواء (المناخ) : إلا أن هذا الافتراض غير وارد بداهة ، إذا أخذنا بعين الاعتبار تعريف الهواء)

(١٦٠٠) حول توزيع الحار والبارد في جغرافية الأدب ، انظر مثلا عند ابن الفقيه : ٢٠٩ — ٢١٠ ، وابن رستة : ١٥٤ (النعت صرودي) . حول لفظي صرود (سرود) وجرون ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٠٥ ، ٢٥٩ ، ٢٨٠ : اشتقا من الفارسية : سرد (بارد) وجرم (حار) . أحياناً سردسير وجرم سير (المقدسي : ٤٦٢ ، ٤٦٧ ، ٤٨٠ ، ٤٩٤ ، حاشية يج) ، باضافة لاحقة « سير » (شبعان ، مليء ب). حول الجروم والصرود عند ابن حوقل والمقدسي (مع موضوع الاضداد عند المقدسي) ، انظر ابن حوقل : ٣٨ (نعت جرومي كما عند الاصطخري : ٢٧) ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٨ — ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣٢٦ ، ٣٨٢ ، ٤١٩ ، ٤٤٦ ، ٤٥٠ ، والمقدسي : ٢ ، ١٦٤ ، ١٩٧ ، ٢٢٤ ، ٣٠٢ (حاشية د) ٣٢٢ ، ٣٥٣ ، ٤٠٩ ، ٤٢١ (جروم وسرود ومعتدلات) ، ٤٢٥ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ (حاشية يا) ، ٤٣٣ ، ٤٣٩ وحاشية آ) ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦٣ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ (الصيغة : مواضع معتدلة جامعة الاضداد) ، ٤٨٤ ، ٤٨٨

(١٦٠١) ابن حوقل : ٢٨٨ — ٢٨٩

(١٦٠٢) المقدسي : ٤٢٥ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ (حاشية يا) ، ٤٥٩

(١٦٠٣) بشأن المواضيع المبحوثة هنا ، انظر ابن حوقل : ٣٢ ، ٤٩ ، ٢٤٦ ، ٢٦٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٨ — ٢٨٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٧٩ ، ٤٠١ ، ٤١٥ ، ٤٤٦ ، ٤٥١ ، ٤٩٤ ، ٥٠٥ ، المقدسي : ٣٣ ، ٧٩ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١١٩ ، ١٤٢ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ٢٠٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ (وحاشية آ) ، ٣٢٢ ، ٣٥٤ ، ٣٦٥ ، ٣٨٤ ، ٣٩٤ ، ٤١٤ ، ٤٢١ ، ٤٣٩ ، ٤٤٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦٣ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ — ٤٧٢ ، ٤٧٨ ، ٤٨١ .

(١٦٠٤) المقدسي : ١٧٩ . انظر لأجل أمثال هذه التوزيعات ، ابن حوقل : ٢٨٨ — ٢٨٩ (مذكور من قبل في بحث فارس) ، والمقدسي : ٢٣٦ ، ٣٢٢ ، ٣٦٥ ، ٤٢١ ، ٤٤٧ .

(١٦٠٥) المقدسي : اخر ١٨٢ . عيد برباره ٤ كانون الأول (وقت الأمطار) . والقلندس في شهر كانون الثاني : انظر المقدسي ، ترجمة ، ص ٢٢٤ ، حاشية ٥٢ ، ٥٣ . عن الفصول ، انظر أمثلة أخرى عند المقدسي : ٨٣ ، ٩٥ ، ١١٩ ، ٢٧٩ (حاشية آ) ، ٣٢٢ وأماكن أخرى .

(١٦٠٦) المقدسي : ٩٥ ، ٣٢٢ ، ٤٢١ ، ٤٤٧ . تعطى هذه النظرات العامة أحياناً عنواناً مستقلا يسمى « وضع الاقليم » (مثلا ، ص ١٨٦ ، ٤٤٧ ، ٤٧١) ، أو حتى هواء : (مثلا ص ١٢٥ ، ١٤٢ ، ١٧٩)

(١٦٠٧) المقدسي : ٩٣ ، ٩٥ (ذكر من قبل ، في الفصل الأول ، ص ٥١) ، ١٦١ ، ٢٣٦ ، ٣٦٥ ، ٤٣٩ .

(١٦٠٨) اضافة إلى الاحالات الواردة في الحاشيتين السابقتين ، نحيل من أجل هذه الأمثلة إلى ابن حوقل : ٣٢ ، ٢٤٦ ، ٢٨٢ ، ٣٢٥ ، ٣٧٩ ، ٤١٥ ، ٤٦٤ ، ٤٩٤ ، والمقدسي : ١٨٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٤٣٩ ، ٤٥٩ ، ٤٧١ — ٤٧٢

(١٦٠٩) ربما استثنيت تأثيرات تدخل البشر في الوسط الطبيعي (تبدلات المناخ الناشئة عن البحيرات الكبيرة الواقعة وراء السدود مثلا) ، أو بعض النقاط التفصيلية (امتداد الصحراء وانحسارها) التي ترتبط مباشرة ، هي أيضاً ، بنشاط البشر أكثر مما تنشأ عن تغيرات مناخية افتراضية : انظر كز : بلانهول ، الأسس الجغرافية لتاريخ دار الاسلام ، باريس ١٩٦٨ ، ص ٧٣ و ١٩٨٧ . والحالة الشهيرة هي حالة جزيرة العرب الجنوبية ، بعد

خراب أنظمة المياه (أو ، حسب التقليد ، بارادة الله) . انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ١٥

(١٦١٠) ابن حوقل : ٣٢٥ ، ٤٠١ ، ٤١٥

(١٦١١) ابن حوقل : ٢٥٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ (ارجان بجوار فارس وخوزستان) . ورد في النص (وعند المقدسي ، ص ٤٢١) ان ارجان « كورة بحرية جبلية سهلية برية » . وبما أن المدينة بعيدة عن البحر ، يجب حتماً التفكير بالوسط العام : الجو ، الهواء . ولعله ينبغي اجراء الملاحظة ذاتها عن المدينة — يثرب — « البرية الجبلية » : اليعقوبي ، ٣١٢ ، ترجمة ، ص ١٤٧) . أما فيما يتعلق بأحد المناخات « المدارية » (ترجمة وايت ، ص ٤٣٦،٣١٨ ، ٤٨٠) فاني أحيل إلى النص الذي يتحدث عن الجروم (المناطق الحارة) مرة واحدة بإطناب : جروم حارة

(١٦١٢) ابن حوقل : آخر ٢٨١ ، وان كان لفظ « حال » المستعمل أشد ابهاماً .

(١٦١٣) برية . تصحح ترجمة وايت ، ٢٧٥ : « ولها — مدينة كثة — طيب هواء البرية وصحته ، وخصب المدن الجبلية » . ويقال قبل هذا النص مباشرة « انها مدينة على طرف المفازة » ، التي يخفف مناخها كما نرى قسوته ويتحول إلى مناخ البرية : ابن حوقل : ٢٨٠ .

(١٦١٤) المقدسي : ٧٩ (الطائف ، في جبال الحجاز ، مدينة شامية الهواء ، على حد ما يقال لنا ، الا أن الاحالة مشوشة بظاهرة تتصل بداهة بالموقع الجبلي المذكور أيضاً : نعني البرد (ومنه خروج ملوك مكة إليها إذا تأذوا من الحر) أو حتى شدته إذ ربما يجلد فيها الماء) ، ١٢٥ (في « هواء اقليم العراق مختلف » معنى لفظ مختلف غير معنى لفظ « متقلبة » في « متقلبة الهواء » في الحديث عن البصرة : المرجع ذاته : ١١٨) ، ١٤٢ ، ٣٢٢ . وتوصف قرح المسماة وادي القرى بأنها بلد شامي مصري عراقي حجازي ، وتعطى هذه النعوت دون ذكر الهواء : المرجع ذاته : ٨٤

(١٦١٥) المقدسي : ١٨٦ ، ٢٣٦ ، ٤٣٩ . تحدثنا من قبل عن الطائف في الجبال الساحلية لجزيرة العرب . انظر أيضاً ١٤٢ عن آمد في الجزيرة .

(١٦١٦) المقدسي : ٢٣١ . قارن هذا الوضع بالوضع في شمال شرق دار الاسلام ، حيث تعتبر هذه الفروق في الحرارة سيئة (بالمقارنة بسمرقند وبخارى الشاذتين ، اللتين

تنعمان بهواء طيب) : المقدسي ٣٢٢ . انظر أيضاً المقدسي ، ٤٨٤ ، بشأن البوادي (حدود السند ومكران) التدوين كلاسيكي مفرط ، بجمع المفاوز والجفاف .

(١٦١٧) لا يعرف المقدسي « تقسيماً إلى اقاليم » منهجياً سوى التقسيم القديم إلى سبعة « اقاليم » (أو مناطق عالمية) يظن أنها ترد في جميع التصانيف ، ولا ترتبط البتة بصلة بالا هوية الحقيقية : المقدسي : ٥٨ — ٦٢

(١٦١٨) المقدسي : ٣٢٢

(١٦١٩) الين : ضد خشن

(١٦٢٠) الين أيضاً : أخف

(١٦٢١) المقدسي : ١ — ٢

(١٦٢٢) انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ١٧٦ ، ٢٢٨ ، ٣٥٨ وأماكن متفرقة .

(١٦٢٣) ابن الفقيه : ١٥٢

(١٦٢٤) اليعقوبي : ٢٣٤ — ٢٣٧

(١٦٢٥) أو شحبت (الصيغة الخامسة تغير : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣١٢) .

(١٦٢٦) وقبله إلى الاصطخري أحياناً ، لأنه يتوسع في نصه ، لكن يعطي هنا أحياناً تفاصيل إضافية

(١٦٢٧) تدوين عن البرد ، ص ٣٦ ، في البحث المعنون « ذكر الخصائص في الاقاليم » (٣٢ — ٣٦) . بحث كلاسيكي : انظر الجاحظ (١) ، ٢٠٤ (ينقله المقدسي : ٣٣) ، ابن خرداذبه : ١٧٠ — ١٧١ (ينقله ابن رسته : ٨٢ — ٨٣) .

(١٦٢٨) لا نبحث إلا في المقاطع التي ينص فيها صراحة على الصفة الهوائية ، مما يجعل الصلة بين هذه الصفة وبين اللوحة المقدمة ، محتملة إلى أقصى حد ، لاسيما وانها أي هذه الصلة مذكورة فعلا في حالات أخرى مماثلة أو متناقضة .

(١٦٢٩) حول المواضيع التي أثرناها منذ قليل ، انظر ابن حوقل : ٤٩٨ (الاصطخري ١٨٠) ، ٥٠٥ ، المقدسي ٩٥ (مسألة قدر اللحم — مشار إليها من قبل — في اليمن ، بلد الجبال المعتدلة بالمقارنة بسائر جزيرة العرب) ، ١٥٧ ، ١٦٤ ، ١٧٩ (اقليم بارد نسبياً وماطر أيضاً ، لأنه غني بالأنهار) ، ٢١٢ — ٢١٣ (بلد يمطر كل سنة) ، ٤٣٩ ،

٤٧٩ (في المنصورة في السند ، الهواء لين ، وهي شديدة الحر ومجتمعة الاضداد (منتجات البلدان ذات الاهوية المتباينة) وعندهم جواميس عظيمة . الرازي : ٨٢ (فطليطلة فيها الهواء نقي حتى ليمكن خزن القمح سبعين عاماً) .

(١٦٣٠) المقدسي : ١٤٢ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ٣٠٥ ، ٤٨١ (يقترن في الهند المسلمة بالنارجيل : انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ١٠٠)

(١٦٣١) المقدسي : ١٦٤ ، ٤٥٩

(١٦٣٢) ابن حوقل : ٥٠٥ ، المقدسي : ٧٩ ، ٣٨٤

(١٦٣٣) المقدسي : ٣٥٧

(١٦٣٤) انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ١٨٦

(١٦٣٥) المقدسي : ١٧٥ ، ٣٠٤ (وحاشية آ) ، ٣٠٥ ، ٣٥٩ ، ٣٨٤ ، ٣٨٨ ، ٤١٠ — ٤١١ ، آخر ٤١٣ (هواء غير محدد صراحة ، لكن تذكر ليالي الصيف في قصبة كبيرة — رام هرمز — يجف بها النخيل) ٤٥٩ ، ٤٧٩ (يشار إلى شدة الحر وكثرة البق ، وإلى اجتماع الاضداد في الهواء اللين والشتاء الهين والامطار الكثيرة ، وإلى وجود جواميس عظيمة . وهي الاشارة الوحيدة ، ان لم أكن مخطئاً ، التي تحيد عن النموذج الذي اتحدث عنه هنا . لكن لاريب أن هذا التدوين يرتبط بالمقارنة بين السند ومصر وبين نهري مهران والنيل) .

(١٦٣٦) موضوع طبائع البلدان أو الطباع العاطفية ، وموضوع الوطن كلاسيكيان في الأدب (ارجع في منظور آخر إلى موضوع الحنين إلى الأوطان) . انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ١ ، ٤٨ — ٥٠ . بشأن المواضيع المبحوثة هنا ، انظر ابن خرداذبه : ١٧٠ — ١٧١ (يستشهد بالجاحظ ، وينقله باختصار ابن رسته : ٨٢ — ٨٣) . ابن حوقل : ٢٥٤ (يغير الاصطخري : ٦٣) ، ٣٨٢ . المقدسي : ٤١٠

(١٦٣٧) الاصطخري : ٨٣ ، ابن حوقل : ٣١١ (الاصطخري ٩٨) ، المقدسي : ٣٦ ، ١٥٧ ، ١٧٥ ، ٣٠٥ ، آخر ٣٢٢ (حول « قوى » انظر ما سبق حاشية ١٥٩٢) ، ٣٧٨ ، ٤٥٩ (التدوين بعد الحديث عن حر السواحل بقليل) ، ٤٨١

(١٦٣٨) ابن حوقل : ٢٧٨ (الاصطخري : ٧٦) ، ٤٩٨ (الاصطخري : ١٨٠) . المقدسي : ٣٣٢ اقتران رداءة الهواء واصفرار ألوان أهل زم ، وحسن هواء نيسابور وطول أعمار أهلها مع احتياجهم إلى الدسم كشرط اضافي : انظر م ج غ ، ج ٤ ، ٢٣٥) .

(١٦٣٩) ابن حوقل : ٣٦ – ٣٧ (اعتدال الهواء في صنعاء وتقارب ساعات الليل والنهار فيها لأن محور الشمس عليها معتدل . إشارة أخرى إلى اعتدال الهواء في اليمن عامة وفي صنعاء خاصة ، عند المقدسي : ٩٥ : قصة طبخ قدر من اللحم المذكورة من قبل) . المقدسي : ٣٠٠ (حول النعت قوية في « نيسابور . . . قوية الهواء » ، انظر الحاشية ١٥٩٢) .

(١٦٤٠) ابن حوقل : ٢٨٩ (الاصطخري : ٨٣ : حول تغيير الألوان ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣١٢ والحاشية ١٦٢٥) . المقدسي : ٤٣٩ (لايمكن النوم في الجروم بالنهار من شدة الحر ، ثم تبرز قلة المجذومين وكثرة العور والمفاليج دون أن تربط بالجروم أو الصرود) ، ٤٤٨ (تغيير الهواء . انظر ما سبق) ، ٤٧٩

(١٦٤١) ابن حوقل : ٢٨٩ (الاصطخري : ٨٣) . المقدسي : ٣٠٤ ، ٣٨٤ .

(١٦٤٢) لم نعط دوماً أمثلة عن تأثير الهواء في نموذج الهواء وفي البلد ، لنتحاشى الاستشهادات بالبلدان ، المملة . لكن بطبيعة الحال ، يسمى ابن حوقل والمقدسي دائماً نوع الهواء (انظر الحواشي للحالات الصعبة أو المشكوك فيها) والبلدان .

(١٦٤٣) حول هذه المعطيات عن الحياة اليومية ، انظر ابن رسته : ١٠٩ ، وابن حوقل : ٣٨١ (الاصطخري : ١٢٤ . لكن انظر المقدسي : ٣٥٩ ، من أجل طبرستان : دور قشش أو حشيش : مع ذلك ، القطعة المكتوبة رائعة ونثرها مسجوع ، وتتحدث عن مثالب البلدان . ولعلها تعبر ببساطة عن الضعف العام ، بسبب ذكر الأمطار وشدة الحر في سياق الكلام . ونرى أن هذا الخليط المتنافر من الأفكار يستدعي بعض التحفظات : انظر بلا نشار ، الجغرافية العالمية ، ج ٨ ، مشار إليه ، ١٤٨) . المقدسي : ١٦١ ، ٣٢٧ (في ص ٣٢٨ ، لبسة يتفردون بها حسب وظائفهم ، إلا أن العلاقة الاجمالية بالهواء لم توضح) ، ٤٠٤ (حاشية آ) ، آخر ٤١٣ (الاطار الهوائي محدد لهذه الاحالة : الحاشية ١٦٣٥ ، وجاء في النص : يحتاجون إلى الكلل مع كثرة البق . وليس اكيد أن « مع تجيء ب » « كثرة البق » لتعليل استعمال الكلل (ل . . . ، بسبب) أو أنها تأتي بحدث جديد (إضافة إلى البق) بالنسبة إلى البعوض الذي تشير إليه الكلل) ، ٤٨١ . حدود العالم : ١٣٤

(١٦٤٤) المقدسي : ٣١٤ (تقترن قوة الهواء وصحة الماء . حول قوى ، انظر الحاشية ١٦٣٩) ، ٣٨٨ ، ٤٥٩ (كرمان : الاطراء على مجمل اقليمها السري ، إذ يجتمع فيه البرد والحر – وهذا وصف هوائها) ، ٤٧٩ (هواء لين تجتمع فيه الأضداد) .

(١٦٤٥) المقدسي : ٣٧٨ ، ٣٨٤ (تحديد الهواء ، بدقة بالقول : « لا حر به ») .

(١٦٤٦) المقدسي : ٣٥٩ ، ٤٠٤ (حاشية آ) ، ٤٥٩ (إطار يختلف عن الا طار الوارد في الحاشية ١٦٤٤) في الا حالة ذاتها ، إذ يذكر بعد حر السواحل ان لهم نظارة ولا مذكر يفقه العوام . الا طار ذاته في الحاشية ١٦٣٧) . يبدو لي أن توزيع المعتقدات الدينية في فارس على الصرود والجروم، توزيع جغرافي صرف : ابن حوقل ٢٩٢ (الاصطخري /: ٨٤) . بالفعل تعين هذه المناطق قطاعات محددة بدقة .

(١٦٤٧) المقدسي ، ج٢ ، ٣٠ ، ٣٣ .

(١٦٤٨) تحدثنا من قبل عن الرياح . من اجل المواضيع المثارة هنا ، انظر المقدسي ، ج٢ ، ١٠ ، ٢٩ — ٣٢ . عرض آخر عند الكندي ، ٢ روماني ، ٦٩ — ٨٥ .

(١٦٤٩) ترجمت ، كما فعل هوارت : سحاب بـ nuée وغيم بـ nuage . ولايساعدنا المقدسي البتة . فهو يذكر هذين الاسمين مع الضباب والندى والقتام (الغبار الاسود على الارجح) الذي يدل على بخار يصعد من الارض ، والسحاب عليه إذا كان كثيفاً ، والضباب والقتام عليه إذا كان دقيقاً (ولايذكر شيئاً عن الاسمين الاخرين من هذه الناحية) .

(١٦٥٠) حرفياً : جامد : متماسك بداهة بالمقارنة بالندى وأقل تماسكاً بالنسبة إلى الثلج والبرد اللاحقين (يقصد بهذا التدرج المطر الغزير) إذا ترجمنا بـ « صلب » مثلما فعل هوارت (المقدسي ج ٢ ، ٣٠) ، لا نرى كيف نميزه عن الثلج (الا خف في الواقع من هذا « الصلب » ، وحاصل مع ذلك من بخار أكثف) وعن البرد (الذي يتطلب برداً قارساً ومستمراً ليصل إلى النتيجة ذاتها) .

(١٦٥١) انظر الا خوان ، ج ١ ، ١٦٤ — ١٦٥ ، وما تقدم الفصل الثاني ، آخر ١١٥ — ١١٦ وص ١٥٥ حاشية ٨٦٥ ، والفصل الثالث ، ص ٢٣٣

(١٦٥٢) الصاعقة بداهة . حول استعمال لفظي البرق والصاعقة هنا كما في النص الذي يتحدث عن الا بخرة الجافة أو الرطبة ، انظر ملا حظة هوارت ، في المقدسي ، ج ٢ ، ٣١ ، حاشية ٣

(١٦٥٣) ما تقدم ، الفصل الأول ، ص ١٣

(١٦٥٤) ابن حوقل : على التوالي ٤٩٤ وآخر ١٠١ — ١٠٢ (يقترن الثلج أصلا بالضباب والغيم) .

(١٦٥٥) انظر ما تقدم الفصل الأول ، ص ٤٩ – ٥٠

(١٦٥٦) الاسواني : ٢٨٦ ، يعطي مثال سراب (منطقة اسوان) ، لكن على سبيل ماهو غريب بداهة بالمشهد المعروض وبانتظام حدوث الظاهرة أيضاً (الشتاء ، بالفجر) .

(١٦٥٧) انظر ابن رسته : ١٦٧ ، ١٩٨ ، وابن حوقل : ٤ ؛ ٢ ، ٣٦٤ ، ٤٥١ ، ٤٦٤ ، ٤٦٧ ، والمقدسي : ٧٩ ، ٩٦ ، ١٢٦ ، ١٨١ ، ٢٦٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، حدود العالم : ١٢١ ، ١٢٤ . حول معنى الثلج (الطبيعي أو المضغوط) انظر دوزي ، ملحق ١ ، ١٦٣ ، وبلاشير – شويمي دينيزو ، المعجم ، ج ٢ ، ١٢١٨ . حول استثمار الثلج والجليد ، انظر كز . بلانهول ، « الخطوط العامة لتجارة الثلج في البحر المتوسط وفي الشرق الأوسط ، مجلة الجمعية الجغرافية الايطالية ، ١٢ (٧) ، ١٩٧٣ ، ص ٣١٥ – ٣٣٩ ، و « احالات إلى تجارة الثلج في افريقية الشمالية » ، في المغرب والصحراء ، دراسات جغرافية مقدمة إلى جان ديبوا ، باريس ، الجمعية الجغرافية ، ١٩٧٣ ، ص ٣٢١ – ٣٢٣ ، و « تجارة الثلج في افغانستان » مجلة الجغرافية الالبية ، ٦٢ روماني ، ٢ ، ١٩٧٤ ، ص ٢٦٩ – ٢٧٦ .

(١٦٥٨) غير موجود

(١٦٥٩) انظر ابن حوقل : ٣٩ ، ١٠٢ ، ١٧٣ ، ٢٤٦ ، ٢٥٤ ، ٣١٠ (صحح « منطقة جليدية » في ترجمة وايت ، ص ٣٠٥ . يتحدث النص فقط عن « مناطق باردة » : صرود) ، ٣١١ ، ٣٣٥ ، ٣٦٤ ، ٤٠١ ، ٤٥١ ، ٤٥٤ ، ٤٦٤ ، ٤٩٧ ، والمقدسي : ٩٦ ، آخر ١٦٥ ، ٣٧٠ ، ٣٧٨ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، آخر ٤١١ – ٤١٤ مثالان) ، ٤٢٥ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ (حاشية يا) ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٧١ – ٤٧٢ ، ٤٧٨ وما تقدم الفصل الأول ، ص ١٣ ، ١٨ .

(١٦٦٠) ابن خرداذبه : ١٨١ ، ابن الفقيه : ٢٧٧ وما تقدم الفصل الأول ، ص ٦٨ . موضوع الدود معروف أيضاً في جبال واقعة بين ارمينية وبفلاغونية ،عند مسعر(ب)،١٧ .

(١٦٦١) مسعر (آ) : ٢٨

(١٦٦٢) حالة ابن الفقيه واضحة (انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ١ ، الفصل ٥) ، انظر بشأن مظهري عمل ابن خرداذبه أو أبي دلف مسعر ، المرجع ذاته ، ٥٦ ، حاشية ٣ ، ٩٠ – ٩١ و ١٣٩ وما يليها .

(١٦٦٣) انظر ابن حوقل : ٤٦ ، ٦٩ ، ١٥٦ ، ٣١٢ – ٣١٣ ، ٤١٦ ، والمقدسي :

١١ ، ١٢ ، ٨٥ ، ١٠٢ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٥٦ ، ١٨٦ (قد نفكر بصفة مماثلة في ص ٤١٠ ، لكن انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٣٢ لفظ « دبس ») ، ١٩٥ ، ٢٣٤ ، ٣٩٦ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥

(١٦٦٤) انظر ما تقدم الفصل الأول ، آخر ٣٢

(١٦٦٥) حول هذه المواضيع ، انظر ابن خرداذبه : ١٥٦ (الموضوع مدروس لصنعاء عند ابن رسته : ١٠٩ — ١١٠ ، مثال آخر شهير عن بلد ماطر لكن خارج عن حدود دار الاسلام : مدينة المستطيلة : انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٣٨٨ ، حاشية ٣) ، ابن الفقيه . ٢٠٧ (قارن بقطاعات أخرى (ذكرت من قبل) يحددها الثلج والرياح . الموضوع العكسي (الطاق ترتفع فيه سحابات عجيبة وتمطر عليه حتى تغسله وتنظفه من العذرة) عند ابن الفقيه : ٣١٠) . الجاحظ (١) : ١٩٢ (نقله ابن الفقيه : ٦٧ ، ٧٤ — ٧٥ ، والثعالبي : ٩٨ — ٩٩) . وتدخل في عداد هذه الغرائب الواجب معرفتها ، أسماء الأمطار عند البدو المذكورة في تقويم قرطبة ، ١٢ — ١٤ (مصنف خاص مبدئياً بالأندلس) .

(١٦٦٦) انظر ابن حوقل : ١٤٧ ، ١٥٥ ، والمقدسي : ١٩٧ ، ١٩٨ ، آخر ٢٠٥ ، آخر ٢١٢ — ٢١٣ . أشرنا من قبل إلى وجهة نظر المسعودي الذي يعرف مصر شخصياً (انظر المسعودي (ت) : ٣٦ ، مصحح مع ذلك للاسكندرية : المرجع ذاته : ٧٢) . انظر أيضاً اليعقوبي : ٣٤٠

(١٦٦٧) موقف تظهر تباشيره عند رحالة مثل أبي دلف مسعر (مسعر (ب) ، ٣٦) ، وعند من سبق المسالك والممالك مثل اليعقوبي (اليعقوبي : ٣٤٣ ، ٣٤٨ ، ٣٥٩) أو حتماً عند أول ممثل لنمط المسالك والممالك ، نعني الاصطخري (احالة فيما بعد) ! الا أن ماأنجزه ابن حوقل والمقدسي من هذه الناحية من تقدم يضع هذين المصنفين في فئة خاصة مستقلة : حول المواضيع المثارة عندهما ، انظر ابن حوقل : ٦٨ ، ١٤٧ (الاصطخري : ٤٩) ، ١٥٥ ، ١٧١ (الاصطخري ٤٣) ، ٣٨١ — ٣٨٢ (توسيع الاصطخري ١٢٤ — ١٢٥) ، آخر ٤٠٣ — ٤٠٩ (الاصطخري : ١٣٤ — ١٣٨) ، آخر ٤٥٢ (الاصطخري ١٥٨ . اعداء : حقول يسقيها المطر) ، والمقدسي : ٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٦٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، آخر ٢٠٥ ، آخر ٢١٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٩ (وحاشية يا) ، ٣٦٥ ، ٣٧٨ ، ٤١١ ، ٤٥١ ، ٤٧٩ ، ٤٩٢ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥

حواشي الفصل الخامس

(١٦٦٨) أشكر بحرارة زميلي كزافيه دي بلانهول ، الذي تكرم باعطائي من أجل هذا الفصل ، بهمة الصديق الودود جداً ، الاحالات الضرورية الخاصة بعلم الحيوان من الناحيتين الجغرافية والتاريخية . حول الحيوان في الأدب العربي ، انظر ش . بيلا ، «حيوان» في م (٢) ، ج ٣ ، ٣١٨ — ٣١٩ و ٣٢١ — ٣٢٣ .

(١٦٦٩) ف . برودويل ، الحضارة المادية والرأسمالية ، باريس ، ١٩٦٧ ، ص ٤٦ وما يليها ، حيث تصلح الصورة المعروضة حتى القرن الثامن عشر ، على وجه الاجمال ؛ ج . برك ، « داخل المغرب » ، باريس ، ١٩٧٨ ، ص ٣٠ — ٣١ ، ٣٦ (لأجل القرن الخامس عشر) .

(١٦٧٠) الجاحظ (ح) ، ج ١ : ٣٠٧ — ٣٠٨ ، ج ٣ : ٢٩٩ — ٣٠٠ ، ٣٧١ (نصوص وردت في جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ١ ، ص ٥١ ، وفيما تقدم ، الفصل الأول ، ص ٢٦) . انظر أيضاً س . ه . منصور ، « مفهوم الوحدة الالهية في كتاب الحيوان للجاحظ » ، مجلة كلية الآداب (جامعة الاسكندرية) ، ١٩٦٨ / ٦٩ ، ص ٢٥ — ٤٣ .

(١٦٧١) حول هذه السيرورة ، أنظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ١ ، ٥٤ ، ٥٩ .

(١٦٧٢) سنأخذ كثيراً عن ابن الفقيه في وقت لاحق . فيما يخص سائر المؤلفين ، انظر على التوالي : البيهقي ، محاسن ، مشار إليه سابقاً ، ١٠٦ وأماكن أخرى ، وابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٦ ، ٢٣٤ وأماكن أخرى ، والتنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ٢٩٤ — ٢٩٥ وأماكن أخرى ، والتوحيدي ، الامتاع ، مشار إليه سابقاً ، ج ١ ، ١٥٩ وما يليها ، ج ٢ ، ١٠٤ وما يليها

(١٦٧٣) في الواقع ، يتعدى الأمر الشك ويميل إلى اليقين ، مثلما جاء في شرح ش . بيلا في مدخل ترجمته لكتاب التبصر في التجارة : فيستبعد أن يكون الجاحظ قد صنف هذه الرسالة . الا أن المهم في هذه القضية ظاهرة نسبة الكتاب إلى الجاحظ لا صحة وضعها من قبله .

(١٦٧٤) انظر بعد الجاحظ قائمة خيرات كل بلد عند ابن الفقيه ، ص ٥٠ — ٥١ ، كررت في المرجع ذاته ص ٢٥١ ومايليها وذلك ضمن بحث أوسع لما خصت به كل بلدة من الأمتعة . انظر أيضاً عرض اليعقوبي الطويل ، ص ٣٦٥ ومايليها عن أفضل الطيوب .

(١٦٧٥) انظر على التوالي : الجاحظ : (ح) ، ج ٤ : ١٤٢ ، ٢٢٦ ، ج ٥ : ٣٥٨ (في ص ٣٦٠ عقارب شهيرة : عقارب عسكر مكرم) ، الجاحظ (ت) : ١٥٩ .

(١٦٧٦) هذه الوحدة واضحة ، ولا سيما أن دار الاسلام لم تعرف آنذاك سوى البحار الحارة (حول بحر الخزر « المسلم » أي الجنوبي ، انظر ا . بلان في الموسوعة العالمية ، باريس ، ج ٣ ، ١٩٦٨ ، ص ١٠١٢ ، وكامينا دالميدا في الجغرافية العالمية ، ج ٥ ، مشار إليه سابقاً ، ص ٣٠٦) . استعرضنا مبدأ التصنيف من قبل في جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، آخر ٨٨ — ٨٩ .

(١٦٧٧) طبعاً ، سوف تتاح لنا فرصة العودة ، ولو باحالات في الحواشي ، إلى هذه السلاسل ، في موسوعة الأدب وفي كتب المسالك والممالك . ونكتفي هنا باحالتين : إلى الدخس : ابن الفقيه : ٦٢ — ٦٣ ، وابن حوقل : ١٥٦ (الذي ينتقد ابن الفقيه انتقاداً مراً دون أن يسميه ، لكنه لا يقاوم رغبته في الاستشهاد بنصه ، في حين لا يذكر الاصطخري ، ص ٤١ ، بكلمة عنه) . حول دويبة الألف قائمة والثعلب الذي يطير بجناحين ، انظر ابن الفقيه ، ٣١٣ ، والمقدسي ، ٣٦٨ .

(١٦٧٨) سوف نبحث الدواجن مع الطيور .

(١٦٧٩) حول القطعان عامة والمنتجات المذكورة هنا ، انظر مثلا الجاحظ (ت) : ١٥٨ ، ١٥٩ ، واليعقوبي : ٢٧٧ ، ٣٣٢ ، ٣٤٥ ، وابن رسته : ١١٢ ، ١١٣ ، ١٥٣ ، ١٦٧ ، ١٨٦ ، وابن الفقيه : ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٥٣ (مع منتجات ألبان غريبة ، مثل الجبن ولور : حول لور ((أو لور) انظر دوزي ، ملحق ٥٥٧) ، ٢٥٥ (الرخبين والملبن : انظر ابن الفقيه ، شرح الألفاظ : هذين اللفظين) ، وابن حوقل : ٧٠ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٠٣ ، ١١٥ ، ٣٢٦ ، ٣٦٥ ، ٣٧٣ ، ٤٠٨ ، ٤٥٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ (كثرة الفواكه في ما وراء النهر تزيد على سائر الآفاق حتى ترعاها لكثرتها دوابهم) ، ٤٧٦ ، ٤٨٢ ، ٤٩٠ ، ٤٩٦ ، ٤٩٩ ، ٥٠٢ ، ٥١٣ وأماكن أخرى . المقدسي : ١٤٥ (مع ذكر اللبأ أي أول اللبن في النتاج ، والألبان المسماة الشواريز : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٧٣) ، ٢٠٣ ، ٢٢٥ ، ٣١٣ (حاشية د) ، آخر ٣٢٣ وما يليها ، آخر ٣٥٣ —

٣٥٤ ، ٣٨٤ ، ٣٩٦ ، ٤١٧ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٥٢ ، ٤٨٤ وأماكن أخرى .
حدود العالم : ١٠٧ ، ١٢١ — ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٦

(١٦٨٠) ابن رسته : ١١٢ . ابن الفقيه : ٨٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ . ابن حوقل : ٨٤ — ٨٦ ، ٩٧ ، ١٥٥ ، ٢١٤ ، ٣٢٦ ، ٣٥٣ . المقدسي : ٢٠٣ ، ٣٢٤ ، ٣٨١ ، ٣٨٨ ، ٤١٦ . حول ركوب الثيران ، انظر ك . دي بلانهول ، « ثور النقل في الشرق الأدنى وافريقية الشمالية » ، مجلة تاريخ الشرق الاقتصادي والاجتماعي ، ١٢ روماني ، ١٩٦٩ ، ص ٢٩٨ وما يليها .

(١٦٨١) المسعودي (م) : فقرة ٨٦٨ — ٨٧٠

(١٦٨٢) المسعودي (م) : فقرة ٨٦٩ . حول العلاقات ، من هذه الناحية ، بين مصر وبلدان النيل الأعلى ، انظر هـ . ابستين ، أصل الحيوان الأليف في افريقية ، نيويورك — لندن — ميونيخ ، مجلدان ، ١٩٧١ : ج ١ ، ص ٢١٨ ، ٢٣١ ، ٢٥٩ ، ٢٨٨ ، ٢٩٤ وأماكن أخرى . المقدسي : ٢٠٤ (حاشية آ) يذكر بمصر النوع المسمى خيسي (انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٣١ ، مع احالة إلى المقريزي : وياقوت : انظر معجم البلدان ، ح ٢ ، ٤١١ — ٤١٢ .

(١٦٨٣) ابن الفقيه : ١١٣ . المسعودي (م) : فقرة ٨٧٠ . المسعودي (ت) ٤٥٥ — ٤٥٦ . المقدسي : ١٨١ ، ٤٧٩ . انظر ك . ف . زيترستين ، في « المعتصم » في م ١ ، ج ٣ ، ٨٣٨ . م . كانار ، « عين زربا » في م ا و ٢) ، ج ١ ، ٨١٣ . بلانهول ، أسس الجغرافية ، مشار إليه سابقاً ، ٩٢ — ٩٣ . م . لومبار ، الاسلام في عظمته الأولى ، باريس ، ١٩٧٧ ، ص ١٧٢ . ابستين ، مشار إليه سابقاً ، ج ١ ، ٥٦٧ وما يليها . ب . برنتجس ، Die Haustierwerdung in Orient ، ويتنبرغ ، ١٩٦٥ ، ص ٣٥ — ٣٦ .

(١٦٨٤) لا ريب أن المقدسي يتحدث عنهم في ص ٤١٦ في بحث خوزستان .

(١٦٨٥) يمكن تتبع انتقال النوع ذاته من تاريخ إحدى القبائل . وقد قيل إن بدء الجواميس بالثغر الشامي وسواحل الشام من جواميس كانت لآل المهلب ببلاد البصرة (كان قد قام بحملة على الهند من قبل : انظر ك . ف . زيترستين ، م ١ ، ج ٣ ، ٦٨٤) . فلماقتل يزيد بن المهلب ، نقل يزيد بن عبد الملك بن مروان كثيراً منها إلى هذه النواحي .

(١٦٨٦) ابن الفقيه : ٢٥٥ ، ٢٥٩ (انظر ما تقدم : الفصل الثالث : ص ١٣٩) .

انظر دور الثور في خلق الأرض حسب التقليد الاسلامي (جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٥٢) وفي طقوس مترا الخ . حول السمكة والثور ، انظر م . ايلياد ، جامع تاريخ الأديان ، باريس ، ١٩٥٣ ، ص ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٤ وما يليها ، ٩٢ — ٩٣ ، آخر ١٨٢ .

(١٦٨٧) المقدسي : ٣٨٨ ، ٣٨٩ (وحاشية ب) . يعلل التلطيف ببعض التنويع في الحكم على البويهيين ، أسياد مدينة اصفهان . فنسخة برلين ، وهي أحدث النسخ ، تلح بعض الشيء على ابراز انتصارهم (انظر المرجع ذاته ، ص ٤٠٠ : الحاشيتين د ، ه)

(١٦٨٨) يرد ذكر الأغنام بالاسم أو بمنتجاتها عند الجاحظ (ت) : ١٥٨ — ١٦٠ ، وفي أخبار الصين والهند : فقرة ١٣ ، وعند اليعقوبي : ٢٧٦ ، ٢٨٧ ، ٣٢٢ ، ٣٣١ ، وابن رسته : ١١٢ ، ١٥٣ ، وابن الفقيه : ٦٠ ، ٨٤ ، ٢٥٢ ، ٢٩٥ ، والاصطخري ٥٤ ، ٧٢ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٨ ، وابن حوقل : ٦٨ — ٧٠ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٧ ، ٢١٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٨ ، ٢٧١ ، ٣٢٦ ، ٣٣٦ ، ٣٤٤ — ٣٤٥ ، ٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٤٠٨ ، ٤٤١ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٥٢ ، ٤٦٤ ، ٤٧٧ ، والمقدسي : ١٢٨ ، ١٤٥ ، ١٧٥ ، ١٨٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٣١٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٥٦ ، ٣٧٣ ، ٣٨٠ ، ٤٢٠ ، ٤٥٢ ، ٤٩٣ ، حدود العالم : ١٠٦ — ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٦ — ، ١١٨ — ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٤٣ — ١٤٤ ، ١٥١ .

(١٦٨٩) ابن حوقل : ٦٨ ، يتحدث عن مدينة سرت ، ويقول : « ولحوم المعز أغذى فيها من الضأن وأنفع ، وتقوم لحوم الضأن فيها مقام لحم المعز بغيرها » (ترجمة وايت ص ٦٤) . حول شرح لفظ « أنفع » ، انظر الصيغة العاشرة لجذر نفع في م ج ع ، ج ٤ ، ٣٦٦ . لكن يجوز أيضاً أن يخطر ببالنا ، ببساطة زائدة ، معنى « افيد » للجسم ، و «أصح» : انظر نعت اللحوم اللاحق في هذه البلدان : « غيرة ملائمة ») . مهما يكن ، يقلب بداهة بلد سرت التصنيف التقليدي الشائع لنوعي اللحوم .

(١٦٩٠) قارن غنم جمعه أغنام وضأن .

(١٦٩١) ابن حوقل : ٣٥٩

(١٦٩٢) أظن أن المقصود اللبد العادي ، إذا لم يحدد أصله بدقة زائدة . لكن قد يراد به في هذه الحالة وبر الابل وألياف الصوف على حد سواء .

(١٦٩٣) حدود العالم : ١٣٥ ، ١٣٨ . المقدسي : ١٢٨ (حول نعت « عسلي » ، انظر دوزي ، ملحق ٢ ، ١٢٨) .

(١٦٩٤) ابن رستة : ١٥٣ (ترجمة وايت ، ص ١٧٧) .

(١٦٩٥) انظر بالترتيب : ابن حوقل : ٢٩٥ ، ١٥٣ (مذكور في جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ص ١٧٧) ، وحدود العالم : ١٢٠ (الوخش البلد الذي يجري فيه نهر وخشاب ، رافد نهر جيحون) . حول الأغنام في بلدان فارس ، انظر ابستين ، الحيوان الأهلي ، مشار إليه سابقاً ، ج ٢ ، ٤ ، ١٠ ، ١٧ — ٢٠ . ك . ميزون ، تحليل جغرافي حيواني لثدييات فارس ، بروكسيل ، ١٩٥٩ ، ص ٣٨ — ٣٩ ، ٦٩ ، ١٠٢ ، ١١٩ ، ج . د . هاسنجر ، مسح ثدييات افغانستان ، شيكاغو ، ١٩٧٣ ، ص ١٧٥ — ١٧٨ ، هـ . كوتيير ، عالم الأحياء ، باريس ، ٥ أجزاء ، ١٩٢٧ — ١٩٣٠ : ج ١ ، ص ٢٧٦

(١٦٩٦) انظر ابن حوقل : ٣٨٠ (جزيرة العرب) ، ١٠٣ (بربر المغرب) واحالات الحواشي التالية .

(١٦٩٧) انظر لسان العرب ، لفظ غنم ، حيث التضاد بارز جداً عند العرب بين الماشية الصغيرة والماشية الكبيرة (الابل) .

(١٦٩٨) الجاحظ (ح) : ج ٣ ، ١٦٣ . انظر أيضاً لسان العرب لفظ معز حيث يميز صوف الغنم عن شعر المعز أصلا .

(١٦٩٩) حالة لا نقاش فيها : وضع البازهر (انظر الحاشية ١٧٠٣ التالية) .

(١٧٠٠) ابن حوقل : ٦٨ (انظر الحاشية السابقة ١٦٨٩) . والمقدسي : ١٩٦

(١٧٠١) ابن حوقل : ٣٨٦ (انظر الفصل الأول ، ص ٦٠) .

(١٧٠٢) انظر الرواية المصرية الواردة عند المقدسي ، في آخر ص ٢٠٨ ، التي تعبر فيما يبدو عن صعوبة ظهور غريزة الأمومة .

(١٧٠٣) المقدسي : ٤٢٠ : من أغنامه البازهر الموصوف . قد يفهم هذا النص على الوجه التالي : « يأتي البازهر المشهور من ماشية البلد الصغيرة » . يميل دي خويه (م ج ع ، ج ٤ ، ١٨٣) الذي اتبع أنا رأيه ، إلى اعتبار البازهر اسم الحيوان بالذات . والبازهر موجود عند حيوانات مجترة متنوعة ، إلا أن أحد أنواع المعز ، ينتج أشهر صنف منه ،

أي البازهر الحقيقي (الذي يشير إليه المقدسي بداهه فيما يبدو) (دي خويه : Hircus Montanus ، ج . روسكا وم . بلسنر ، مذكوران فيمابعد : Capraaegagrus)
وينتمي بصورة أعم ، حسب المقدسي ، إلى الماشية الصغيرة (هنا الأغنام) . انظر ج . روسكا ، بازهر في م ١ ، ج ١ ، ٧٢٨ ، ج . روسكا و م . بلسنر ، بازهر في م ١ (٢) ، ج ١ ، ١١٩٠ ، وديميزون ، معجم ، ح ١ ، ٣٧٠ . و ت . بلنفورد ، فارس الشرقية ، تقرير رحلات لجنة حدود فارس ، لندن ، ج ٢ ، ١٨٧٦ ، ص ٨٨ — آخر ٩٠ ، ميزون ، تحليل جغرافي حيواني ، مشار إليه سابقاً ، ٣٨ . برنتجس . مشار إليه سابقاً ، ٢٢ — ٢٩ ، هاسنجر ، مسح ثدييات افغانستان مشار إليه ، سابقاً ، ٣٨ . ابستين ، الحيوان الأهلي ، مشار إليه سابقاً ، ج ٢ ، ٢٠١ — ٢٠٣ . كوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢٧٨ .

(١٧٠٤) الجاحظ (ت) : ١٥٨ ، ١٦٤ . ابن الفقيه : ٢٣٥ . المقدسي: ٣٢٥ (س ١ و ١٦ : يرتفع البزيوست من البلغار ومن طراز أيضاً على تخوم دار الاسلام والترك في آسية الوسطى . والكلمة فارسية مركبة من بز اي جدي ، ماعزة ، وبوست أي جلد : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٨٩ ، وديميزون ، معجم،اللفظ) ، ٤٥٢ ، حول منسوجات شعر المعز (وأبحاث أخرى موجزة عن المعز) ، انظر المراجع الكثيرة في المختصرات الشيقة لك . دي بلانهول ، « الاشعاع المديني والاصطفاء الحيواني : حل جديد لقضية عنزة انقرة ، مجلة فرع الجغرافية (أمانة سر الدولة للجامعات ، لجنة الأعمال التاريخية والعلمية) ، ٨٢ روماني ، ١٩٧٥ — ١٩٧٧ ، ص ١٧٩ — ١٩٦

(١٧٠٥) ابن خرداذبة : ١٨٠ ، ابن رسته : ١١٣ ، ابن الفقيه : ١٩٢ ، ٢٩٥ ، ابن حوقل : ٣٨ ، ٨٦ ، ١١٤ ، ٢٧١ ، ٣٣٦ ، ٣٤٤ ، ٤٠٢ ، ٤٤٥ ، ٤٥٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٦ ، المقدسي : ٢٨٣

(١٧٠٦) المقدسي : ٣٨١

(١٧٠٧) ابن حوقل : ١٥٥

(١٧٠٨) انظر بولنز ، الطرق الزراعية ، مشار إليه ، ٩٤ ، ١٠٨

(١٧٠٩) انظر النبذة الواردة عند ابن الفقيه ، ٣٨ (قارنها ب ر . بلاشير و هـ . درمون ، مختارات من كبار الجغرافيين العرب في القرون الوسطى ، باريس ، ٧ ١٩٥٧ ، ص ١٦٦ ، حاشية ٢٢) .

(١٧١٠) الهمداني ، ١٥٧ ، ولسان العرب ، لفظ « خل » (خلة ، مخلة) . لا حظ أيضاً أن التصنيف يشير إلى طعم الألبان حسب المرعى .

(١٧١١) الجاحظ (ت) : ١٥٩ . ابن الفقيه : ٨٤

(١٧١٢) ابن رسته : ١١٣ . المقدسي : ٢٣٠ ، ٢٥٤ ، ابن حوقل : ٣٨ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٥٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٨ ، حدود العالم : ١٤٨

(١٧١٣) ابن الفقيه : ٢٥٥ ، ٢٩٥ ، ٣١٦ . ابن حوقل : ٢٧١ (الا بل قليلة في أحياء الا كراد بفارس) ، ٣٢٦ (الهند المسلمة) ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٥٠ ، ٤٦٤ ، ٤٧٧ . حدود العالم : ١٠٤ . حول الهند والصين ، انظر جغرافية دار الا سلا م البشرية ، ج ٢ ، ص ٩٥ . (حول افريقية وسواها من البلدان غير المسلمة ، المرجع ذاته ، الفهرس ٥٨٨) .

(١٧١٤) ابن حوقل : ٣٥٩ — ٣٦٠ ، آخر ٣٦٢ ، ٣٦٦

(١٧١٥) ابن الفقيه : ٢٢٨ ، ٢٦٥ (اتخذ بليناس الرومي حول سبخة قم طلسمين فاستراح أهلها منها

(١٧١٦) انظر بلانهول ، الأسس الجغرافية ، مشار إليه ، آخر ٣٩ — ٤٤ . حول الجمل على وجه أخص ، انظر ش . بيلا ، « الا بل » ، في م ١ (٢) ، ج ٣ ، ٦٨٧ — ٦٩٠ . يسهل الا لتباس لأن النوعين يمكن تسميتهما باسم الجنس (شبه الجمع ابل) . حول النوعين ، انظر برنتجس Die Haustierwerdung ، مشار إليه ، ٥٤ — ٥٧ ، وابستين ، الحيوان الأهلي ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٥٤٥

(١٧١٧) ابن حوقل : ٣٨٠ (الا صطخري ٢٧) . المقدسي : ١٣٤ (الجمال الا عرابية) . حدود العالم : ١٤٨ ، و م ج ع ، ج ٤ ، ٣٧٤ ، لفظ « ورق » (لنا عودة إلى هذا السمك فيما بعد) .

(١٧١٨) الجاحظ (ح) ، ج ٦ ، ٢١٦ . ابن الفقيه : آخر ٣٧ — ٣٨ (حول معنى عسجدي ، انظر الجاحظ (ح) ، ج ١ ، ١٥٥ ، لسان العرب اللفظ) . المسعودي (م) : فقرة ١٦٢ (يضيف إلى هذه الأجناس العيدي : حول التفسيرات المحتملة ، انظر لسان العرب ، لفظ « عود » آخره) . البيهقي : المحاسن : آخر ١٠٥ — ١٠٦ ، يبدو أن الجمل البجاوي في افريقية يشبه جمل جزيرة العرب الجنوبية : انظر المسعودي (م) : فقرة ٨٤٦

(١٧١٩) شبه الجمع بخت ، المفرد بختي ، الجمع بخاتي : انظر بلا شير – شويمي – دينيزو ، المعجم ، ج ١ ، ٤٠٤ .

(١٧٢٠) اليعقوبي : ٢٧٧ (ترجمة : ص ٨٢ ، حاشية ٩) ، المسعودي (م) : فقرة ٨٤٦ (مهري أو بجاوي انظر ما تقدم ، ص ٣٢٥ وحاشية ١٧١٨) ، ابن حوقل : آخر ٤٥٠ . المقدسي : ٤٨١ ، والبيهقي ، المحاسن ، ١٠٥ . الحقيقة أن « البخت تنتج ، الا أن نتاجها ينتقص نسلها » . حول هذا التهجين ، انظر بلانهول ، الأسس الجغرافية ، مشار إليه ، آخر ٤٣ .

(١٧٢١) الجاحظ (ح) : ج ١ ، ٨٣ (الثعالبي : ١٥) ، ج ٢ : ٤٥٩ . المسعودي (م) : فقرة ٨٤٦ . المقدسي : ٤٨٩ . حول حذر جمز ومكان هذه الحركة في ترتيب السير ، انظر لسان العرب ، لفظ جمز .

(١٧٢٢) ابن الفقيه : ٢٩٥ ، يتحدث عن الجمال ، ويقول إنها تشبه ابل الترك ، حول الجمال المهجنة ، انظر ابستين ، الحيوان الأهلي ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٥٧٩ وما يليها .

(١٧٢٣) انظر ف . فيريه ، « فرس » في م ١ (٢) ، ج ٢ ، ٨٠٣ – ٨٠٦ ، و «خيل» ، المرجع ذاته ، ج ٤ ، ١١٧٥ – ١١٧٨ . ابستين ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٤٠١ وما يليها .

(١٧٢٤) ٣١٦ (خراسان) . ابن حوقل ، ٢٧١ (توسع في الاصطخري ، ٧٢ ، في بحث اكراد فارس : تدقيق بلانهول ، الأسس الجغرافية ، مشار إليه ، ٢٠٦ ، حاشية ٤٨ : يفرق بين الخيل العتاق ، النادرة مثل الابل ، وسائر الخيول ، كالحجور والدواب والشهارى ، علماً بأن هاتين الفئتين الأخيرتين مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً . أما الحصان الفارسي فهو مركب الفارس الشاك السلاح تقليدياً . وسنعود فيمايلي (حاشية ١٧٢٧) إلى هذا المقطع ، ٣٤٦ (ارمينية) ، م ج ع ، ج ٤ ، ٢٧٨ . الجاحظ ، رسالة إلى الفتح بن خاقان في مناقب الترك وعامة جند الخلافة ، نشره ج . فان فلوتن ، لايدن ، ١٩٠٣ (ص ١ – ٥٦ من ثلاث رسائل مصنفها الجاحظ) ، ص ١١ . لومبار ، الاسلام ، مشار إليه ، ١٦٩ . أخذت صفات الحصان الفارسي الرئيسة من صفات شبديز الحصان النموذجي (ابن الفقيه : آخر ٢١٤ : أهداه ملك الهند إلى الملك فيروز بن كسرى) .

(١٧٢٥) الجاحظ (ت) ، ١٥٩ ، ابن الفقيه : ٨٤

(١٧٢٦) ابن خرداذبه : ١٨٠ – ١٨١ ، اليعقوبي : ٣٣١ ، ابن الفقيه : ١٢١ ، ٢٥٥ (لعل النعت « البخارية) – الخيل البخارية – يشير إلى فصيلة من الجنس الفارسي .

أو إلى الحصان التركي المنغولي ، ويتحدث أيضاً عن « الفرس الذي في أقصى المغرب » ، ولا أعتقد أن المقصود به نوع من الحيوان الفريد ، مثل التمساح أو سواه ، الذي سبق ذكره ، بل تمثال الجبال الذي يعين حدود العالم : انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٥٣٩) . ابن حوقل ، ١٠٣ (يلاحظ انه لا يشير في حديثه عن مفاوز وبراوي المغرب إلى فرس المغرب في نوميديا – الجزائر) ٢٢٨ ، ٢٧١ (الاصطخري ، ٧٢) ، ٣٤٦ (تعتبر أرمينية أفضل من خراسان) ، ٣٤٨ ، ٤٤٩ (مقارنة بناحيتين في مشرق دار الاسلام) . المقدسي : ٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ، ٢٦٠ ، ٢٨٧ ، ٣٠٦ ، ٣٢٤ ، آخر ٣٢٥ ، ٣٢٨ . حدود العالم : ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٩ .

(١٧٢٦ مكرر) أرى أن معجم بلاشير – شوبمي – دينيزو ، ج ١ ، ٥٢٤ ، يفرط في الحسم في هذا الموضوع ، ويعطي البرذون معنى « نغل » و « حصان جر أو ركوب » . فالجاحظ (ح) ، ج ٧ ، ١٧٦ ، يقول : (الفيلة ضربان) . . . فبعضهم يقول كالبخت والعراب ، والجواميس والبقر ، والبراذين والخيل ، والفأر والجرذان ، والذر والنمل ، ويشرح هذا المقطع في المرجع ذاته ، ج ٣ ، ٢٠٢ (مستشهد به في معجم بلاشير . . . ، مشار إليه) : (وهذا كله يدل على أن بعضها من بعض) . . . كالبراذين والعتاق ، وكلها خيل . فلفظ الخيل يشير إلى الفصيلة ، ولفظ عناق إلى الحيوان النبيل (المعجم : « فرس ») . بالتالي تضم فصيلة البراذين الحمير والبغال وحصان الجر والركوب . ومعجم لسان العرب واضح جداً بهذا الشأن (لفظ برذون) : « البرذون الدابة . معروف . . . والبراذين من الخيل : ما كان من غير نتاج العرب » . وعليه نشمل البراذين فئات (حمير ، بغال ، نغل) وفرعاً : كل الاحصنة التي تستعمل لغير السـباق للنقص في اصلها . انظر ايضاً ابن حوقل ، ٢٧١ (انظر ما تقدم ، ح ١٧٢٤) الذي يقول : ليس للاكراد خيل عتاق . . . انما دوابهم براذين وشهاري . وحتى لو اخذنا لفظ دواب بمعنى « ركائب » ، فان استخدام الاكراد لها يعد السبيل الوحيد المتاح لهم ، وتضطرهم ندرة الجياد الحقيقية إلى استخدام دابة الحمل عند غيرهم ، ركيبة . (تنطبق الملاحظة ذاتها على المقطع السابق المأخوذ من لسان العرب) . انظر ايضاً ابن رسته ، ١٩٦ : تنزى البرادين (وليس الجياد الاصيلة بلا شك) على الحمير) (لنتاج البغل) . اخيراً ، انظر الحاشية ١٧٤٢ (استعمال لفظ برذون بمعنى مختلف) والحاشية ١٧٦١ .

(١٧٢٧) ابن حوقل ، ٢٧١ ، مذكور من قبل ، ينناسب حجم الشهري ، مثلما قلنا في الحاشية ١٧٢٤ ، مع وزن الفارس الشاك البلاح ، المدرع (لومبار ، الاسلام ، مشار

إليه سابقاً ، ١٦٩) : بالتالي ، ندرك احتمال تصنيف الشهري في فئة دواب الحمل ، لأن وزن فارسه ثقيل اذا ما قورن بوزن البدوي الخفيف : انظر ابن الفقيه ، ٣١٦ (قائمة المراكب) : البراذين والشهاري مذكورة مع الابل والحمير .

(١٧٢٨) اجود ، جياد ، جيدة : المقدسي ، ٣٣ ، ١٤٥ ، ٣٢٤ .

(١٧٢٩) كراع (انظر هذا اللفظ في لسان العرب) : الاصطخرى ، ٧٢ ، ابن حوقل ، ٢٧١ (مهم لأنه يميز هذه الاحصنة عن الخول الاصيلة . (ابن حوقل ، المرجع ذاته ، نص لاحق) وعن الدواب العادية .

(١٧٣٠) ابن حوقل ، ٤٤٩ . بشأن الحجر المسماة على هذا النحو (رمكة ، جمعها رمك رميك) انظر ابن رسته ١٩٦ ، والاصطخرى ، ٧٢ ، وابن حوقل ، ١٠٣ ، ٢٧١ ، ٤٤٩ .

(١٧٣١) حملاج : وصف به البرذون : ابن الفقيه ، ١٢١ (ترجمة ، ص ١٤٦ : « جياد سريعة ») . انظر مع ذلك الحاشية ١٧٤٢ (عودة إلى قضية معنى البرذون) .

(١٧٣٢) انظر بشأن الالفاظ المشتقة من جذر فره اليعقوبى ، ٣٣١ ، ابن الفقيه ، ٣١٦ ، ابن حوقل ، ٣٤٦

(١٧٣٣) القرآن ، ١٤/١٢/٣ ، ١٦ . ١٨ مصحوبة هنا كركيبة بالبغل والحمار) .

(١٧٣٤) ابن الفقيه ، ٢٦٠ . برهان اخر على ضعف البنية البدنية هذه المرة المشتركة مع الابل : اشير إلى الصعاب في هضبة فارس فيما تقدم : ابن الفقيه ، ٢٦٥) . الخيل الموضوع ذاته : دواب وابل وحمير) . حول قضية المرعى ، انظر فيريه ، م ١ (٢) ، ج ٤ ، ١١٧٥ . حول ما يظهر من جزع الخيل ، انظر المسعودي (م) : فقرة ٩٠٢

(١٧٣٥) المقدسي : ٣٢٨ (حاشية ف : قارن بعادة اقليم الشام ، المقدسي : ١٨٣) .

(١٧٣٦) المقدسي : ٣٠٦ (يبدو هذا الوقف دقيقاً جداً ، إذا حكمنا على أساس النعت « مسبلة » (موقوف لأعمال التقوى) : م ج ع ، ج ٤ ، ٢٥٨ . حول دور الخيل في هذه الناحية ، انظر نص المسعودي المترجم في مايلي ، وفيريه ، م ١ (٢) ، ج ٤ ، ١١٧٨

(١٧٣٧) لا تتضمن النصوص الجغرافية ، بالمعنى الضيق ، هذه الفروسية ، أعني بتقنياتها ودقائقها ومصطلحاتها . لن نجدها من أجل مدونتنا الا في التصانيف الموسوعية : مثلا ابن رسته : ١٩٩ حول أصل عادة حذف أذناب الدواب ، حول دور مهلب بن أبي صفرة ، الذي ذكره ابن رسته ، في حذف الأذناب في محاربته الخوارج ، انظر فيريه ،

م ١ (٢) ، ج ٤ ، ١١٧٧) . المسعودي (م) ، ج ٨ ، ٣٥٩ (حول السباقات . استشهد به ج . دوبيه ، « الفروسية » في م ١ (٢) ، ج ٢ ، ٩٧٤ - ٩٧٦

(١٧٣٨) المسعودي (م) : فقرة ٣٥٣ . انظر أسماء أخرى عند فيريه في م ١ (٢) ، ج ٢ ، ٨٠٤

(١٧٣٩) الجاحظ (ح) ، ج ٧ ، ١٨١ . ابن رسته : ٨٣ . ابن الفقيه : ٥١ ، ١٧٦ ، ٢١٤ - ٢١٦ ، ٢٣٦ ، ٢٤٢ ، ٢٥٥ ، ٢٦٧ ، والاصطخري : ١١٩ ، وابن حوقل : ٣٥٩ ، ٣٧٢ . انظر شوارز ، فارس ، ج ٤ ، ٤٨٢ - ٤٨٥

(١٧٤٠) من الفارسية : شب (ليل ظلمات) وديز (أسود أو رمادي) .

(١٧٤١) المقدسي : آخر ٣٢٥ ، يذكر أن الخيل والبغال تحمل من بلدان الأتراك إلى نواحي سيحون وخاصة إلى فرغانة . ويقول المرجع ذاته إن الخيل والبغال تحمل أيضاً من الختل ، الواقعة على بضعة ٣٠٠ كم نحو الجنوب الغربي ، إلى سائر بلدان دار الاسلام . لذلك نستطيع منطقياً أن نطرح مسألة العلاقات الوراثية بين خيول المنطقتين المعنيتين .

(١٧٤٢) ابن خرداذبة : ١٨٠ - ١٨١ . يستعمل لفظ برذون (ورمك مرة واحدة) ومع ذلك يتعلق الأمر بخيل كريمة وبدواب (ركائب) استثنائية ، كما سوف نقول : بالتالي لا يعني البرذون دائماً حصان الركوب ، ويوضح هذا المعنى الجديد في ملف معاني هذا اللفظ الذي فتحناه من قبل (حاشية ١٧٢٧) . ويمكننا أن نجمل ما قيل على الوجه التالي : معنى البرذون العام والشائع دابة الحمل والجر والركوب (مستعملة كركيبة فقط ، لا يتوفر أفضل منها) . ويمكن اعتباره أيضاً (ربما بسبب التقارب بين فئة الدواب والشهارى : انظر الحاشية ١٧٢٤) الركيبة الوحيدة القادرة على حمل العبء الثقيل الذي يمثله الفارس الشاك السلاح من النوع المدرع . ومن هنا احتمال استعمال هذا اللفظ استعمالا يدل على نبل الحيوان ، كما هي الحال هنا (ربما عند ابن الفقيه أيضاً ، المذكور في الحاشية ١٧٣١) . حول خيل الختل ، انظر أيضاً اليعقوبي . ٢٩٠ (الدواب البيكية : انظر الترجمة ، ص ١٠٥ ، حاشية ٧) . ابن حوقل ، مذكور ، ١٦٩ . ابستين ، الحيوان الأهلي ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٤٠٤ - ٤١٤ .

(١٧٤٣) نازكول ، من الفارسية ناز (طازج ، لين ، حديث ، ومنه راحة ، رغد عيش ، مباهج ، نعمة) ، وحول (زهرة ، ورد خاصة)

(١٧٤٤) المسعودي (م) : فقرة ١٣٥٢

(١٧٤٥) اجتمعي : حرفياً ركزي

(١٧٤٦) هذه قبضتي : حرفياً : انتقال العمل المادي إلى جبريل يسمح بتحاشي الاتهام بالتشبيه .

(١٧٤٧) يمكن أن يفهم على الوجه التالي : مادمت تكسب قوتاً وغنيمة

(١٧٤٨) الغرة في الجبهة ، والتحجيل في القوائم .

(١٧٤٩) البراق : دابة ركبها الرسول ليلة المعراج : انظر ر . باريه في م ا (٢) ، ج ١ ، ١٣٥٠ — ١٣٥١

(١٧٥٠) هذه الجملة خاتمة رواية المحدث الأول ابن عباس على لسان الرسول .

(١٧٥١) انظر ج . روسكا ، « حمار » ، في م ا (٢) ، ج ٣ ، ٤٠٦ . ابستين ، الحيوان الأهلي ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٣٧٧ — ٣٩٨

(١٧٥٢) ابن الفقيه : ٢٢٨ ، ٣١٦ . ابن حوقل : ٤٦٤ . المقدسي : ٤٤١

(١٧٥٣) الجاحظ (١) : ١٩١ . الجاحظ (ت) : ١٥٩ . اليعقوبي : ٣٣٤ . ابن الفقيه : ٢٥٢ ابن حوقل : ١٦٢ — ١٦٣ (الاصطخري : ٤٢) . المقدسي : ١٨٣ ، ٢٠٣ ، ٢٢٦ ، ٢٣٩ حدود العالم : ١٥١ . حول لفظ المريسي ، انظر ما تقدم ، الفصل الرابع ص ٢٩٣ . حول حمار مصر ، انظر ابستين ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٣٨٣ . كوتيير عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢٩٠ .

(١٧٥٤) حول النعت مدنر ، انظر م ج ع ، ٢٣٨ ، اللفظ ، و ٣٣٣ اللفظ « قمر »

(١٧٥٥) قراءة مشكوك فيها (اتبع الصورة الواردة في طبعة كرامرز) : انظر م ج ع ، ج ٤ ، اللفظ ، « سملق » حول حمار الصعيد ، انظر ابستين ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٣٨٣ — ٣٨٤

(١٧٥٦) انظر حدود العالم : آخر ٦٨ — ٦٩ ، آخر ١٥٢ — ١٥٣ (الفارسية خار — اي — وحشي) . حول الصفة الواردة عند ابن حوقل (ابن حوقل : ١٥٣) ، انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ١٧٧ . حول حمار الوحش ، انظر ابن الفقيه : ٣٨ ، آخر ٢٤٧ (حول فارس مع تعبير حمر الوحش) . حول حمر الوحش في نواحي النيل الأعلى ، انظر ابستين ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٣٧٧ — ٣٧٨ . حول الفوارق المورفولوجية والمكانية ، بين الاحقب وحمار الوحش ، المرجع ذاته ، ٣٧٧ ، ٣٩٦ . موتيير ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢٩٠

(١٧٥٧) هملاج (الجاحظ (ت) : ١٥٩ . انظر الحاشية ١٧٣١) ، فراهية ، مع الابل والخيل (ابن الفقيه : ٣١٦ ، ذكر من قبل ، آخر الحاشية ١٧٢٧ ، والحاشية ١٧٣٢) .

(١٧٥٨) المقدسي : ٤٤١

(١٧٥٩) ابن الفقيه : ١٤٧ (حمار) . حول حمار بلعم ، انظر مجلة الأعداد ، ٢٢ روماني ، ٢٢ وما يليها ، و ج . فجدا في م ١ (٢) ، ج ١ ، ١٠١٤

(١٧٦٠) المسعودي (م) : فقرة ٨١٦ . سمى الحصان دابة ، « كودن » (ترجمة بيلا) .

(١٧٦١) حول معنى البرذون هذا ، انظر بلا شير – شويمي – دينيزو ، معجم ، مذكور في الحاشية ١٧٢٦ . افكر هنا في مقاطع مثل مقطع ابن حوقل بآخر ٩٧ . فقد جاء حرفياً في نصه الذي يعتبر أعقد مما توحي به ترجمة وايت (آخر ٩٥ – ٩٦) : « ولهم – أهل المغرب – الخيل النفيسة من البراذين والبغال الفهرة » . فاما أن تجعل البراذين أحصنة جر أو ركوب (انظر الحاشية ١٧٢٦) وعندئذ كما سوف نقول ، واما أن نجري مقارنة أدق بين البغال والكوادن نجمع في لفظ « بغال » البغال والكوادن ، ونخص لفظي براذين وبغال بمعنيين مستقليين لتشكل فصيلة المهاجين المضمرة ضمن فئة الخيل . ابن رستة : ١٩٦ مذكور في الحاشية ١٧٢٦) لا يعطى اسم النتاج ، بل يتحدث عن أول من انزى الحمير على الرمك والبراذين على الحمير ، ويقصد بالبراذين أحصنة الجر أو الركوب .

(١٧٦٢) بشأن هذا البحث ، انظر ش . بيلا ، م ١ (٢) ، ٩٣٦ – ٩٣٧

(١٧٦٣) القول في البغال ، الناشر ش . بيلا ، ١٣٧٥ – ١٩٥٥

(١٧٦٤) لا يوحي موضوع التهجين الا ببضعة أسطر نادرة : ابن رستة : ١٩٦ (في نطاق ذكر الأوائل الذين أحدثوا الأشياء الذين اقتدى بهم فيها.المسعودي (م):فقرة٨١٦

(١٧٦٥) ابن حوقل : ٤٤٩ ، ٤٦٤ ، ٥٠٢ . المقدسي : ٣٢٤ – ٣٢٥ . حدود العالم : ١١٣

(١٧٦٦) الجاحظ (ت) : ١٦٠ . ابن حوقل : ٣٤٦ ، ٣٤٨ . المقدسي : ٣٨٠ . حدود العالم : ١٤٣ : برذعة مصر اران ، وهي منطقة قريبة من جبل القبق واقعة بين المنطقتين الاخريين (أعطى المقدسي مجمل المناطق اسم الرحاب) .

(١٧٦٧) اليعقوبي : ٣٣١ (لا أدري لماذا يتحدث وايت ، الترجمة ص ١٨٦ ، عن مربط خيل بالنسبة إلى النعت فرهة في « فرهة الخيل والدواب والبغال » . ابن الفقيه :

٢٥٢ . ابن حوقل : آخر ١٦٢ . يذكر المقدسي ، ٣٦٢ ، الفرق ذكراً عابراً . ريجب من الزوزان ونواحي ارمينية والران من البغال الجياد الموصوفة بالصحة والجلد والفراهة والصبر إلى العراق والشام وخراسان : ابن حوقل : ٣٤٦ (بغال ما وراء النهر ، ويجلب إلى أقطار خراسان منها الفره الجياد) : ابن حوقل ٥٠٢) .

(١٧٦٨) ابن الفقيه : ٢٥٢ (ترجمة ، ص ٣٠٤) . ابن حوقل : ٨٦ — ٩٧ ، ١٠٣ ، ١١٤ — ١١٥ . المقدسي : ٢٣٩

(١٧٦٩) ابن حوقل : ١١٤ — ١١٥

(١٧٧٠) فاره ، وفيما بعد ، فره او فره . حول مشتقات جذر فره ، انظر الحاشية ١٧٣٢ ، والحاشية ١٧٥٧ والحاشية ١٧٦٧ .

(١٧٧١) مهنة : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٥٧

(١٧٧٢) ارمينية وأطراف القبق الجنوبية الشرقية والشرقية : انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٢٦٠ — ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩

(١٧٧٣) جاء في النص أن ميرقة لعبد الرحمن بن محمد ، وفيها المسلمون منقطعة عن سلطة الأمويين ، تلي ناحية افرنجة .

(١٧٧٤) الصبغة العاشرة استوطاه : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٧٦

(١٧٧٥) الاصطخري : ١١٠ ، ابن حوقل : ٣٤٢

(١٧٧٦) الحرير ، القز ، الديباج ، الابريسم ، الخز ، البزيون ، السقلاطون ، العتابي ، المبرم ، الخ : انظر الجاحظ (ت) : ١٥٨ (مع أسماء أخرى) — ١٦٠ . اليعقوبي : ٢٧٨

ابن الفقيه : ٥٠ ، ١٢١ ، ٢٣٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ . الاصطخري : ١١٧ (حاشية ١١) . ابن حوقل : ٧٠ ، ٥٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٢ ، آخر ٣٦٣ ، ٤٣٦ . المقدسي : ١٧٤ ، آخر ٣٢٣ — ٣٢٥ ، ٤١٦ ، ٤٤٢ . حدود العالم : ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٥١ . انظر « حرير » مجموعة مقالات في م ١ (٢) ، ج ٣ ، ٢١٥ وما يليها ، و م ج ع ، ج ٤ ، ٢٢٤ ، ٢٦١ — ٢٦٢ ، ٢٩٥ — ٢٩٦

(١٧٧٧) الجاحظ (ت) : ١٥٨ ، يتحدث عن « دودة » ، وشهر شباط مذكور بالفارسية ماه اسفندارمذ.حول المنطقة الثانية (تارم في الترجمة) ، انظر مينورسكي ، « تارم »

في م ١ ، ج ٤ ، ٧٠٩ — ٧١٢ (وجودها في هذه الجبال يؤيده ابن الفقيه : ٢٩٧ ، في حديثه عن خصائص وغرائب ارمينية) .

(١٧٧٨) المقدسي : ٣٨١

(١٧٧٩) اليعقوبي : آخر ٣٣١ (صعيد مصر وارمينية) . ابن الفقيه : ٢٩٧ (ارمينية) . ابن حوقل : ٣٤٢ (الاصطخري ١١٠) (ارمينيه) . حدود العالم : ١٤٢ — ١٤٣ (ارمينية واذربيجان) . المقدسي : ٣٧٣ ، ٣٨٠ . نعرف أن التقنية الشائعة تتمثل في الحصول على الصباغ من الدودة المجففة . حول القرمز ، انظر م . لومبار . المنسوجات في دار الاسلام ، من القرن السابع إلى القرن الثامن عشر ، باريس ، لا هاي نيويورك ، ١٩٧٨ ، ١١٩ وما يليها .

(١٧٨٠) الجاحظ (ت) : ١٦٠ ، اليعقوبي : ٣٣٧ ، ابن الفقيه : ٦٦ ، ٨٤ ، ٢٣٦ ، ابن رسته : ١١٢ ، ١٥٧ (حول النعت الماذي ، انظر الترجمة ص ١٨٢ ، حاشية ٧) ، ابن حوقل : ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٦ ، ١٦١ ، ١٢٥ ، ٢٥٨ ، ٣٢٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٦٥ ، المقدسي : ٨٤ ، ٨٦ ، ١٤٥ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ٢٢٤ ، ٣٢٤ ، ٣٧٣ ، ٣٨٤ ، ٣٩٣ ، ٤٢١ ، ٤٢٩ ، ٤٥٢ ، ٤٧٩ . حدود العالم : ١٤٢ . النحل وحده مذكور : الاصطخري : ٢٧ (ابن حوقل : ٣٩ : القرود كبير يعظمونه ويتبعونه كاليعسوب للنحل) ، ابن حوقل : ٧٧ (النحل والاجباح) .

(١٧٨١) ستدرس الدواجن فيما بعد مع الطيور .

(١٧٨٢) المقدسي : ٤٨١ (تحمل الفيلة والعاج من وادي مهران — من اقليم السند المسلم — حول الفيل ، انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، الفهرس (الاهتمام بتأهيل الفيل يفسر بأنه لا يرى في المشهد اليومي للمصنفين) .

(١٧٨٣) ابن حوقل : ١٤٢ ، المقدسي : ٢٠٦ . انظر ابستين ، الحيوان الأهلي ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٣٣٠ .

(١٧٨٤) انظر المقدسي : ٢٠٦ ، ٣٨٩ (حاشية ب) ، مذكور الحاشية ١٦٨٧ ، صيغة مكررة في المرجع ذاته ، ص ٤٠٩

(١٧٨٥) ابن رسته : ١٩٩ . يحال إلى وضعه الأهلي لفهم وضع القنفذ الأهلي الذي يعتمد عليه في سجستان لصيد الأفاعي (كالسنور لصيد الفأر) .

(١٧٨٦) ابن الفقيه : ٢٩٧ (إحالة أخرى في الحاشية السابقة) .

(١٧٨٧) المقدسي : ٤٣٦ (وحاشية يد) . حول لفظ غبيراء ، انظر غالب ، معجم ، ج ٢ ، ١٩٦ ومايلي الفصل السادس . المقدسي : ٣١ ، يذكر أربعة ألفاظ للدلالة على السنور : قطة ، سنور ، هرة ،دمة عن (دمة انظر دوزي ، ملحق ، ج ١ ، ٤٥٩) .

(١٧٨٨) انظر ف . فيريه ، « كلب » ، في م ١ (٢) ، ج ٤ ، ٥١٠ — ٥١٣

(١٧٨٩) ابن رسته ، ذكر من قبل

(١٧٩٠) ابن الفقيه : ٢٩٥

(١٧٩١) انظر الحاشية ١٧٥٩ (يلاحظ أن اسمه مذكور : دين أو حمران) ووصيف شاه : ٢٣

(١٧٩٢) المقدسي : ١٨٨

(١٧٩٣) المقدسي : ١٢٦

(١٧٩٤) المقدسي : ١٨٨

(١٧٩٥) المقدسي : ٢٠٠

(١٧٩٦) المقدسي : ١٤٧ ، ٢١١ وجغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٤٧٩

(١٧٩٧) المقدسي : ٤٠ ، ٢٠٢ (س ١١ و ١٥) ، ٢٤٣ . مع اعتبارات ترتبط بالمذهب المالكي حول لفظ القنارات ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٣٤

(١٧٩٨) انظر ابن رستة : ١٣٥ (مراجع في الترجمة ص ١٥١ حاشية ٤) ، ابن الفقيه : ٥٠ ، ٣٢٥ ، الهمداني : ٧٩ . انظر للتهجين : البيهقي ، المحاسن ، ١٠٥ ، وابن عبد ربه ، العقد ، ج ٦ ، ٢٣٤ . ا . غروهمان ، « سلوق » في م ١ ، ج ٤ ، ١٢٣. « الكلاب نجسة في نظر المسلمين ، إلا أن السلوقية ليست كلاباً في عرف البدو » (و . تيسيجر ، صحراء الصحارى . مع البدو ، آخر المرتحلة في جزيرة العرب الجنوبية ، ترجمة فرنسية ل م . بوشيه فورنيز ، باريس ، ١٩٧٨ ، ص ٣٥٥) .

(١٧٩٩) ما تقدم آخر ٣٣٣ و ٣٣٦ . عن الصيد ، انظر مثلا المقدسي : ٣٠٣ وما تقدم الفصل الأول ، ص ١٨

(١٨٠٠) ابن الفقيه : آخر ٢٤٧ ، ٥٠١

(١٨٠١)مر معنا في ص ٣٣١ بالنسبة إلى الحمير والابل والغنم . انظر أيضاً المقدسي : آخر ٢٨٥

(١٨٠٢) الأقسام الأربعة هي شيء يمشي ، شيء يطير ، شيء يسبح ، شيء ينساح : الجاحظ (ح) : ج ١ ، ٢٧ (وحاشية ١) ، ذكره المسعودي (م) : فقرة ٨٦٤ .

(١٨٠٣) ابن الفقيه : آخر ٢٣٤ (ذوات السموم القاتلة) .

(١٨٠٤) ابن الفقيه : ٢٣٤ ، المقدسي : ٣٨٨

(١٨٠٥) انظر ما تقدم ، الفصل الرابع ، ص ٣٠٤

(١٨٠٦) ابن الفقيه : آخر ١٢٣ ، آخر ٢٣٤ . يدل لفظا الجعلان (المفرد جعل) والخنافس (المفرد خنفس) على فصيلة الخنافس ورتبة مغمدات الأجنحة (انظر غالب ، معجم ، ج ١ ، ٢٦٥ — ٢٦٦ ، و ٣٧٥ (خنفسة) . دوزي ، ملحق ١ ، ٤٠٩) . نظراً إلى تعبير ابن الفقيه عن شجبه المعاناة ، اخترت اسمين يفيد ان الحقارة : الجلالة وبنت وردان بالفرنسية . (من مستقيمات الأجنحة) .

(١٨٠٧) الا صطخري : ٢٤٠ ، ابن حوقل : ١٧٦ ، المقدسي : ٣٠٤ . بشأن حمص انظر أيضاً فيمايلي .

(١٨٠٨) ابن الفقيه : ٣٤٠ (همذان) ، المقدسي : ٣٨٤ (مجمل اقليم الجبال ، يتناقض بالنسبة إلى مدينة قاشان ، المرجع ذاته ، ٣٩٠ (انظر حدود العالم : ١٣٣) ، لكن صحيح أن هذه المدينة واقعة على تخوم اقليم آخر هو فارس ، وبخاصة ، ان العقارب أدخلت إليها بحرب « بكتريولوجية » : انظر مايلي) .

(١٨٠٩) طبرقة شهيرة في المغرب : تقارن عقاربها بعقارب عسكر مكرم ، التي سوف نتحدث عنها : انظر الا صطخري : ٣٤ ، ابن حوقل : ٧٤ ، حدود العالم : ١٥٤ . من أجل سائر الأنحاء الساحلية المذكورة ، انظر ابن الفقيه : ٢١٢ (قلت العقارب في العراق ، على الأقل حول المدائن ، بفضل طلا سم بليناس) ، ٢٣٤ ، المقدسي : ١٦٧ ، ١٧٥ ، ١٨٦ ، ٣٠٥ ، ٤٢١ ، حدود العالم : ١٥٠

(١٨١٠) مثلا : عقارب قاشان عجيبة ، وكثيرة في حمص — خطأ — وكبيرة وقاتلة في طبرقة (المقدسي : ٣٩٠ ، حدود العالم : ١٥٠ ، ١٥٤) : نرى أن متوسط الا حالة مشار إليه ضمنياً .

(١٨١١) ابن الفقيه : ٢٣٣ ، الا صطخري : ٥٢ ، ٦٤ ، ابن حوقل : ٢١٤ ، ٢٥٦ ، المقدسي : ١٤١ ، ٤١٠ ، حدود العالم : ١٤٠

(١٨١٢) ابن الفقيه : ٢١٢ ، يتحدث عن الجرارات ، في حين يقول الاصطخري : ١٦٤ (ابن حوقل : ٢٥٦) إن هذه العقارب صغار على قدر ورقة الانجذان وصفرتها فسميت الجرارات (انجذان Ara Foetida) : انظر غالب ، معجم ، ج ١ ، ١٠٣ — ١٠٤ ، ومايلي الفصل السادس . تصحح ترجمة ، وايت ص ٢٥٣ Silphium . حول العقارب الجرارات ، انظر غالب ، معجم ، ج ١ ، ٢٥٦ . لتحديد المواضع ، يلاحظ أن عقارب طبرقة ، تقارن بعقارب عسكر مكرم ، من جهة تأثير لدغها وسرعته ، لا من ناحية حجمها ، ولم يذكر اسم جرارة في طبرقة أصلا . المقدسي : ٤١٠ ، ص ٥ يستعمل لفظ كزودا (انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٤٠) .

(١٨١٣) الاصطخري : ٣٤ (ابن حوقل : ٧٤) ، ٦٤ (ابن حوقل : ٢٥٦) ، حدود العالم : ١٤٠ ، ١٥٤

(١٨١٤) المقدسي : ٣٩٠ . عن أبي موسى الاشعري ، انظر ل . فيسيا فاغليري ، في م ١ (٢) ، ج ١ ، ٧١٦ — ٧١٧

(١٨١٥) ابن الفقيه : ٢٣٧ ، المقدسي : ٣٠٥ (ذكر من قبل ، الفصل ٤ ، ص ٣٠٤) . انظر معنى لفظي شولة وشول في معجم الألفاظ من أجل صورة ذنب العقرب المرتفع .

(١٨١٦) ابن الفقيه : الحرذون يذكر بالحرباء : انظر دوزي ، ملحق ١ ، ٢٦٨ ، ٣٣٢ (لفظ « حنيشة ») غالب ، معجم ، ج ١ ، ٣٠٠

(١٨١٧) ابن الفقيه : ٧٦ ، ١١٢ ، ٢٩٥ ، المقدسي : ١٨٦

(١٨١٨) انظر ما تقدم (حاشية ١٨٠٦) : كازيميرسكي ، لفظ ترجمة جعل وخنفس بالكلمة الشائعة . . . نرى أن لا أثر لتقاليد مصر القديمة .

(١٨١٩) ذكر في الحاشية ١٨٠٦ . فلنتذكر أن نهم النمل في الاطار الاسطوري (غير المسلم) يتناسب مع حجمها الكبير (حجم السنور) ويدفعهم إلى افتراس البشر : انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ١٧٥ .

(١٨٢٠) المقدسي: ١٧٤ (ودلها مؤذ).حول لفظ دلم،انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٣٧.

(١٨٢١) زنبور : ابن الفقيه : ٢١٤ (هنا يتدخل بليناس بطلسمه) .

(١٨٢٢) ابن الفقيه : ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٣٣ — ٢٣٤ ، المقدسي : ٣٠٤ (غزنين) ، ٣٨٤ ، ٣٨٨ ، حدود العالم : ١١٠

(١٨٢٣) الذباب : ابن الفقه : ٢١٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ . مسعر (ب) : ٣٨ ، المقدسي : ٩٥ ، ٣٥٨ ، ٤١١ . من أجل البعوض والجرجس : ابن الفقيه : ٢٣٤ ، ابن رستة : ١٨٥ ، ابن حوقل : ٣٨٣ ، المقدسي : ١٢٥ ، ٤١٣ ، حدود العالم : ١٣٤ . من أجل البق ، لكن قد يكون اللفظ جرجس : ابن الفقيه : ٢٣٤ ، ابن حوقل : ١٥٩ (ترجمة ص ١٥٧ : حشرة) ، المقدسي : ١١٩ ، ١٢٥ ، ٢٠٠ ، ٣٥٩ ، ٤١٠ ، ٤١٣ ، ٤٦٦ ، ٤٧٩ . من أجل البراغيث : ابن الفقيه : ١١٨ ، ٢١٢ ، ٢٣٣ ؛ المقدسي : ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٧٥ ، ٢٠٠ ، ٢٨١ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٤١٠ ، ٤١١

(١٨٢٤) ابن حوقل : ٣٨٣ ، المقدسي : ٩٥ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ٢٠٠ . وفي نطاق التفكير ذاته ، ولا يذكر الجراد إلا لتشبه كثرة سكان الفسطاط بكثرته .

(١٨٢٥) المقدسي : ٢٠٠ ، ٣٥٩

(١٨٢٦) ابن الفقيه : ١١٨ ، ابن رستة : ١٨٥ (في الحديث عن مسالح بطائح العراق : انظر ما تقدم الفصل الثاني ، ص ٢٠٣ آخرها) ، المقدسي : ١١٩ ، ١٢٥ ، ٣٥٨ (يرد لفظ كركان من الفارسية جرجان ، جمع جرج : ذئب ، يرد اللفظ العربي ذئب في المرجع ذاته ، ٤١١) ، ٤١٣ بشأن هذا المقطع ، انظر الحاشية ١٦٤٣) ، حدود العالم : ١٣٤

(١٨٢٧) المقدسي : ٣٩٧

(١٨٢٨) في منطقة اصفهان : انظر شوارز ، فارس ، ج ٥ ، ٦٤٢

(١٨٢٩) ابن الفقيه : ٣١٣ ، يكرره المقدسي ، ٣٦٨ ، مع بعض التعديلات .

(١٨٣٠) الجاحظ (ح) ، ج ٦ ، ٢٠ — ٢٢

(١٨٣١) ويبدو في مكان آخر (المرجع ذاته ، ج ١ ، ٢٧) إن الحشرات هي الدويبات بالمعنى الواسع ، وقسم من أربعة أقسام (ناس ، بهائم ، سباع ، وحشرات) : انظر معجم بلاشير — شويمي — دينيزو ، لفظ « بهيمة ») من نوع الحيوان الذي يمشي (لا « الحشرات » كما يقترح المعجم ، مشار إليه ، إذ يقال مباشرة بعد ذلك : على أن الحشرات راجعة — مضمر صغيرة — في المعنى إلى مشاكلة طباع البهائم والسباع) . انظر نقاشاً آخر عند الجاحظ (ح) ، ج ٤ ، ٤٧١ وما يليها .

(١٨٣٢) نعجب لحشر الديدان بين جميع هذه الدويبات المنساحة أو الحشرات أو الزواحف أو سواها . ولا تذكر النصوص الجغرافية هذه الفئة (حدود العالم : ٥٤ في الحديث عن

بحيرة ارمية . ويشير المقدسي إلى غيابها ، ٣٨٤ ، كأحد مباهج اقليم الجبال ، وفي المرجع ذاته ، ٣٩٧ ، ذكر عابر للعلقة . انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٠٣) . ثم إن هذا الورود المحدود صفة لكتاب حيوان الجاحظ (انظر الفهرس « دود ») . وإذا وضعت الديدان أحياناً في عداد ما ينساح (المرجع ذاته ، ج ٤ ، ٢٧١) ، فهي لا تظهر في تعداد الحشرات الذي تحدثنا عنه . حول الدود العظام (أو الأسطورية) في جبل دنباوند ، انظر الفصل الأول ، ص ٦٨ . وترد الديدان أيضاً في أطر أسطورية عند المسعودي (م) ، فقرة ١١٩٣ (وحاشية ٢) ، ١٢٠٣ ، وعند الاصطخري : ٢٧ (ابن حوقل : ٣٩) .

(١٨٣٣) بحسب عادة هذا الحيوان (العربد ، العربد ، العربد) من حيات الرمال في افريقية وجزيرة العرب ، (لسان العرب ، عربد ، وغالب ، معجم ، ج ١ ، ٣٧ ، لفظ عربد) . ويصنف الجاحظ العربد في عداد الحشرات (ح) ، ج ٦ ، ٢١ ، ٣٣ ، لكنه ، وإن كان على قالب الحيات وخرطها ، ليس منها ، كما أن الحفاث والدساس ليسا منها . فلماذا يجيب الجاحظ : لأن هذه الأنواع الثلاثة من الحيوان ممسوحة الأذن ، وكان يجب أن تبيض كالحيات لا أن تلد ، كالحيوان البارز الأذن (يشرح وضع الأفعى في المرجع ذاته ، ج ٧ ، ص ١٢٨) . فهل هي حيات « كاذبة » لأنها تلد ويعتبر الحفاث تارة من الحيات (المرجع ذاته ، ج ٤ ، ١٤٨) وطوراً دابة تشبه الحية وليست بحية (المرجع ذاته ، ج ٦ ، ٣٣ — ٣٤٥) ، حتى لو كانت تغذيته (من القواضم) — باعتراف أنصار الفرضية الثانية — ووعيده الشديد يقربانه من أخبث الأفاعي (غالب ، معجم ، ج ١ ، ٣١٤ : الحفاث) . ويبدو أن الحية لتصنف حية ، يجب أن تبيض وتضر بحجمها أو بسمها (أو بالاثنين معاً : انظر الجاحظ (ح) ، ج ٦ ، ١٤٨) . من هذه الناحية ، نفهم أن يعتبر العربد حية ، إذا فرض أنه خبيث ، وهذا أصبح حسب لسان العرب ، وإلا يعتبر حية إذا فرض أنه لا يؤذي ، كما جاء في اللسان أيضاً . أما الدساس (الجاحظ (ح) ، ج ٤ ، آخر ٢٢٢ ، ج ٦ ، ٣١ ، ٣٢ — ٣٣ ، ج ٧ ، آخر ٦٥ — ٦٦ ، ١٢٦) فيلد وأذناه ممسوحتان ، ويعتبر تارة حية وتارة شبيهاً بها وليس بحية (انظر المرجع ذاته ، ج ٤ ، آخر ٢٢٢ ، ويميز لسان العرب وغالب ، معجم ، ج ١ ، ٤٠٢ (رقم ٨٣٣٩ — ٨٣٤٠) الدساس (من أخبث الحيات حسب اللسان وغير سام حسب غالي . . .) والدساسة . . . (بالمعنى الدقيق ، المعروف في عدة مناطق من اوربة الجنوبية) . وأميل إلى اختيار هذا النوع من الحيوان اعتماداً على الحجج التي عرضتها ، وعلى جمع الجاحظ بدقة العربد والدساس (الدساسة غير واردة لديه) ، لكن دون يقين مطلق ، وهذا التحفظ منطقي

ولا حاجة لذكره . فلا غنى البتة عن تمحيص كتاب الحيوان ودراسته بعمق لأنه يؤلف موسوعة جامعة . حول ذكر العربد ، انظر المسعودي (م) ، فقرة ٤٩١ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ . وحول العظائيات ، انظر ل . برتين ، حياة الحيوان ، باريس ، ج ٢ ، ١٩٥٠ ، ص ٢٥ — ٢٦ ، وكوتيير ، عالم الاحياء ، مشار إليه ، ج ٢ ، ١٢١ (لاحظ أن إحدى قصيرات الأرجل المعروفة باسم شواة بلاس الكاذبة ، مشهورة بصيد الأفاعي : المرجع ذاته ، ١١٨) .

(١٨٣٤) احالة سابقة : حاشية ١٨١٦ . المقدسي : ٢٠٨ ، يقارن الجرذون بالتمساح من ناحية الشكل

(١٨٣٥) ابن الفقيه : ٦٦ (للذكر عضوان تناسليان كالاشقنقور والورل) . حدود العالم : ١٥٥ (تحمل جلود ضب كثيرة إلى ملاغة لزخرفة قبضات السيوف) .

(١٨٣٦) يذكر الضب والشقنقور عند ابن الفقيه : ٦٦ . أشار إليه المسعودي في سواحل افريقية على بحر الهند : المسعودي (م) : فقرة ٢١٦ (مع الكلمة الفارسية المقابلة سوسمار وابن رستة : ٨٠ في النيل (حيث يقال إن التمساح هو الورل إلا أنه يعظم في الماء جداً فهو اذن ورل ماء) . ذكر في جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ١٨٠ .

(١٨٣٧) ابن الفقيه : ٦٦ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، وابن حوقل : ١٤٨ / ١٣ ، ١٥٠ . انظر ل . كيمر : تأويل بعض مقاطع هورابولون ، القاهرة (ملحق حوليات دائرة الآثار بمصر ، دفتر رقم ٥) ، ١٩٤٧ ، ص ٤٩ (قدمه ج . بوبوت) . كوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٢ ، ١٢٠

(١٨٣٨) لسان العرب ، لفظ حية وثعبان ، نقله غالب ، معجم ، ج ١ ، ٢٣٨ . حول تردد المعاجم وعلم الحيوان ، انظر ج . روسكا ، « حية » ، م ١ (٢) ج ٣ ، ٣٤٤ — ٣٤٥ .

(١٨٣٩) لسان العرب لفظ أفعى .

(١٨٤٠) انظر معجم بلاشير — شويمي — دينيزو ، ج ٢ ، آخر ١١٧٢

(١٨٤١) انظر غالب ، معجم ، ج ١ ، ٧٩ . يستشف هذا الاستعمال من بين السطور عند المقدسي الذي يقول في صفحة ٣٨٤ أن الأفاعي (جمع أفعى) في اقليم الجبال . فما هي الفئة المعكسية ، أي فئة الحيات التي يعثر عليها في الجبال انها فئة الحيات غير السامة ، القصيرة أو الطويلة (انظر المقدسي ، ٣٩٧) التي تتراوح ما بين ذراع وخمس أذرع ،

ـ هي من فصيلة الثعابين غير السامة بلا ريب ، فلا تؤذي تقديراً لأنه لا يقال شيء عن ضررها (لا يغفل المصنفون ذكر ضرر الحيات ، بل يشيرون دوماً إليه) . من جهة ثانية يتحدثون صراحة عن حيات لا تؤذي ، ويقولون إن الصبيان يتلاعبون بها ولا يلدغون (ولم يحك شيء عن القصر ، بل يستخلص بداهة من لعب الصغار بها) . وإذا كانت حيات اقليم الجبال صغيرة كانت أم كبيرة ، غير سامة ، فالفئة المقابلة لها أي الحيات الغائبة ، سوف تشبه الحيات السامة ، صغيرة كانت أم كبيرة ،

(١٨٤٢) انظر الجاحظ (١) : ١٩٢ ، الجاحظ (ح) ، ج ٤ ، ١٤٢ ، ٢٢٦ ، الثعالبي : ١٢٤ .

انظر الحاشية التالية بالنسبة إلى المسعودي وابن الفقيه .

(١٨٤٣) انظر حية عند ابن رستة : ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦١ (فارس) . ابن الفقيه : ٢٣٤ (العراق والخليج) ، ٢٤٠ (فارس) ، ٢٦٥ (فارس) ، ٢٦٦ ، و ٢٦٨ (فارس مع الهوام) . المسعودي (م) : فقرة ٤٩١ (جزيرة العرب) ، ٧٠٩ (التخوم الجنوبية لجزيرة العرب وخوزستان) . مسعر (ب) : ٣٨ (مناطق جنوب بحر الخزر) . ابن حوقل : ١٥٨ (الاصطخري : ٨٢ : تخوم مصر الجنوبية الشرقية ، ٢١٤ (نصيبين) . المقدسي : ١٥٧ (اريحا) ، ١٨٦ (حاشية ل : بيت المقدس) ، ٢٥٢ (مفازة جزيرة العرب . أيضاً ٢٥٤ ، حاشية ط) ، ٢٩٧ (سجستان) ، ٣٠٥ (سجـ : ن)، ٤١٠ (الاهواز) ، ٤٥٩ ، ٤٦٦ (كرمان : طويلة) ، ٤٨٩ (معلومات عن قتل الحيات) ، حدود العالم : ١٤٠ (نصيبين) ، ١٥٠ (حمص) ، بالنسبة إلى الأفعى : انظر ابن الفقيه : ٦١ ، ٢٠٨ ، ٢٣٣ (سجستان) حدود العالم : ١٣٠ (الاهواز) . حول الثعابين (مصر) ، انظر الجاحظ (ا) : ١٩٢ (الثعابين – جمع ثعبان توجد في مصر فقط) ، وابن الفقيه : آخر ٦٠ – ٦١ ، ٢٠٨ ، ٢٣٣ ، والمسعودي (م) : فقرة ٤٩٢

(١٨٤٤) فلا حظ بشكل عابر أن بلدان الحيات واقعة إلى شرق مصر ، وهذه صفة اضافية من وحي شرقي أساسي في هذه الجغرافية .

(١٨٤٥) ابن الفقيه : ٢٤٠ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ . ابن رسته : ١٥٩ ، ١٦١ ، المقدسي : ٣٨٤ ، ٣٩٧ (ذكر من قبل في الحاشية) . وليس في حمص عقارب ولا حيات ، وإذا دخلت الحية والعقرب إليها لماتت

(١٨٤٦) المقدسي : ١٨٦ (حاشية ل) ، ترجمة : ص ٢٣٢ ، حاشية ٩٦ (رخامة فيه كتابة خلفه محمد رسول الله وأخرى باسم الله الرحمن الرحيم) .

(١٨٤٧) ابن رستة : ١٥٧ ، ترجمة ص ١٨٣ ، حاشية ٥ (المخلصة : المنقذة . انظر أيضاً غالب ، معجم ، ج ٢ ، ٤٦٠) ابن الفقيه : ٢٩٥ (ذكر في الحاشية ١٧٨٤ في الحديث عن العقارب) .

(١٨٤٨) المقدسي : ١٧٥ (حاشية ب) حيث جاء : ومعدن الحيات الترياقية وانما جاء ترياق بيت المقدس بلحوم تلك الحيات : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٩٧ .

(١٨٤٩) ابن رسته : ١٦١

(١٨٥٠) الجاحظ (ا) : ١٩٢ ، الجاحظ (ح) ، ج ٤ : ١٢٠ - ١٢١ (نقله ابن الفقيه : آخر ٦٠ - ٦١ ، والمسعودي (م) : فقرة ٤٩٢ - انظر أيضاً حاشية ٥ من الترجمة - والثعالبي : ٩٨) . ابن الفقيه : ٢٠٨ المسعودي (م) : فقرة ٤٩١ .

(١٨٥١) ابن الفقيه : ٢٦٨ ، واحالات الحاشية ١٨٤٥

(١٨٥٢) المقدسي : ٣٩٧ . حول رمز الحية ، انظر الياد ، كتاب تاريخ الأديان ، مشار إليه ، ١٨٢ - ١٨٣ ، ٣٧٧ - ٣٧٨ ، وأماكن أخرى .

(١٨٥٣) المقدسي : ٢٥٢ ، ٢٥٤ (حاشية ط) . يشمل تحريم المآكل الحية في الفئة العامة للحشرات (انظر ما تقدم ، آخر صفحة ٣٤٠) : انظر لاووست ، لمعة الاعتقاد لابن قدامة مشار إليه ، ٢٢٤ ، انظر الجاحظ (ح) ، ج ٤ ، ٤٣ ، ٣٠٢ (زعم بعض الأطباء والفلاسفة ان الحيات والأفاعي تؤكل نيئة ومطبوخة ومشوية ، وانها تغذو غذاء حسناً . ويأكلها بعض الأعراب مخاطرين بحياتهم أحياناً ، بالتالي ليس أكلها عادة شائعة) .

(١٨٥٤) المقدسي : ٤٨٩ . الحية شيطان . أبيح قتلها ، بل أمر به . انظر الجاحظ (ح) ، ج ١ ، ٣٠٧ ، ج ٢ : ٢٩٣ ، ج ٤ : ٣٠٠ وأماكن أخرى . يتنوع الموقف منها أحياناً ، ويميز بين الحية المؤذية والحية غير الضارة : انظر وصيف شاه : ٢١ - ٢٣ .

(١٨٥٥) ويروي الجاحظ (ح) ، ج ٢ ، ١٣٨ ، ان الرجل الذي يضرب الحية بعصاه يموت ، لأن شيئاً ينفصل من الحية ويجري في العصا ، ثم في داخل الضارب ، فيقتله .

(١٨٥٦) الحاح على خطر الموت عند الجاحظ (ا) : ١٩٢ (مصر) (نقله مصنفون

كتيرون : ما تقدم الحاشية ١٨٥٠) . المسعودي (م) : فقرة ٤٩١ . ابن حوقل : ٢١٤

(١٨٥٧) مسعر (١) : ١٥ . انظر خارج دار الاسلام : جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٩٢ ، ١٨٤ . وقد يقتل الفزع وحده أيضاً . انظر الجاحظ (ح) ، ج ٤ ، ١٢١

(١٨٥٨) الجاحظ (ا) : ١٩٢ ، نقله ابن الفقيه : ٦١ ، ونوع الحديث فيه المسعودي (م) : فقرة ٤٩٢ : لولا النمس لغلب الثعابين على أهل مصر (وفي رواية قريبة منها عن سجستان ، يقول المسعودي (م) : فقرة ٤٩١ : والبلد كثير الأفاعي والحيات ، ولولا كثرة القنافذ ، لتلف من هناك من الناس) . بشأن الاصلال التي كانت لا تزال موجودة في مصر قبل عهد السلالات ، وبشأن حجم النجاهاج ، انظر ل . كيمير ، تاريخ الحيات في مصر القديمة والحديثة ، القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص ٣٠ وما يليها . (« مذكرات معهد مصر » ، (ل) .

(١٨٥٩) مسعر (ب) : ٣٨ . المسعودي (م) : فقرة ٧٠٩ — ٧١٠ ، الاصطخري : ٤٢ ، ابن حوقل : ١٥٨ تسمى الحية شبرية (طولها شبر : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٢٧٠ ، أو فترية (فتر ، البعد بين الابهام والسبابة ممدودين) . يعطى المسعودي تفاصيل اللسعة القاتلة الصاعقة : يتحدث الاصطخري وابن حوقل عن « أذى » الحية فقط . انظر (قدمه ج . يويوت) ، كيمير ، تاريخ الحيات في مصر ، مشار إليه ، ص ٧٧ . دراسات مصرية ، ٧ روماني ، حيوانيات ، ٣ روماني ، القاهرة ، ١٩٤٥ ، ص ٩ ، ٢٥ وأماكن أخرى .

(١٨٦٠) انظر ما تقدم ص ٣٣٧

(١٨٦١) انظر على التوالي ابن الفقيه : ٦٠ (عن حائط العجوز ، انظر ما تقدم الفصل الثاني ، ص ١٨٠) ، ٢٤٠ ، ٢١٢ ، ١١٣ (مذكور في ما تقدم ص ٢٣٠) .

(١٨٦٢) انظر ابن الفقيه : ٢٧٧ ، وابن رستة : ٥٧

(١٨٦٣) ابن الفقيه : ٢٥٦ — ٢٥٧ . انظر هوارت و هـ . ماسيه ، « بهرام » في م ١ (٢) ، ج ١ ، ٩٦٧ — ٩٦٨ . حيوان معروف جداً ، منذ وجد الشعر العربي القديم (حتى انهم شبهوا به ايل المسك ليعطوا فكرة عنه . ابن سيرابيون : ١١١ عن التبت) . يذكر الظبي مع النمر والفهد عند المسعودي (م) : فقرة ٤٧٥

(١٨٦٤) النمور تجلب من بلاد البربر ونواحي المغرب: الجاحظ (ت) : ١٥٩ ؛ حدود العالم : ١٥٤ . عن عالم الغرباء : انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ٢٠٠

(١٨٦٥) سمور ، سنجاب ، ثعلب ، قاقم (قاقون) ، فنك ، خركوش (فارسية : خرجوش : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٢٤) ، كلب الماء (انظر ردوزي ، ملحق ٢ ، ٤٨١ . يذكره ببساطة الاصطخري : ١١١ ، في حديثه عن بحيرة كبوذان) ، خز (انظر م ج ع ، ج ٤ ، مشار إليه ، دلق (دله : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٣٧)، وشق : انظر الجاحظ (ت) ، ١٥٧ (مع ذكر كستوريوم على وجه التخصيص) ، ١٥٩ ، ابن الفقيه : ٢٣٥ ، ٣١٣ (ذكر بسيط للثعلب والدلق ، لتشبيه حيوان آخر بهما) ؛ ابن حوقل : ٤٦٥ ، المقدسي : ٢٣٩ (بتطيلة سمور كثيرة) ، ٣٢٤ — ٣٢٥ (مع جلود الضأن أيضاً : انظر ما تقدم حاشية ١٧٠٤) ، ٣٩٦ . حول تجارة الفراء على تخوم دار الاسلام انظر ابن الفقيه : ٨٤ ، اليعقوبي : ٢٧٨ (وبخوارزم تعمل الفراء وسائر الوبر ، التي تجلب من بلدان الترك أو من أوربة الشرقية : انظر ابن حوقل : ٤٨٢ ، المقدسي : ٣٢٥ ، س ٤) . ابن حوقل والمقدسي ، مشار إليهما . حول أرنب نفجت فأخذها الصقر ، انظر المسعودي (م) : فقرة ٤٧١ .

(١٨٦٦) ابن الفقيه : ٢٩٧

(١٨٦٧) ابن رستة : ١٦١ . طريقة غير مباشرة لمكافحة الحيات (سور مطلسم من الفأر) .

(١٨٦٨) ابن الفقيه ، ١١ : « فأر المسك » يحمل من السند إلى الزابج (انظر اليعقوبي : ٣٦٦ : المسك الجبلي ، وهو ما يؤتى به من ناحية أرض السند من أرض المولتان) . والأنثى تجلب مسكا والزباد أطيب رائحة من المسك . ابن خرداذبة : ٦٤ (بحث سرنديب ، ذكره ابن الفقيه ، مشار إليه ، في جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ص ٩٤ ، حاشية ٣) ، يميز « دابة المسك » و « دابة الزباد » ودابة الزباد الآسيوية هي دابة الزباد والزريقاء في أوربة وافريقيه . ودابة المسك (غير فأر المسك « الامريكي » Ondatra Zibethica) هي في الواقع آكلة حشرات تذكر بالزبابة وتحمل اسم فأر المسك . حول هذه الآكلات الحشرات المسكية ، انظر و . ت . بلانفورد ، الثدييات في الهند البريطانية لندن — كلكوتا — بومباي — برلين ، ١٨٨٨ — ١٨٩١ ، ص ٢٣٣ — ٢٣٧ . و . ا . فيليبس ، كتاب ثدييات سيلان ، سيلان — لندن ، ١٩٣٥ ، ص ٤٦ — ٤٩ ، س . ه . براتر ، كتاب حيوان الهند ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٥ ، ص ١٦٨ — ١٦٩ . ج . ت .

روبرتز ، ثدييات باكستان ، لندن – تونبريدج ، ١٩٧٧ ، ص ٢٥ – ٣١ (Sincus murinus sindensis) .

(١٨٦٩) المقدسي : ٢٥٢ ، ٢٥٤ (حاشية ط) . لا حظ أن اليربوع ينتمي إلى قسم الحشرات كالحية (حاشية ١٨٥٣) لكنه لا يستدعي التحفظات ذاتها (لا ريب ، لأن انتماءه ملطف لكونه حيوان قفاز) : انظر لاووست ، لمعة الاعتقاد لابن قدامة ، (عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة) مشار إليه ، ٢٢٤

(١٨٧٠) ابن الفقيه : ٦٢

(١٨٧١) المقدسي : ٤٤٣

(١٨٧٢) وفقاً للمباديء الموضوعة في جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٨٨ – ٨٩ ، احتفظ هنا بمجموعة التفاصيل الواردة في مدونتنا عن القردة ، سواء تعلق الأمر بدار الاسلام أم لا . انظر ابن الفقيه : ٣٧ ، والمسعودي (م) : فقرة ٤٨٥ – ٤٨٩ ، ٤٩١ ، ١٣٥٥ ، وعجائب الهند : ٢٣١ – ٢٤٢ ، والاصطخري : ٢٧ ، وابن حوقل : ٣٩ ، وحدود العالم : ١٤٧ . حول رياح اليمن ، انظر د . ل – هاريسون ، ثدييات جزيرة العرب ، لندن ، ٣ أجزاء ، ١٩٦٤ – ١٩٧٢ (ج ١ : ص ١٨٥ وما يليها . الزرافة حيوان غريب آخر يقول عنها الجاحظ (ت) ١٥٩ ، أنها تجلب من اليمن ، والواقع من افريقية عن طريق السمن . انظر وصفها في جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ١٨٢ – ١٨٣

(١٨٧٣) انظر تحاليل ج – ل . بواريه ، « عناصر علم الحيوان الفلسفي » ، مجلة النقد ، ٣٧٥ – ٣٧٦ ، آب – ايلول ، ١٩٧٨ ، عدد خاص : عالم الحيوان ، ص ٦٩٣ –٦٩٤ .

(١٨٧٤) موضوع شائع في علم الحيوان القديم والكلاسيكي : انظر المرجع ذاته ، ٦٩٣

(١٨٧٥) انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٩٦ – ٩٧ .

(١٨٧٦) ابن الفقيه : ٢٦٠ ، المقدسي : ٢٠٣

(١٨٧٧) انظر ابن الفقيه : ١٩٠ ، وابن رستة : ٥٧ ، المقدسي : ١٣٩ ، و ف . فريه : « حمام » في م ١ (٢) ، ج ٣ ، ١١١ – ١١٢ ، وايليسيف ، نور الدين ، مشار إليه ، ٧٨٤ . انظر أيضاً المقدسي ، ٣١١ (وحاشية يو منطقة مرو) . ويشير المسعودي (م) : فقرة ٤٧١ ، اشارة عابرة إلى الحمام البري (فيما يبدو) .

(١٨٧٨) ابن رسته : ١٩٩

(١٨٧٩) ابن الفقيه : ١٦ (ذكر في جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٩٤) . الدجاج السندي افريقي (انظر ه . فون بوتليشير ، Die Perlhuhner ، ويتنبرغ لوترستاد ، ١٩٥٤) . إذا لم يقصد الدجاج المرتفع من الهند ، لا بد من التفكير في دجاج أهلي أو في نوع من الدجاج البري (انظر س . علي و س . د . ريبلي ، كتاب طيور الهند وباكستان ، مطابع جامعة اكسفورد : ج ٢ ، ١٩٦٩ ، ص ١ — ١٢٧ ، وكوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٢ ، آخر ٦٤ — ٦٥) .

(١٨٨٠) المقدسي : ١٤٥ (جواجيق ، جمع : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٧) من الفارسية جوجه : انظر ديميزون ، معجم ، ج ١ ، ٦٠٤ ، ٦٠٦ ، ٦٦٤

(١٨٨١) مسعر (ب) : ٣٨ ، ابن رسته : ١٥٩ ، ابن الفقيه : ٣١٧ (مع التصحيح المقترح ، ترجمة ، ص ٣٧٦ ، حاشية ١) .

(١٨٨٢) المقدسي : ٢٠٣ ، ابن الفقيه : ٢٣٥ ، حدود العالم : ٦٠ (حدود دار الاسلام في جنوب شرق بحر الخزر) . حول الحواصل في هذهالمناطق ، انظر ف . هويه و ر . د . اتشيكوبار ، طيور الشرقين الأدنى والأوسط ، باريس ، ١٩٧٠ ، ص ٥٤ — ٥٧ .

(١٨٨٣) المقدسي : ١٩٥ ، ٢٠٩ ، ٣٥٩ ، ٣٧٠ ، ٤٠٣ (رخمة : انظر غالب ، معجم ، ج ١ ، ٤٥٥ . هويه واتشيكوبار ، مشار إليه ، ١٣٦ — ١٣٧) . حول الصيغة الرابعة ، ازمن ، المستعملة عند المقدسي ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٥٤ . وأشار المسعودي (م) ، فقرة ٤٧١ ، إشارة عابرة إلى نصب قانص حبالة للعصافير .

(١٨٨٤) الجاحظ (ت) : ١٥٩ ، ١٦٠ . ابن الفقيه : ٣٢٨ (تدارج سود بآسية الوسطى) . المقدسي : ١٤٥ (قبج عوضاً عن الحجل . حجل عند المقدسي (م) ، فقرة ٤٦٩ . حول هذه الطيور في المناطق المذكورة ، انظر هويه واتشيكوبار ، مشار إليه ، آخر ٢١٥ — ٢٢٢ ، ٢٢٥ — ٢٣٠ (لا شك أن التدرج الأسود هو التدرج المسمى Faisan Koklass

(١٨٨٤ مكرر) المسعودي (م) : فقرة ٤٧٢ . الاصطخري : ١٠٧ ، ابن حوقل : ٣٢٨ ، المقدسي : ٣٥٤ ، ٣٥٩ ، ٤٨٤

(١٨٨٥) ابن الفقيه : ٣١٣ (نقله المقدسي ، ٣٦٨ ، مع بعض التعديل : لها جناحان كجناحي السنونية) حول الشقاحة ومجنحات الأيدي عامة ، انظر ج . س . ميلر . أنواع

الخفافيش وفصائلها ، واشنطن ، ١٩٠٧ ، ص ٥٤ . ميزون ، تحليل جغرافي حيواني ، مشار إليه ، ٢٤ — ٢٥ . ك . اندرسن ، فهرس مجنحات الأيدي في مجموعة المتحف البريطاني ، طبعة ثانية ، لندن ، ١٩١٢ ، أماكن متفرقة . ج . آلن ، الخفافيش ، نيويورك ، ١٩٣٩ ، أماكن متفرقة . كوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢٣٠ (الذي يذكر أن الشقاحة يمكن أن تبلغ ٥ ، ١ م مبسوطة الجناحين) .

(١٨٨٦) الجاحظ (ت) : ١٥٩ . ابن الفقيه : ١٢١ ، ١٨٩ ، ١٩٢ (مثال عن بحث الأدب عند البيهقي ، محاسن ، ١٠٦) . يظن أن النعام انقرض في صحارى جزيرة العرب حوالي ١٩٣٩ — ١٩٤١ انظر هويه واتشيكوبار ، الطيور ، مشار إليه ، ٢١ —٢٣ .

(١٨٨٧) الجاحظ (ح) ، ج ١ ، ٣٠ (الخفاش والوطواط من الطير) . أعيد بهذا الشأن استنتاجاتي الواردة في الحاشية ١٨٣٣ .

(١٨٨٨) ابن الفقيه : ٢٧٧

(١٨٨٩) المقدسي : ٢٠٥

(١٨٩٠) المقدسي : ٤٠٣ . عن الطير ، انظر الحاشية ١٨٨٣

(١٨٩١) عقاب ، صقر ، شاهين ، يؤيؤ ، باشق (انظر الجاحظ (ت) : ١٦٠ ، ١٦٢ . بلا شير — شويمي — دينيزو ، معجم ، ج ١ ، ٣٥٣) . باز (ين) (حول هذه الأسماء والأنواع والبيزرة عامة ، انظر ف . فيريه ، « بيزرة » ، م ١ (٢) ، ج ١ ، ١١٨٦ — ١١٨٩) : انظر الجاحظ (ت) : ١٥٩ — ١٦١ . المسعودي (م) : فقرة ٤٦٥ — ٤٦٧ ، ٤٦٩ — ٤٧٥ . ابن حوقل : ٤٦٥ ، المقدسي : ٣٢٤ (و م ج ع ، ج ٤ ، لفظ « بيري ») .

(١٨٩٢) ارستجانس من كنيد (القرن الثالث قبل الميلاد) وارشيجينوس من افاميا (حوالي العام ١٠٠ بعد الميلاد) ، طبيبان وعالمان طبيعيان : انظر بولي وويسوفا ، الموسوعة الواقعية ، ج ٢ ، ٤٨٤ — ٤٨٦ و ٩٣٢ — ٩٣٣ . ف . سيزغين ، Geschichte des arabischen Schriftums ، ليدن ، ج ٣ ، ١٩٧٠ ، ٦١ — ٦٣ ، وأماكن متفرقة .

(١٨٩٣) أطلق اسم أبيه على الخلفاء العباسيين : انظر فسبيا فغلييري ، م ١ (٢) ، ج ١ ، ٤١ — ٤٢

(١٨٩٤) حول النموت : درهمي ، مغرنق وقرطاسي ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٣٤ ، ٣٠٨ ، ٣٢٣

(١٨٩٥) انظر المصطلحات المتخصصة المستعملة في ترجمة شارل بيلا

(١٨٩٦) بوجه أدق : عند مصنف كتاب التبصر بالتجارة

(١٨٩٧) ابن الفقيه : ١٢١ ، ١٩٢ ، المقدسي : ٣٤ ، ١٩٨ ، ٢٨٣ ، ٤٠٢

(١٨٩٨) المقدسي : ٣٣٣

(١٨٩٩) ابن رسته : ٨٢ . حول جبل بوقيران ، انظر الحاشية ١١٣

(١٩٠٠) ابن الفقيه : ٢٥٠ ، أشيد بالمأثرة بالقول : « قاتله الله » . عن المحاولة التعيسه في التاريخ الاسلامي ، انظر ل . كويف ، « جوهري » ، في م ١ (٢) ، ج ٢ ، ٥٠٨ — ٥٠٩

(١٩٠١) انظر في ألف ليلة وليلة ، سندباد البحري في رحلته السابعة ، أو غريب (ا . ميكيل ، قصة من ألف ليلة وليلة ، عجيب وغريب ، باريس ، ١٩٧٧ ، ص ١٢٥) .

(١٩٠٢) الجاحظ (ح) ، ج ١ ، ٢٨ — ٣٠ . أوحت إلى المطالعة الأولى بالأسطر اللاحقة ، لكن يفضل بلا شك التعمق لا جراء دراسة حيوانية حقيقية (انظر الحاشيتين : ١٨٣٣ و ١٨٨٧) .

(١٩٠٣) المفهوم كامن أيضاً عند المسعودي (م) ، آخر الفقرة ٤٦٩ ، وتربط القدرة على الطيران بطول الريش . المعادلة طيران — طير سهلة في اللغة العربية ، لمعنى لفظ طير المزدوج : اسم ومصدر فعل طار . ويتحاشى الجاحظ الالتباس ، فيستعمل الطير والطائر وتعبير ما يطير .

(١٩٠٤) الرحلتان الثانية والخامسة . انظر أيضاً ظهوره في بلدان نائية ، المعرفة بها قلبلة أو أسطورية : جغرافية دار الاسلام البشرية ، ٩١ ، ١٧٨ ، ١٨٣ — ١٨٤

(١٩٠٥) المسعودي (م) : فقرة ٤٦٩

(١٩٠٦) انظر الحاشية ١٨٠٢

(١٩٠٧) يطلق الجاحظ على هذه الحشرات اسم الهمج ، ويقول : « والهمج فيما يطير كالحشرات (انظر ما تقدم ص ٣٤٠) فيما يمشي » الجاحظ (ح) ، ج ١ ، ٢٨) . ويبدو التردد في التصنيف من قوله : والطير سبع وبهيمة وهمج ، ثم استدراكه : فاما

الهمج فليس من الطير (المرجع ذاته ، س ١ و ٧) . انظر أيضاً ألف ليلة وليلة (قصة تودد) .

(١٩٠٨) وجعفر بن أبي طالب ذو جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء : الجاحظ (ح) ، ج ١ ، ٣٠ (و ل . فيسيبا فاغلييري في م ١ (٢) ، ج ٢ ، ٣٨٢) .

(١٩٠٩) المسعودي (م) : فقرة ٤٦٦ — ٤٦٨

(١٩١٠) مذكور عند ر . أبي راشد ، أزمة الأشخاص في المسرح الحديث ، باريس ، ١٩٧٨ ، ص ١٠١ حول الحيوان العجيب ، انظر ت . فهد ، « العجيب في الحيوان » والنبات والمعادن ، في الغريب والعجيب في دار الاسلام في القرون الوسطى ، مؤتمر جمعية تقدم الدراسات الاسلامية (باريس ، ١٩٧٤) ، باريس ١٩٧٨ .

(١٩١١) بواريه ، « علم الحيوان الفلسفي » ، مقال ذكر ، ٦٩٥

(١٩١٢) المرجع ذاته ، ٦٩٨ — ٦٩٩ (أبرزه المؤلف) .

(١٩١٣) جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ١ ، ١٣١ — ١٣٢ ، ج ٢ ، ٧٧ ، ٤٨٥

(١٩١٤) جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٤٨٤ — ٤٨٥

(١٩١٥) انظر آخر الحاشية ١٨٣٢

(١٩١٦) انظر ا . ميكيل ، قصة من ألف ليلة وليله ، مشار إليها ، ٧٨ ، يتقوى العجيب هنا بهبة الكلام الذي يجعل الحيوان المسخ جنيا

(١٩١٧) المسعودي (م) : فقرة ١٣٤٤ .

(١٩١٨) بذا التقي بطرق مختلفة مع ما قاله ج . — ل بواريه (مقالة مذكورة،٦٨٢) عن « المسخ لا بفرط المتخيل ، لكن بتفاهته » .

(٩١٩) وصيف شاه ، ١٦ — ١٧ . انظر امثلة اخرى عن المسوخ في الفصل التاسع من جغزافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢

(١٩٢٠) وصيف شاه : ١٦

(١٩٢١) وصيف شاه : ٢٠

(١٩٢٢) وصيف شاه : ١٩

(١٩٢٣) وصيف شاه : ٢١ — ٢٤

(١٩٢٤) انظر مثلا عند المسعودي (م) : مطلع الفقرة ١٢٠٨ أو وصيف شاه : ٢٥

(١٩٢٥) المسعودي (م) : فقرة ١٢٠٧

(١٩٢٦) حول هذا الموقف المزدوج ، انظر المسعودي (م) : الفقرات آخر ١٢٠٣ ، ١٢٠٥ ، آخر ١٣٤٠ ، آخر ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، آخر ١٣٥٤ ، الاصطخري : ٢٧ ، ابن حوقل : ٣٩

(١٩٢٧) انظر كتاب الحيوان ، الفهرس ، لفظ « جن » وحواشي الناشر في ترجمته المسعودي ، المروج . المواضيع المشار إليها هنا مأخوذة عن المسعودي (م) : ١١٩٦ — ١٢٠٤ ، ١٢٠٨ — ١٢٠٩ ، ١٣٤٠ ، وصيف شاه : ٢٠ حول عدار ، ابن الفقيه : ٣٧ ، المسعودي (م) : فقرة ١٢٠٣ ، الاصطخري : ٢٧ ، ابن حوقل : ٣٩ . حول تاريخ الجن ، انظر موجز وصيف شاه : آخر ١٧ — ١٩

(١٩٢٨) جاء في لسان العرب عن لفظ حن : يقال : الحن خلق بين الجن والأنس ، وقال الفراء : الحن كلاب الجن .

(١٩٢٩) لم أعثر في المعاجم العربيه على حماميص (هذا املاؤها في النص العربي) ، المسعودي (م) ، فقرة ١٢٠٤ ، حمامص في الترجمة) . هذه صيغة حمامص ، جمع حمص . عن دوال — باي انظر ديميزون ، معجم ، ج ١ ، ٩٢٩ (لفظ « دوال — با ») ، وقد أخذت منه التعريف .

(١٩٣٠) انظر الحاشية ١٩٢٦ احالات .

(١٩٣١) المسعودي (م) ، فقرة ١١٩٢ — ١١٩٤ . معتقدات يرافق عرضها شك كامن ، يؤيده تقليد وارد عند المقدسي ج ٢ ، ١١١ . وجاء في لسان العرب في شرح لفظ صدى : الصدى الذكر من البوم ، وكانت العرب تقول : إذا قتل قتيل ، فلم يدرك به الثأر . خرج من رأسه طائر كالبومة وهي الهامة والذكر الصدى .

(١٩٣٢) المقدسي (م) : فقرة ١١٩٣ (نفي الرسول وجود الهام والصفر . انظر أيضاً التقليد الوارد عند المقدسي ، مشار إليه) . حول تعاريف الصفر ، انظر اللفظين في لسان العرب .

(١٩٣٣) انظر ابن الفقيه : ٣٨ ، المقدسي ، ج ٣ : ٣٢ ، المسعودي (م) : فقرة ٤٩١ ، ١٣٢٨ — ١٣٤٥ (مع تأويل آخر : يعني النسناس أيضاً العوام أو السوقة ،

ويقال إن له رجلين) . وصيف شاه : ٢٥ — ٢٦ . ينسب المسعودي (م) : فقرة ١٢٠٨ (حاشية ٤) أحياناً بعض صفات النسناس (رجل ، يد ، عين) إلى الشق .

(١٩٣٤) انظر المسعودي (م) : فقرة ٨٧٠ ، ١٣٣٨ ، آخر ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ — ١٣٤٦ — ١٣٤٨ ، ش . بيلا ، م ١ (٢) ، ج ١ ، ٥٢٤ (مع احالة إلى تقاليد فارسية وهندية) .

(١٩٣٥) نأسف لأن المسعودي لم يحدد البلدان . حول العنقاء ، بالمعنى الصحيح ، انظر ا . باباذوبولوس ، جمالية الفن الاسلامي . الرسم ، ليل ، ج ١ ، ٩٧٢ ، ص ١٢٧ ، ٥١٣ . و ا . و . لين ، أواني الخزف القديمة الاسلامية ، ١٩٤٧ ، ص ٤٠ ، ٤٣ ، واللوحات (تعود إلى عهد سابق للعهد الذي نبحثه) . لكن قد يقصد أي طائر مخطط في زخرفة بناء أو منزل : انظر ا . بابادوبولوس ، الاسلام والفن الاسلامي ، باريس ، ١٩٧٦ ، ص ٨٢ ، ١٩٢ ، ٤٢٨ (شكل ٤٠٣) . مثال شهير : طيور واجهة حصن مشتى . انظر أيضاً ك . اوتودون ، فن الاسلام ، باريس ، حول القشعام و « التنين الطاووس » في المباني الأموية) ، وفن الاسلام من البدء حتى ١٧٠٠ في المجموعات العامة الفرنسية (ففهرس معرض Orangerie des Tuileries) ، ١٩٧١ ، ص ٤٧ ، ٦٦ (رقم ٢١) (٥٨ و ٨٤) (رقم ٨٤) من أجل اناء عليه عنقاء لكن يعود إلى القرن الرابع عشر .

(١٩٣٦) المسعودي (م) : فقرة ٦٤٤ ، والبيهقي ، محاسن ، ١٠٥

(١٩٣٧) ابن الفقيه : ٢٠٧ (حول الدار صيني ، انظر الفصل السادس) . يعزى البنجس إلى « المشرق » وبوجه أدق إلى مدينة الشمس (اغفطوس) . لم يعين ابن الفقيه مكان السمندر (نقلت وصفه عن وصف بلاد الواق واق : انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٥١٢) . يلاحظ أن المقطع يوزع العجيب على الشرق الاسطوري (مع بنجس) وبلدان دار الاسلام (الجوذ) والعالم أجمع ، مسلم أو غير مسلم ، مع السمندر . انظر دوزي ، ملحق ١ ، ٦٨٧

(١٩٣٨) الفصل الثالث ، ص ٢٥١ ومايليها .

(١٩٣٩) انظر سوفاجيه في أخبار الصين والهند ، فقرة ١ حاشية ٢ ، وفقرة ١٩ حاشية ٢

(١٩٤٠) المقدسي : ٣٩٧ ، ذكر من قبل ، ص ٣٤٥

(١٩٤١) ابن الفقيه : ٢٥٩ ، ذكر من قبل ، ص ٣٢١ (وحاشية ١٦٨٦)

(١٩٤٢) المقدسي : ٢٠٥ ، ٢٠٩ . من أجل الرقم سبع سنوات ، انظر المرجع ذاته ، ١٩٣ و ٢٠٢ ا . ميكيل ، « مصر كما يراها جغرافي عربي من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي : المقدسي » ، الحوليات الاسلامية (القاهرة) ، ١١ روماني ، ١٩٧٢ ، ص ١١١ (وحاشية ٨) و ١٢٣) . حول قحط السنوات السبع (البقرات السبع العجاف) انظر سفر التكوين ، ٤١

(١٩٤٣) ابن حوقل : ٧٤

(١٩٤٤) حول هذا السرطان ، انظر الحاشية ١٩٦٨

(١٩٤٥) ابن الفقيه : ٢٩٥ . حول المستراث ، انظر المرجع ذاته ، ٢٧ روماني . يذكر أيضاً الشواذ أو الماء بلا سمك ولا حياة (البحيرة المنتنة وبحيرة كبوذان) : المسعودي (ت) : ١٠٧ — ١٠٩ ، الاصطخري : ٤٧ ، ابن حوقل : ١٨٤ ، ٣٤٥ ، حدود العالم : ٥٤

(١٩٤٦) ابن رسته : ٨٢

(١٩٤٧) الاحالة في الفصل الثالث ، حاشية ١٤١٢ . « قانون السمك » معروف في الهند أيضاً .

(١٩٤٨) أخبار الصين والهند : فقرة ٢ ، ابن خرداذبه : ٦١ ، كتاب عجائب الهند : ١٩٩

(١٩٤٩) ابن الفقيه : ١٢١ ، ابن حوقل : ٨٤ ، ٢١٩ ، ٣٤٦ ، ٤١٧ ، المقدسي : ١١٨ ، ١١٩ ، ١٣١ (حاشية يو من ١٣٠) ، ١٤٥ ، ١٦١ ، ١٩٥ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٣٢٩ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ، ٤١٧ ، ٤٢٥ ، حدود العالم : ١٤٤ . انظر أيضاً الفصل الثالث ، ص ٢٤٥ واحالات الحواشي التالية .

(١٩٥٠) المقدسي : ١١٩ ، ٢٨٦ (معدن)

(١٩٥١) ابن حوقل : ٣٢٨ ، المقدسي : ٢٠٢ ، ٤٨٤

(١٩٥٢) المقدسي : ٢٠١ ، ٤٢٦ (هندوان في فارس ، غموض النص نوعاً ما ربما أوحى أيضاً أن المقصود سمك بحري : انظر لوسترانج ، الخلافة الشرقية ، ٢٧١) .

(١٩٥٣) ابن رسته : ٩٤ ، ابن حوقل : ٣٠٠ ، ٣٤٦ ، المقدسي : ٣٢٥ ، ٤٤٢ ، ٤٤٦ ، حدود العالم : ٥٥

(١٩٥٤) ابن حوقل : آخر ١٣٨ — ١٣٩

(١٩٥٥) الاصطخري : ٩٣ ، ابن حوقل : ٣٠٠ ، ٣٢٨ ، المقدسي : ٣٧٠ ، ٤٤٣

(١٩٥٦) الرازي : ١٠٣

(١٩٥٧) اذن الطريخ سمك ماء عذب لكن بوسعه أن يتأقلم مع المياه المالحة في بحيرة خلاط أثناء البيض ، أو بوجه أدق في مصبات الأنهار . واسمه الارمني درخ مشتق من اللغة اليونانية تريخوس (تمليح) : انظر الاصطخري : آخر ١١١ — ١١٢ ، ابن حوقل : ٣٤٦ ، المقدسي : ١٤٥ ، ٣٨٠ ، م ج ع ، ج ٤ ، ٢٨٨ . ف . كينه ، تركيا آسية ، باريس ، ج ٢ ، ١٨٩١ ، ص ٦٦٩ ، ٦٧٧ . م . كانار . سيف الدولة ، الجزائر ١٩٣٤ ، ص ٥٩ ، حاشية ٤ . ت . ديروليه ، « لمحة عن نوع سمك فريد يعيش في مياه بحيرة خلاط (Alburnus tarichi pall) ، مجلة ، ودورية مصورة لعلم الحيوان النظري والتطبيقي ، السلسلة الثانية ، ٢٣ روماني ، ١٨٧١ ، ص ٤٠١ —٤٠٥ . عند غالب ، معجم ، ج ٢ ، ٩٧ ، الطريخ يؤدى بـ grondin . إذا لم أخطيء ، لم يرد الطريخ عند ج . بيليغرين ، أسماك المياه العذبة في آسية الصغرى ، باريس ، ١٩٢٨ . المقدسي ، ١٤٥ ، يذكر الطريخ من الأسماك التي تحمل من الموصل .

(١٩٥٨) الاصطخري : ١٠٩ ، ابن حوقل : ٣٣٨ (تعتبر القشوبة بالتضاد مختلفة المظهر عن دراقين والسرماهي الذي سوف نتحدث عنه فيما بعد) . المقدسي : آخر ٣٧٣ (وحاشية ك) و ٣٨٠ (الصورة قسوبه ؟) . م ج ع ، ج ٤ ، ٢٥٣ (لفظ « زرقن ») ، ٣٠٠ (« لفظ عشب ») : انظر دوزي ، ملحق ٢ ، ١٢٩ ، لفظ « عشبورة » أي « نابية ») . نظراً للشك في الأسماء ذاتها ، يصعب تحديد ما يقابلها : لم نعثر في بيليغرين ، مذكور في الحاشية السابقة ، على مقابل .

(١٩٥٩) المقدسي : ١٢٨ ، ١٣١ (حاشية يو من ١٣٠) ، ١٦٢ . م ج ع ، ج ٤ ، ١٩٤ . غالب ، معجم ، ج ١ ، ١٧٠ ، (شيم) . و . ا . كروم ، المعجم القبطي ، اكسفورد ، ١٩٢٩ — ١٩٣٤ ، ص ١١٣ . Berbus bynni) a يبدو معنى طرختة شائماً : انظر دوزي ، ملحق ١ ، ١١٦ (بن ، ملح معمول بالبني . يلاحظ أيضاً ، المرجع نفسه ، معنى سمك عامة) . لين ، معجم ألفاظ ، ج ١ ، ٢٥٨ ، يعطي الاسم العلمي : Cyprinus bynni لفوركسال . حول موطن البني ، انظر المعجم العالمي للتاريخ الطبيعي ، باريس ، ١٣ مجلداً ، ١٨٤١ — ١٨٤٩ ، ج ٣ ، ١٨٩ .

(١٩٦٠) ابن الفقيه : ١٩٢ ، المقدسي : ١٢٨ ، ١٣١ (حاشية يو من ١٣٠) . ترحمة تقديرية. إذا كان اسم بني يشير إلى سمك من نوع Carpe ، اعتمد على جمع المقدسي ١٢٨ (شيم واسط وبنيها) لا قارب من البنى سمكة أخرى شائعة داخلة في فصيلة الشبابيط ، لا سيما ان الشيم ، بأنواعه ، كثير في نهر دجلة : انظر ا . غونتر ، « مقالة عن سمك نهر دجلة » ، حوليات ودورية مصورة للتاريخ الطبيعي ، ١٤ روماني ، سلسلة رابعة ، ١٨٧٤ ، ٣٧ — ٣٨ . لكن يمكن أن يفكر الانسان بالفرخ Perche من بين سائر السمك ، وهو ليس من الشبابيط لكنه من أجمل وأفضل أسماك المياه العذبة (انظر المعجم العالمي للتاريخ الطبيعي ، ٩ روماني ، ٥٨٠ وما يليها ، مع توزع هذا النوع جغرافياً) .

(١٩٦١) ابن الفقيه : ١٢١ ، ١٩٢ . دوزي ، ملحق ١ ، ٧٢١ ، يعطي معنى شبوط ، م معاني : Uranoscopus scaber (سمكة فراتية دجلية) ، وبني Carpe وسمك الترس Turbot . ويبدو لي أن معنى شبوط (الذي يتبناه مترجم ابن الفقيه ، مشار إليه) يلائم لا سيما وان الأمر يتعلق بسمك معروف ، ولا نتصور الا يذكر المقدسي هذا السمك في لائحته عن أسماك دجلة (انظر الحواشي اللاحقة) .

(١٩٦٢) حول عادات الشبوط وتوزيعه الجغرافي ، انظر المعجم العالمي للتاريخ الطبيعي ، ج ١ ، ٢٩٤ ، و هـ . بلاغفاد و ب . لوبنثين ، التقصيات العلمية الدانماركية في ايران ، ج ٣ : أسماك خليج فارس ، كوبنهاغن ، ١٩٤٤ ، ص ٦٣ — ٦٤

(١٩٦٣) المقدسي : ١٣١ (حاشية يومن ١٣٠) ، القائمة (٢٤ اسماً) التي تتضمن البنى والشيم المذكورين سابقاً . يرجع إلى العناوين المقابلة في م ج ع ، ج ٤ ، التي تسمح بالتعرف على بعض هذه الأنواع وإلى غالب ، معجم ، لفظ « اربيان » ، « اسبور » (اسبول عند المقدسي) ، « براك » ، « جيري » ، « زجر » ، « زنجار » ، و « شلق » . انظر أيضاً بالنسبة لبعض هذه الأسماء معجم الألفاظ الايراني لبلغفاد ولوبنثين ، مشار إليه ، ص ٢٢٢ — ٢٢٧ : شاوم (شائم عند المقدسي : سمك الشواطيء : بلغفاد ، ١٤٠ — ١٤١ ، برك (horse mackerel) زره (Drepane punctata) ، أندر في الخليج منه في الشرق باتجاه خليج عمان : بلغفاد ، ١٤٦ — ١٤٧) ، مرمهي (حنكليس) . للتعمق في الأبحاث ، ينطلق المرء من المراجع الواردة عند ب . ا . اللوز ، مراجع الحيوانات الفقرية في العراق والبلدان المجاورة ، ج ٤ : الأسماك ، بغداد ، ١٩٥٥ . لم أحصل على أي نتيجة ، من أجل تحقيق أسماء أخرى ، عند غونتر ، مشار إليه . (الاسمان المحليان المذكوران ، « أبو زمار » ، « اردة » ، لا يقابلان شيئاً في قائمة المقدسي) .

(١٩٦٤) كلها داخلة ، كما نرى ، في فئة السمك الوحيدة ، مثلما قلنا من قبل .

(١٩٦٥) ابن الفقيه : ٢٩٦ — ٢٩٧ ، الاصطخري : ١٠٩ ، ابن حوقل : ٣٣٨ ، م ج ع ، ج ٤ ، ٢٥٩ — ٢٦٠

(١٩٦٦) السلور الكهربائي في النيل (أو النيجر)
فترة النيل (غالب ، المعجم ، ج ٢ ، ٢٢٨) ، عند الجغرافيين : الرعادة ، الرعاد ، سمك الرعاد : انظر ابن رسته : ٨٠ ، ابن الفقيه : ٦٧ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، المسعودي (م) : فقرة ٨٠٤ ، الاصطخري : ٤٠ ، ابن حوقل : ١٤٨ / ١٣

(١٩٦٧) انظر ما تقدم ، الفصل الأول ، ص ١٠٦ — ١٠٧

(١٩٦٨) ابن الفقيه : ٢٩٥ ، مع اشارة إلى الصفة المشروحة بآخر الصفحة ٣٦٥ . ترجمة هـ . ماسيه وش . بيلا سرطان بـ écrevisse . والأرجح أن المقصود سرطان الماء العذب (عند مصب الأنهار ، كالطريخ : الحاشية ١٩٥٧) . بالفعل لفظ écrevisse يعني سرطان البلدان الباردة أو المعتدلة الباردة . وسرطان الماء العذب (crabe) خاص بالبلدان الحارة أو المعتدلة الحارة : انظر تفاصيل عن مواطنها عند هـ . ميلن ادواردز ، تاريخ القشريات الطبيعي ، باريس ، ٣ أجزاء ، ١٨٣٤ — ١٨٤٠ : ج ٢ ، ص ١٢ ، وخاصة ج ٣ ، ص ٥٨٤ (كذلك القشريات في ج . كوفيه ، مملكة الحيوان ، باريس ، سحب ، ٢٧ روماني ، ص ٦٠) . حول مناخ منطقة بحيرة خلاط ، انظر بلانشار ، جغرافية عالمية ، ج ٨ ، مشار إليه ، ١٢٣ — ١٢٤ . عن « سرطان نهري » كاذب ، انظر عجائب الهند ص ٢٩٨ .

(١٩٦٩) ابن الفقيه : ٢٦٠ . لا أدري أي واقعة ، صحيحة أم حورتها الأسطورة ، يشير إليها النص .

(١٩٧٠) ابن الفقيه : ٦٣ (في النيل : صيغة مستعملة في بحث مصر لتدل على فرس الماء وذي القرن)

(١٩٧١) انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٩٣ ، ١٧٨ — ١٨٠ والفهرس

(١٩٧٢) نهر في الهند المسلمة (اقليم السند) .

(١٩٧٣) فيما يتعلق ببلد الغرباء ، لم أبحث الا صفات النوع المحلية : انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، آخر ٨٨ — ٨٩ ، ٩٢ — ٩٣ ، ١٨٠

(١٩٧٤) الجاحظ (ا) : ١٩٢ . الجاحظ (ح) ، ج ٧ : ١٣٥ ، واستشهادات عند المسعودي (م) : فقرة ٢١٧ ، ٤٨٧ .

(١٩٧٥) احالات في جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٩٣ ، حاشية ١ . يلاحظ أيضاً أن الجاحظ نفسه يتحدث صدفة عن « تماسيح الخلجان » : الجاحظ (ح) ، ج ٧ ، ٧٥ . حول الزنج ، انظر ابن الفقيه : ٦٣ (إذا لم يقبل التصحيح الوارد في جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، مشار إليه) .

(١٩٧٦) المسعودي (م) : فقرة ٢١٨

(١٩٧٧) أخذ الوصف التالي عن ابن الفقيه : ٦١ — ٦٣ ، ابن رسته : ٨٠ — ٨١ ، المسعودي (م) : فقرة ٢٤٨ ، و (ت) : ٨٢، والاصطخري : ٤٠ ، ٤٢ ، وابن حوقل : ١٤٨ / ١٣ — ١٥٠ ، آخر ١٦٠ — ١٦١ ، والمقدسي : ٢٠٨ ، وحدود العالم : ١٥٢ ، والثعالبي : ٩٩ . انظر ج . روسكا ، « تمساح » ، في م ١ ، ج ٤ ، ٨١٧ — ٨١٨

(١٩٧٨) يعود هذا الاعتقاد إلى هيرودوتس : انظر المعجم العالمي للتاريخ الطبيعي ، ج ٤ ، ٣٥٤ (مع وصف الجهاز المؤلف من فكين واقعياً) .

(١٩٧٩) الاصطخري : ٤٠ ، يقارنه بالجلد الذي تغلف به قبضة السيوف .

(١٩٨٠) حول الحقيقة ، انظر المعجم العالمي للتاريخ الطبيعي ، ج ٤ ، ٣٦٠

(١٩٨١) يسمي هيرودوتس الطير المحدد بصفاته تروشيلوس Trochilus وهو نوع من الزقزاق Pluvier ، charadrius aegyptius عند هاسلكيت (المعجم العالمي للتاريخ الطبيعي ، ج ٤ ، ٣٥٩) . ويقصد به في الواقع التورم المصري Pluvian (انظر غالب ، معجم ، ج ١ ، ٢٣٠ ، مع أسماء تورم ، قطقاط ، سقساق ، طير التمساح ، أبو ظفر) . المسعودي (م) : فقرة ٢٤٨ ، يذكر ثلاثة أسماء هي طيطوى وحصاني وشامورك — دي ر . د . اتشيكوبار و ف . هويه ، طيور الشمال في افريقية (باريس ، ١٩٦٤) ، آخذ منه المعلومات التالية : يتمثل الطيطوى chevalier بنوعي طيور : tringa و Philomachus ، المعروفين بأسماء طيطوى ، طوطو ، سقساق ، كليستا ، وبيه ، نسناسة (ص ٥٩٨ و ٦٠٥ . حول أنواع الطيطوى ومواطنها انظر المرجع ذاته ، ٢٣١ — ٢٤٠) . ويسمى التورم المصري : الزقزاق ، القطقاط ، طير التمساح (ص ٢٥٩ — ٢٦٠ ، ٥٩٩) . لكنني وجدت قطقاط ، زقزاق ، سقساق ،

طير التمساح لنوع من « أبو طيط » Vanneau ، Hoplopterus spinosus
(٢١٦) . وطيطوى (منجلى) وسقساقة للجهلول ، Limicola falcinellus
bécasseau النادر في مصر حقيقة : ص ٢٤٨ – ٢٤٩ ، ٥٩٣) . علماً بأن الجهلول
(نوع من tryngites) ذاته يلتبس أحياناً مع نوع من tringa أي طيطوى (٦٠٥) .
أخيراً سقساقة لنوع من بقويقة barges (Limosa ، ص ٢٢٩ – ٢٣٠) . فمن
جميع طويلا ت الساق السابقة أي الزقزاق ، التورم المصري ، الطيطوى ، أبو طيط ،
جهلول ، بقويقة ، لدينا ستة أسماء لنختار منها ثلا ثة للمسعودي ، الذي ذكر ثلا ثة أسماء
لم يصفها إلا بتصرفها المشترك . ويبدو أن حصاني يوافق جيداً : « chevalier »
من ناحية الجذر (حصان) ، وطيطوى : « pluvier » حسب ش . بيلا (المسعودي
(م) : فقرة ٢٤٨ ترجمة) . حول لفظ شامرك ، انظر فلبشر :
« Uber eine Koptisch Arab. Handschrift des Kais. Bibl. zu Patis, dans Zeitschrift fur Agyptische Sprache und Alterthum Skunde, ١٨٦٨ ، ص ٨٤ (وحاشية ٢٦) ، مذكور عند دوزي ، ملحق ١ ، ٧١٦ ، وكروم ، القاموس القبطي ، لفظ « شامرك » ، جامرك .

(١٩٨٢) يقال إن هذا الطير يشبه طيطوى (انظر الحاشية السابقة) .

(١٩٨٣) انظر ما تقدم ، الفصل ٢ ، ص ١٨٧ آخرها في الحديث عن سد سردوس .

(١٩٨٤) ذكريات عن العصور القديمة : انظر هيرودوتوس، مذكور في القاموس العالمي للتاريخ الطبيعي ، ج ٤ ، ٣٥٣ .

(١٩٨٥) انظر ابن رسته : ٨١ (ترجمة ٨٩ ، حاشية ١) ، الا صطخري : ٤٢ ، ابن حوقل : ١٦٠ – ١٦١ حدود العالم : ١٥٢

(١٩٨٦) انظر ما تقدم ، ص ٣٤٢

(١٩٨٧) ابن عرس عند ابن الفقيه ، حيوان على صورة ابن عرس عند المسعودي . يقول ش . بيلا (المسعودي (م) : فقرة ٢٤٨ حاشية ١) ان « المسعودي يشير إلى النمس فيمايبدو ». توسع اسطوري للحدث الطبيعي : ابن عرس والنمس يفتشان عن بيض التماسيح وعن التماسيح المفقسة : انظر القاموس العالمي للتاريخ الطبيعي ، ج ٤ ، ٣٥٩

(١٩٨٨) ورد على هذا النحو في قائمة الجاحظ (ح) ، ج ٥ ، ٥٤٥ . حول هذه النواحي من فكر الجاحظ ، انظر النصوص المترجمة لش . بيلا في Arabische Geisteswelt

روريخ — ستوتغار ، ١٩٦٧ ، ص ٢١٠ وما يليها (وخاصة نص رقم ٤٣ ، ص ٢٧٤ — ٢٧٦) .

(١٩٨٩) حول تاريخ هذه التجارة البحرية ، انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٧٦ — ٧٧

(١٩٩٠) ابن رسته : آخر ٨٨ — ٨٩ ، استشهد به في الفصل الثالث ، ص ٢٤١

(١٩٩١) ما تقدم ، الفصل ٣ ، ص ٢٥١ — ٢٥٢ ، ٢٢٩ — ٢٦٠ . حول الغرب ، انظر م . ديلومو ، الخوف في الغرب ، القرن ١٤ — القرن ١٨ ، باريس ١٩٧٨ ، ص ٣١ — ٤٢٠ .

(١٩٩٢) ابن الفقيه : ٤٧ . يقترن البحث ببحث حب الأوطان : المرجع ذاته ، ٤٧ — ٤٩ ، ٢٣٧ — ٢٣٨ ، ويعود أصل البحث إلى الجاحظ : انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ١ ، ١٠٩ ، و ١١٤ — ١١٥

(١٩٩٣) القرآن ، سورة ٢ : ١٥٩ / ١٦٤ ، سورة ١٤ : ٣٧ / ٣٢ ، وأماكن أخرى

(١٩٩٤) القرآن : سورة ٥ : ٩٧ / ٩٦ . (« صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة ») .

(١٩٩٥) ابن حوقل : ٧١ (سفاقس ، شبكة خاصة · زرب — خطاء — انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٥٣) ، ٧٤ (شمال تونس : الحيتان بها ما يزيد على الكثرة ، ولا يدانيه ما بطرابلس من الرخص والسعة) ، ١٣٩ — ١٤٠ (مصر) ، ١٤٤ (ساحل العريش) ، ٣٢٨ (جنوب جزيرة العرب) . المقدسي : ١٧٨ (خليج ويلة — أو ايلة وهي عامية) ، ٢٠٣ (ترتفع الحيتان من الفرما) ، ٤٢٦ (فارس ، لكن انظر الحاشية ١٩٤٨) .

(١٩٩٦) ابن حوقل : ٣٨١ ، ٣٥٨ (خارج عن حدود دار الاسلام) ، حدود العالم : ٥٣ ، ١٣٤ . انظر الفصل الثالث ، ص ٢٤٤ .

(١٩٩٧) ج . برك ، من الفرات إلى الأطلس ، مشار إليه ، ج ١ ، ٣٧٦ . لا يمكن دوماً معرفة هذه الأنواع بأسمائها الحالية ، وأقر بأنني لم استطع أن أذهب بالتقصي إلى النهاية . حول أسماك بحار الشرق ، يستطيع الباحث الرجوع إلى بلغفاد ولوبنشين ، أسماك الخليج الفارسي ، مشار إليه ، و . ه . لين ، أسماك الصيد في الخليج الفارسي ، مجلة جمعية التاريخ الطبيعي في بومباي ، ٢٤ رو اني ، ١٩١٦ ، ص ٧٢٢ — ٧٤٨ ، ٢٥ روماني ، ١٩١٧ ، ص ١٢١ — ١٣٥ ، ج . ر . نورمن ، أسماك البحر الأحمر والمحيط الهندي الغربي ،

التقرير العلمي لبعثة جوهن موراي (لندن) ، ٢٥ روماني (١) ، ١٩٣٩ ، ص ١ — ١١٦ ، أخيراً المراجع الواردة عند ألوز ، مراجع الحيوانات الفقرية ، ج ٤ ، مشار إليه .

(١٩٩٨) ابن الفقيه : آخر ٩ — ١٠ ، ٢٩٦ — ٢٩٧ (معرفة البحرين لهذه البحار ولمسافاتها : انظر الجاحظ (ح) ، ج ٣ ، ٢٦١ — ٢٦٢) ، وما تقدم ، فصل ٣ ، ص ٢٥٩ . لعل البرستوج (برشتوج ، برستوك : انظر الجاحظ ، (ح) ، الفهرس هذا اللفظ) يقابل البرسوج الذي يذكره المقدسي : ١٣١ (حاشية يومن ١٣٠) في قائمة أجناس السمك الدجلية : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٨٧ . الستور اسم فارسي يطلق على إحدى ذوات الأربع من الدواب كالحصان والحمار والبغل . ويطلق اسم البغل في اللغة الفرنسية على ما يصعد الأنهار ليتوالد . أخيراً ، يبدو أن الجواف يشير ، باسم آخر (انظر دوزي ، ملحق ١ ، ١٨٧ ، لفظ « غرف ») إلى سمك الشابل — ألوز — وهو من قواطع السمك أيضاً . ذكر من قبل في بحث نهر دجلة .

(١٩٩٩) المقدسي : ١٠١

(٢٠٠٠) المقدسي : ٣٦٨ في بحث طبرستان (المقصود فعلا سمك بحري) ، لكن لعل المراد الفقمة ، التي سوف نتحدث عنها فيما يلي (انظر المرجع ذاته ، تتمة النص ، واختلاف الصورة في الحاشية ه) : في هذه الحالة ، يشار إلى شكل مترهل للحيوان على ساحل رملي (رأس صغير على جسم منتفخ) .

(٢٠٠١) ابن حوقل : ١٥٦ — ١٥٧ (الاشارة إلى ابن الفقيه ، « ذكر قوم في مؤلفات حماقات رقاعاتهم . . . وذكر هذا المؤلف وغيره في بعض كتبه » تبدو مستخلصة مما تقدم عن الدلفين : انظر ابن الفقيه : آخر ١٦٢ ، المقدسي : ٢٠٨ — ٢٠٩ . م ج ع ، ج ٤ ، ٢٧٢ ، ٢٩٨ ، ٣٧٣ (حول نعت « وحشة » التي وصف بها المقدسي هذه المنامات) .

(٢٠٠٢) حرفياً : ذوات الأربع

(٢٠٠٣) من جهة ثانية يمكن ربط الاسم الآخر الذي ورد عند المقدسي ، مشار إليه ، (شرب ، صورة أخرى سرب) بتتمة النص ، أي الترياق الذي يقضي بشرب (جذر شرب) الخمر (ممن يشرب الخمر) . ويستعمل ابن حوقل اسم « عروس » لكن يرد عنده الجذر نفسه في لفظ شراب (انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٧٢) .

(٢٠٠٤) كتاب عجائب الهند : ٢٧٢ — ٢٧٣

(٢٠٠٥) ابن حوقل : ١٣٩ ، ١٤٠ ، م ج ع ، ج ٤ ، ٢٨٣ ، دوزي ، ملحق ١ ، ٨٥٦

(٢٠٠٦) ابن حوقل : ٣٨ ، ٣٢٨ ، م ج ع ، ج ٤ ، ٣٧٤ ، بالنسبة إلى عصرنا (عشية الحرب العالمية الأولى) ، انظر (بدقه « سردين ») تيزيجر ، مفازة المفاوز ، مشار إليه ص ٤٩ ، آخر ٥٥ ، ٨٣ ، آخر ٩٣ ، ١٠٥ ، آخر ٢٣٩ ، ٢٤٦

(٢٠٠٧) أخبار الصين والهند : فقرة ١٠ وحاشية ٤ . ويؤيد المقدسي سمعة هذا الحيوان السيئه : ١٠١ (حاشية يد) . حول لفظ القرش ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٢٢ ، ودوزي ملحق ٢ ، ٣٢٧ .

(٢٠٠٨) ابن الفقيه : ٩ . كتاب عجائب الهند : ٢١١

(٢٠٠٩) كتاب عجائب الهند : ٢١٢ . تدل الكنعدة اليوم فيمابيدو على الطون الأبيض . انظر غالب ، معجم ، ج ٢ ، ٣٨٩

(٢٠١٠) ابن خرداذبه : ٦١ . أخبار الصين والهند : فقرة ٣ (وحاشية ١ و ٢) ، اللتان تقترحان صورة عسقتوس) ١٩ (وحاشية ١) ، كتاب عجائب الهند : ٢١٤ — ٢١٥ ، المقدسي ، ج ٤ ، ٨٩ ، وصيف شاه : ٣٤ . حول مرتبة عسقتوس وفصيلة عسقتوس ، انظر بليفاد ولوبتتين ، أسماك خليج فارس ، مشار إليه ، ٧٦ — ٧٩

(٢٠١١) حول هذه الالحاحات والتداخلات ، انظر سوفاجيه في أخبار الصين والهند : فقرة ٣ ، حاشية ١

(٢٠١٢) ابن خرداذبه : ٦١ (حول جلد الدرق ، انظر جغرافية دار الاسلام البشريه ، ج ٢ ، الحاشية ١٠٦٨ ، والحاشية ١٨٤٥) ، ابن الفقيه : ٩ ، المقدسي : ٣٥٧ (وحاشية يو) ، ٣٦٨ (وما تقدم الحاشية ٢٠٠٠) . حول عجول البحر في بحر الخزر ، انظر س . ا . أغنيف ، ثدييات الاتحاد السوفياتي والبلدان المجاورة له : ج ٣ : الثدييات المفترسة ، ترجمة انكليزية لـ ا . بيرون و ز . س . كول ، القدس ١٩٦٢ ، ص ٤٥٠ — ٤٦٦

(٢٠١٣) مرة أخرى سمك بمعنى حيوان ماء بلا تعيين .

(٢٠١٤) أشار إليها أيضاً تيزيجر (انظر الحاشية ٢٠٠٦) ، ص ٣٣٣ : لعل المقصود أيضاً ليس عجل البحر ، بل أطوم المحيط الهندي ، المسمى البقرة البحرية .

(٢٠١٥) كتاب عجائب الهند : ٢١٤

(٢٠١٦) ابن الفقيه : ٩ ، يصف عجل البحر (ويسميه اطمر) ويروى أن له فرجا كفرج المرأة .

(٢٠١٧) ابن الفقيه : آخر ٩ ، ٦٢ – ٦٣ ، ابن حوقل : ١٥٦ (حول موقفه ، انظر ما تقدم حاشية ٢٠٠١) : أنسب إلى ابن الفقيه بعض التفاصيل التي يعطيها ابن حوقل في نقده ذاته .

(٢٠١٨) أخبار الصين والهند : فقرة ١ ، ٢ ، ٤ ، (حاشية ٦) ، ابن سيرابيون : ١٣٢ – ١٣٣ (وفيه صورة الاسم تال) ، ابن خرداذبه : ٦١ ، اليعقوبى : ٣٦٦ – ٣٦٧ ، المسعودي (م) : فقرة ٢٤٧ ، ٢٦٥ ، المقدسي ، ج ٤ ، ٨٩ ، كتاب عجائب الهند : ١٩٨ – ٢٠١ ، ٢٢٨ ، ٢٥٣ ، وصيف شاه : ٣٣ – ٣٥ ، ٦١ ، ابراهيم ابن يعقوب (١) ، ترجمة : ص ١٠٥٧ – ١٠٥٨

(٢٠١٩) انظر سوفاجيه ، أخبار الصين والهند : فقرة ١ ، حاشية ٢ و ف . ا . بدار ، كتاب الحيتان ، لندن ، ١٩٠٠ ، ص ١٥٩ . مع ذلك يلاحظ ان الحوت الأسود الحالك كان أيضاً كثيراً جداً في المحيط الهندي في يوم من الأيام : انظر ج . ر . نورمان و ف . س . فريزر ، عمالقة البحر ، ترجمة فرنسية لـ ج . مونتاندون ، باريس ، ١٩٣٨ ، ص ٢٦٩ . ويتحدث ابراهيم بن يعقوب عن حوت ارلنده .

(٢٠٢٠) انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، لوحة ١

(٢٠٢١) الواقع ان الظاهرة هي زفير هواء الرئتين ، تحت ضغط قوي ، ينكاثف في الطقس البارد على وجه التخصيص : انظر سوفاجيه ، أخبار الصين والهند ، فقرة ١ ، حاشية ٢ ، ونورمان وفريزر ، مشار إليه ، ٢٨٤ .

(٢٠٢٢) انظر سوفاجيه ، أخبار الصين والهند : فقرة ٣ حاشية ١

(٢٠٢٣) جمعتها من قبل ، في بحث اوربة الشمالية ، في جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج – ٢ ، ٣٤٨

(٢٠٢٤) يتميز هذا الكلام عما قبله بشأن وسائل ابعاد البال عن المراكب .

(٢٠٢٥) لعل الصورة الاملائية ساعدت على وقوع التباس ، وعلى جميع حوتيات متباينة في فئة واحدة : فلفظ العنبر يعني الطيب المعروف والسمكة الكبيرة أي البال ، بآن واحد (انظر دوزي ، ملحق ٢ ، ١٧٩) . لكن قريء أحياناً جندر ، وهو اسم آخر للبال :

انظر سوفاجيه ، أخبار الصين والهند ، فقرة ٢ وحاشية ٢ . حول سمكة العنبر والعنبر الرمادي ، انظر نورمان وفرازر ، مشار إليه ، ٣٢٧ – ٣٢٨ .

(٢٠٢٦) حول طفيليات البال ، انظر نورمان وفريزر ، مشار إليه ، ٢٨٠ ، ٣٠٩

(٢٠٢٧) حول بوركه ، المنتشر على نطاق عالمي ، وهجومه ، انظر المرجع ذاته ، ٣٥٨ – ٣٧١

(٢٠٢٨) انظر أخبار الصين والهند : فقرة ٢ ، حاشية ٣

(٢٠٢٩) حول البال انظر أخبار الصين والهند ، فقرة ١ . حول عجل البحر ، انظر ابن خرداذبه : ٦١ ، ابن الفقيه : ٩ ، المقدسي : ٣٦٨

(٢٠٣٠) انظر أخبار الصين والهند : فقرة ١٩ (وحاشية ٢ – ٣) ، واليعقوبي : ٣٣٨ تصحح ترجمة وايت ، ص ١٩٦ : سرطانات) ، ابن الفقيه : ٧٠ ، ابن رستة : ٨٠ ، المسعودي (م) : فقرة ٣٨١ ، ٨٣٧ ، ٨٤١ (مع الملاحظة ذاتها بشأن الترجمه) ، كتاب عجائب الهند : ١٩٣ – ١٩٤ ، ٢٩٨ ، وصيف شاه : ٣٤ ، ٤١

(٢٠٣١) ابن رسته : ١١٧ – ١١٨ ، يتحدث عن العقارب .

(٢٠٣٢) انظر ما تقدم ، ص ٣٧٠

(٢٠٣٣) المسعودي (م) : فقرة ٢١٧ ، مشار إليه في جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ١٨٠

(٢٠٣٤) أخبار الصين والهند : فقرة ٣٤ . ابن خرداذبه : ٧١ (الذي يستعرض الدواب البحرية ، ويسميها كلها سمكاً ، ما عدا السلاحف .

(٢٠٣٥) جغرافية دار الاسلام البشرية ، ـ٢ ، ٥٩٤ ، الفهرس .

(٢٠٣٦) المقدسي : ٢٠٥ – ٢٠٦

(٢٠٣٧) أخبار الصين والهند ، فقرة ٥ (وحاشية ٨) .

(٢٠٣٨) المقدسي : آخر ٢٤٠ م ج ع ، ج ٤ ، ١٧٧ . الجاحظ (ت) : ١٥٨ ، ابن البيطار ، جامع المفردات ، ترجمة ل . لوكليرك : الأدوية المفردة ، باريس ، ٣ مجلدات ، ١٨٧٧ – ١٨٨٣ ، ج ٣ ، ص ٣٨٦ – ٣٨٧ (صوف البحر) وياقوت ،

معجم البلدان ، ج ٢ ، ٥١ ، ٤٧٣ الثياب الملونة والفرش البوقلمون . انظر دوزي ، ملحق ١ ، ٦ – ٧ ، ولومبار ، المنسوجات ، مشار إليه ، ١١٣ – ١١٥

(٢٠٣٩) الجاحظ (ت) : ١٥٥ – ١٥٦ ، ١٦٠ ، الجاحظ (١) : ٢٠٢ ، أخبار الصين والهند : فقرة ٥ ، ٣٤ ، ابن سيرابيون ، ١٣٤ – ١٣٧ ، ابن رسته : ٨٧ ، المسعودي (م) : ٣٥٩ – ٣٦٠ ، كتاب عجائب الهند : ٢٧٤ – ٢٧٦ ، الاصطخري : ٣٠ ، ابن حوقل : ٤٢ ، ٤٧ ، المقدسي : ١٦ ، ١٨ ، ١٠١ ، ٤٤٢ ، وصيف شاه : ٥٤ – ٥٥

(٢٠٤٠) انظر ما تقدم ، الفصل الثالث ، آخر الصفحة ٢٤٢ . من أجل استعمال اللؤلؤ في البلدان الأجنبية ، انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٥٩٥ ، الفهرس . سنبحث المرجان في الفصل التالي .

(٢٠٤١) ابن سيرابيون : ١٣٦ ، المسعودي (م) : فقرة ٣٥٩

(٢٠٤٢) يقول المقدسي (م) ، ٣٦٠ « تشق أصول آذانهم لخروج النفس من هناك بدلا من المنخرين » (وليس كما يتوقع بسبب ضغط الماء) . ولا شك أن الغاصة يطلون أقدامهم وأسواقهم بالسواد تمويهاً وخوفاً من هجوم دواب البحر من الوراء لنفورها من السواد ، ويصيحون في قعر البحر لينبه بعضهم بعضاً بالصياح . (رأينا من قبل ، ص ٣٧٦ ، ان أشد شيء عليهم حوت يثب إلى عيونهم) . أما الملاحظات عن الخشب والدهن ، فلم أفهمها . ولا يزال الطلاء الأسود مستعملا حتى الآن : انظر ح . برك ، من الفرات إلى الأطلس ، مشار إليه ، ج ١ ، ٣٧٩ .

(٢٠٤٣) اسم واحدة المرجان في بحر الروم

(٢٠٤٤) عجائب الهند ، مشار إليه (ترجمة مستوحاة في معظمها من ترجمه سوفاجيه) .

(٢٠٤٥) لا شك أنه لا بد من القراءة : دينار عوضاً عن درهم ، اذ إن الجاحظ (ت) ، ١٥٦ ، يتحدث عن درّ استثنائية (وزنها مثقالان) ثمنها عشرة آلاف دينار ومائة ألف دينار .

(٢٠٤٦) انظر ما تقدم ، ص ٣٢٩ آخرها – ٣٣٠

(٢٠٤٧) ابن خرداذبة : ٦٨ ، ورحلة سندباد البحري الأولى

(٢٠٤٨) ابن خرداذبه : ٦١ ، عجائب الهند : ٢٥٣ – ٢٥٤ ، ٢٩٨

(٢٠٤٩) وصيف شاه : ٣٤ – ٣٥ . يوحي المداد بأن المقصود المحار

(٢٠٥٠) انظر ما تقدم : ص ٣٧٧ — ٣٧٨ (وحاشية ٢٠١٦) . انظر أيضاً جغرافية دار الاسلام البشرية ج ٢ ، ٨٠ ، ٤٩٣

(٢٠٥١) عجائب الهند : ٢٠٨ — ٢١١ ،المقدسي ، ج ٤ ،٨٩ ،٩٢،وصيف شاه: ٢٧—٢٨

(٢٠٥٢) انظر ما تقدم ، ص ٣٦١ آخرها — ٣٦٢ ، نهاية مماثلة للسعلاة . قارن بصراخها صراخ الأولاد المتروكين هنا : « تذهبين تاركة ولدك وباقلك » .

(٢٠٥٣) ابن الفقيه : ٢٨٩ ، ٣٠٠ — ٣٠١ ، المسعودي (م) : فقرة ٢٨١ — ٢٨٢ ، ٢٨٥ — ٢٨٨ ، عجائب الهند : ٢١٥ — ٢١٦ . انظر أيضاً جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٤٨٩ ، ٥١٠ ، وما تقدم ، الفصل الثالث ، ص ٢٥٩ آخرها — ٢٦٠

(٢٠٥٤) ما تقدم ، أشير إليه

(٢٠٥٥) لا تتحدث نصوص الجغرافية عن كيفية تكاثر التنانين حتى عند استعمال الجمع التنانين (انظر المسعودي (م) : فقرة ٢٨١ ، ٢٨٧)

(٢٠٥٦) ياجوج وماجوج : ابن الفقيه : آخر ٣٠٠ ، المسعودي (م) : فقرة ٢٨٦

(٢٠٥٧) دور الأساطير الخاصة بمنابع النيل : المسعودي (م) : فقرة ٢٨٨ ، مذكور في الفصل الثاني ، حاشية ٦٥٤

(٢٠٥٨) انظر من أجل نصوص أخرى ، مجلة النقد ، رقم مذكور ، ٣١٣ - ٣١٩ . ت . فهد : « علم النفس الحيواني والسلوك البشري في الأمثال العربية » ، مجلة كلية الآداب في ستراسبورغ ، تشرين الأول ١٩٦٩ ، ص ١٩ — ٤٥ . ن . م . بلحاج ، علم نفس الحيوان عند العرب ، باريس ، ١٩٧٧

(٢٠٥٩) يندرج فيها في جميع الأحوال كتاب حيوان الجاحظ

(٢٠٦٠) المسعودي (ت) : ٤٧

(٢٠٦١) ابن الفقيه : ٧٧ (مع الزرافة أيضاً . حول الزرافة انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ١٨٢ — ١٨٣) . المسعودي (م) : فقرة ٨١٦ — ٨١٧ . البيهقي ، المحاسن ، ١٠٤ — ١٠٧

(٢٠٦٢) المسعودي (م) : فقرة ٨١٦

(٢٠٦٣) لا يؤدي لفظ « منتج » الفرنسي تماماً مضمون لفظ « معنى » بالعربية في النص ، الذي يدل على أن المقصود شيء جديد ، يحوي مبادئه الخاصة ، اذن « معنى » جديد .

(٢٠٦٤) المسعودي (م) : مشار إليه

(٢٠٦٤ مكرر) وصيف شاه : ٢٥ (أبرزه المؤلف) .

حواشي الفصل السادس

(٢٠٦٥) ذكرناه بمباديء مقاربتنا في الفصل الخامس ، الحاشية ١٦٧٦

(٢٠٦٦) المقدسي : ٩٧ : تندرج عمان في جزيرة العرب المعتبرة « فرضة الدنيا » : اطار عام لملتقى طرق مثلما نرى .

(٢٠٦٧) حدود العالم : ١٥٢

(٢٠٦٨) انظر مايلي بشأن هذا النبات . يعتبر المقدسي بطريقته الخاصة عن الشعور بهامشية السند (وادي نهر مهران) : « ولولا خشية أن يختل هـــذا الأصل ، ويبقى من الاسلام صدر ، لأعرضنا عن الكلام فيه » (المقدسي ، ٤٧٥) .

(٢٠٦٩) القرآن : ١٤ : ٣٧ / ٣٢ ، ١٦ : ١١ . انظر أيضاً : ٢ : ٢٠ / ٢٢ ، ٧ : ٥٥ / ٥٧ ، ١٣ : ٣ ، ١٤ : ٤٠ / ٣٧ ، ١٦ : ٦٩ / ٦٧ ، ٣٥ : ٢٥

(٢٠٧٠) اليعقوبي (ترجمة وايت ، ص ١٧ روماني) « يعطى تفاصيل قليلة عن المزروعات ، ويكتفي أن يذكر إذا كانت المناطق مزدهرة أو مبورة » . أما ابن الفقيه ، فيلح بالأحرى ، بطريقته الخاصة ، على الغرائب . وينكب مصنف حدود العالم على وجه التخصيص ، على النواحي الاقتصادية (المنتجات والتجارة) . أخيراً يتبنى مصنفو المسالك حسب كل منهم أحد تلك المنظورات .

(٢٠٧١) ابن حوقل : ١٨٢ (ترجمة ، ص ١٨٠ ، حاشية ٨٨٠) ، آخر ١٨٥ ، المقدسي : ٥٤ ، ١٥٤ (ترجمة ، ص ٣٣٥) ، ٢٣٢ ، ٣٠١ ، ٣٩١ آخرها ، ٤٥٥ . أشرت إلى عقبة الرمان في جبال لبنان الشرقية : انظر ما تقدم الفصل الأول ، ص ٣٧ (وحاشية ٢٠٣) . انظر أيضاً من أجل الغبيراء ، المقدسي : ٤٦٢ و ٤٧٣

(٢٠٧٢) ابن رسته : آخر ١٦٣ — ١٦٤ ، ١٦٥

(٢٠٧٣) المقدسي : آخر ٣٥٩ ، يبرز قيمة هذا النوع من التفاصيل ، لأجل كتاب جدير بهذا الاسم مثل كتابه .

(٢٠٧٤) المقدسي : ١٤١ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، آخر ٣٥٩

(٢٠٧٥) مثلا المقدسي : ١٨٠ - ١٨١ ، عن اقليم الشام .

(٢٠٧٥) مكرر ابن رسته : ١١٦ آخرها .

(٢٠٧٦) ابن الفقيه : ٢٧ (لا شك أن التفريق أقل وضوحاً في الواقع : انظر قدامة ، ترجمة ، ص ١٤٨ ، الهمداني : ١٣٣ ، المقدسي : ٩٤ ، ص ١٥) . حول أنواع النبات : على التوالي (العضاة) ، والطلح والسمر والاسل ، انظر غالب ، معجم ، ج ١ ، ٦٦ ، ٥٧١ — ٥٧٢ ، ج ٢ ، ٢٠٩ ، وكوتيير ، عالم الاحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ٢٠٤ — ٢٠٦

(٢٠٧٧) ابن رسته : ١٥٦ — ١٦٠

(٢٠٧٨) ابن الفقيه : آخر ١١٨ وما يليها

(٢٠٧٩) المقدسي : ٤٠٢ (القرآن : ٥٣ : ١٤) . حول معنى لفظ « سدرة » ، انظر مايلي الكلام عن الأشجار المثمرة (النبق) . حول تعبير سدرة المنتهى ، انظر بلاشير ، قرآن : ٢ : ٨٤ (حاشية) : يستخلص من سياق المقدسي أن التأويل التقليدي مأخوذ به هنا ، بداهة .

(٢٠٨٠) المقدسي : ١٣٦ ، ١٤٦ (قرآن : ٣٧ : ١٤٤ — ١٤٦) . اخترت للفظ يقطينة ، ما اختاره بلاشير ، لكن قد يكون المقصود إحدى القرعيات ، كالقرع واليقطين والقرع الكبير : انظر غالب ، معجم ، ج ٢ ، ٦٥٨

(٢٠٨١) قرآن : ٢٤ : ٣٥ ، المقدسي : ٤٦ (مع تقليد آخر يحيل إلى جبل زيتا . انظر حول هذه الشجرة الكونية ، المرجع ذاته ، ترجمة ، ص ١١٩ ، حاشية ٧) ، ٢٠٩

(٢٠٨٢) المقدسي : ١٧٢ (قرآن : ١٩ : ٢٥) .

(٢٠٨٣) ابن رسته : ١٩٢ ، في لامحة نموذجية لفهارس الأدب : ذكر الذين جددوا في شتى الميادين

(٢٠٨٤) ابن الفقيه : ١٢٦ (قرآن : ٣٧ : ٤٥ / ٤٦ و ٤٧ : ١٦ / ١٥) .

(٢٠٨٥) ابن الفقيه : آخر ١٢٣

(٢٠٨٦) المقدسي أكمل المصنفين . بذلنا جهدنا في سبيل تخفيف الحواشي ، فلم نورد ، فيما عدا الاستثناءات ، الاحالات إلى نص الاصطخري ، الذي ينقله ابن حوقل ويتوسع

به مثلما نعلم . ولأسباب **أخرى** ، لم ندخل تقويم قرطبة في بحثنا ، الا لا يضاح بعض التفاصيل الواردة في النصوص الأخرى . فتقويم قرطبة مصنف متخصص جغرافياً (الأندلس) وتقنياً (يجمع المعارف المناخية والتقويم الديني في جوهره : انظر ش . بيلا ، مدخل ، ص ١٠ روماني) ، ولا يجوز أن يتساوى بسائر المصنفات ، التي تتناول مجمل دار الاسلام سواء كان بالوصف (النموذج : نمط المسالك والممالك) أو بذكر الخصائص والغرائب بروح الأدب (والنموذج : جغرافية ابن الفقيه) . وفي الحد الأقصى ، قد يفسد تقويم قرطبة ، لصالح الأندلس أو لصالح نبتة غير معروفة أو مشار إليها أصلا ، رؤية الجغرافية الشاملة التي لا يشترك بها بلا شك .

(٢٠٨٧) المقدسي : ٤٣٩ . حول الصرود ، انظر الفصل الرابع . حول القضية التي يثيرها فعل نعش ، (إلا أن المعنى واضح) انظر م ج ع ، ج ٤ ، لفظ نعش .

(٢٠٨٨) أشرنا إلى هذه المشاهد الطبيعية في الفصل الأول . من أجل احالات أخرى ، انظر : ابن رسته : ١١٢ ، ١٤٩ ، ١٦٣ — ١٦٤ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٧ — ١٧٨ ، ١٨٦ ، اليعقوبي : ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٨٨ ، ٣٠٩ ، ٣٣٢ ، ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ابن حوقل : ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٦ — ٣٧ ، ٤٧ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٨١ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٤ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٣٩ ، ٢٥٣ ، ٣٠٣ ، ٣١١ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٣٥ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٣٧٩ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٣١ ، ٤٤١ — ٤٤٣ ، ٤٤٥ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٦٤ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨٢ ، ٤٨٦ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ — ٤٩٦ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٥٠٥ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٤ ، ٥١٧ ، ٥١٩ ، المقدسي : ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٤ ، ١٣٩ — ١٤٢ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٧٣ — ١٧٥ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٣ — ٢٣٥ ، ٢٥٥ وحاشية يد من ٢٥٤) ، ٢٥٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ (وحاشية آ) ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ (وحاشية يب) ، ٣٠١ (وحاشية يب) — ٦٠٤ ، ٣٠٦ (منقوصة العمارة : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٦٧ ، ودوزي ، ملحق ٢ ، ٧١٢ : يتأيد المعنى بتعبير قريب ، المرجع ذاته ، ٢٩٧) ، ٣٠٧ (مشتبكة العمارة) ، ٣٠٨ ، ٣١٣ ، (وحاشية جـ) ، آخر ٣١٤ — ٣١٦ ، ٣١٧ (حاشية يد) ،

٣١٨ ، ٣١٩ (وحاشية جـ) ، ٣٢٠ (وحاشية يط) ، ٣٢١ (وحاشية ز) ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٠ (حاشية د) ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ (حاشية يا) ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ (حاشية آ) ، ٣٩٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١١ — ٤١٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٩ (مزارعه تسقى بالدلاء) ، ٤٣٢ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٥١ (وحاشية ب من ٤٥٠) ، ٤٥٣ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٤ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٨ ، ٤٩٣ (مزارع وزرع) ، ٤٩٤ وحاشية يط من ٤٩٣) ، حدود العالم : ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٢٠٨٩) ابن رسته : ١٦٥ ، ابن حوقل : ١٥٩ ، ٤٤٥ ، المقدسي : ٨٥ ، ١٩٦ ، ٢٥٤ (حاشية ط) ، ٣٠٣ (حاشية د من ٣٠٢) ، ٣٠٤ ، ٣٩٤ (مقتطعات العمارة) ، ٤٢١ .

(٢٠٩٠) المقدسي : ١٩٣ ، ١٩٥

(٢٠٩١) حول لفظ مطار (جذر مير : التموين بالحبوب) ، انظر ابن حوقل : ٣٤ (اصطخري : ٢٥) و ٣٢٦ (الاصطخري : ١٠٦) . حول طول الألفاظ الأخرى (خان يدل على نوع من التسمية التقنية) ، انظر المقدسي : ٨٥ ، ٨٦ ، ١٩٦ ، ٢٩٥ ، ٣٠٠ (وحاشية يب) ، ٣٠١ (حاشية ب) ، ٣٠٤ ، ٣١٣ (وحاشية د) ٣١٥ ، ٣١٧ (حاشية يد) ، ٣١٨ ، ٣١٩ (حاشية جـ) ، ٣٢٠ (حاشية يط) ، ٣٢١ (حاشية ز) ، ٣٤٠ (حاشية د : خزائن نيسابور في لائحة الخراج : التسمية التقنية والتقسيم الإداري ، الممسوح ، يتطابقان) ، ٣٧٨ ، ٤٧١ (تراكم : خزانة ، مطرح ، ومغوثة مع فرجة (فرجات) التجار ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٦٣ (المطرح و المغوثة مستعملا ن اطلاقاً ، فيما بعد ، المرجع ذاته : خزانة مقصودة) ، ٤٧٩ ربما كانت فرضة هنا حقيقة بمعنى مرفأ : بالفعل الحديث عن الديبل ميناء السند) ، ٤٨٤ ، ٤٦٣ (بالمعنى المطلق : فيه فرج ومغوثة ، وفيما بعد ، المرجع ذاته ، خزانة اسم علم لمحلة) .

(٢٠٩٢) المقدسي : ٢٣٥ ، ٢٩٩ ، ٤١٣

(٢٠٩٣) المقدسي : ٣٢٠ (حاشية يط) ، ٣٣٤

(٢٠٩٤) اليعقوبي : ٢٨٨ ، ابن حوقل : ٤٧٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٨ ، ٥١٠

(٢٠٩٥) المقدسي : ١٨٣ ، ترجمة ، ص ٢٢٤ ، حاشية ٥٦

(٢٠٩٦) ابن حوقل : ١٤٤ ، ١٤٧ ، المقدسي : ٦٥ ، ٢٠٨ ، ٢١٢

(٢٠٩٧) ابن حوقل : ١٣٦ - ١٣٧ . عندما نعود في الجزء الرابع القادم ، إلى حياة الحقول ، سوف نشير أيضاً مع هذه النصوص الجغرافية إلى تقويم قرطبة . انظر أيضاً ، بالنسبة إلى مصر ، في صيغة مختصرة للمسعودي ، ما تقدم ، الفصل الثاني ، ص ١٨٤

(٢٠٩٨) انظر الاحالات الواردة فيما بعد المتعلقة بالحبوب عامة أو بأنواعها .

(٢٠٩٩) حب الرمان ، حب الملوك ، حب العروس ، حب هان . . . انظر الأمثلة التي يعطيها دوزي ، الملحق ، ج ١ ، آخر ٢٣٩ - ٢٤١ . واضح جداً : ابن حوقل : ٢٥٤ (الاصطخري : ٦٣ . حبوب : قمح ، شعير ، فول) .

(٢١٠٠) مثال واضح جداً : ابن حوقل : ٢٨٨ الذي يميز الفواكه والبقول والزرع

(٢١٠١) انظر الألفاظ في لسان العرب . دوزي ، ملحق ١ ، ٥٨٦ ، م ج ع ، ج ٤ ، ٢٥٣ . ماذا يريد المقدسي ، ٤٩٣ ، أن يقول بدقة بالتعبير مزارع وزرع (مذكور حاشية ٢٠٨٨ آخرها) الحقول المزروعة و (خاصة) الحبوب أو : الحبوب و (عامة الحقول المزروعة المرجع ذاته ، زروع وحبوب : حبوب وحبوب أخرى حقول وحبوب

(٢١٠٢) انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٣١ . ألاحظ عند المقدسي ، ١٩٦ (حاشية يب) ، ٢٢٦ ، ٤٣٦ ، المزدوجة : خيرات حبوب (عامة) .

(٢١٠٣) لا جدوى من الأمل بأن نستطيع دوماً أن نميز بين الحقل عامة وحقل الحبوب . بالنسبة إلى المقدسي ، اعتبر زرع ، زروع ، مزارع ، ألفاظاً تدل على الحقل عامة (الاحالات تظهر بالتالي مع سواد ، ضياع . . . انظر الحاشية ٢٠٨٨) . اعتبر أن لفظي حبوب وخيرات تدلان على حقول الحبوب . أما عند سائر المصنفين (ابن رسته ، اليعقوبي ، ابن حوقل وحدود العالم) اعتمدت على اختيار المترجم . الاختيار الكيفي لا يمكن انكاره في الحالتين . لكن ايمكن أو يجب أن نحاول تقليصه ، في حين يتعذر حل الارتباط بين الحقلين في حالات كثيرة

(٢١٠٤) حسب الكيفيات المبينة في الحاشية السابقة ، اليعقوبي ، ٣٣٤ (مزدوج) ، ٣٥٨ ، ابن حوقل : ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ١٣٦ - ١٤٢ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٢١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٩ ، ٢٨٨ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٤٠٤ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ ، ٤٤٨ ، ٤٥١ ، ٤٧٦ ، ٤٨١ ، ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، المقدسي : ٣٣ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ١١٦ ،

١٩٠ ، ١٧٥ ، ١٩٥ ، (حاشية يب) ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٥٥ (حاشية ط من ٢٥٤) ، ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ (حاشية ز) ، ٢٩١ (وحاشية آ) ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ،(حاشية د) ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١١ (حاشية يز) ، ٣١٣ (وحاشية د) ، ٣١٤ ، ٣١٨ ، ٣١٩ (وحاشية ج) ٣٢٠ ، ٣٥٤ ، ٣٧٨ ، ٣٨٨ ، ٣٩٢ (حاشية آ) ، ٣٩٤ ، ٤٠٢ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ — ٤١٤ ، ٤٢١ ، ٤٢٥ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٥٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٧٤ ، حدود العالم : ١٠٥ ، ١٠٨ — ١٠٩ ، ١٤٢

(٢١٠٥) ابن حوقل : ٢٨٨

(٢١٠٦) ابن الفقيه : ١٢٤ (الاحالات إلى القرآن مبينة في الترجمة) . يهمنا من الألفاظ : حب ، وزرع وزروع ، التي أداها هـ . ماسيه وش . بيلا بـ céréales و cultures champs ensemencés ، وبلاشر في ترجمته القرآن بـ céréales منهجياً .

(٢١٠٧) يستشهد ابن الفقيه (أو بالأحرى أبو حمران الذي يروى عنه) بالآيات القرآنية (فيدخل القضب والزيتون في النقاش) وينأور ، ويحتج بترتيب كلمات الآية (الحب والعنب والقضب والزيتون والنخل : قران : ٨٠ : ٢٧ ، والحاشية ٢٠٥٤) ، ويستنتج بثقة تامة أن الله قدم الحبة على النخلة ، لكن ليس على سائر الأشياء اطلاقاً ، إلا إذا تجاهل تماماً تقدم « الحب » على الجميع .

(٢١٠٨) ابن حوقل : ١٣٦ — ١٣٧ ، المقدسي : ٦٥ (حاشية يا من ٦٤) ، ١٣٨ (حول حصود جمعه حواصيد ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢١٥) ، ٢١٢ ، ٢٩١ ، ٣٥٧

(٢١٠٩) المقدسي : ٤٥٢ (احالات أخرى فيما يلي في بحث القمح والشعير والرز) .

(٢١١٠) ابن حوقل : ١٣٦ — ١٣٧ ، المقدسي : ٦٥ (حاشية يا من ٦٤) ، ٢١٢ . احالات أخرى فيما يلي في تفصيل أنواع الحبوب .

(٢١١١) المقدسي : ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٨٠ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٢٤ ، حدود العالم : ١٣٤ . احالات أخرى فيما يلي في تفصيل أنواع الحبوب .

(٢١١٢) المقدسي : ١٣٨ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، آخر ٤١٠

(٢١١٣) ابن حوقل : ٨٤ ، ١٠١ (قارن بـ ١٠٢ آخرها) ، ٣٨٥ ، ٤٤٩ ، ٥١١ . المقدسي ٢٨٥ ، ٤٦٩ (حاشية هـ)

(٢١١٤) ابن الفقيه : ٢٩ ، ٨٤ ، ابن حوقل : ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٤ – ٨٨ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٣١ ، ١٣٨ ، ١٥٤ ، ١٨٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، آخر ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٥٤ ، ٣٠٢ ، ٣٨٥ ، المقدسي : ٨٥ ، ١٦٠ ، ١٩٥ (حاشية يب) ، ٢٢٨ ، ٤٦٥ ، ٤٨٠ ، حدود العالم : ١٤٧

(٢١١٥) انظر لسان العرب : لفظ بر

(٢١١٦) اليعقوبي : ٣٢١ – ٣٣٢ ، المسعودي (ت) : ٣٦

(٢١١٧) حول أنواع قمح مصر ، انظر ج . هوزيه ، نباتات الحبوب ، باريس ، ١٨٩٦ ، ص ١٣٨ – ١٤١ ، ١٤٦ – ١٤٧ ، ١٤٩ ، حول قمح يوسف ، الذي لا يزال معروفاً بهذا الاسم في مصر دكر يوسفي) ، انظر م عزيز فكري ، القموح المصرية (مسحوب من طبع مجلة اتحاد مزارعي مصر (القاهرة ، الجمعية الملكية الزراعية) ، ٢٩٦ – ٢٩٧ ، تشرين الأول – تشرين الثاني ، ١٩٣٨) ، ص ١٠ آخرها

(٢١١٨) يتعلق الموضوع بسجلماسة ، ففكرت في البدء بحب من نوع الذرة أو الدخن (انظر اليعقوبي : ٣٥٩ ، من أجل المنطقة ذاتها) . الا أن نص ابن حوقل ، ٩١ ، لا يدقق في طبيعة البـــذار ولا في طبيعة النبتة . ويزيل الادريسي التباسات ابن حوقل (طبعة دوزي ودى خويه ، وصف افريقية والأندلس ، مشار إليه ، آخر ٦٠ ، ترجمة ، ص ٧٠) ، ويستشهد صراحة به ، ويتحدث عن الحنطة ، ويعطي اسم القمح المحلي : يردن تيزواو ، حيث يظهر لفظ اردن البربري ومعناه القمح : انظر المرجع ذاته ، ص ٣٨٧ . حول تعبير « صلب المكسر » الذي يستعمله ابن حوقل ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٤١

(٢١١٩) ابن رسته : ١١١ ، ترجمة ص ١٢٥ ، حاشية ٢ (مع الاحالات) . جاء في لسان العرب : العلس ضرب من القمح يكون في الكمام منه حبتان ، يكون بناحية اليمن . فاذا أضفنا إلى هذه الصفة قشرة رقيقة مقاربة لقشرة الأرز ، بدا أن هاتين الصفتين تحيلا ن إلى نوع من النشويات .قشره رمادي قاتم جداً أو أسود داكن (انظر كوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٤ ، ٢٧٤) : انظر أداء وايت له بـ « القمح الأسود » في ترجمته . حول القمح النشوي الأسود ، الذي يظن أن أصله حبشي (ومن هنا احتمال انتقاله إلى اليمن) ، انظر هوزيه ، مشار إليه ، ١٥٣ . حول العلس ، انظر ابن دريد ، ذكره هـ . لامنس ، مهد الاسلام ، رومة ، ١٩١٤ ، ص ٨٣ ، حاشية ٥ ، ابن البيطار ، مذكور عند ا . فانيان ، اضافات إلى المعاجم العربية ، الجزائر ، ١٩٢٣ ، ص ١١٩

(٢١٢٠) ابن رسته : ١٠٩ ، حدود العالم : ١٤٧

(٢١٢١) المقدسي : ١٠٤ ، ١٣٣ ، ١٩٥ (حاشية يب) ، آخر ٤١٠ (جلب الدقيق) ، ٤١٧ (مكاييل الخبز ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٨٢ . بشأن مطاحن العروب عامة ، انظر ابن حوقل : ٢١٩ ، المقدسي : ١٩٥ ، ٤١٢ ، وما تقدم ، الفصل الثاني ، ص ١٥١ ، ٢٠٤ ، ٤٠٧

(٢١٢٢) ابن حوقل : ١٠١ ، ٢١٩ ، المقدسي : ١٩٥ (حاشية يب) ، ٣٧٠ ، ٣٩٠ (أصل اسم مدينة اردستان ، من الفارسية آرد (دقيق بسبب بياض التربة) ، آخر : ٤١٠ ، ٤٨٠

(٢١٢٣) حوارة ، الصفة حوارى (للدقيق أو الخبز) : انظر المقدسي : ١٥١ ، ١٦٤ ، ١٨١ ، ١٩٩ ، م ج ع ، ج ٤ ، ٢٢٠ . ليعبر ابن الحوقل ، ٩٥ ، عن أجود خبز قمح ، يذكر حوارة وسميذ معاً : ولا يمكن أن يعني السميذ في هذا السياق الا دقيقاً صافياً جداً ، ربما أقل صفاء من الآخر (انظر معنى « سميد » الحالي) ، لكن لا يقصد السميذ في النص في جميع الأحوال (ترجمة وايت ، ص ٩١٣ : دقيق سميذ)

(٢١٢٤) كعك (انظر دوزي ، ملحق ٢ ، ٤٧٤) : المقدسي : ١٩٥ . افروشه (انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٧٥) : المقدسي : ٣٥٦ ، ٣٧٠

(٢١٢٥) استنتج أن الخبز مصنوع من القمح دائماً ، الا اذا جاء في النص انه معمول من حبوب أخرى . ولا يبدو لي أن استنتاجي يحتمل الشك ، بسبب كثرة التدوينات وتفاصيلها والمديح الذي تقتضيه .

(٢١٢٦) المقدسي : ١٩٩ ، ٤١٦ ، ٤٨٠ . اشارات أخرى إلى خبز الأرز عند مصنفين آخرين ، فيما يلي ، في الكلام عن الحبوب .

(٢١٢٧) المقدسي : ١٩٩ ، ٢٧٣ (يجرى الخبز على الضعفاء) ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٤٢٤ ، ٤٨٠ ، ٤٩٥

(٢١٢٨) المقدسي : ٨٦ ، ٢٨٥ ، ٣٠٧ ، ٣١١ (حاشية يو) ، ٣٢٠ ، ٣٢٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ (خبزهم اثير . يؤخذ اثير هنا (عصيدة ؟ دقيق وبرغل ، من اليونانية اثره أو اثيره : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٧٧) كما يبين جيداً جداً ج . بلداشينو في ترجمته الجزئية (اطروحة المرحلة الثالثة ، جامعة باريس ٣ ، ١٩٧٨ ، مجلدان : ص٢١٤ ، حاشية ١٣٥) بالمعنى البسيط (والرمزي) العصيدة . انظر في النص ذاته ، بعد ذلك بقليل ، الفكرة ذاتها معبراً عنها بطريقة أخرى : خبز الحنطة (حاشية

يا : خبزهم) يسكر . أما معنى « عصيدة دقيق وبرغل » ، فيأتي فيما بعد (في الحديث عن الخزر ، بالتالي خارج دار الاسلام) ، ويرد لفظ اثير مصحوباً بال التعريف (خبزهم الاثير) : المقدسي : ٣٦١ ، وبلد شينو : ٢٢٠ ، حاشية ١٩٧) ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، (حاشية آ) ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤٢٩ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ .

(٢١٢٩) المقدسي : آخر ١٨٣ ، ٢٠٥

(٢١٣٠) ابن رستة : ١٠٩ ، نقله كتاب حدود العالم : ١٤٧

(٢١٣١) ابن حوقل : ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ — ٨١ ، ٨٤ — ٨٨ ، ٩١ ، ٩٤ —٩٥ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٥٤ ، ١٨٠ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٥٤ ، ٣٠٢ ، ٣٨٥ . انظر أيضاً ابن الفقيه : ٨٤

(٢١٣٢) المقدسي : ١٣٣ ، ٤٥١ ، ٤٥٢

(٢١٣٣) المقدسي : ٢٣٠ . انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ١٧ ، شكل ٦

(٢١٣٤) انظر ا . دى زنبور ، « حبة » في م ا (٢)، ج ٣ ، ١١ (الرز في الوضع ذاته ، مثلما سوف نرى)

(٢١٣٥) ابن حوقل : ٩٤ — ٩٥ (حول لفظ سميد ، حاشية ٢١٢٦)

(٢١٣٦) المقدسي : آخر ١١٨ (و ١٨٩ ، حاشية آ ، تشمل هذه الممارسات لبنان) . هذا النص أساسي في تاريخ نشوء الجمعيات الصوفية في الاسلام . لهـذه الفئة (الأخوية) ، كما قلت ، مسجد ، و « نظام » ، ولباس موحد (من صوف) ، ورئيس ، هو أبو اسحاق البلوطي (اشارة إلى البلوط الذي يتغذون به) . وهم على مذهب سفيان الثوري الشهير . يلاحظ أن المقدسي ينزلق كثيراً نحو الشمال بالنسبة إلى الواقع فيما يخص الجولان .

(٢١٣٧) ابن رستة : ١٠٩ (اليمن : ثلاثة أو أربعة مواسم سنوياً ، كما هي حال الشعير ، لكن لم ينقله كتاب الحدود) : اليعقوبي : ٣٣٢ ، ابن الفقيه : ١٨٧ ، ابن حوقل : ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٥٤ ، ١٦٠ ، ٢١٣ ، ٢٥٤ ، ٤٣٩ ، ٤٤٤ ، المقدسي : ٣٣ ، ١٢٨ ، ١٦٠ (حاشية ز) ، ١٦٢ ، آخر ١٨٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢٧١ ، آخر ٣١٨ ، ٣٢٤ ، ٣٥٣ ، ٣٧٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٥ ، آخر ٤٠٨ ، ٤١٧ ، ٤٤٣ ، ٤٧٤ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٤ ، حدود العالم : ١٥٠ (الفارسية برنج ، لكن النص موثوق به) .

(٢١٣٨) المقدسي : ١٧٦ (ترجمة ، ص ٢٠٧ ، حاشية ٢٥٦) : استشحار « أجير » بعرف من أرز .

(٢١٣٩) ابن حوقل ٠ ٢٥٥ (تومنه : انظر الترجمة ، ص ٢٥٢ ، حاشية ٤٦ مع الاحالات) . المقدسي : ٤١٧ (تمونه . انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٩٨) ، ٤٥٢ . يقال إن الشعير كان أيضاً في مثل هذه الحالة ، الا أن الأرز على الأقل عند المقدسي ، لا يقتصر أو يكاد لا يقتصر على هذا النوع من المعطيات .

(٢١٤٠) المقدسي : آخر ٢٠٨ (وحاشية يز) ، ٤٣٦ . لعل السبب يعود إلى ما يقوله ابن حوقل في بحث خوزستان : ولا يضيع شيء من مياه خوزستان الثمينة ، بل تستعاد بعد أن تسقى بها الزروع (ابن حوقل : ٢٥٣) .

(٢١٤١) ابن حوقل : ٢٥٤ ، ٣٨١ ، المقدسي : ٣٥٤ ، ٤١٦ ، ٤٨٠ ، حدود العالم : ١٣٤ ، ١٣٧

(٢١٤٢) المقدسي : ٣٥٩ (والحاشية يا) ، آخر ٣٧١ . بالمقابل ، يعتبر خبز الأرز ذا قيمة غذائية ضعيفة (انظر ابن العوام ، كتاب الفلاحة ، ترجمة كليمان — موليه ، باريس ، ١٨٦٤ — ١٨٦٧ ، ج ٢ / ١ ص ٦٢ ، كره ج . بلدشينو ، مشار إليه ٢٠١ ، حاشية ٢٨) . مع ذلك فهو خطر ، إذا أكل خبز الحنطة من اعتاد على أكل خبز الأرز ، إذ يأخذه المغص ووجع البطن وربما يموت منه . انظر الاضافات (في آخر القرن الثاني عشر : ابن حوقل : ٢١٦ ، ٢٢٣ — ٢٢٤ ، ٤٣١ ، ٤٣٥) إلى ابن حوقل : ٢٥٤ الاصطخري : ٦٣) .

(٢١٤٣) انظر بروديل ، الحضارة المادية ، مشار إليه ، ١٠٩

(٢١٤٤) حول تواريخ التأليف ، انظر برتولد ومينورسكي في حدود العالم ، ١٩ و ١٦٨ ، ورويت ، مدخل إلى ترجمة ابن حوقل ، ١٢ روماني (انظر ابن حوقل : ٢٥٩). بعد أن قال كلاهما (الاصطخري : ٦٣ ، ابن حوقل ٢٥٤) ان « لهم — بخوزستان — عامة الحبوب كالحنطة والشعير والفول » (مع خلاف : من . . . . . وباقلاء فول) ، اختلفا ، وقال الاصطخري : « فأساس الحبوب في خوزستان ، بعد الحنطة والشعير ، هو الأرز ، الذي يطبخ ويتغذى به ، وكذلك في رساتيق العراق » ، وقال ابن حوقل : « ويكثر عندهم الأرز حتى أنهم يطبخونه ، ويخبزونه ، ويأكلونه ، وهو لهم قوت ، وكذلك في رساتيق العراق » . وقد غابت الاشارة إلى الحنطة والشعير في الجملة الثانية

(٢١٤٥) هذا هو رأي ف . بروديل، مشار إليه ، ١٢١ - ١٢٢ . حول النقاش عن احتمالات الأصول الشرقية ، انظر ج . دوبويي ، « انتشار الذرة الصفراء في العالم القديم في القرون الوسطى ، وفرضية سفر الرحالة العرب إلى امريكة قبل كولومبس » ، تقارير فصلية لعلوم ما وراء البحار ، ٣٤ روماني ، ١٩٧٤ ، ص ٣٨١ - ٣٩٠ ، و ٤٠٢ - ٤٠٦ (نقاش واتخاذ موقف واضح جداً لصالح الأصل الاميركي ، من قبل ر . موني) . إذا ثبت أن الذرة الصفراء أمريكية ، يجب تصحيح ترجمة وايت بـ « ذرة صفراء » (اليعقوبي . ٣٤٥ ، ٣٥٩ ، ترجمة ، ص ٢٠٥ ، ٢٢٥ ، مذكور في النقاش المثار) وش . بيلا (المسعودي (م) ، فقرة ٨٧٢ ، بالنسبة لبلاد الزنج : انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ١٨٧ ، حاشية ١) .

(٢١٤٦) تترجم ذرة بلفظ mais الفرنسي (وكذلك millet et sorgho : انظر بيلا ، اللغة العربية الحية ، ٥١٨ ، و هـ . ويهر ، . Arabischeworterbuch furdie Schriftsprache der Ggenwart لايبزيغ ، ١٩٥٨ ، ص ٢٧٨) ، وهذا يعلل الترجمات المشار إليها في الحاشية السابقة . من أجل استعمال ذرة ودخن في مصر الحديثة ، انظر بايديكر ، مصر والسودان ، مشار إليه ، آخر ٧٥ روماني . حول ذرة ودخن وجاورس ، انظر ابن البيطار ، كتاب الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ١ ، ٣٤١ ، ج ٢ ، ٨١ - ٨٢ ، ١٤٦ - ١٤٧ .

(٢١٤٧) كوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٤ ، ٢٤٧ . حول الذرة والدخن ، المرجع ذاته ، ٢٤٤ - ٢٤٥ و ٢٤٧ - ٢٤٨ . م . سور ، أسس الجغرافية البشرية ، باريس ، مجلدان ، ١٩٥١ - ١٩٥٤ : ج ١ ، ص ١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٩ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ - ٢٥٩ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ . وانظر من المصنفين الجغرافيين اليعقوبي : ٢٩٥ (اتراك آسية الوسطى) ٣٤٥ ، ٣٥٩ ، ابن الفقيه : ٨٧ (غانة حيث يسمون الذرة دخن) ، ابن حوقل : ٥٥ (نوبة وبلد البجة) ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٦٦ ، المقدسي : ٨٦ ، ٤٥٢ ، ٤٧٠ (صورة مشكوك فيها : ذرة أو ندى (حاشية ط آخرها) : شحم انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٦٢) . حدود العالم : ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٤٧ . الترجمات مشوشة جداً (اضافة إلى « ذرة صفراء » يترجم الدخن أو الذرة بلفظ millet . ج . كووك (كتاب المصادر العربية عن افريقية العربية من القرن السابع إلى القرن السادس عشر ، باريس ١٩٧٥ ، ص ١٣١ ، حاشية ١) يعطي ، اثر باحثين آخرين sorgho من أجل ترجمة

ذرة (ليس ذرة) ، و millet من أجل ترجمة دخن . حول الذرة والدخن في افريقية العربية ، انظر كووك ، مشار إليه ، الفهرس ، ٤٦٦ (تصحح الاحالات من أجل الدخن mil : ٥٤ وليس ٣٤) ، و ٤٨٧ . إذا اتبعنا اقتراح المؤلف ، يجب أن نقرأ ص ٥٤ بالنسبة إلى نص ابن الفقيه (يسمون الذرة دخن) .

(٢١٤٨) انظر بروديل ، الحضارة المادية ، مشار إليه ، ٨٠ ، ١٠٩ . وكوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٤ ، ٢٤٤ .

(٢١٤٩) انظر بلانهول ، الأسس الجغرافية ، مشار إليه ، ٩٣ ، ٢٤٥ ، ٢٦٧ ، ٣٦٢

(٢١٥٠) آسية الوسطى التركية حسب اليعقوبي : ٢٩٥ ، لكن يمكن أن نفكر بأن هذا الاستعمال يطبق في مناطق ثغور دار الاسلام المسلمة أو غير المسلمة (يأتي هذا الوصف أصلا عند اليعقوبي بعد وصف ثغر الشاش) .

(٢١٥١) بروديل ، مشار إليه ، ٨٢ . يذكر المقدسي ، ٨٦ ، هذه الخزائن : والشرحة والحردة وعطنة مدن على الساحل بهن خزائن الذرة تحمل إلى عدن .

(٢١٥٢) سنعود فيما بعد إلى لفظ قصب . أما ناي فموجود في تعبير ناي – شكر (حدود العالم ، ١٠٨ ، ١٣٤) .

(٢١٥٣) حول قصب السكر ، انظر الجاحظ (ت) : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ابن رستة : ١١١ ، ابن حوقل : ٩١ ، ١٣١ ، ١٣٧ (المعاصر) ، ١٣٨ ، ١٤٢ (معاصر) ، ١٧٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٣١٢ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٤٥١ ، المقدسي : ٣٣ ، ٩٧ ، ١٦١ ، ١٦٢ و (وحاشية ط) ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٣ آخرها – ١٨٤ ، ٢٠٣ ، ٢٨٤ ، (معاصر) ، آخر ٣٥٧ (لكن انظر ما يلي حاشية ٢١٨١) ، ٤٠٢ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ – ٤٠٩ ، ٤١٦ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٤ ، ٤٣٣ ، ٤٤٣ ، ٤٥٢ ، ٤٧٠ (وحاشية ط) ، ٤٧٤ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، حدود العالم : ١٠٨ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٤ . حول الجمع أقصاب ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٢٥

(٢١٥٤) ابن حوقل : ١٣٧ ، ١٤٢ ، المقدسي : ٢٨٤ . حول لفظ معصرة ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٠١

(٢١٥٥) المقدسي : ٤٠٧ ، يشير الى جزء من البلد لا يزرعه ،ويعتبره حالة شاذة .

(٢١٥٦) هذه التدوينات منقولة عن المقدسي : ٤٠٨ و ٤١٦ . بالنسبة إلى اليمن تناقض وجوده فيه حسب قول ابن رسته، مشار إليه . ويعتبر كتاب حدود العالم عسكر مكرم مونة العالم بالسكر ، وهذا مبالغ فيه .

(٢١٥٧) حدود العالم : ١٣٠

(٢١٥٨) ألفاظ مأخوذة من اللغة الفارسية : كند بانيد (بانيذ) .

(٢١٥٩) ابن حوقل : ٣١٢ (تصبح بهما : به : انظر الترجمة ص ٣٠٧)

(٢١٦٠) انظر النص : المقدسي : ١٦١

(٢١٦١) عسل القطر (حركات قطر ثابتة من القافية) : المقدسي : ٤٠٢ ، م ج ع ، ج ٤ ، ٣٢٧ — ٣٢٨ ، دوزي ، ملحق ٢ ، ٣٦٤

(٢١٦٢) أسرع مما يوحي به ف . بروديل (الحضارة المادية ، مشار إليه ، ١٦٦) من أجل المغرب : انظر ابن حوقل : ٩١ . حول انتشار السكر ، انظر لومبار ، الاسلام ، مشار إليه ، ١٦٧

(٢١٦٣) المقدسي : آخر ٣٠٦

(٢١٦٤) حول معنى بقول ، انظر لسان العرب ، والدينوري : كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري ، القسم الأبجدي (ا — ز) ، طبعة ب — ليوين ، ابسالا — ويسبادن ، ١٩٥٣ ، آخر ص ٦٣

(٢١٦٥) هنالك الحديقة أيضاً ، ويندر استعمال هذا اللفظ إلى أقصى حد في نصوص الجغرافيين (انظر ما يلي : الحاشية ٢١٧٦) .

(٢١٦٦) انظر في الفصل الأول ما قيل عن أرياف دار الاسلام على وجه التخصيص

(٢١٦٧) مثال واضح جداً عند المقدسي ، ص ٣٧١ ، في حديثه عن المآكل في كور اقليم الديلم إلى جنوب بحر الخزر .

(٢١٦٨) المقدسي : ٢٣٥ : حول معنى منية ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٥٧ ، ودوزي ، ملحق ٢ ، ٦٢٠ . لها معنى آخر (اقامة في الريف ، « جنون ») ، انظر ر . آريه ، الأندلس المسلمة في عهد بني نصر (بني أحمر) ، باريس ، ١٩٧٣ ، ص ٢٢٠ ، ٣٧٤ (وحاشية ٣) . ويرد في بحث المغرب ، لفظ آخر ، بمعنى الحديقة ذات الشجر : غيط ، جمعه غيطان (المقدسي : آخر ٢١٦ ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣١٢ ، ودوزي ، ملحق ٢ ، ٢٣٥) .

(٢١٦٩) المقدسي : ٤٢٤

(٢١٧٠) المقدسي : ٤٣٣

(٢١٧١) المقدسي : ٤٤٩

(٢١٧٢) المقدسي : ١٧١

(٢١٧٣) ابن حوقل : ١٤٧ : بساتين واجنة (جمع جنان)

(٢١٧٤) حول مكانة الجنة في القرآن والحديث ، انظر ل – غارديه في م ١ (٢) ، ج ٢ ، ٤٥٩ – ٤٦٤ . اشارة واضحة عند المقدسي : ٤٤٩ (س ١٩) و ٤٥٠ (حاشية يج ، س ٧) . حول اسم آخر ، نعني الفردوس ، انظر ابن الفقيه : ١٢٤

(٢١٧٥) انظر ما تقدم : الفصل الأول ، ص ٨٨

(٢١٧٦) واضح جداً عند المقدسي : ٣٨٥ ، ٣٨٩ (حاشية ب) ، ٤٠٩ : جنة يرعاها البقر (أو الخنازير) . انظر ما تقدم ، الفصل الخامس ، ص ٣٢١) . مثال آخر عند المقدسي : ٣٧٨ (يتحدث عن أرض خصبة إلى أقصى حد) فيه سجع بالف ونون : حدائق حسان (يعني لفظ حديقة أحياناً في اللغة ، انظر الحاشية ٢١٦٥ ، البستان والشجر الملتف بلا نخل وعنب . فاذا كانت الحديقة ذات شجر وفيها نخل وعنب ، تكون جنة . انظر لسان العرب : حديقة وجنة) ، جنان ، روضتان (مثنى روضة التي سوف نبحثها فيما بعد) .

(٢١٧٧) انظر ابن حوقل : ٩٣ (اشارة إلى المساحة العظيمة فقط) ، ٩٤ (بدون تفصيل) ، ١٢٣ (بدون تفصيل أيضاً) .

(٢١٧٨) ابن حوقل : ٥٠٠ . المقدسي : ٣٧٨ (استشهد بها في الحاشية ٢١٧٦ : حدائق . . . جنان . . روضتان) ، ٣٨٤ (جنة وروضة وبستان : اقليم الجبال) .

(٢١٧٩) لسان العرب : روضة

(٢١٨٠) المقدسي : ٤٨٤ : تعداد رياض اقليم السند . حول المزارع الوارد ذكرها ، انظر ٤٧٨ (س ٤) عن مكران ، و ٤٧٩ (س ١٠) عن ديبل (من ناحية أخرى لم تذكر الرياض الثلاث الأخرى بمزيد من الدقة) . انظر أيضاً ابن حوقل : ٤٧٤ (رياض لا تنقطع بعد وصف الأشجار) .

(٢١٨١) ابن حوقل : ٥٠٥ (رياض وكلاء) . المقدسي : آخر ٣٥٧ : في نص هام جداً : رياض وأشجار وأقصاب . اعتمد أنا هنا على اللفظ الأخير – أقصاب – لكن إذا فهمناه بمعنى « قصب » (سكر : انظر م ج ع ، ج ٤ ، آخر ٣٢٥ ، مع مزارع في الحقيقة) ، يتغير مدلول النص ، فتشير أشجار إلى المشاجر والرياض إلى البساتين . وهذا نموذج كامل عن الصعاب المذكورة .

(٢١٨٢) ابن حوقل : ٤٧٣ (مع ميادين : انظر الحاشية التالية) ، ٤٧٤ ، ٥٠٠ (رياض وبساتين ، إذا سلمنا على الأقل بوجود تخصص من خلال اللفظين ، بين المتنزهات والمباقل . وهذا ما يؤيده تصنيف النص فيما يبدو : بساتين قرى ورياض متنزهات : انظر الحاشية ٢١٨٤) . المقدسي : ٢١٥ ٢٥٩

(٢١٨٣) ميادين ، جمع ميدان : ابن حوقل : ٤٧٣ (ترجمة ص ٤٥٦) . نضور : ابن حوقل : ٥٠٤ (ترجمة ، ص ٤٨٢) . نضرة وانورة (ترجمة ، ص ٤٨٣) . يبدو أن لفظ ميدان يؤمن الانتقال من الكلاء (رياض وكلاء : انظر حاشية ٢١٨١) إلى المتنزهات : حول هذا اللفظ ، انظر الحاشية التالية) . وردت بساتين مع مجامع ماء : ابن حوقل : ٥٠٠ (ترجمة ، ص ٤٧٩) .

(٢١٨٤) منتزه أو متنزهات : ابن حوقل ١٤٦ (مع بساتين : انظر أسماء الأماكن بالذات مثل جزيرة الروضة) ، ٢١١ ، ٥٠٠ ، ٥٠٥ . المقدسي : ١٩٩ (حاشية و) ، ٢٠٠ . حول تطور هذه المتنزهات لكن دون تطور اللفظ الذي يدل عليها) ، انظر ما تقدم الفصل الثاني ، ص ١٥١ – ١٥٢ . ويعتبر هاماً جداً ما يقوله المقدسي ص ٢٣٥ (استشهد به فيما سبق حاشية ٢١٦٨) لأنه يوضح كيف يتوسع المعنى . قلت إن هذا البستان يتحول إلى أشجار ، وتضيف احدى النسخ (المرجع ذاته ، حاشية ز) إلى قولي ان هذا البستان منتزه حكام غرناطة .

(٢١٨٥) يؤدي المتنزه والمكان النزه وطيب الهواء معنى واحداً (حول هذا الموضوع ، انظر ما تقدم الفصل الرابع ، ص ٢٩٥) . حول استعمال جذر نزه في نصوص يرد فيها لفظ البستان (عدا لفظي الحاشية السابقة) ، انظر ابن حوقل : ٥٠٥ (يتميز المشهد بالنزهة والخضرة) ، المقدسي : ٢١٥ : رياض نزهة ، ٣٧٦ (بساتين ونزه) . حول نزهة ، جمعها نزه ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٦٣ .

(٢١٨٦) وردت احالات المتنزهات من قبل في المناقشة . وحول البستان أو الجنة أو الخضرة أو أي لفظ آخر مشتق منها ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٢٦ ، وحول المبقلة المشار إليها بلفظ بقول ، انظر ابن رسته : ١١١ ، اليعقوبي : ٢٥١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٩ ، ٣٦٢ ، ابن حوقل : ٣٠ ، ٣٢ ، ٦٧ ، ٨٠ ، (قطاني من قطنية ، ترجمة ص ٧٦ . انظر فانيان ، اضافات ، مشار إليها من قبل ، ١٤٤ ، ومعاني أخرى في دوزي ، ملحق ٢ ، ٣٧٧ ، وغالب ، معجم ، ج ٢ ، ٣٠٥ ، بلفظ قطانيات . انظر الحاشية ٢١٩٨) ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، آخر ١٢٢ (بحائر جمع بحيرة) : مبقلة كبيرة

أو سهل خصب فيه أشجار ، يتممه الزيتون . انظر دوزي، ملحق ١ ، ٥٣ — ٥٤ ، م ج ع ، ٤ ، ١٨٥) ، ١٢٣ ، ١٤٧ ، ١٥٤ ، ٢١١ ، ٢١٧ حبوب قطانين : انظر مايلي حاشية ٢١٩٨) ، ٢٢٠ ، ٢٨٢ ، ٣٠٢ ، ٣٣٦ ، ٤٣٥ (مباقل : مكان مزروع بالبقول) ، ٤٣٩ ، ٤٤١ — ٤٤٤ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ، ٤٧٣ ، ٤٨٤ — ٤٨٥ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٧ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٨ — ٥٠٩ ، ٥١١ ، ٥١٣ . المقدسي : ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٣ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٣٨ — ١٤٢ ، ١٧١ ، ١٨١ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٢٧ — ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ (حاشية د) ، آخر ٣٠٦ — ٣٠٨ ، ٣١٢ ، آخر ٣١٤ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ (حاشية زمن ٣٢١) ، ٣٣٠ ، ٣٥٤ (وحاشية ه) ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ (حاشية يا) ، ٣٦١ ، ٣٧١ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٩٢ — ٣٩٤ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ (والحاشية ز) ، ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ — ٤٣٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ (حاشية ب) ، ٤٦١ — ٤٦٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٤٩٣ .

(٢١٨٧) ابن حوقل : ٢٨٨ ، ٤٤٥ (مباقل : انظر الحاشية السابقة) ، ٤٤٦ ، ٤٤٩ ، ٥٠٥ . المقدسي : ١٤٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٧٨ ، ٣٠٣ (حاشية د من الصفحة ٣٠٢) ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٢٢ (الحاشية ز من ٣٢١) ، ٣٥٧ ، ٤٣٢ ، ٤٣٧ .

(٢١٨٨) يتوافق ما دونه ابن حوقل ، ص ٢٨٨ (مع تحديد درجات مقاومة البرد واعتبار الأشجار أقل مقاومة من الزرع : انظر ما تقدم : ص ٤٠٠) مع ما دونه المقدسي ، ماتقدم ، ص ٣٩٧ . واستوحى كلاهما أقوالهما من الاصطخري ، ص ٨٢ .

(٢١٨٩) المقدسي : ٤٢٤ ، استشهد به على الخباز فيما سبق ، ص ٤٠٣ (وحاشية ٢١٢٧) . حول لفظ بقال (الذي يمكن توسيع معناه : بائع مفرق ، تاجر مفرق) ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٩٢ ، ودوزي ، ملحق ١ ، ١٠٤ . يعطي المقدسي ، ص ٣١ ، مرادفات له : الجبان (حرفياً بائع الجبن) ، والطباخ (حرفياً الطاهي) والفامي (حرفياً بائع الفوم أو الثوم) (انظر القرآن ٢ ، ٥٨ / ٦١ ، ترجمة بلاشير) ، والحمص والحبوب وحتى الخبز أيضاً : انظر لسان العرب) ، والتاجر ، حول هذه الألفاظ انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٩٦ .

(٢١٩٠) المقدسي : آخر ٤٩١ — ٤٩٢

(٢١٩١) ابن حوقل : ٣٢ (يوضح الاصطخري : ٢٤) ، المقدسي : آخر ٣٠٦

(٢١٩٢) جمع باكورة ، أشار ابن حوقل ، ٥٠١ ، إلى الصادرات (بواكير : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٩٢) ، المقدسي : ٢٨٢ ، ٣١٨

(٢١٩٣) باب الطعام : ابن حوقل : ٤١٤ — ٤١٥ (وايت ، ص ٤٠٣ ، ترجمة بساتين بـ « مشاجر »)

(٢١٩٤) المقدسي : آخر ٤٣٠ — ٤٣١ ، اسم المدينة كرد (أي الحقل) فنا خسرو ، وفنا خسرو هو عضد الدولة ، على حد قول المصنف .

(٢١٩٥) انظر ما تقدم : ص ٣٩٨

(٢١٩٦) اليعقوبي : ٣٦٢ ، المقدسي : ٢٧٦ ، ٣٢٠

(٢١٩٧) مع الاعتماد على التوزيع المقترح آخر ٣٩٢ — ٣٩٣

(٢١٩٨) قطاني حبوب قطانين : ابن حوقل : ٨٠ (مذكور في الحاشية ٢١٨٦) ، ٢١٧ (ترجمة ، ص ٢١١ حبوب دقيق) . جاء في اللسان : القطنية واحدة القطاني ، وهي « الحبوب التي تدخر » كالحمص والعدس والباقلي ، والترمس ، والدخن والأرز والجلبان

(٢١٩٩) المقدسي : ٣٧١ (رواية أخرى عن البصر في المرجع ذاته ، ٣٥٩ : وجلا العيون أنهار بها)

(٢٢٠٠) أ . لوروا لا دوري ، فلاحو لانغدوك ، باريس ، ١٩٦٦ ، ج ١ ، ٦٥ —٦٦

(٢٢٠١) انظر ما تقدم ، ص ٣٨٣ ، وابن رسته : ١١١ ، ١١٣ ، ابن الفقيه : ٢٥٤ — ٢٥٥ ، ٣٢٠ ، ابن حوقل : ١٢٢ ، ١٣٦ آخرها ، ٣٠٢ ، ٣٣٥ ، آخر ٣٦٨ ، ٤٣٥ (مباطخ : حقول بطيخ) ، ٤٣٦ ، المقدسي : ١٨٠ (حاشية يط) ، ١٩٦ (وحاشية يط) . حول نادر ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٦٢) ، ٢٠٤ ، ٣٢٦ (وحاشية د) ، ٣٥٧ ، ٣٩١ ، ٣٩٦ ، ٤١٤

(٢٢٠٢) قثاء ، قثاء ، مقاثي (حقول مزروعة بهذا النوع من الفصيلة القرعية) : ابن رستة : ١١١ ، ابن حوقل : ١٢٢ ، آخر ١٣٦ ، ٣٠٢ . انظر دوزي ، ملحق ٢ ، ٣٠٨ — ٣٠٩ وغالب ، معجم ، ج ٢ ، ٢٧٥ — ٢٧٦ . يرى لوكلير (ابن البيطار ، كتاب الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ٣ ، ٦٠) ان المقصود الخيار لأن الفوارق بين القثاء والخيار لا يمكن تدقيقها .

(٢٢٠٣) حول القرع والبطيخ الأخضر والأصفر ، انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢٣٥ — ٢٤١ ، ج ٣ ، ٦٧ — ٧٠ . استطرادا : الكرنب (حاشية ٢٠٨٠) .

(٢٢٠٤) من الفارسية : با (مع) ورنج (لون) : انظر ابن الفقيه ، معجم الألفاظ ، ١٦ روماني .

(٢٢٠٥) من اسم كورة ، ازدهر (أو اردهر) : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٧٨

(٢٢٠٦) انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٣٥ ، ودوزي ، ملحق ا ، ٤٤١ ، ديميزون ، معجم ، ج ١ ، ١٦٩ و ٨٩٦ : من الفارسية دست (يد) وانبوي (عطر) كرية عطرة أو ثمرة تمسك باليد لتشتم رائحتها ، ولا سيما ثمرة صغيرة مستديرة ، متعددة الألوان ، تشبه (كذا) بطيخة صغيرة » . انظر ابن البيطار ، كتاب الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢٤١ ، ج ٢ ، ٨٧ — ٨٨

(٢٢٠٧) المقدسي : ٣٢٦ ، م ج ع ، ج ٤ ، ٢٥٦ — ٢٥٧ ، ديميزون ، معجم ، ج ٢ ، ١٥٧ ، لفظ « سافيسك » . انظر أيضاً مايلي ما يقال عن الثمار : اللفاح .

(٢٢٠٨) ابن الفقيه : ٢٥٤ — ٢٥٦

(٢٢٠٩) لوروا لادوري ، فلاحو لانغدوك ، مشار إليه ، ج ١ ، ٦٥

(٢٢١٠) المقدسي : ٣٩١ ، لم يبين السبب ، لكنه يستخلص ، إذ إن البطيخ ذاته وارد ، المرجع ذاته ، ٣٩٦ ، في نص اطراء واضح ، بين خصائص المدينة (الري) .

(٢٢١١) حمص ، حمص (اليوم بالأحرى حمص) . بالنسبة إلى مصر ، قارن المقدسي ٢٠٣ ؛ ٢٠٦ ، انظر أيضاً المرجع ذاته : ٣٢٤ ، ٤٥٢

(٢٢١٢) جلبان ، حلبان : المقدسي : ٤٤ (ترجمة ، ص ١١٢ ، حاشية ١٤) ، ٢٠٣ . انظر غالب ، معجم ، ج ١ ، ٢٦٨ — ٢٦٩ ، الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٢٧ (معجم الألفاظ مع الاحالات) ، كوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ٢١٨ . اليوم : حمص (على أساس الشبه (الانتماء) بين الجلبان والحمص ، انظر المرجع ذاته ، ٢١٩) . انظر ابن البيطار ، كتاب الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ١ ، ٣٥٨ — ٣٥٩) .

(٢٢١٣) المقدسي : ١٧٣ (حول ضيافة حبرى ، انظر النصوص التي جمعها مرمرجي ، النصوص العربية عن فلسطين ، مشار إليه (انظر الحاشية ٩٣) ، ٦٠ و ٦٤) ، ١٨٣ ، ٤٥٢ (ضمن مكاييل فارس) ، ٤٩٠ (احالة بسيطة اشارة إلى صورة الحجارة الصغيرة) .

(٢٢١٤) ترمس : المقدسي : ١٨١ ، آخر ١٨٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ (وحاشية د : صيغة

قدم وأقل صراحة ، فيها صورة خطاء يحلا عوضاً عن يحلى أو يحلي) . انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٢٤ (معجم ألفاظ مع احالات) .

(٢٢١٥) الاصطخري : ١٤٣ (مع تصحيح : ملح) ، ابن : حوقل ٤٢١ (أكثر غلات روذان أحد رساتيق سجستان) . ابن البيطار (ماش وماج) ، الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ١ ، ١١٧ ، ج ٣ ، ٢٦٩ - ٢٧٠ ، ٢٩٣ .

(٢٢١٦) ورد لفظا باقلي وفول مترادفين عند المقدسي : ٣١ . واستبدل ابن حوقل ، ٢٥٤ ، الباقلي بالفول عند الاصطخري : ٦٣ (ذكر « الحبوب » مع القمح والشعير) . احالات أخرى : ابن رستة : ١١١ ، المقدسي : آخر ١٨٣ ، ٤٩٠ (احالة بسيطة لبيان صورة الحجارة) . انظر دوزي ، ملحق ٢ ، ٢٩٠ . حول اسم المفعول منبوت ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٥٩ . حول بيسار (بيصار ، فيسار) ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٩٦ ودوزي ، ملحق ١ ، ١٣٤ . حول الفول ، انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ١٨٧ - ١٩٠

(٢٢١٧) كرنب : المقدسي : ١٨١ . ذكر المسعودي (م) : فقرة ١٣٦٣ القنبيط للعراق .

(٢٢١٨) هليون ، هليون : المقدسي : ١٨١ . انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٥٢ (معجم الألفاظ ، مع تعيين أصل الكلمة اليوناني أو السرياني) .

(٢٢١٩) سلق : ابن حوقل ، ٩١ و ٢٩٨ (لون شبه به لون نوع من التمر أو الطين) . احالة إلى الدينوري ، مشار إليه ، ٣٩ (معجم الألفاظ) . انظر ابن البيطار ، كتاب الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٢٧٤ - ٢٧٦

(٢٢٢٠) عكوب : المقدسي : ١٨١ ، ٤٢٠ . شوك يؤكل (انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٠٣ . دوزي ، ملحق ٢ ، ١٥٥ . غالب ، معجم ، ج ٢ ، ١٥٩ . الدينوري (كتاب النبات) ، معجم النبات لأبي حنيفة الدينوري ، نشر م . حميد الله ، مشار إليه ، ١٤٧ . ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٤٦١ - ٤٦٢) ، لكن يمكن أن يتأقلم في البستان : ذكره المقدسي من بين محاصيل فلسطين وفارس التي لا تجتمع إلا عندهما (انظر الحاشية ٢٢٢٨ التالية) . أخذ الاستشهاد من لوروا لادوري ، فلاحو لانغدوك ، مشار إليه ص ٦٢ .

(٢٢٢١) كراث : المقدسي : ١٠١

(٢٢٢٢) خس : المقدسي : ١٨١ . انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٢٥ . الدينوري ، كتاب

نبات ، مشار إليه ، ٣٢ (معجم الألفاظ) . ابن البيطار ، كتاب الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٢٨ — ٢٩ . شوارز ، ايران ، ج ٤ ، ٤٠٣

(٢٢٢٣) طرخون ، طلخون ، طبرخون ، ابن حوقل : ٥٠٥ ، ٥١٥ ، المقدسي : ٣٩٠ ، مع اسم الفاعل ناعم : موجود في مكان ، يزدهر فيه) ، ٣٩٦ ، حدود العالم : ١١٦ . انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٨٧ ، آخر ٢٨٨ — ٢٨٩ الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٤٣ (معجم الألفاظ) . ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٤٠٧ — ٤٠٨

(٢٢٢٤) بصل : ابن حوقل : ١٢٣ . ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢٣١ — ٢٣٣

(٢٢٢٥) ثوم : ابن حوقل : ٣٨١ ، المقدسي : ٣١٩ ، ٣٥٤ ، ٣٥٩ ، ٣٧١ . ابن العوام ، كتاب الفلاحة ، ترجمة ، مذكورة ، ج ٢ ، ١ ، ص ١٩٥ — ١٩٧ (ذكره ج . بلدشينو ، مشار إليه ، ٢١٣ ، حاشية ١٣٢) ، « يشير إلى منافع استهلاك الثوم ، لكن مع ذكر وسائل ازالة رائحته الكريهة ، انظر أيضاً ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٣٣٤ — ٣٣٧

(٢٢٢٦) باذنجان : المقدسي : ١٠١ ، ٣٢٦ ، ٣٥٧ . انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٢٢ (معجم الألفاظ) . ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ١٩١ — ١٩٤

(٢٢٢٧) قلقاس : المقدسي : ١٨١ ، آخر ٢٠٣ ، ٢٠٤ (وحاشية جـ ، حذف تعيين « الوصفة » التي تستهدف الحصول على شجرة الموز من القلقاس ، في نسخة برلين المتأخرة : تخلى المقدسي عن الميزة العجيبة ، التي ربما أوحى له بها جمال الأوراق) . انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ١٠١ — ١٠٢ . بروديل ،الحضارة المادية ، مشار إليه، ١٠٩ . كوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٤ ، ٢٩٢ — ٢٩٣ .

(٢٢٢٨) المقدسي : ١٨١ (لا يجوز أن نغر بوضع الكمأة بين الكرنب والترمس ، فهي برية : فالمقدسي يعطي عفوياً حسب وحيه أو ذاكرته لائحة بما « يجتمع بفلسطين دون سواها » : وهذا يدعونا إلى الحذر في تعريف المكوب (الحاشية ٢٢٢٠) الوارد في القائمة ذاتها) ، آخر ٣٢٥ (ترتفع الكمأة من نيسابور) . حول الكمأة ، انظر الجاحظ (ح) ، ج ٦ ، ٤٨١ . الدينوري ، معجم النبات ، مشار إليه ، ٢٤٦ — ٢٤٧ ، ابن البيطار مشار إليه ، ج ١ ، ٣١٠ ، ج ٣ ، ١٩٢ — ١٩٤ ، هـ . شارل ، المشائر الغنامة في منطقة الفرات الأوسط ، دمشق ، سحب ، ص ١٠٥ ، ج . كنتينو ، اللهجة العربية

في تدمر ، بيروت دمشق ، مجلدان ، ١٩٣٤ : ج ٢ ، ٦٩ — ٧٠ ، أ . موصل ، سلوك عرب الرولة وعاداتهم ، نيويورك ، ١٩٢٨ ، ص ١٥ (حيث تأتي الكمأة في آخر أنواع الكمأة الثلاثة (فقع) . حول أداء الكاف بـ «ش» ، انظر ج . كنتينو ، دراسة بعض لهجات البدو في الشرق ، باريس ، مسحوب من حوليات معهد الدراسات الشرقية في كلية الآداب في الجزائر ، ج ٢ ، ١٩٣٦ ، ص ٢٩ — ٣٦ ، ج ٣ ، ١٩٣٧ ، ص ٢٥ — ٢٦) . حول كمأة بوادي خراسان ، انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ١٧٧ — ١٧٨ .

(٢٢٢٩) ادام ، ابازير ، سقط (م ج ع ، ج ٤ ، ٢٦١ : توابل . انظر ابن حوقل ، ترجمة ، ص ٢٤٦) ، داري (تاجر التوابل) : ابن حوقل : ٣٥١ ، المقدسي : ١٦٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٤ (حاشية د) ، ٢٧٣ ، ٣١٥ (قلة الادامات) ، ٣٢٩ ، ٣٥٩ ، ٣٩٠ ، ٤١١ ، ٤٦٦ ، حدود العالم : ١٠٥

(٢٢٣٠) حول السمسم وزيته (سيرج ، سليط) ، انظر اليعقوبي : ٣٥٨ ، ابن حوقل : ٩١ ، آخر ١٣٦ ، آخر ١٨٠ ، ٢١٣ ، ٢٢٠ ، ٢٤٤ ، ٣٦٦ ، المقدسي : ٣١ ، ٨٥ ، ١٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٣٦٢ ، ج ٢ ، ٢٨٢ — ٢٨٤ (شيرج عامة ، سليط في اليمن) ، دوزي ، ملحق ١ ، ٨١٠ ، زيت السمسم عنصر أساسي في عدد من الأدهان العطرية : انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٤٤ ، ١٠٨ ، ١١٠ ومايليها . حول استعمال السمسم في الصبغ ، انظر لومبار ، موادالنسيج ، مشار إليه ، ١٢٩ (حول لفظ جلجلان ، انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج١ ، ٣٦٢

(٢٢٣١) قرنفل قال اليعقوبي ، ٣٦٩ انه يجلب من بلاد سفالة الهند وأقاصيها (انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٩٩) ، ويقول ابن الفقيه ان الله خص بلاد السند والهند بالقرنفل . حول القرنفل ، انظر الدينوري ، معجم النبات ، مشار إليه ، ٢٠٥ — ٢٠٦ ، وابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ٦٤ — ٦٥

(٢٢٣٢) خردل بلا تحديد استعماله . ورد هذا اللفظ عند المقدسي ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ (حاشية ط) ويقارن حب الفث به (انظر مايلي « الأنواع البرية ») . يذكر ابن الفقيه دهن الخردل ص ٦٦ . ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ١٨ ، استعمال الخردل تابلا إلى جانب استعمالاته الطبية .

(٢٢٣٣) فلفل : ابن الفقيه ، ٢٥١ (ملاحظة مماثلة لملاحظة القرنفل) . المقدسي : ٩٧ (يجلب من عمان) ، ٢٤٠ (في موازين الأندلس ، اذن مجلوب على نطاق واسع هنا أيضاً بلا شك) . المسعودي (ت) (ينبت الفلفل في صعيد مصر) .

(٢٢٣٤) كراويا : ابن حوقل : ٧٤ ، ٨٤ ، حدود العالم : ١٤٣ . انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ٨١ (رقم ١٧٧٢ و ١٧٧٤) ، ١٦٤ - ١٦٥ ، ١٩٨

(٢٢٣٥) زنجبيل : المسعودي (م) : فقرة ٤٠٧ . انظر الدينوري ، كتاب النبات ، ٣٨ (معجم الألفاظ) ، ٢٠٦ ، وابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٢١٧ - ٢١٩

(٢٢٣٦) كبر : الجاحظ (ت) : ١٥٩ . انظر الدينوري ، معجم النبات ، مشار إليه ، ٢٣١ ، ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ١٣٤ - ١٣٧ .

(٢٢٣٧) كمون : الجاحظ (ت) : ١٦٠ ، ابن حوقل : ٨٤ ، ٣١٢ (يتخذ به القانيد : انظر ص ٤٠٨) . المقدسي : ٤٧٠ ، حدود العالم : ١٢٤ (فارسية : زيره) . حول الكمون ، انظر الدينوري ، معجم النبات ، مشار إليه ، ٢٤٨ ، وابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ١٩٦ - ٢٠٠

(٢٢٣٨) انظر الجاحظ (ت) : ١٥٩ (المرجع ذاته ، معجم الألفاظ ، ١٦٣ ، لعل المقصود الفوشانة ، فطر يقابله بالفرنسية bolet commestible ou oronge) ، ابن الفقيه : ٢٥٥ (المرجع ذاته ، معجم الألفاظ ، ٣٩) ، دوزي ، ملحق ٢ ، ٢٣١) ، ديميزون ، معجم ، ج ٢ ، ٧٧٠ و ٨٧٣ ، ابن البيطار مشار إليه ، ج ٣ ، ١٤ ، يصف هذا الفطر ويقول إن الناس يأكلونه مع مآكل حامضة ، ويستعملونه أيضاً لغسل الثياب . انظر الأب انستاس الكرملي ، « نظرات في كتاب التبصر في التجارة » ، مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق) ، ١٣ روماني ، ١٩٣٥ ، ص ٢٩٠ آخرها - ٢٩٠

(٢٢٣٩) من الفارسية : اسطر (جمل) وغاج (شوكة . انه جذر نبات magydaris الذي يشبه Asa foetida « والذي يطبخ مع اللحم بطريقة التوابل » (ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٨٣ - ٨٤) . انظر ابن الفقيه : ٢٥٥ ، وابن حوقل : ٤٣٦ (ترجمة ص ٤٢٢ ، أصابع عروس صمغية ، الا أن لفظ قتاد يؤدي اللفظ الفرنسي . انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ٥٩) ، المقدسي : ٣٢٦ ، حدود العالم : ١٠٥ (ترجم بـ Asa foetida لكن في المرجع ذاته : ١١٠ : Asa foetida ترجم بها انجزذ) . انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٧٩ (tragacanthe) ، ديميزون ، معجم ، ج ١ ، ٩٦

(٢٢٤٠) عقاقير ، جوارشن (انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٣١) ، آلات الصيادلة (انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٨٢) بالفارسية دارو : الجاحظ (ت) : ١٦٠ ، ابن الفقيه : ١٢٧ ، المقدسي : ٩٧ (يجلب بلا ريب من الهند المسلمة أو غير المسلمة ، إلى

عمان) ، ۳۹۷ ، ٤٥٢ ، ٤٧٤ ، ٤٨١ (محمول من السند) ، حدود العالم : ٥٩ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١١٢ — ١١٣ ، ١١٦ — ١١٧ ، ١٣٨ ، ابن الفقيه ، مع كلمات عامة مثل ادوية (baumes) ، اطلية (cataplasmes) ، معجونات (Pommades) ايارجات (dépuratifs) ، ترياق (مستحضر ضد عض الدواب الوحشية (من اليونانية ثيراوثيريون) أو لسع العقارب أو لدغ الحيات خاصة) يعطي شليشا (انظر المرجع ذاته ، معجم الألفاظ ، ۳۲ ، وديميزون ، ج ٢ ، ٤١٠ : شليشا) ولفظين منقولين عن اليونانية فيما يظهر : تياذريطوس (من ثيودوريتوس ، مستحضر طبي أشار إليه الكسندر دي ترال ، مذكور في بايي ، معجم يوناني فرنسي ، اللفظ ، انظر دوزي ، ملحق ١ ، ٨٦١) وهبطارطان ، المشكوك بصورته (ابن الفقيه ، مشار إليه ، حاشية ز ومعجم الألفاظ ، ٥٠ روماني) ، حيث يتضح فيه البا ثة ابتا (اي سبعة) : لعله نقل سيء ل Heptahleuron (« ذو الأضلاع السبع ») : انظر ديوسكوريدس ، مذكور في بايي ، معجم ، اللفظ ، وابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ١٤٧ : كثير الأضلاع ، ليدل على اللاصف Plantain . حول خصائص هذا النبات ، انظر المرجع ذاته ، ج ٣ ، ٢٣٥) .

(٢٢٤١) خروع : ابن الفقيه : ١٢٧ . انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ١٤٥ — ١٤٦ ، ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ١٩ — ٢٠ ، ١١٨

(٢٢٤٢) فجل : ابن الفقيه : ٦٦ ، المسعودي (ت) : ٣٦ ، ابن حوقل : ١٣٨ (زيت الفجل ، وليس التعبير الأكثر شيوعاً : دهن الفجل ، ترجمة ، ص ١٣٧ : زيت لفت) ؛ المقدسي : ٢٠٣ ، ٢٠٤ . انظر الدينوري ، مشار إليه ، ١٨٤ ، ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ١٢١ ، ج ٣ ، ٢٣ — ٢٥ . كوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ١٤٧ — ١٤٨ . ابن الفقيه والمسعودي يعتبران هذا الزيت أحد المنتجات المصرية الشهيرة .

(٢٢٤٣) المقدسي : ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٤٤٢ (حول لفظ بزر ، حرفياً حب ، مأخوذ بهذا المعنى : حب الكتان أو زيت الكتان ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٨٩ ، ودوزي ، ملحق ١ ، ٨١) . انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢١٨ — ٢٢٠

(٢٢٤٤) aloès : صبر : المقدسي : ٩٧ (يجلب إلى عمان ، بلا شك من الهند ، المسلمة أو غير المسلمة) ، ٩٨ (سقطرة : انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ١٧٢) . انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٣٩ ، ١٣٤ ، ١٧٠ ، ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٣٦١ — ٣٦٧ الذي يقول انه يكثر في الهند ، وينمو أيضاً

في جنوب جزيرة العرب . السنا : المقدسي : ٩٨ (مكة . مشهور وعلا : انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ٢٩٣ - ٢٩٤) . جنطيانه : تذكر أنها أحد علاجات منطقة جبل طارق (حدود العالم : ٥٩) . انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٣٧٠ - ٣٧١ . بزر قطونا (عشب البراغيث) : الجاحظ (ت) : ١٦٠ (وادي الأردن) . انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢١٥ ، ٢١٧ - ٢١٨ . الأب انستاس الكرملي ، « الناصرة » ، مقال مشار إليه ، ٢٩٢ . راسن : المقدسي : ١٨١ (فلسطين) . انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٣٦ (معجم الألفاظ) ، ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ١٥٣ - ١٥٥ ، ديميزون ، معجم ، ج ٢ ، ٥ ، كوتيير ، عالم الأحياء مشار إليه ، ج ٥ ، ٣١٨ بادرنج : المقدسي : ٤٤٣ (زيت ، في فارس) . انظر ابن البيطار (بادرنجية) ، ج ١ ، ١٨٣ - ١٨٥ ، ٢٤٩ ، ٤٠٤ ، ج ٣ ، ١٧٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، كوتيير ، مشار إليه ، ج ٥ ، ٢٩٤ . خولنجان : ابن الفقيه : ٢٥١ (الهند والسند) . انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٦١ - ٦٢ والجماع خاصة) . ترذوغ : المقدسي : ١٨١ (القدس) ، ٣٩٦ ناحية قزوين) . انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٩٧ (من أجل لفظ calament ، ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ٤٩ - ٥٠ آ ، فودنج) .

(٢٢٤٥) ابن الفقيه : ٢٩ (ومعجم الألفاظ ، ١٩ رومانسي ، احالة إلى قاموس الفيروزبادي ، اللفظ) .

(٢٢٤٦) حب الزلم : الجاحظ (ت) : ١٥٩ (كردستان فارس) . انظر ابن البيطار مشار إليه سابقاً ، ج ١ ، ٣٩٥ - ٣٩٦ (Cyperus esculentus) ، ج ٢ ، ٢١٥ ، ٢٥٣ (سعد بالفرنسية souchet odorant) . دوزي ، ملحق ١ ، ٢٤٠ . حول الفصيلة السعدية ، انظر كوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٤ ، ٢٨٧ - ٢٨٨ ، و ف . مورو (باشرافه) ، النبات ، باريس ، ١٩٦٠ ، ص ١١٨٩ - ١١٩١ .

(٢٢٤٧) ابن الفقيه : ٢٥٥ (ومعجم الألفاظ ٤٤) ، ابن حوقل : ٥١٥ (ترجمة ، ٤٩٢) ، مع صورة مشكوك بقراءتها (كوذنجان كوذينجان) . انظر و . برتولد ، « فرغانه » في م ١ ، ج ٢ ، ٦٨ ، الذي يقرأ كيلكان أو كولكان في مقطع ابن حوقل المذكور) . و . برتولد و ب . سبولر ، « فرغانة » ، م ١ (٢) ، ج ٣ ، ٨١٠. م ج ع ، ج ٤ ، ٣٤٤ . ابن البيطار ، ج ٣ ، ١٦٢ و ٢١٤ (Allium ampelo

prasuni) كوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٤ ، ٣٠٨ . تصحح ترجمة وايت ، مشار إليه : لفظ « شجرة » (كذا) يعود لا إلى كيلكان ، بل إلى الطرخون قبله . يتحدث فولر ، المستشهد به في م ج ع ، ج ٣ ، مشار إليه ، وفي م ١ ، ج ٢ ، مشار إليه ، عن « خشب أسود ، يعتبر علاجاً لأمراض متنوعة ، بخاصة ضد دود الأمعاء » . لا يمكن مع ذلك بداهة استبعاد الاستهلاك الغذائي البسيط .

(٢٢٤٨) ترياق (انظر الحاشية ٢٢٤٠) . يذكره ابن الفقيه : ١٢٧ ، والمقدسي : ١٨١ (بيت المقدس) دون أن يذكر تركيبه أو يعطي معلومات دقيقة عنه .

(٢٢٤٩) ابن رسته : ١٥٧ (والحاشية ه) ، دهن السمسم العنصر الأساسي في المستحضر . انظر ابن البيطار ، كتاب الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٤٤ (ثمار الخلاف يربى بدهن السمسم) ، ١١١ ، دون الاشارة إلى استعماله ترياقاً .

(٢٢٥٠) ابن رسته : ١٥٧ (وحاشية و) . انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٣٨٦ ، ج ٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ذكر استعماله ترياقاً . الناشر والمترجم ل . لوكلير ، يذكر ترجمة أخرى ، ينسبها إلى سونسيمر ، سحلب : orchis (حول مؤلف سونسيمر ، انظر دوزي ، ملحق ١ ، ١٨ روماني) لكنه يميل إلى نبات كتاني (انظر غالب ، معجم ، ج ٢ ، ٤٦٠) أو إلى نبات شبيه بفصيلة ذات الفلقتين ، ويعترف في الوقت ذاته أنه عاجز عن تحديد هذه المخلصة) . مهما يكن ، أصل خاصة هذه النبتة واضح : فمشاكلة زهرتها للعقرب » دفعت إلى استنتاج خاصتها (حول هذا النوع من المقارنات ، انظر مثالا آخر عند كوتيير عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٤ ، ٣٣٣ : ايمان بأن الخاصة مرتبطة بالشكل » وهذا مبدأ) .

(٢٢٥١) من الفارسية : جياه . حدود العالم : ١٠٤ : عصارة مستعملة ضد لسع العقارب والحيات .

(٢٢٥٢) يلاحظ استعمال لفظ دبس بهذا المعنى : المقدسي : ٩٥ ، ١٢٥ ، ٤١٠ (ذكر سابقاً في الفصل الرابع ، ص ٢٩٦ (وحاشية ١٥٩٧)، اليعقوبي ، ترجمة ، ص ٢٣٥ (نص غير وارد في طبعة دي خويه) يتحدث عن أنواع مسك نباتية . يذكر المقدسي : وجود الزفت في بلاد النهر (جيحون) : انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٢١٢ — ٢١٣ .

(٢٢٥٣) ابن رسته : اخر ١٥٧ (مع ذكر القرية التي تنتج هذا الصمغ : مورجه خرت . انظر شوارز ، ايران ، ج ٥ ، ٦٢٧ (حاشية ٥) ، ٦٥٥ . حول السكبينج (بالفارسية

سكبينه) ، الذي تنتجه انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٢٦٩ — ٢٧٠ .
ديميزون ، معجم ، ج ٢ ، ٢٦٠ .

(٢٢٥٣) مكرر دم الأخوين : الجاحظ (ت) : ١٥٧ ، المقدسي : ١٠٢ . إنه صمغ Calam us drago من فصيلة النخيل . انظر الدينوري ، كتاب الحيوان ، مشار إليه ، ٣٩ ، ١٧٠ — ١٧١ . حول الاستعمالات الطبية ، انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٩٤ . كوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٤ ، ٣٠٤ . حول الاستعمال ذاته ، يذكر الجاحظ (ت) ، ١٥٧ ، أيضاً سياه دارو ، الذي يؤديه المترجم بـ « صمغ جوز الشام » ، اعتماداً على الناشر م . هـ . حسني عبد الوهاب (في مجلة المعهد العلمي العربي (دمشق) ، ١٢ روماني ، ١٩٣٤ ، ص ٣٣٣ ، حاشية ٤) استناداً إلى قانون ابن سينا . ديميزون . معجم ، ج ٢ ، ٣١٥ ، يحيل ، بهذا الاسم الذي يعني « علاج أسود » إلى الحلبة البرية ، المسماة الكرمة البيضاء التي يرجع بشأنها إلى ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ١٨ ، ١٥٤ .

(٢٢٥٤) كهروا عوضاً عن كهربا (من الفارسية كاه ، كيه ، « قش » ، وربا ، كلمة مركبة معها ، من فعل ربودن : أخذ ، خطف ، حمل : ما يجذب القش) : المقدسي : ٣٢٥ (يجلب من البلغار عبر خوارزم) . ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٤٧٣ — ٤٧٤ ، ج ٣ ، ١٣٤ ، ٢٠٩ — ٢١١ ، ٣٢٧ ، يعتبر هذا العنبر الأصفر صمغ الدوم . انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٤٤ ، وكوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٤ ، ٢٢٤

(٢٢٥٥) ابن الفقيه : ٣٦ (ترجم بـ convulvus أي اللبلاب) . المقصود في الواقع عصب عظيم . انظر « عصب » عند ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٤٥١ ، يحيل إلى ج ٣ ، ٣٨٢ (مع إحالة إلى ج ٣ ، ٥٩ ، وإحالة أخرى إلى ج ٣ ، ١٤٦ — ١٤٧) . حول أنواع العصب وصمغ الكثيراء ، انظر كوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ٢٢٠ ٢٢١ . حول الصمغ العربي ، المنتج من السنط — اقاقيا — المرجع ذاته ، ج ٥ ، ٢٠٤ — ٢٠٥ (يذكر المقدسي استعماله في ترصيع فسافسا : المقدسي : ١٥٨ ، حاشية هـ : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٨٢) .

(٢٢٥٦) المقدسي : ٤٢٠ ، ٤٤٣ (وحاشية يح التي تقول إن العنزروت شوك ينبسط على الأرض يشبه الدرمنه — الافسنتين البري (انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٣٤ ، وديميزون ، معجم ، ج ١ ، ٨٨٠) ربما بالحجم) حول الصمغ (sarcocolle,) وشجره (sarcocollier sarcoclle) ، انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ١٥٤ — ١٥٦ ، ج ٢ ، ٤٨١

(٢٢٥٧) انجذان ، انجيدان ، انجزاد : ابن الفقيه : ٢٥٥ ، الاصطخري : ٦٤ (ابن حوقل : ٢٥٦ ، إحالة بسيطة إلى حجم (الورقة) لوصف العقرب : انظر الفصل الخامس ، الحاشية ١٨١٢ ، ابن حوقل : ٤١٨ ، المقدسي : ٣٢٤ ، ٤٤٣ ، حدود العالم : ١١٠ (تصحيح ، المرجع ذاته ، ١٠٥ : Asa foetida ادت استرغاز : انظر الحاشية ٢٢٣٩) . حول هذه النبتة ، انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ١٤٢ ، ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ١٤١ – ١٤٥ ، ٤٤٧ – ٤٤٨ ، كوتيبر ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ٢٥٤ ، بروديل ، الحضارة المادية ، مشار إليه ، ١٦٣ . ذكرت نبتة حلتيت أخرى في الحاشية ٢٢٥٣

(٢٢٥٨) الجاحظ (ت) : ١٥٩ ، ابن الفقيه : ٦٦ ، المسعودي (ت) : ٣٦ ، ابن حوقل : ١٦١ (تصحيح الترجمة ، ١٥٩ : لا « تنمو » بل « تزرع » . أما القضبان التي نشبه بها الشجرة ، لعلها القضاب : انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ٩١ – ٩٢ ، ٤٥٠) ، المقدسي : ٢٠٤ (وحاشية جـ : دهن البلسان) . انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٩٣ . ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢٥٥ – ٢٥٨ .

(٢٢٥٩) المن ، ترنجبين ، ترنجبين (من الفارسية ترنجبين أو ترانجبين . عسل (انجبين) طرى (تر) . انظر ترجمته « بعسل الندى » في ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٣٠٨) من الفارسية أيضاً شيرخشت (انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٣٥٧ – ٣٥٨ ، لفظ « شيرخشك » بالفارسية : لبن مجفف) ابن الفقيه : ٣٦ ، ٢٩٧ ، ابن حوقل : ٢٢٥ (من تجارات الجزيرة) ، ٥٠٢ ، المقدسي : ١٤٥ (يجلب من الموصل ، ٣٧٣ ، حدود العالم : ١٠٤ ، ١١٣ . انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٣٠٨ – ٣٠٩ ، ج ٢ ، ٣٥٧ – ٣٥٨ ، ج ٣ ، ٣٣٩ – ٣٤٠ ، كوتيبر ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ١٦٩ .

(Tamaris mannifera) : انظر بالنسبة إلى وادي الأردن ، ف . م . آبل ، دليل سورية وفلسطين ، باريس ، ١٩٣٢ ، ص ٣٠ روماني) ، ٢١٦ (حول Alhagi maurorum ، « امكانية » بين سائر الامكانيات « لتلعب دور المن التاريخي ») . فعل « سقط » بالنسبة إلى المن ، يرد في ابن الفقيه ، ٣٦ وابن حوقل : ٥٠٢ .

(٢٢٦٠) أزهار ، نواوير (جمع نوار) . رياحين (جمع ريحان : تدل أحياناً على الحبق basilic انظر مايلي حول هذه النبتة) pl.odoriférantes تعني أنواع النبات الزكي الرائحة ، عطر وارايج (جمع اريج) من أجل روائح طيبة parfums .

أعواد (جمع عود) : اغلاجون agalloche انظر ما يلي حول هذا الخشب) تؤدى بـ bois odorifirants . ادهان (جمع دهن وبزور (جمع بزر) (انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٨٩ . من أجل معاني أخرى لهذا اللفظ ، بزر ، انظر : الحاشية ٢٢٢٩) ، (أبازير جمع الجمع) ، الحاشيتان ٢٢٤٣ و ٢٢٤٤) تعني الزيوت ومراهم . فرند : أطياب . ألجرة أفواح المواد المحروقة . انظر الجاحظ (ت) : ١٥٩ (من أجل الطيوب المجلوبة من الصين) . اليعقوبي : ٣٦٢ ، ابن رستة : آخر ١١١ ، ابن الفقيه : ١٣٤ (دهن الحطارة ، انظر حول هذا المستحضر المرجع ذاته ، معجم الألفاظ ، ٢٤ روماني ، ولسان العرب لفظ « خطر » ، بآخره خطار) ، ٢٥١ ، ابن حوقل : آخر ٣٦٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٤٥١ ، ٤٧٤ ، المقدسي : ١٦٠ آخرها ، ٣٢٤ ، ٤٠٢ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٤٣ ، الشابشتي : ١١٥

(٢٢٦١) ابن رسته ، ذكر من قبل

(٢٢٦٢) ابن حوقل : ٤٧٤

(٢٢٦٣) المقدسي : ٤٣٣

(٢٢٦٤) ابن حوقل : ٤٥١

(٢٢٦٥) ابن الفقيه : ٢٥١ (حول الجمع أعواد في الهند والسند : أخشاب زكية الرائحة) . انظر ابن البيطار ، كتاب الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٤٨٤ — ٤٨٥ . من أجل العالم غير الاسلامي ، انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ص ٩٨ ، حاشية ٥ .

(٢٢٦٦) سنبل (هندي) : اليعقوبي : ٢٦٨ — ٣٦٩ (ترجمة ، ص ٢٣٩ — ٢٤٠ وحواشيها) ، ابن الفقيه : ٢٥١ (مترجم بـ « lavande » حول السنبل الهندي ، انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٢٩٥ — ٢٩٧ . ويدل اسم « النرد » في اللغة الفرنسية على نبات نجيلي بري (nardus ناردين . انظر كوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٤ ، ٢٥٨). يدل وصف اليعقوبي على السنبل الهندي ، وهو من فصيلة الناردين Vuleriane (انظر كوتيير ، مشار إليه ، ج ٥ ، ٣١٢) لكن يستغرب فيه قوله إنه ينبث كما ينبت الزرع .

(٢٢٦٧) الصندل : ابن الفقيه : ٢٥١ (الهند والسند) ، المقدسي : ٩٧ (يجلب إلى عمان ، على الأرجح من الهند المسلمة أو غير المسلمة) . انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٩٨ ، حاشية ٢ وابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٣٨٣ — ٣٨٤

(٢٢٦٨) دار صيني : بالفارسية : شجرة الصين : الجاحظ (ت) : ١٥٩ (يجلب من الصين) ، ابن الفقيه : ٢٠٧ ٢٥١ (ترجم بلفظ cannelle الذي هو في الواقع قشر أشجار من نوع cinnamomum et laurus . انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٢٧٤ ، لفظ « سليخة ») ، حدود العالم : ١٢٥ . انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٦٨ — ٧٣ ، ١٠٦

(٢٢٦٩) قصب الذريرة : ابن الفقيه : ١١٧ ، ٢٥٩ (مرادف : حنوط) . انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ٩٠ (قال إنه هندي . لعله نوع من جنطيانه Ophelia chiraita ، ١١٠ . حول ثنية الركاب ، انظر الفصل الأول ، ص ٣٧ آخرها —٣٨

(٢٢٧٠) ابن الفقيه : ٣٦ (تسمى الشجرة أم غيلان : سنط اقاقيا ، وعلى وجه الدقة Mimosa gummifera انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ١٣٧) . انظر ابن البيطار ، ج ١ ، ٢٧٧ (البنك أو nascaphthon يحمل الى الهند) ، ج ٢ ، ٨٢

(٢٢٧١) الكندر واللبان مترادفان صراحة عند ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ٢٢٨ (انظر المرجع ذاته ، ج ٣ ، ٢٠٠ — ٢٠٤) . انظر الجاحظ (ت) : ١٥٩ ، ابن الفقيه : ٣٦ ، ٢٥٢ ، ابن حوقل : ٣٨ ، المقدسي : ٨٧ ، ٩٨ ، حدود العالم : ١٤٨

(٢٢٧٢) اليعقوبي : ٣٦٩ — ٣٧٠ (صنع العطر المسمى الغالبة) ، ابن الفقيه : ٢٥ ، المقدسي : ٩٨ . انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ١٩٠ — ١٩١ (Guilandina moringa) .

(٢٢٧٣) ابن الفقيه : آخر ٢٣٥ : نذير ، سحالة ، كركبيس ، اللفظ الأخير حسب فولرز ، معجم اشتقاق فارسي لاتيني (بون ، ٣ مجلدات ، ١٨٥٥ — ١٨٦٤ ، ملحق ١٨٦٧) : م ٢ ، ص ٨٢١ (لفظ « كركميسه ») ، يعني زهرة عطرة ومتعدد الألوان من منطقة الوند . دوزي ، ملحق ٢ ، ٤٥٨ (كركباش) ، يذكر مرادفاً له celtis australis الذي هو في الواقع الميس micocoulier ، ولا يلائم المعنى في هذا النص عن الأنوار الجبلية .

(٢٢٧٤) ابن الفقيه ، ذكر من قبل : زردلال (ترجمة ، ص ٢٨٤ : زردال و التي يعتبرها معجم الألفاظ (ابن الفقيه ، ٢٨) كلمة فارسية مركبة من زرد (أصفر) ولال (أحمر) ، فضل أنا لاله : كل زهرة برية وبخاصة خزامى tulipe برية ، منتشرة كثيراً في هذه المناطق . انظر كوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٤ ، ٣٠٦ آخرها — ٣٠٧

(٢٢٧٥) لفظ كستج (ابن الفقيه ، مشار إليه ، ومعجم الألفاظ ، ٤٢) مأخوذ من الفارسية كسته ، الذي يعتبره فولرز ، معجم ، ح ٢ ، ٣٨٤ ، مرادفاً لـ سرخ مرد . انطلاقاً من هذا اللفظ الأخير « المرجع ذاته ، ج ٢ ، ٢٧٢) نحال من عنوان إلى عنوان ، إلى عدد من الألفاظ الأخرى التي تعني على وجه التخصيص عصا الراعي ، خس الحمار (الحميري : انظر ابن البيطار ، كتاب الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ١ ، ٤٥٦ — ٤٥٧) ، ج القطيفة amarante . . . ديميزون ، معجم ، ج ٣ ، ٧٩ ، يعطي نوعاً من عصا الراعي renouée ويحيل خاصة إلى غوز (المرجع ذاته ، ج ٢ ، ٧٣٧ ، مع المعنى ذاته. يلاحظ أن جميع هذه الأمور تظل غير ثابتة . حول أنواع عصا الراعي وتوزيعها ، انظر كوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ٩٨ آخرها — ٩٩

(٢٢٧٦) الجاحظ (ت) : ١٥٩ (في نطاق ذكر بنج — انجشت : انظر مايلي) : ابن رسته : ١٦٥ (غرب فارس) . حول الدفلى ، انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٨٨ — ٩٠

(٢٢٧٧) الجاحظ (ت) ، مشار إليه ، يقول إن هذه النبتة — أي القرماز وهو شجر بالفارسية پنجكشت — قلما يوجد الا ومعه الدفلى ، وقيل حملا معاً من الروم : قرماز يبقى غامضاً ، وفازهر (عوضاً عن بازهر : ترياق ، خاصة حجر فازهر ، انظر ديميزون ، معجم ، ج ١ ، ٣٧٠) لاندري ماذا جاء يفعل هنا (انظر الجاحظ (ت) : ١٦٤ ، تعليق المترجم) . انظر الأب انستاس الكرملي ، « نظرات » ، مقالة ذكرت ، ٢٩٠ . ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٩٧ ، ٢٧٠ — ٢٧١ ، ٤٠٠ ، ج ٢ ، ١٥٢ ، ٢٤٦ ، ٣٢٧ ، ج ٣ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ١٨٤ ، ١٨٥ . كوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ٢٩٦ . بنج — انجشت (فارسية) تعني خمس أصابع .

(٢٢٧٨) انظر ابن البيطار ، كثرة العناوين التي تبدأ بدهن الزيت) . المقدسي : ٣٢٤ يذكر دهن الرأس بلا شرح .

(٢٢٧٩) انظر اليعقوبي : ٣٧٠ (اسقاط ، لكن يتعلق بمقطع خاص بمستحضرات المسك) . حول استعمالات العفص الطبية ، انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٤٥٧

(٢٢٨٠) انظر ورود هذه الزهور عند ابن البيطار .

(٢٢٨١) حول طلع النخيل ، انظر ابن حوقل : ٢٩٨ (فارس) ، حدود العالم : ١٢٦ — ١٢٧ (آب — اي — طلع ، فارس) . انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ،

٤١٥ آخرها — ٤١٧ ، ج ٣ ، ١٨٦ (لفظ « كفرى ») ، حول الخلاف ، انظر ابن حوقل : آخر ٢٩٨ (فارس واذربيجان) ، المقدسي : ٤٤٣ (فارس) ، وابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٤٣ — ٤٤ . يذكر المقدسي ، ٤٤٣ (فارس) الكارده Pandanus odoratissimus . انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٣٧ (انظر ديميزون ، معجم ، ج ٣ ، ٧ ، كاردو : زهر النخيل) . حول مرسين ، انظر المقدسي : ١٨٨ (يحمل عباد لبنان إلى المدن ، ويبيعونه) ، ٣٩٠ (من أجل القمارنة : انظر الحاشية ٢٢٢٣ . منطقة قاشان في فارس) ، ٤٤٣ (فارس) . انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٥٣ . دوزي ، ملحق ٢ ، ٥٨٢ . ابن البيطار ، مشار إليه ، بالنسبة إلى المرسين ، يعطي الآس (مصدر مشار إليه ، ج ١ ، ٦٦ — ٧٠ ، ج ٢ ، ٩٩ — ١٠٠) والمقابل الفارسي مورد اسفرم للمرسين البري (ج ٣ ، ٣٤٥) .

(٢٢٨٢) حول الحنة ، انظر المقدسي : ٩٨ ، ١٢٨ ، ٢٣٢ ، ٤٥٢ (في نظام مكاييل فارس) . الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٤٠ ، ١٠٦ ، ١٦٤ ، ١٩٤ ، ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٤٦٩ — ٤٧١ ، حول استعماله في الصباغة ، انظر لومبار ، المواد النسيجية ، مشار إليه ، ١٢٦ — ١٢٨ (الحاشيه ١ تذكر استعمال الزهر في صنع العطور) . حول الزعفران (انظر مايلي لاستعماله في الصباغة) ، انظر المسعودي (م) : فقرة ٤٠٧ ، ابن حوقل : آخر ٢٩٨ (فارس) ، حدود العالم : ١٣٤ (البلدان الواقعة جنوب بحر الخزر) . الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ج ١ ، ١٩٤ ، ٢٠١ . ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٢٠٨ — ٢١٠

(٢٢٨٣) النيلوفر : الجاحظ (ت) : ١٦٠ (فارس) ، ابن حوقل : ٤٥١ (خراسان) المقدسي : ٤٤٣ ، حدود العالم : ١٠٨ (خراسان) . انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ١١١ ، ج ٣ ، ٣٨٢ — ٣٨٤ ، ٣٨٦ . المرزنجوش أو المرزجوش : المقدسي : ٤٤٣ (فارس) . انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٥٠ معجم الألفاظ) . ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ١٠٠ ، ج ٣ ، ٢٩٨ — ٢٩٩ (وأيضاً ج ١ ، ٢٦٢ ، ٤٠٣ ، ج ٢ ، ٢٩٢ ، ٤٨١) — من الفارسية مرقوش أو مردجوش (ديميزون ، معجم ، ج ٣ ، ٥٢٦ : myosotis) . قيسوم ، قيسون : ابن حوقل : آخر ٢٩٨ (فارس ، ترجمة ، ص ٢٩٢ : armoise) ، حدود العالم : ١٢٧ (ترجمة : santoline) . انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٤٨ (معجم الألفاظ ، ومعجم النبات ، مشار إليه ، ٢٢٧ ، ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ١٠١ ، ٤٣٤

(يميز بين قيسوم (, abrotanum,aurone) وعبيثران : armusoi) ، ج ٣ ، ١٢٤ — ١٢٥ ، كوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ٣٢٢ . خيري : giroflée ابن حوقل : ٢٩٩ (فارس والعراق) . انظر الدنيوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٣٤ (معجم الألفاظ) ، ١٥٩ — ١٦٠ . ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٦٨ ، ١١١ . بنفسج : الجاحظ (ت) : ١٦٠ (خوزستان) ، ابن حوقل : ٢٩٩ (فارس والعراق) ، ٤٧٤ (ماوراء النهر) ، المقدسي : ١٢٨ — ١٢٩ (العراق) ، ١٨١ (دهن بنفسج دون) ، ٣٠٠ (نيسابور . حول هذا المقطع ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٩٦) ، ٣٣٢ (حاشية يج : يصحح فوائد دهن البنفسج ، ويعلل طول أعمار أهل نيسابور بقوة هوائها) ، ٤١٤ (خوزستان) ، ٤٢٤ (فارس) ، ٤٤٣ (فارس) ، حدود العالم : ١٢٦ (فارس) انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٦٢ ، وابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢٦٨ — ٢٧٠ ، و ج ٢ ، ١٠٩ — ١١٠

(٢٢٨٤) يدل لفظ ياسمين على النبتة أو الزهرة ، كما يشرح ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ١١١ — ١١٢ ، ويدل الزنبق على الدهن ، الذي يعد بنقع أزهار الياسمين الأبيض في دهن السمسم . حول الياسمين ودهنه ، انظر الجاحظ (ت) : ١٦٠ (فارس) ، اليعقوبي ، ترجمة ، ص ٢٤٢ (مع اضافة بالنسبة إلى نص طبعة دي خويه ، آخر ٣٦٩ : يضاف الياسمين أحياناً إلى الغالية فيما يبدو : حول الغالية ، انظر الحاشية ٢٧٢) ابن رسته : آخر ١١١ (اليمن) ، المقدسي : ٢٠٣ (مصر) ، ٣٧٣ (ارمينيه ، اذربيجان) ، ٤٢٤ ، ٤٣٣ ، ٤٤٢ — ٤٤٣ (فارس) . انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٣٧ (معجم الألفاظ) . ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٢١٩ ، ج ٣ ، ٤١٦ — ٤١٧ . م ج ع ، ج ٤ ، ٢٣٩ ، ٢٥٥ .

(٢٢٨٥) ابن رستة : آخر ١١١ (اليمن) ، ابن حوقل : ٢٨٣ (نرجس مضعف) . أشرنا إلى هذا المقطع في الفصل الأول ، ص ٧١ آخرها) ، المقدسي : ٤٤٣ ، ٤٦٦ . حول النرجس ، انظر الدينوري ، معجم النبات ، مشار إليه ، ٣٢٥ (يقول إنه كثير في بادية الشام) . ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ١٠٣ — ١٠٤ ، ج ٣ ، ٣٦٨ — ٣٦٩ (أفضله الجبلي) . م ج ع ، ج ٤ ، ٣٦٢

(٢٢٨٦) السوسن : ابن الفقيه : ٢٣٥ (من الفارسية : سوسن ازاد ، حرفياً : زنبق بلا عيب أو حر . انظر ديميزون ، معجم ، ج ١ ، ٦١ ، ج ٢ ، ٣٠٣) ، ابن رستة : آخر ١١١ (مع ألوان : عدة ألوان أو أنواع) ، اصطخري : ٩٣ (لم ينقله ابن حوقل .

دهن رازقي : زنبق أبيض . انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٣٩ . دوزي ، ملحق ١ ، ٥٢٤) . حول الزنبق ، انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ١٧٧ — ١٧٨ (زنبق لازوردي ، أي سوسن) ، ج ٢ ، ١٠٢ — ١٠٣ ، ٣٠٦ — ٣٠٨ ، ٤٣٩ (زنبق بري) . حول الرازقي ، المرجع ذاته ، ج ٢ ، ١٠٢ ، ١٦٧ .

(٢٢٨٧) من أجل منطقة شيراز ، في فارس ، الاصطخري ، آخر ٩١ ، المرجع المشترك لابن حوقل : ٢٩٨ (ترجمة ، ص ٢٩٢ : « ورق » يستبدل بتويجة : انظر حدود العالم ، مستشهد به فيما بعد ، حاشية ٢٢٩١) المقدسي : ٤٤٣ ، حدود العالم : ١٢٦

(٢٢٨٨) يعتبر كتاب حدود العالم ، مشار إليه ، هذه النبتة نوعاً من اسبرغم بالفارسية : وهي نبتة زكية الرائحة ، وعلى وجه التخصيص ، كما في اللغة العربية ، للريحان ، الحبق (خاصة الحبق السلطاني : شاه اسبرغم ، شاه اسبرهم ، شاه اسبرم ، شاه اسفرهم : انظر ديميزون ، معجم ، ج ١ ، ٧٢ ، ج ٢ ، ٣٤٢) . ترجم مينورسكي في حدود العالم ، مشار إليه ، بـ « Sweet basilic » يتكلم الاصطخري والمقدسي ، مشار إليهما ، في الحديث عن السوسن النرجس ، عن نوع من الريحان (نبتة زكية الرائحة وخاصة الحبق : انظر الحاشية ٢٢٦١) . حول الحبق ، إضافة إلى الاحالات الواردة في الحاشية السابقة ، انظر الجاحظ (ت) : ١٦٠ (الشاه سبرم) ، ابن الفقيه : ٢٣٦ (ريحان) . أولا الحبق السلطاني ، بأنواعه ، نبتة من أكثر النبات أسماء : عند ابن البيطار : يوقيمون (ocimum) ، بادروج ، جمسفرم ، حبق (نبطي ، صعتري ، كرماني ، ريحاني) ، حماحم ، حوك ، ريحان (سليمان الملك) ، شاه سفرم ، ضومر (ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ١٧١ ، ١٨٦ — ١٨٧ ، ٣٦٧ ، ٤٠٣ — ٤٠٤ ، ٤٥٦ ، ٤٧٤ ، ج ٢ ، ١٩١ — ٢٩٢ ، ٣١٥ — ٣١٦ ، ٣٩٥ . حول دهن الحبق ، المرجع ذاته ، ج ٢ ، آخر ١٠٠ — ١٠١ ، ١٠٤) . انظر يضاً الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٢٢ ، آخر ٢٩ ، ٣١ ، ٤٣ ضومران) (معجم الألفاظ) ، ١٣٩ ، ومعجم النبات ، مشار إليه ، ١٠٣ — ١٠٤

(٢٢٨٩) انظر الجاحظ (ت) : ١٦٠ ، ابن الفقيه : آخر ٢٠٤ ، ابن رسته : آخر ١١١ (اليمن) ، ابن حوقل : آخر ٢٩٨ ، ٣٠٣ ، المقدسي : ١٢٨ (ماء ورد البصرة) ، ٤٣٢ (جور المعدن) ، ٤٤٣ ، حدود العالم : ١٢٦ — ١٢٧

(٢٢٩٠) المقدسي : آخر ٣٦٩ — ٣٧٠ (وصيغة أخرى ، ٣٧٠ حاشية آ ، تسمح بتوضيح معنى النص ، الغامض أحياناً) . حول معنى فروشة التي تدل على نوع من العصيدة ،

انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٧٥ . يقول المقدسي إنه حضر « كثيراً » عقود أهل بيار في بيار على بعد ما يقرب من ١٦٠ كم إلى شرق جنوب شرق بحر الخزر . حول حماء الورد « الذي يقوى الكلي وتوابعها . . . ويثير الحواس الخمس . . . ، ويقوى الجسم بخصائصه العطرية والقابضة » ، انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ٢٨٤

(٢٢٩١) ابن حوقل : ٤٧٤ ، ترجمة ، ٤٥٦ : « في جميع الفصول » ، وعلى وجه أدق ، « إلى آخر الزمان » انظر الصيغة المماثلة قبلها بقليل : إلى آخر الخريف . هنا أيضاً ، لاشك أن لفظ ورق له معنى التويجة ، اعتماداً على تعيين الألوان : انظر الحاشية ٢٢٨٧ . حول معنى مظاهرة ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، آخر ٢٩٣ . أما الألوان المحددة ، فيبدو أن النص يسمح باعادتها اما إلى الزهور المتنوعة التي تشاهد مع الورود ، إلى آخر الزمان (الأفكار) ، واما إلى الورود نفسها : في نواحي خراسان ورد غريب يوجد إلى آخر الزمان من ذواوير مختلفة فيكون باطن الورقة بلونين . . . .

(٢٢٩٢) اشنان : الجاحظ (ت) : ١٦٠ (تجلب من اصبهان) ، المقدسي : ١٨١ (تجلب من حلب) ، ٢٠٣ (مصر) . حول القلي ، لكن دون التمكن من تحديد نوعه ، انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٤١ ، ١٣٢ . ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٨٨ — ٨٩ . انظر أيضاً للغسيل ، الحاشية ٢٢٣٨ .

(٢٢٩٣) القرظ : الجاحظ (ت) : ١٥٩ (يجلب من بلدان البربر . انظر مينورسكي ، في حدود العالم ، ٤١٧ ، الذي يجعله ورق السلم أو السنط ، المستعمل في الصباغة) ، ابن حوقل : ٧٠ (قابس : بها جلود تدبغ بالقرظ ، فتأتي من طيب الرائحة ونعمة اللمس بمثل حال الاديم الخرشي) . انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٤٧ (معجم الألفاظ) . ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ٧٦ (القرظ ثمر السنط ، mimosa nilotica ، تستعمل أوراقه وثماره في الدباغة) ، وأيضاً المرجع ذاته ، ج ٢ ، ٣٥٢ ، ٣٧٦ (في الحديث عن الصمغ الذي تعطيه الشجرة) ، ٤٥٤ ، ج ٣ ، ٥٩ (صمغ) . انظر أيضاً المسعودي (ت) : ٣٥ (صعيد مصر) .

(٢٢٩٤) بردى ، بربير (انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٨٦ ، دوزى ، ملحق ١ ، ٦٤) وقرطاس . حول البردى ، انظر الجاحظ (ت) : ١٥٩ ، اليعقوبي : ٣٣٨ ، ابن رسته : ١٩٢ ، ابن الفقيه : ٦٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ (ترجمة ، ص ٣٠٥ ، حاشية ٣) ، المسعودي (ت) : ٣٦ ، ابن حوقل : ١٢٢ — ١٢٣ ، ٢٧٧ ، المقدسي : ٣٠٣ (انظر الحاشية ٢٢٩٤) ، ٤٤٦ ، انظر أيضاً ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢٠٧ — ٢٠٩ .

يذكر الكاغد مع البردى (ابن الفقيه : ٢٥١) ، ويرد وحده عند المقدسي ، آخر ١٨٠ — ١٨١ (في عداد منتجات طبرية ودمشق) ، ٣٢٦ (سمرقند) ، وحدود العالم ١١٣ (يجلب من سمرقند) .

(٢٢٩٥) التوت شجر دودة القز وارد عند ابن حوقل : ٣٣٨ (منطقة اران في شمال اذربيجان) وحجر الفتيلة amiantc مادة نسيجية غير نباتية (انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣١٣) ، ذكره المقدسي ، ووصفه (وشبهه بالبرد بسبب اليافه بلا ريب) . حول المواد النسيجية ، انظر ر . ب . سرجنت ، « مواد لدراسة تاريخ المواد النسيجية المسلمة حتى الفتح المنغولي (« الفن الاسلامي ، ٩ روماني ، ١٩٤٢ ، — ١٦ روماني ، ١٩٥١ ، وخاصة لومبار ، المواد النسيجية ، مشار إليه .

(٢٢٩٦) قنب ، قنب : ابن حوقل : ٧٤ ، ٩١ ، المقدسي : ١٤٥ (لم يذكر استعمال البزر . حول الشاهدان (من الفارسية شاه ودانه ، حبة : الحب السلطاني . تحورت دانه إلى دانق لايجاد الصيغة العربية لوحدة وزن) . انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٦٩ . دوزى ، ملحق ١ ، ٢١٧ وشاهدانج) . الدينوري ، كتاب النجات ، مشار إليه ، ٤١ (معجم الألفاظ) . ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٣١٦) ، ٣٢٤ ، ٣٥٤ ، ٤١٦ ، حدود العالم : ١١٢ . حول القنب ، انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ١١٨ . لومبار ، المواد النسيجية ، مشار إليه ، ١٠٥ — ١٠٧

(٢٢٩٧) انظر ابن الفقيه : ٨٤ (وليس في بلادهم — البربر — نخل ولا كرم ولا زيتون ، ولهم القمح والشعير . قارن بالنسبة إلى القمح والشعير ما يقوله ابن حوقل : آخر ١٠١ ، آخر ١٠٢

(٢٢٩٨) انظر الجاحظ (ت) : ١٩٠ (ذكر الكتان لمنطقة الري — قرب طهران الحالية — التي أدخلها في « بلدان بحر الخزر ») ، اليعقوبي : ٣٥٨ ، ابن الفقيه : ٢٥٤ ، ابن حوقل : ٧٦ ، ٨٤ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٣١ ، ١٣٦ — ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٣٣٩ ، المقدسي : ١٢٨ ، ١٤٥ ، ٢٠١ — ٢٠٣ ، ٢٣٩ ، ٢٦٩ ، ٣٥٤ ، ٣٨٠ ، ٤٢٠ ، آخر ٤٣٣ ، ٤٣٥ ، ٤٤٢ ، حدود العالم : ١٢٦ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، حول دهن الكتان وبرزه انظر الاحالات في الحاشية ٢٢٤٣ . حول الكتان ، انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ١٤٣ — ١٤٤ ، ولومبار ، المواد النسيجية ، مشار إليه ، ٤٤ — ٥٩ .

(٢٢٩٩) انظر ابن حوقل : ١١٤ ، ١٥٩ (فيما يتعلق بالفيوم ، يخلط النص خلطاً

عوبصاً جميع السلع المصنوعة من الكتان والصوف ، لكن يبدو أن الشك غير جائز بشأن المضارب والفساطيط ، التي يأتي وصفها بعد ذكر الكتان بالذات . ترجمت (مثلما فعل وايت ، ص ١٥٧) لفظ بقة بلفظ حشرة Punaise ou cousin) . المقدسي : ٢٣٩ (لومبار ، المواد النسيجية ، مشار إليه ، ١٠٦ ، يستشهد بالادريسي ، فيتحدث في صيد المرجان عن القنب وليس عن الكتان) ، ٤٤٢ ، حدود العالم : آخر ١٣٤ ، ١٥١ . حول الابدان (جمع بدن : tunique) انظر ابن حوقل : ٣٣٩ (م ج ع ، ج ٤ ، ١٨٥) . حول الخيم المسماة شقة ، انظر المقدسي : ١٨٠ (م ج ع ، ج ٤ ، ٢٧٦) . حول السبنيات (قطع كتان أو قطن) ، انظر ابن حوقل : ٣٤٥ ، ٤٥٠ (م ج ع ، ج ٤ ، ٢٥٨ ، ودوزي ، ملحق ١ ، ٦٣٠ — ٦٣١) .

(٢٣٠٠) حول هذه المواضيع ، انظر اليعقوبي : آخر ٣٣٧ — ٣٣٨ ، ابن حوقل : ١١٤ ، ١٣١ ، المقدسي : ١٢٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ . الألفاظ المستعملة : صفيق (جمعه صفاق) ، رقيق (جمعه رقاق) ، دقيق ، رفيع ، سلس ، جودة ، رخص ، دني ، دون (انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٤٠) ، ويعني لفظا دني ودون ، النوعية الرديئة ، وفي الواقع ، العادية ، لكن المطلوبة للثياب المألوفة (انظر ابن حوقل ، ترجمة ، ص ١١٣) ، مثلما يثبت المقدسي ، ٢٠٣ (في الحديث عن كتان الفيوم الموصوف بـ « دون » ، لكنه يحمل إلى سائر البلدان) .

(٢٣٠١) المقدسي : ٢٠٣ (مصر) . انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٣٦ . دوزي ، ملحق ١ ، ٤٥١

(٢٣٠٢) اليعقوبي : ٣٣٨ (دمياط) ، ابن حوقل : ١١٤ (الأندلس) ، ١٥٢ (تنيس ودمياط ، يقول إن الشرب قماش كتان) ، المقدسي : ٩٨ (عدن) . حول شرب (جمعه شروب) ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٧٢ ، دوزي ، ملحق ١ ، ٧٤٠ ، لومبار ، المواد النسيجية ، مشار إليه ، ٤٦ ، آخر ٥٢

(٢٣٠٣) رأينا أن لفظ القصب يعني القصب العادي أو قصب السكر . حول القماش المسمى بهذا الاسم ، انظر اليعقوبي آخر ٣٣٧ ، ٣٣٨ (تنيس ودمياط) ، المقدسي : ٩٨ (شروب عدن تفضل على القصب) ، ١٢٨ (سواد العراق : الابلة) ، ١٤٥ (س ٦ : يرتفع من سنجار إلى الجزيرة . لايمكن أن يقصد به قصب السكر ، إذ لم يذكره أحد الجغرافيين في هذه المنطقة ، ولا نبات القصب المعزوف ، الذي لم يذكر الجغرافيون أنه يصدر . ثم ان الكتان يذكر باسمه الصريح فيما بعد ، المرجع ذاته ، س ١٤ لناحية أخرى

من الجزيرة) ، ٢٠٣ ، (دمياط) ، ٤١٧ ، ٤٢٠ (فارس) ، آخر ٤٣٣ (فارس) ، ٤٢٢ (فارس هذا المقطع أساسي بالنسبة إلى تاريخ القصب وتعريفه . ومهما كان صنعه فهو يعمل من الكتان . « ومن سينيز ترتفع ثياب تشاكل القصب ربما حمل إليهم الكتان من مصر ، وأكثر ما يعمل اليوم من الذي يزرع عندهم ») ، ٤٤٣ (فارس) . حول القصب ، انظر ، ملحق ٢ ، آخر ٣٥٣ — ٣٥٤ ، ولومبار ، مواد النسيج ، مشار إليه ، ٤٦ .

(٢٣٠٤) انظر اليعقوبي : ٣٣١ (الفيوم) ، المقدسي : ٢٠٣ (مصر) ، ٣٦٧ (ثياب في طبرستان) ، ٤١٢ (مدينة في خوزستان — الدورق ، توصف بأنها « معدن الخيش ») ، ٤٤٩ (و ٤٥٠ ، حاشية ب : حول استعمال الخيش في البيوت في فارس) ، حدود العالم : آخر ١٣٤ و ١٣٩ ، يحيل بلفظ خيش إلى قماش مصنوع من كتان وقطن . حول خيش واستعمالات هذا القماش الكتاني ، انظر دوزي ، ملحق ١ ، ٤١٦ — ٤١٧ . ش . بيلا ، م ١ (٢) ، ج ٤ ، ١١٩٢ — ١١٩٣ ، و م ج ع ، ج ٤ ، ٣٥٥ (لفظ « مكي ») .

(٢٣٠٥) صقلي : المقدسي : ١٤٥ (الجزيرة . ثياب الصوف والكتان « الرومية » على « عمل الصقلي » . حول الصقلي انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٨٢ (صقلي) ، لومبار ، المواد النسيجية ، مشار إليه ، ٥٣ — ٥٤ ، ٥٩ ، يجعل الثياب الرومية المذكورة سابقاً ، مجلوبة من ايطالية ، وهذا ما لايقوله المقدسي . هنا أيضاً قد يعني « على طريقة صنع) . توازي : الجاحظ (ت) : ١٦٠ ، المقدسي : ٤٣٥ (يسمى توازياً وأكثره يعمل بكازرون . حول هذه المدن انظر الفصل الأول ، ص ٣٨ . حول ثياب كازرون الكتانية ، الملقبة « بدمياط فارس » ، انظر المقدسي : آخر ٤٣٣ — ٤٣٤ . حول التوازي ، انظر لومبار ، المواد النسيجية ، مشار إليه ، ٥٥ ، ٥٨ . السابري : الجاحظ (ت) : ١٦٠ (معجم الألفاظ ، ص ١٦٤ : نسيج رفيع من سابور) ، وسابور تحيل إما إلى الشاه ، أو إلى المدينة التي تحمل اسمه : يقدم الثعالبي الفرضية الأخيرة ، ١١٦ ، وابن حوقل ، ٢٦٤ ترجمة ، ص ٢٦١ ، حاشية ٩١) ، ذكرا في م ج ع ، ج ٤ ، ٢٥٧ . جنابى : المسعودي (م) : فقرة ٢٥١ ، ابن حوقل : ٤٩ ، ٢٦٩ (مناديل) و م ج ع ، ج ٤ ، ٢٠٩ سينيزي : ابن الفقيه ٢٥٤ ، ابن حوقل : ٤٩ ، ٢٦٩ (مع ذكر جودة كتان سينيز) ، ٢٩٩ ، المقدسي : ٣٢٥ (يصنع في سمرقند) . انظر أيضاً المسعودي (م) : فقرة ٢٥١ . م ج ع ، ج ٤ ، ٢٦٨ ، ولومبار ، المواد النسيجية ، مشار

اليه ، ٥٥ . قبطية (جمعها قباطي بالتشديد وبدونه : حول هذا التشكيل ، انظر لسان العرب ، هذا اللفظ ، جاء فيه ثياب كتان بيض رقاق) : المقدسي : ٢٠٣ (انظر المرجع ذاته ، ٢٠٢ ، يسكن القبط مقرية شطا ، الشهيرة بصناعة الكتان) . انظر أيضاً مايلي عن الشطوى . قسيات : الجاحظ (ت) : ١٦٠ (معجم الألفاظ ، ص ١٦٤ : من قس) لثياب الكتان المعمولة في الري . يبدو أن الاسم يشير إلى قرية في مصر اسمها قسا أو القس ، تشتهر بثيابها : انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، آخر ٣٤٤ — ٣٤٥ ، ٣٤٦ (الذي يقول ثياب فيها حرير) ، وفي بلاد الهند قس آخر مشهور بالثياب (المرجع ذاته ، ص ٣٤٦) . شطوى : ابن حوقل : ١١٤ (الأندلس : ثياب كتان ممتازة تضاهي رفيع الشطوى الجيد) ، المقدسي : ١٠٤ (و ١٠٥ ، حاشة د : يحمل من جزيرة العرب) ، ٢٠٢ ، ٢١٣ (تنظيم نسج الثياب الشطوية وبيعها للقبط) ، آخر ٤٣٣ — ٤٣٤ (يصنع في كازرون في فارس . ينبغي أن نفهم فيما يبدو : « وكازرون . . . هي دمياط الأعاجم ، وذلك أن ثياب الكتان التي على عمل القصب ، وشبه الشطوى ، وان كانت من عطب ») ، ٤٤٣ (منطقة كازرون وتوز) . حول الشطوى ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٧٤ ، ولومبار ، المواد النسيجية ، مشار إليه ، ٥٠ . الدبيقي : اليعقوبي : آخر ٣٣٧ (تنيس) ، ٣٣٨ (دمياط) ، ابن حوقل : ١١٤ (الأندلس : يستعمل عندهم من الكتان ثياب لايقصر عن الدبيقي) ، المقدسي : ١٠٤ (يجلب من جزيرة العرب) ، ٤٤٣ (منطقة توز وكازرون في فارس) ، حدود العالم : ١٥١ (مناديل في مصر) . حول دبيق ودبيقي ، انظر ج . وايت ، م (٢) ، ج ٢ ، ٧٤ ، وم ج ع ، ج ٤ ، ٢٣٢ ، ولومبار ، المواد النسيجية ، مشار إليه ، ٥٠ ، آخر ٥٢ . القماش المسمى تونسي (من تونس : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٩٩) هي في الواقع من قومس (ابن حوقل : ٢٩٠) ومن قطن بلا شك : انظر الحاشية ٢٣١٦ .

(٢٣٠٦) ابن الفقيه : ٨٤ (مذكور للكتان في الحاشية ٢٩٩٧) .

(٢٣٠٧) لم يذكر القطن في مصر ، إذا لم أكن مخطئاً ، الا عند ابن حوقل : آخر ١٣٦ . أما بالنسبة إلى الأندلس ، فقد ذكر مرة واحدة في تقويم قرطبة ، ٦٢ — ٦٣

(٢٣٠٨) انظر ابن الفقيه : ٢٥٣ (من خصائص اقليم الجبل) ، ٢٥٤ (خصائص طبرستان والديلم وقزوين) ، ٣٢٠ (القطن اللين في مرو) ، ابن حوقل : ٧٤ (تونس) ، ٨٠ (يحمل من المغرب إلى افريقية) ، ٨١ (المغرب) ، ٨٥ — ٨٦ (الجزائر الشرقية) ، ٢١٣ (الجزيرة) ، ٣٠٢ (فارس) ، ٣٦٦ (ناحية اصفهان) ، ٤٣٦ (غاية في

اللين) ، ٤٥٠ (يجلب من كابل) ، ٤٥٢ (أنفس ثياب القطن في نيسابور ومرو) ، ٤٨١ (يرتفع من خوارزم إلى سائر الأنحاء) ، ٤٨٩ — ٤٩٠ (يرتفع من بخارى ما يحمل إلى العراق وسائر البقاع) ، ٥٢٠ (ما وراء النهر . يحمل منه إلى فارس والعراق وسائر النواحي) ، المقدسي : ١١٨ (البصرة) ، ١٤١ (حران ، يحمل منها) ، ١٤٥ (يحمل القطن من حران) ، ١٦٠ (حاشية ز : والحولة معدن الأقطان ، وبانياس) ، ١٨٠ (يرتفع من بيت المقدس) ، ١٨١ (يرتفع من حلب) ، ٣٢٤ (يرتفع من مرو) ، ٣٢٥ (يحمل القطن من الشاش إلى الترك) ، ٣٦٧ (قومس) ، ٣٩٥ آخرها (يحمل من الرى) ، ٤٠٢ (خوزستان) ، ٤٠٩ (تستر معدن كل حاذق في عمل . . . والقطن) ، ٤٥١ (في بحث الخراج في فارس) ، ٤٥٢ (في موازين فارس) ، حدود العالم : ١٠٢ — ١٠٥ (فيسابور ، هرات ، مرو ومدن أخرى من خراسان) ، ١١٠ (بست في سجستان) ، ١٢١ (خوارزم) ، ١٢٥ (بم في كرمان) ، ١٢٦ (فارس) ، ١٣٢ (الرى) ، ١٣٤ (آمل قرب بحر الخزر) ، ١٣٨ (بغداد) ، ١٣٩ (البصرة) ، ١٤٢ (اذربيجان) ، ١٤٣ (ارمينية واران) . حول القطن ، انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣، ٩٢ — ٩٤ ، ولومبار ، المواد النسيجية، مشار إليه ، ٦١ — ٧٩ (عن مصر : ٧٠ — ٧١) .

(٢٣٠٩) تذكر الثياب كثيراً ، والمناديل مذكورة عند المقدسي : ٣٦٧ ، وابن حوقل : ٤٨١ ، يذكر أمتعة كثيرة (ترجمة ، ص ٤٦٣ : نياب) ترتفع من ثياب القطن والصوف وتصل إلى الآفاق .

(٢٣١٠) جودة ، أنفس ، حسن ، رقيق ، لين : ابن الفقيه : ٣٢٠ ، ابن حوقل : ٤٣٦ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، المقدسي : ٤٠٢ . انظر أيضاً المقدسي : آخر ٤٣٣ (ذكر في الحاشية ٢٣٠٥)

(٢٣١١) ذكرت ألفاظ القطن والعطب والكرسف مترادفة عند المقدسي : آخر ٣٠ . ورد العطب عند ابن حوقل : آخر ١٣٦ ، والمقدسي : آخر ٤٣٣ . لايذكر الكرسف في النصوص الجغرافية الأخرى ، ان لم اكن مخطئاً (انظر لسان العرب ، لفظ كرسف أو كرسوف) أما الجمع أقطان فيدل فيما يبدو إما على حقول القطن (أقطان ، مزارع الأقطان ، معدن الأقطان : ابن حوقل : ٣٦٦ ، المقدسي : ١٦٠ وحاشية ز) ، واما نسيج القطن (المقدسي : ١١٨ (أقطان والبان) ، ١٤١) .

(٢٣١٢) طبعاً لابد أن نتحفظ بالنسبة إلى جميع الأسماء الغامضة ، كما فعلنا بالنسبة إلى

نسيج الحرير والصوف أو الكتان : فمطالعة معجم ألفاظ م ج ع . ج ٤ ، لاتجيب ، من هذه الناحية ، على كثير من التساؤلات ، على الرغم من ضلاعة الناشر . حول كرباس ، انظر ابن حوقل : ٤٩٠ ، المقدسي : ٦ (حاشية آ) و ١٠ (كرباسة) ، حدود العالم : ١١٠ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، لسان العرب : اللفظ ذاته ، لومبار ، المواد النسيجية ، مشار إليه ، ٦١ .

(٢٣١٣) من الفارسية : زن وبافته ، نوع من ثياب القطن (انظر ديميزون ، المعجم ، ج ١ ، ٢٣٩) ، المقدسى : ٢٣٤ ، م ح ع ، ج ٤ ، ٢٥٥ ، دوزى ، ملحق ١ ، ١٠٢

(٢٣١٤) من الفارسبة : بنبه بلاريب (قطن : انظر ديميزون ، معجم ، ج ١ ، ٤١٦) : المقدسي : ٣٢٤ و م ج ع ، ج ٤ ، ١٩٤

(٢٣١٥) من الفارسية : آريج (لون : انظر ديميزون ، ج ١ ، ٥٩) ، المقدسي : ٣٢٥ ، م ج ع ، ج ٤ ، ١٧٥ ، برتولد ، تركستان ، ٢٣٥ ، حاشية ٩ (يحيل إلى الثعالبي ، ١٢٩ الذي يقول إنه ثياب قطن) .

(٢٣١٦) المقدسي : ٣٦٧ (عن المناديل . ناحية قومس) . حول ملمع ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٥٠

(٢٣١٧) **قطع** قطن أو صوف (المناديل ، **المقارم** ، **غلف الكتب**) : ابن حوقل : ٣٤٥ ، ٤٥٠ (**ثياب مصنوعة من القطن واردة صراحة**) . **انظر الحاشية** ٢٢٩٩ . حول **أصل اللفظ** : لعله من سبنن اليونانية ، انظر لسان العرب ، **هذا اللفظ** . دوزي ، ملحق ١ ، ٦٣١ ، ولومبار ، المواد النسيجية ، مشار إليه ، ٥٤ ، ١٨٦ .

(٢٣١٨) ابن حوقل : ٤٥٠ (يجزم بدقة انها ثياب من قطن) ، المقدسي : ٤٤٢ (مناديل) . لاريب أن اللفظ مشتق من تراب (ومنه خمر وشراب العسل : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٧٢) : لون الخمر أو شراب العسل انظر دوزي ، ملحق ١ ، ٧٤٠ (ترابية) . مع ذلك ، لايجوز فيما يبدو ، أن نستبعد كلياً التفكير في الثياب الشهيرة المصنوعة من الكتان ، أي الشرب ، التي مرت معنا من قبل .

(٢٣١٩) حول البغدادي ، انظر ابن حوقل : ٢٩٩ (ثياب قطن قصيرة تلبس في فارس) . حول المروى ، انظر ابن حوقل : ٤٣٦ (حرفياً : « ومنها — اي مرو — يرتفع القطن الذي ينسب في سائر الأقطان إليها جودته وهو غاية في اللين ، والثياب التي تجهز منها إلى

كثير من البلاد ») ، المقدسي : ٤١٦ (ثياب مروية دون تدقيق فيما يختص بالقطن) ، ٤٧٠ (المرويات) . انظر م ج ع ، ج ٤ ، آخر ٣٥٣ — ٣٥٤ . دوزي ، ملحق ٢ ، ٥٨٥ (مع استشهاد على وجه التخصيص عن استعمال نعتي مروي ومروزي اللذين يحيلان على التوالي إلى الأشياء وإلى الأشخاص) .

(٢٣٢٠) ابن حوقل : ٤٩٠ . اختير لفظ كرابيس ، جمع كرباس (انظر ما تقدم) ، فثبت أن مادة نسج القماش هي القطن . وقيل من قبل إن الثياب تحمل إلى العراق (المرجع ذاته : ٤٨٩) في سياق الحديث عن ثياب قطن الطواويس ، وهي مدينة تابعة إلى بخارى مثلما ورد صراحة ، وهذا برهان ثان . أخيراً ، تكلم ابن حوقل عن الثياب البخارية ، وذكر أيضاً وجود البسط وثياب من الصوف في بخارى ، فميز هذه الأصناف عن الأصناف السابقة بمادة نسيجها ، وهذا برهان ثالث .

(٢٣٢١) وذارى أو يذارى حسب صورة اسم المدينة : وذارة أو ويذار : ابن حوقل : ٥٢٠ — ٥٢١ ، المقدسي : ٣٢٤ ، الثعالبي : ١٢٦ ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٨٠ ، ولومبار ، المواد النسيجية ، مشار إليه ، ٨٧

(٢٣٢٢) تكتفي النصوص الجغرافية بذكرها دون التدقيق باستعمالها : حول الحنة ، انظر الاحالات في الحاشية ٢٢٨٢ . ووردت الأصبغة على وجه العموم عند المقدسي : ٢٠٣ (مصر) و ٣٨٠ (ارمينية واذربيجان) . حول القرمز (الشجرة والحشرة) ، انظر ما تقدم ، الفصل ٥ ، ص ٣٣٤ — ٣٣٥

(٢٣٢٣) المقدسي : ٣٢٤ . يقال إنه من بلخ . ويذكر بالاسم الفارسي اسبرك ، الذي يعتبره ديميزون ، بهذا اللفظ وبسواه ، من المترادفات ، نباتاً يصبغ به اللون الأصفر ، ولا يمكن أن يكون الا الورس ، الذي سنتحدث عنه فيمابعد . الا أن الورس يمني ، ويحيل ديميزون أيضاً ، المرجع ذاته ، إلى كركم (زعفرانأو ورس : انظر المرجع ذاته ، ج ٣ ، ٦٦) الذي يرتبط بما نسميه بالفرنسية curcuma . الا أن الكركم يأتي من الهند (يسمى أيضاً زعفران الهند : انظر لومبار ،المواد النسيجية ، مشار إليه ، ١٣٥ ، حيث يشار على وجه التخصيص إلى الخلط بين الورس والكركم) . في النهاية أتساءل ما إذا كان المقصود هو في الواقع نبات صبغ آخر ، أعني بقلةالخطاطيف الكبيرة éclaire ou chélidoine أو العشب « الأصفر الجذور » (انظر ابن‌البيطار ، الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٦ ، ٤٤١ — ٤٤٢ ، ج ٣ ، ١٦٧) ، لكنيلاأستطيع أن أجزم لا في هذا الاتجاه ولا في ذاك .

(٢٣٢٤) اجمع الجغرافيون على أن الورس يمني : الجاحظ (ت) : ١٥٩ (ترجمة : curcuma : انظر الحاشية السابقة) ، ابن الفقيه : ٣٦ (« ولهم الورس وهو شيء يسقط على الشجر كالترنجبين ، المسعودي (م) : فقرة ٤٠٧ ، ابن حوقل : ٣٧ (وفيه ينبت الورس وهو نبات أحمر في معنى الزعفران ، ترجمة ، ص ٣٦ : curcuma) ، المقدسي : ٩٨ . حول الورس ، انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٥٢ (معجم الألفاظ : Flemminga rhodocarpa ومعجم النبات ، مشار إليه ، ٣٣٤ — ٣٣٧ ، ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ٤٠٩ — ٤١١ (Memecylon tinctorium (ابن الفقيه ، ترجمة ، مشار إليه · momecylon) : صبغ بالأصفر ، وبالأحمر وحتى بالأسود أيضاً) . لمبار ، المواد النسيجية ، مشار إليه ، ١٣٤ — ١٣٥ (Rottlera tinctoria البرية) .

(٢٣٢٥) البقم : ابن الفقيه : ٢٥١ (في الهند والسند) المقدسي : ٩٧ (يحمل إلى عمان من الهند والسند طبعاً) ، ٤٥٢ (في موازين فارس : يجلب هنا أيضاً) ، وجغرافية دار الاسلام البشرية ج ٢ ، ٩٨ ، حاشيه ٤ . حول البقم (caesalpnia sappan) انظر الدينوري ، كتاب النبات ، ٢٣ (معجم الألفاظ) ، ٥٢ ، ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢٤٥ ، ولومبار ، المواد النسيجية ، مشار إليه ، ١٢٩

(٢٣٢٦) العصفر : اليعقوبي : ٣٥٨ (وادي الشلف) ، ابن حوقل : ٧٤ (تونس) ، المقدسي : آخر ٤٤٢ (يحمل من فارس) ، ٤٥٢ (في نظام مكاييل فارس) ، تقويم قرطبة : ١٠٤ — ١٠٥ (الأندلس : قرطم ، حسب لسان العرب ، اللفظ ذاته . انظر الدينوري ، معجم النبات ، مشار إليه ، ٢٠٢ ، ابن البيطار ، ج ٣ ، آخر ٧٧ — ٧٩ ، هذا اللفظ يدل بدقة على حب العصفر) . حول العصفر والقرطم عامة — حب العصفر — انظر الدينوري ، مشار إليه ، ١٣٩ ، وابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٤٥١ ، ولومبار ، المواد النسيجية ، مشار إليه ، ١٢٨ — ١٢٩ .

(٢٣٢٧) الفوة ، بالفارسية ، روناس ، ردينة (رودن) ، روين : ابن الفقيه : ٢٩٧ ، ابن حوقل : ١٥٤ ، ٣٤٧ ، ٣٨٨ ، ٤٧٧ (ما وراء النهر : للسلطان فيها سهم ، وربما سعرت وصارت بأجمعها للسلطان) ، المقدسي : آخر ٣٢٦ ، ٣٦٢ ، آخر ٣٧٣ ، حدود العالم : ٦٠ ، ١٤٢ — ١٤٣ ، تقويم قرطبة : ١٤٤ — ١٤٥ (تدخل أهل الخراج في الأندلس) . حول الفوة ، انظر الدينوري ، معجم النبات ، مشار إليه ، ١٩٤ — ١٩٥ ، وابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ٤٧ — ٤٨ ، ولومبار ، المواد النسيجية ، مشار إليه ، ١٢٤ — ١٢٦

(٢٣٢٨) الزعفران (انظر ما تقدم في الحديث عن العطور ، الحاشية ٢٢٨٢) . يذكر هنا ، عندما يشار إلى استعماله في الصباغة (مباشرة أو بصورة غير مباشرة باللون) ، أو عندما لا يشار إلى أي من استعمالاته . انظر ابن خرداذبة : ٣٨ ، اليعقوبي : ٣٢٤ ، ابن رسته : ١٥٧ ، ابن الفقيه : ٢٣٥ — ٢٣٦ ، ٢٥٣ ، ٣٠٨ ، المسعودي (م) : فقرة ٤٠٧ ، ابن حوقل : ٣٧ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ١٨٥ ، ٣٤٠ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٨ ، ٤٦٥ ، ٤٧٧ ، المقدسي : ٣٣ ، ٩٧ ، ١٠٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٩ ، آخر ٣٢٦ ، ٣٨٠ ، ٣٨٤ ، آخر ٣٩٣ — ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٤٤٣ (وحاشيه يح) ، ٤٥٢ ، حدود العالم : ١١١ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٣١ — ١٣٣ ، تقويم قرطبة : ١٧٢ — ١٧٣ . حول الزعفران ، انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ١٩٤ ، ٢٠١ ، ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٢٠٨ — ٢١٠ ، ولومبار ، المواد النسيجية ، مشار إليه ، ١٣٠ — ١٣٤

(٢٣٢٩) نيل ، نيلج ، خطر ، يلتبس أحياناً مع العظلم (انظر ابن البيطار ، مشار إليه ،) : الجاحظ (ت) : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ابن الفقيه : ٣٦ ، ابن حوقل : آخر ١٨٤ — ١٨٥ ، ٣١٢ ، ٤٥٠ ، المقدسي : ٧ ، ٩٨ ، ١٧٥ ، ١٧٩ — ١٨١ ، ١٨٦ ، ٤٦٥ ، ٤٦٧ ، ٤٧٠ ، حدود العالم : ١٢٤ ، تقويم قرطبة : ١٣٢ — ١٣٣ (صباغ ، سماوي ، لومبار ، المواد النسيجية ، مشار إليه ، ١٣٩ ، في الواقع نيل بستاني) . انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٣٣ (معجم الألفاظ) ، ١٦٤ ، ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٣٧ ، ٤٥٦ ، ج ٣ ، ٣٨٤ — ٤٨٦ ، ٤١٣ — ٤١٤ ، ولمبار ، المواد النسيجية ، مشار إليه ، ١٣٩ — ١٤٣

(٢٣٣٠) انظر ما تقدم ، الفصل ٤ ، ص ٢٩٧

(٢٣٣١) معادن النيل : المقدسي ٤٦٧ .

(٢٣٣٢) مثلا هذه الجملة ، المأخوذة من المقدسي : ٤٣٩ ، في الكلام عن فارس : « الجبال أكثرها مشجرة ، والزريعة قليلة » (انظر أيضاً الحاشية ٢٣٣٣) . على النقيض ، عندما يصف المصنفون الجغرافيون أرضاً غنية مغطاة بالأشجار ، يقصد بداهة الأشجار المثمرة ، التي ينظر إليها نظرة شاملة من هذا النوع أو ذاك (مثال المقدسي ، ٤٨٠ ، في الحديث عن السند : « واشتبكت حولها أشجار الجوز واللوز ») . انظر أيضاً المقدسي : ٤٩٤ في الحديث عن مفازة فارس (« وثم واد فيه أشجار ونخيل بلا ساكن ») : ومن البديهي أنه أرض قديمة هجرت .

(٢٣٣٣) المقدسي : ٤٣٩ (ذكر في الحاشية ٢٠٨٧) . لايثمر فيها الأشجار : الثمار المقصودة هي التي يستهلكها الناس طبعاً . ويخطر في الذهن تأويلان : فاما أن الأشجار المثمرة غير موجودة (وتتوفر الأشجار البرية فقط) أو أن الأشجار المثمرة موجودة ولا تعطي محصولا .

(٢٣٣٤) حول انعدام أو ندرة الثمار أو الأشجار المثمرة ، انظر ابن حوقل : ٣٠ ، ٢٨٨ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٣٩ ، آخر ٤٤٠ ، ٤٤١ ، المقدسي : ٨٥ ، ٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢٣٣ ، ٢٥٨ (تمر الفواكه في بعض أنحاء فارس والعراق) ، ٣٠١ (حاشية ب) ، ٣٠٣ (حاشية د من ٣٠٢) ، ٣٠٧ ، ٣١٦ ، ٣١٩ (حاشية جـ) ، ٣٢١ ، ٣٢٢ (حاشية ز من ٣٢١) ، ٤١٠ ، ٤٢٢ ، ٤٣٧ ، ٤٨٠ ، ٤٨٤ .
لا يقال شيء عن مفازة فارس الكبرى ، كما لو كانت الأمور بديهية (انظر مع ذلك المقدسي : ٤٩٤ ، الحاشية ٢٣٣٢ ، في حين لا تشمل التحفظات بشأن جزيرة العرب على واحاتها وبواديها . أما ملاحظة المقدسي عن مصر ، فيناقضها كثيراً تدوينات أخرى ، عن البلد ذاته : المرجع ذاته : ١٩٧ ، آخر ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ — ٢٠٤

(٢٣٣٥) اليعقوبي : ٢٥١ ، ٢٦٣ ، ٣٣٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٧ ، آخر ٣٤٩ — ٣٥١ ، ٣٦٢ ، ابن رستة : ١٠٩ (ومن ثمارهم وعنبهم ما يدرك في السنة دفعتين أيضاً) ، ١١١ — ١١٣ ، ١١٦ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٧٠ ، ابن الفقيه : ٣٧ ، ١٢٠ ، ٢٣٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ابن حوقل : ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٦ — ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١١٥ ، ١٢٣ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٦٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٨١ (بها — ملطية — الثمار الصيفية والشتوية مباحة) ، ١٨٢ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥٤ ، ٢٦٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٨ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣١٠ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ (فواكههم كالباطل) ، ٣٣٨ ، ٣٤٧ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ (وهي من رغد العيش وكثرة الرخص) ، ٣٦٨ — ٣٧٠ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢ ، ٤٠٨ ، ٤٢٠ — ٤٢١ ، ٤٣٨ — ٤٤٠ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٨ — ٤٥٠ ، ٤٦٥ (أما فواكههم . . . رأيت من كثرتها ما يزيد على سائر الآفاق حتى ترعاها لكثرتها دوابهم) ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ (مباح ذلك كله — الثمار والزهور — لا مالك له ولا مانع منه) ، ٤٧٦ ، ٤٨١ ، آخر ٤٨٧ — ٤٨٨ ، ٤٩٢ ، ٤٩٤ ، ٤٩٨ — ٥٠١ ، ٥٠٩ ، ٥١١ ، المقدسي : ٣٣ (تصحيح الترجمة ، ص ٧٧ : « غابات ») — ٣٥ (وحاشية جـ ، د و ز) ، ٣٦ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٦ ،

٩٢ ، ٩٣ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٥٧ (ثمارها تفهة : انظر دوزي ، ملحق ١ ، ١٤٩) ، في دمشق) ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، آخر ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨٠ (حاشية بج) ، ١٨١ ، ١٨٦ ، ١٨٨ — ١٨٩ ، ١٩٧ (وحاشية ح) ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ — ٢٣٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ (حاشية هـ) ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ — ٢٧٩ (وحاشية آ) ، ٢٨١ (وحاشية ر) ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ (وحاشية د) — ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، آخر ٣٠٨ ، آخر ٣١٤ — ٣١٩ (وحاشية جـ) ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ (وحاشية آ) ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ (وحاشية يا) ، ٣٦٠ (حول صفة لطيف ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٤٩) ، ٣٦١ (حاشية كد : سمندر ، محسوبة في دار الاسلام . انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٢٦٤) ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ — ٣٧٨ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ — ٣٩٠ ، ٣٩٢ (حاشية آ) — ٣٩٤ (وحاسية يد) ، ٤٠٢ ، ٤٠٥ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١٦ ، ٤٢١ ، ٤٢٤ (ثمار دانية . حول دان ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٣٨) ، ٤٢٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ (لطيف . انظر ما تقدم) ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٣ ، ٤٤٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٧٠ (وحاشية ط) — ٤٧٢ ، ٤٧٤ (حاشية هـ) ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٩٤ ، حدود العالم : ١٠٥ ، ١٠٨ — ١١٠ ، ١١٢ ، ١٢٤ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٤٣ (الثمار الناضجة على الأقل بالمجان) ، ١٤٩ (الثمار بالمجان) ، ١٥٠ .

(٢٣٣٦) ابن الفقيه : ٢٥٣ (بلا تدقيق اضافي) ، ابن حوقل : ١٨١ (يذكر الثمار الشتوية والصيفية معاً دون أن يفرق بينهما) ، ٢٢٠ (بلا تدقيق اضافي) .

(٢٣٣٧) بلا تدقيق اضافي ، فيما عدا الجوز للفئة الثانية (المقدسي : ٢٣٠ ، ٤٣٧) . يميز المقدسي : ١٦٦ ، في بحث فلسطين ، فواكه الأغوار والسهل والجبال والأشياء المضادة (الأغوار : انهدام نهر الأردن — البحر الميت وأودية روافد نهر الأردن) .

(٢٣٣٨) انظر ما تقدم ، الفصل الرابع ، ص ٢٩٦ — ٢٩٧

(٢٣٣٩) موقف عام في الحقيقة : انظر فيما تقدم التوزيعات الأخرى .

(٢٣٤٠) أشرنا من قبل إلى هذه التوزيعات في الفصل الرابع ، ص ٣٠٣ — ٣٠٤ . حول هذه المواضيع ، وخاصة مواضيع ثمار « الأضداد » التي يحدد وجودها مناخاً متوسطاً .

انظر ابن حوقل : ٣٨ ، ٩١ ، ١٨١ ، ٢٢٠ (تصحيح الترجمة ، ص ٢١٤ : « جروم » إذ ورد في النص « صرود » . لاحظ بلا أدنى شك ان ما يدخل في هذه الفئة هو الجوز واللوز والرمان ، ثم الزيتون والاترج ، ٢٥٤ ، ٢٦٩ ، ٢٨١ ، ٣٢٠ ، (جرومية حارة ، ينمو فيها النخيل دون الأعناب والتفاح والجوز أو الكمثرى) ، آخر ٣٠٢ ، ٣٢٦ ، ٣٦٨ ، ٣٨٢ ، ٤٥٠ ، المقدسي : ٣٥ (حاشية ج) ، ١٥٧ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٧٩ — ذكر من قبل في الحديث عن النيل) ، ١٩٥ — ١٩٧ ، ٣٠٤ (قصبة جامعة الفاكهتين . يتضح المعنى من باقي النص : لينة الموائين ، أي البارد والحار — صرود وجروم) ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ (حاشية هـ) ، ٤٠٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٨ ، ٤٣٣ ، ٤٦١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٧٤ ، (حاشية هـ) ، ٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٤

(٢٣٤١) انظر ابن حوقل : ١٤٢ ، ٢٢٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٦٣ ، ٣٦٨ ، آخر ٤٢٠ — ٤٢١ ، ٤٣٩ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ ، المقدسي : ٧٩ ، ١٢٨ ، ١٤٥ ، آخر ١٧٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ ، ٢٣٩ ، ٣١٨ ، ٣٢٤ وما يليها ، ٤٦٥ ، ٤٧٠ (حاشية ط) ، ٤٨١ ، حدود العالم : ١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٣٩

(٢٣٤٢) سنلاقي في الحديث عن أنواع الثمار الخاصة ، أمثلة عن هذا التوزيع (أشير هنا في الكلام عن البستان ، إلى البطيخ الذي يقدد (حول معنى « يقدد » الدقيق ، انظر مايلي) ويحمل من مرو : ابن حوقل : ٤٣٦ ، إلى كثير من الآفاق على حد ما يقال لنا . وعلى وجه الاجمال يختص اللفظان اللذان يدلان على الثمار أحياناً (ثمار جمع ثمرة ، وفواكه جمع فاكهة) باداء معنى الثمار الرطبة والثمار الجافة (انظر الجاحظ (ت) : ١٦٠ ، والمقدسي : ٤٠٥ : فواكه وثمار جنباً إلى جنب تقريباً) . وأحياناً الفواكه اليابسة والرطبة : ابن حوقل : ٢١٧ ، ٣٤٧ (انظر أيضاً استعمال هذين النعتين في المحاصيل الزراعية عامة ، المرجع ذاته ، ٤٩٨) . وطوراً يؤخذ « عتيق » نقيضاً لطراءة وحديث : ابن حوقل : ٣٦٤ . وربما قيل إن الثمر الجاف مقدد (أي مقطع قطعاً لهذه الغاية) : المقدسي : ١٤٥ (مثالان أحدهما يفرق بين هذه الثمار والثمار الرطبة . انظر أيضاً المرجع ذاته ، حاشية يجـ ، مع مقددة : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٢٠) وفي بعض الأحيان ، يستعمل فعل « نشر » : المقدسي : آخر ١٧٢ (م ج ع ، ج ٤ ، ٣٦٣) . ونذكر أخيراً أن ابن رستة : ١٥٦ ، يقول في حديثه عن أصبهان إن ثمارها تبقى سنة « حتى يجمع فيها بين العتيق والجديد » (ويكرر ابن حوقل : ٣٦٤ ، موضوع العتيق والجديد بصيغة متباينة ، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل) .

(٢٣٤٣) شراب أشربة مشار ب : الجاحظ (ت) : ١٦٠ ، ابن حوقل : ٢٤٣ ، ٣٦٤ (ثلاثة أمثلة في سياق ابتهاج قد يدفع إلى التفكير بالمشروبات الكحولية نوعاً ما ، ويشير أحدها إلى أن هذه المستحضرات تصنع من العنب الرخيص جداً أصلا) . حدود العالم ، ١٣٨ . ووردت معاني أخرى في م ج ع ، ج ٤ ، ٢٧٢ . وحذار من الالتباس بين شرح جذر هذه الألفاظ وبين شرب الاسم الذي يدل إما على نوع من السمك يسمى ... أو على ثياب كتان (جمعه شروب) التي مرت معنا من قبل . وشرح لفظ دوشاب في م ج ع ، ج ٤ ، ٢٤٠ ، وقيل إنه شراب العسل . لكن انظر ديميزون ، معجم ، ج ١ ، ٩٣٩ (شراب عنب أو تمر) ، ودوزي ، ملحق ١ ، ٤٧٥ (شراب تمر ، تمر أو خمر تمر) . حول دوشاب ، انظر ابن الفقيه : ١٢٤ (الترجمة ، ص ١٥١ : دبس تمر) ، ابن حوقل : ٢٥٨ ، المقدسي : ٣٢٤ (من الزبيب) ، ٣٧٠ (تجهيز افروشه : انظر الحاشية ٢٢٩٠) ، ٤٤٢ (وحاشية و) ، ٤٤٣ ، ٤٥٩ ، ٤٧٠ (حاشية ط) . دبس (دوزي ، مشار إليه ، ٤٢٣ : mélasse) ، ورد أنه الدوشاب في م ج ع ، ج ٤ ، ٢٤٠ (حول معنى آخر ، انظر الحاشية ١٥٩٧ ، والحاشية ٢٢٥٢) : انظر المقدسي ١٨٠ (حاشية يج) ، ٤٢٥ ، ٤٤٢ .

(٢٣٤٤) الناطف (انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٦٤) : ابن حوقل : آخر ١٨٠ (ترجمة : ص ١٧٨ : nougat) ، المقدسي : آخر ١٨٣ — ١٨٤ (من الزبيب) ، ٣٧٦ ، ٤٧٠ (حاشية ط) . انقال (جمع نقل) : ابن حوقل : ٣٦٤ (الترجمة ، ص ٣٥٦ : مربيات) .

(٢٣٤٥) انظر ما تقدم ، الفصل ١ ، ص ٩١ — ٩٢

(٢٣٤٦) لم يرد ، إذا لم أكن مخطئاً ، الا مرة واحدة في الأندلس في تقويم قرطبة : ٨٨ — ٨٩ . انظر عدم وروده عند الدينوري والأسطر القليلة عنه عند ابن البيطار ، كتاب الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٣٥٢ ، ج ٣ ، ٦٥ — ٦٦ . ويستغرب هذا النقص ، لاسيما ان الكرز معروف في البلدان المتوسطية ، منذ العهد الهلنستي (انظر لومبار ، الاسلام ، مشار إليه ، ١٦٨ . انظر أيضاً : أوروا لادوري ، فلاحو لانغدوك ، مشار إليه ، ٦١) . لعل في ذلك آثار التوقي من هذه الثمرة ، الذي يعكس ابن البيطار صداه

(٢٣٤٧) السماق : ابن حوقل : ٢٢٠ (مع تصحيح الترجمة المذكور من قبل في الحاشية ٢٣٤٠) ، المقدسي : ١٤٥ ، ١٨١ .

(٢٣٤٨) انه السماق المعروف بسماق الدباغين (Rhus coriaria) : انظر م ج ع ،

ج ٤ ، ٢٦٤ ، وابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٢٨٠ – ٢٨٢ ، ٣٧٨ (صمغ) ، و ف . م . آبل ، الدليل الأزرق لسورية وفلسطين ، ٣٢ روماني (لتلوين الجلود بالأحمر) ، كوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ١٨٥ (أسود أو أصهب) ، ولومبار ، المؤاد النسيجية ، مشار إليه ، ١٤٤ (أسود) .

(٢٣٤٩) المقدسي : ٢٠٤ (تشبيه النبق بهذا الثمر ، بلا معلومات اضافية . حول النبق ، انظر فيما يلي) ، آخر ٣٥٧ . انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٣٧ (معجم الألفاظ) ، ٥٠ ، ١٤٠ ، ٢٠٥ ، ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ١١٥ – ١١٦ ، ج ٢ ، ١٥١ ، ٢١١ ، ٣٢٤ ، ٤٨٨ ، ج ٣ ، ٣٧٥ ، دوزي ، ملحق ١ ، ٥٩٢ ، ديميزون ، ج ٢ ، ١٠٧ ، غالب ، معجم ، ج ١ ، ٤٨٩ ، ج ٢ ، ٤٨٨ ، ج . ب . بيلو ، معجم فرنسي عربي ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ص ٤٤ و ٤٢٨ ، بيلا ، اللغة العربية الحية ، ٥٢٠ ، و هـ . ويهر ، Arabisches Worterbuch fur die Schriftsp rache der Gegewart ، لايبزيغ ، ١٩٥٨ ، ص ٣٤٢

(٢٣٥٠) المقدسي : ١٨١ (في لائحة تخلط كما شاء لها واضعها جميع أنواع النبات والثمار ، بلا ترتيب ظاهر) . حول اللفاح (الذي يدل على النبتة والجذر أو الثمر) ، انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٤٩ (معجم الألفاظ) ، ومعجم النبات ، مشار إليه ، ٢٥٩ ، وابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢٤١ ، ٣١٤ ، ج ٢ ، ٨٨ ، ٢٣٦ ، ٣٤٥ ، ج ٣ ، ٢٤٠ – ٢٤١ ، ٤١٩ – ٤٢٠ ، ودوزي ، ملحق ٢ ، ٥٤١ ، وغالب ، معجم ، ج ٢ ، ٤٢٣ ، وكوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ٣٠٠

(٢٣٥١) القراءة مشكوك فيها (روقال ، دوقال ، درقال : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٥٢) : الاصطخري : ١٠٩ ناشر دي خويه ، ١٨٢ ، حاشية يج) وابن حوقل : ٣٣٨ (غبيراء : Sorbier ترجمت ، ص ٣٣١ بـ « cormes ») ، المقدسي : ٣٨٠ (وحاشية ز) ، وكوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ٢٣٨

(٢٣٥٢) حول المفعول الممنق ومؤنثه الذي أصبح يعني السفرجل وحده ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٠٦ ، حول السفرجل أو الممنقة ، انظر الجاحظ (ت) : ١٦٠ ، ابن رسته : ١١١ ، ١٥٦ ، ابن حوقل : ٧٧ ، آخر ٨٥ – ٨٦ ، ٩٠ (ممنق فراسي ، فراسي غامضة بالنسبة لي ، لعله فراشي من فراش طبقة وحل أو غبار رقيقة) ، ٣٦٤ ، المقدسي : ٧ ، ١٤٥ ، ١٦٦ ، ١٨١ ، ٢٢٧ ، آخر ٣١٦ ، ٤٤٣ (حول نادر ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٦٢) . انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ١٠٧ – ١٠٨ ، ٢٥٦

(٢٣٥٣) المقدسي : ١٨١ (حاشية و) .

(٢٣٥٤) في المغرب : انجاص أو اجاص ، ويدل هذا اللفظ في المشرق على الخوخ Prune : انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٢٠ (معجم الألفاظ) . ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٣٢ ، دوزي ، ملحق ١ ، ١٠ – ١١ . حول الاجاص Poire ، انظر الجاحظ (ت) : ١٦٠ ، ابن رسته ١١١ ، ١٥٦ ، ابن الفقيه : ١٣٢ ، آخر ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ابن حوقل : ٦٩ ، ٣٢٠ ، ٣٦٤ ، المقدسي : ٤٠٩ (حاشية ط) . انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٤٩ (معجم الألفاظ) ، ومعجم النبات ، مشار إليه ، ٢٤٧ ، وابن البيطار ، مشار إليه ، ١٨٩ – ١٩٢ .

(٢٣٥٥) حول الانجاص أو الاجاص (: Prune ، انظر الحاشية السابقة) . انظر ابن رسته : ١١١ ، المقدسي : ٧ ، ١٨١ ، ٢٢٤ ، ٣٠٧ ، ٤٠٢ ، ٤٤٣ . حول نوع العمرى ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٧٧(لفظ اجاص) ، حول كافوري (انجاص الكافوري ، مع حذف ال التعريف من اللفظ الأول : حول هذه الصيغة ، انظر ورايت ، الصرف والنحو العربي ، الطبعة الخامسة ، كمبريدج ، ج ٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٢٣٢ – ٢٣٤ . لعل المقصود أيضاً « اجاص كافور » ، نسبة إلى اسم مؤسس السلالة الاخشيدية في مصر ، لكن ان صح ذلك فتلك تسمية حديثة ، لأن تأسيس السلالة تم عام ٣٢٣ هـ/٩٣٥ م ، أي حوالي ٥٠ سنة تقريباً قبل أن يؤلف المقدسي كتابه الذي يذكرها فيه) . انظر م ج ع ، مشار إليه ، حول « طرى » انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٩٠ ، ودوزى ، ملحق ٢ ، ٤٣ . حول عيون ، جمع عين (ويبدو انه تعبير مغربي ومختصر عيون البقر) . انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢٩ ، ١٣١ ، ج ٢ ، ٤٨٨ ، و م ج ع ، ج ٤ ، ٣٠٧ ، ودوزي ، ملحق ٢ ، ١٩٧ . حول الاجاص عامة ، انظر أيضاً الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٢٠ ، (معجم الألفاظ) ، ٤١ ، ٤٥ ، ١٣٣ ، وابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢٩ – ٣٢ .

(٢٣٥٦) مشمش أو مشمش (انظر لسان العرب ، هذا اللفظ) . حول الاستعمالات القديمة والحديثة لهذا اللفظ وللفظ برقوق ، انظر لوكلير في ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢١٦ ، ودوزي ، ملحق ١ ، ٧٥ . ويرى المصنفون الجغرافيون في المشرق أن اللفظين مترادفان (انظر ابن رسته : ١١١ (اليمن) : البرقوق وهو المشمش) ، ويستعمل المقدسي المشمش ، الا في ص ٢٣٩ التي يستخدم فيها برقوق في حديثه عن افريقية ، بلا ريب إشارة إلى العرف المحلي (حول هذا الاستعمال ، انظر المرجع ذاته . ٣٢) ، حول

المشمش ، انظر ابن رستة ، مشار إليه ، والمقدسي : ٧ ، ٢٠٧ ، ٣١٧ ، ٤٨٢ وما أشير إليه ، الدينوري ، كتاب النبات ، ٥٠ (معجم الألفاظ) ، ابن البيطار ، مشار إليه ، ح ١ ، ٢١٥ ، ج ٣ ، ٣٢١ — ٣٢٢

(٢٣٥٧) هذا الاسم غامض بالنسبة الي . كنت طرحت من قبل فرضية (المقدسي ، ترجمة ، ص ٢١ ، حاشية ٣٦) تحوير في عسقلاني (من عسقلان) وعسقلان وغزة عروسا الدنيا (ابن الفقيه : ١٢٣) وتشتهر عسقلان بما تنتجه من ثمار . لكن ، لابد من افتراض تحريف هائل للحصول على عصلوني من عسقلاني ، فلا نتحدث عنه ، الا أننا لانفهم كيف أن المقدسي لا يقول شيئاً عن هذه الثمرة لا في وضع خصائص الشام (المقدسي : ١٨٠ — ١٨١) أو في وصف عسقلان (المرجع ذاته : ١٧٤) .

(٢٣٥٨) الفارسية : فرسك : انظر الجاحظ (ت) : ١٦٠ (ترجمة : خوخ prune) ، ابن رستة : ١١١ (اليمن : الفرسك وهو الخوخ) ، ابن الفقيه : ١٢٦ ، ابن حوقل : ٦٩ (الخوخ الفرسك) ، آخر ، ٣٢ (تشبيه الانبج بالخوخ) ، المقدسي : ٧ (خوخ مكة ، تدوين مذهل ، نظراً لفقر هذه المدينة بالموارد : انظر ما تقدم ، ص ٤٣٧) ، المرجع ذاته (نوع مذكور بلا تدقيق اضافي : الدراقي . أكرر هنا مع اضافة بعض التدقيقات الاضافية ، ما كتبته في ترجمة المقدسي ، ص ٢١ ، حاشية : ٣٨ : يمكن أن يكون الأمر (١) تحريفاً لدراق أو دراقن ، وهو اسمه في اقليم الشام (انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٣٤ (معجم الألفاظ) ، ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٨٦ ، دوزي ، ملحق ، ١ ، ٤٣٥) ، (٢) أو يكون صفة تألفت (مع احتمال تحويل الكاف إلى قاف) من دارك ، داركان ، دارقان : حول هذا الاسم ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، الفهرس ، وشوارز ، ايران ، ج ٥ ، ٦٣٧ ، ولوسترانج الخلافة الشرقية ، ٢٨٩ ، ٣٤٠ (يصحح دراك إلى دراق) ، ديميزون ، معجم ، ج ١ ، ٨٥٣ ، (٣) أو يكون نقل عن اليونانية دريكوس ، من داريوس) ، ٣٩٠ (قاشاد معدن الصيد) ، ٣٩٦ ، ٤٨٢ (وصف الانبج) . حول الدراق ، انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٣٣ (معجم الألفاظ) ، وابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٦٢ ، ١١٩ ، ودوزي ، ملحق ، ١ ، ٤١٠ — ٤١١ .

(٢٣٥٩) العناب : الجاحظ (ت) : آخر ١٥٩ ، ابن حوقل : ١٥٤ ، المقدسي : ١٤١ (شجرتا عناب في باحة الجامع) ، ١٨١ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ (حاشية ز من ٣٢١ : العناب الدون . حول دون ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٤٠) ، ٣٢٥ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ ،

٣٦٧ . لعل هذا الاهتمام مرده إلى الخصائص الطبية : انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٤٧٨ — ٤٨٠ . حول العناب ، انظر أيضاً الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٤٥ (معجم الألفاظ) .

(٢٣٦٠) النبق ، النبق ، نبق أو نبق (انظر هذا اللفظ في اللسان) : انظر ابن حوقل : ٣٨ ، المقدسي : ١٦١ (طبرية ، يلوك اهلها النبق . حول قصب السكر ، انظر ما تقدم ص ٤٠٨) ، ١٨١ ، ٢٠٤ (وحاشية ج) ، ٣٠٤ ، ٤٢٤ ، ٤٨٩ . انظر لسان العرب لفظ سدر . الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٣٨ و ٥١ (معجم الألفاظ) ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٢٣٨ — ٢٣٩ ، ج ٣ ، ٣٦٥ ، م ج ع ، ج ٤ ، ٣٥٩ ، دوزي ، ملحق ١ ، ٦٤١ ، ج ٢ ، ٦٣٧ ، غالب ، معجم ، ج ١ ، ٥٢٧ ، مورو ، النبات ، مشار إليه ، آخر ١٠٢٥ (Paliurus s pina christi) ، وسور ، أسس الجغرافية البشرية ، مشار إليه ، ج ١ ، ١٤٣ .

(٢٣٦١) أو زعرور : انظر ما تقدم .

(٢٣٦٢) اترجم المقدسي : ٢٠٤ (حاشية ج) على هذا النحو : كالقلال ، حرفياً : كالجرار .

(٢٣٦٣) توت ، توث ، توذ : ابن حوقل : ٣٣٨ ، المقدسي : ١٤١ (شجرة توت في باحة الجامع) ، ٢٣٥ (الأندلس) ، ٤٦٣ ، ٤٩٤ (حاشية يط من ٤٩٣ ، حصن ما عند الخرب في مفارة فارس : « وثم أشجار توت وحبائك قليلة (حبائك : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢١٢) تزرع ») ، حدود العالم : ١٤٣ . حول حب التوت والتوت ، انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٧١ ، ١٣٣ ، ١٦٧ ، ومعجم النبات ، مشار إليه ، ١٨٥ لفظ « فرصاد ») يحتفظ ابن البيطار ، والجغرافيون ، بلفظ توت لشجر توت دودة القز ولحبها ، وبتعبير توث وحشي (مرادف علبق) للعوسج ronce : انظر مؤلفه المشار إليه ، ج ١ ، ٣٢٠ — ٣٢١ ، ج ٣ ، ٣٣ (فرصاد لحب التوت على الأخص) . يميل ب . ليوين ، في الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٢٥ (معجم الألفاظ ، ٢٥ (معجم الألفاظ) إلى شجرة التوت السوداء ، المفضل حبها ، والتي يربى عليها أيضاً دود القز (انظر ف . م . آبل ، الدليل الأزرق لسورية وفلسطين ، ٣١ رومانيي ، وكوتيير ، عالم الأحياء ، ح ٥ ، ٦١) : لا تسمح نصوص الجغرافيين بالتفريق بين النوعين . حول انتشار الحرير (وشجر التوت الأبيض الذي يحل محل الأسود) انظر لومبار ، المواد النسيجية ، مشار إليه ، ٧٩ وما يليها .

(٢٣٦٤) الجميز : ابن رستة : آخر ١١٦ (من أشجار مصر مع الموز والنخيل) ، ابن حوقل : ١٧٢ ، المقدسي : ٤٤ (تلميح إلى جميز عسقلان السبيل ، انظر الترجمة ، ص ١١٢ ، حاشية ١٥) ، ١٧٤ ، ١٨١ ، ٢٠٤ (وحاشية جـ) . حول معنى بطن (محصول ، قطاف) ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، آخر ١٩٠ ، ودوزي ، ملحق ١ ، ٩٧) ، ٣٦٨ ، (في الكلام عن سمك جرجان العظيم الذي ذكر في الحاشية ٢٠٠٠) . حول الجميز ، انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٧٠ ، ٨٩ ، وابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٣٦٣ — ٣٦٦ ، وكوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ٦٣ .

(٢٣٦٥) تين : الجاحظ (ت) : ١٦٠ ، ابن الفقيه : ١٢٠ ، ١٢٦ ، ابن رستة : ١١١ ، ابن حوقل : ٧٦ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١١٥ ، ١٧٢ ، ١٧٨ ، ٢٢٥ ، ٢٤٦ ، ٢٨٣ ، ٣٣٨ ، ٣٦٨ ، ٣٨٢ ، المقدسي : ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ٢٠٤ (وحاشية جـ) ، ٢١٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٥٩ ، ٣١٨ ، ٣٢٤ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ — ٣٥٩ ، ٣٦٧ ، ٣٨٠ ، ٣٨٤ ، ٤٢١ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٩ ، ٤٣٣ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، حدود العالم : ١٣٩ واحالات الحواشي التالية . حول التين ، انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٢١١ (فهرس) وابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢٦٨ ، ٣٢٦ — ٣٢٧ .

(٢٣٦٦) المقدسي : ١٩٣ (الاتيان غالية في مصر) . الجمع اتيان (انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٩٩) كما في المرجع ذاته ، ٢٥٩) ، ٢٢٥ (التين رخيص في القيروان مع تحديد سعره بدقة) ، آخر ٣٥٧ — ٣٥٨ (أنحاء جنوب شرق بحر الخزر : بها تين وزعرور ورمان ، بلا منع ولا طرد ولا دفع أثمان) .

(٢٣٦٧) ابن حوقل : ١٨٤ (المغرب) . حول جنس التين ، انظر كوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ٦٢ (مع احالة بالنسبة إلى بلد القبائل ، إلى أعمال تلقيح التين : فالذكار تعلق في وسط أشجار التين الأنثى مذكورة عند ابن حوقل) .

(٢٣٦٨) الدمشقي : المقدسي : ٧ ، ١٧٦ ، ١٨١ ، السباعي (كبير هائل ، في وصف الابل والانسان أيضاً الا أن التشكيل مشكوك فيه) : المقدسي : ١٨١ ، تمرى : المقدسي : ١٨١ ، الحماء ، ترد صفة — والتين حماء — في الحقيقة (في نص حرج) لا اسما لنوع : المقدسي : ٣٥٨ حول معنى حماء ، انظر لين ، معجم ، ج ١ ، ٦٣٨) . قطين (من اليونانية كوتانون) : المقدسي : ١٨٠ ، ١٨١ (يذكر ثلاث مرات ، الثالثة بآخر الصفحة تثبت صغر الثمرة ،ويباع بمكاييل الزبيب ذاتها) ، ٢٥٥ ، م ج ع ، ج ٤ ، ٣٣١ .

(٢٣٦٩) خرنوب أو خروب (شجرة وثمرة) ، قبيط (معجون) ، عسل (شراب . حول معاني اللفظ ، أنظر دوزي ، ملحق ٢ ، ١٢٨) : المقدسي : ١٤٥ (وحاشية يه : قبيط العسل يحمل من الجزيرة (حران) ، ١٨٠ (يرتفع الخرنوب من فلسطين) ، ١٨١ (س ٩ و س ١٢ — ١٣ : فلسطين) ، آخر ١٨٣ — ١٨٤ (صنع القبيط) ، ١٩٧ (نواحي الاسكندرية) ، ٣٥٣ (الديلم) ، ٤٢٠ (فارس) ، ٤٢٤ (سابور في فارس) ، ٤٣٣ (بشهرستان قصبة سابور ، خرنوب غريب) . حول شجرة الخرنوب والقبيط ، انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٣١ (معجم الألفاظ) ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ابن البيطار ، كتاب الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ٢ ، ١٦ — ١٧ ، م ج ع ، ج ٤ ، ٣٢٠ ، كوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ٢٠٩ — ٢١٠ . حول معاني أخرى للفظ خرنوب (أو خروب) ، انظر الدينوري ، معجم الألفاظ المذكور ، وابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ١٧ ، م ج ع ، ج ٤ ، ٣٢٧ (لفظ قدم) .

(٢٣٧٠) ريباس : ابن الفقيه : ٢٣٥ (الجبال ، يتداوون به بلا تدقيق اضافي) ، المقدسي : ٧ ، ٣١٧ ، ٣٢٦ (وحاشية هـ : يجب أخذ لفظ كلاء هنا بمعنى نبات بري ، مثلما لاحظ ذلك بحق ج . بلدشينو ، مشار إليه (أطروحة) ، ١٥١ ، حاشية ٩٦ . حول موطن الريباس ، انظر كوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ٢٤١ — ٢٤٢) ، ٤٢٠ (فارس) . حول الريباس واستعمالاته الطبية ، انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ١٩٠ ، م ج ع ، ج ٤ ، ٢٥٢ ، وكوتيير ، مشار إليه (من أجل الكشمشة السوداء cassis: Ribes nigrum) .

(٢٣٧١) الرمان ، حب الرمان ، لب الرمان : حول هذه التسميات ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢١١ و ٣٤٧ . حول الرمان ، انظر الجاحظ (ت) : آخر ١٥٩ — ١٦٠ ، ابن رسته : ١١١ ، ١٥٦ ، ابن الفقيه : ٢٣٦ ، ابن حوقل : ٣٨ ، ١٨١ ، ٢٢٠ (يتحدث النص عن الرمان الكبير المجفف حبه ، الدائم إلى العراق والنواحي جهازه وحمله (حول لفظ جهزه ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٠٩) . ترجمة وايت ، ص ٢١٤ (« رمان حبه مغلف دوماً ») تحتاج إلى تصحيح ودقة : فمن جهة أولى لفظ « دائم » يتعلق حتماً فيما يبدو بتجارة هذه الثمرة ، مع تركيب مماثل فيما يلي : المجفف حبه . . . الدائم جهازه وحمله ، ومن جهة ثانية لاريب أن المفعول مجفف يحيل إلى تقسيم الثمرة الداخلي ، مع « احاطة » كل حبة بلبها . حول هذا المعنى ، انظر دوزي ، ملحق ١ ، ٢٠٠ ، لفظ « تجفاف » ، ودينيزو ، معجم ، ج ٣ ، ١٥٧٧ — ١٥٧٨ ، لفظ « مجفف » : مصفح ،

مجالس – خطاء) ، ٣٠٣ – ٣٠٤ ، آخر ٣٢٤ ، ٣٦٤ ، ٣٦٨ ، المقدسي : ٧٩ ، ١٤٥ ، ٢٣١ ، ٣١٩ (حاشية ج) ، ٣٢٤ ، ٣٥٧ – ٣٥٨ ، ٤٠٢ ، ٤٠٩ (حاشية ط) ، ٤٣٦ ، حدود العالم : ١١٥ . انظر أيضاً الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٢٥ ، ٢٠٠ ، وابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٣٧٥ ، ج ٢ ، ١٧٨ ، ١٨٠ – ١٨٤ ، وكوتيير ، عالم الاحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ٢٤٦ – ٢٤٧ .

(٢٣٧٢) قضم قريش : المقدسي : ١٨٠ ، ١٨١ (س ٤ ، ٧ ، والحاشية ، التي تذكر ثمر الصنوبر) . انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ٩٢ ، ١١٠ ، ١٦٧ – ١٦٨ (مع تسميات أخرى : قمل قريش ، قم قريش ، قظم قريش ، كركر) ، دوزي ، ملحق ٢ ، ٣٦١ ، و م ج ع ، ٣٢٧ (مع تسميات أخرى يدخل فيها لفظ خرنوب : انظر الحاشية ٢٣٦٩) .

(٢٣٧٣) فستق : الجاحظ (ت) : ١٦٠ (فارس) ، ابن رستة : ١١١ (اليمن) ، ١٦٥ (كردستان فارس) ، ١٦٨ (فارس) ، ابن حوقل : ١٧٨ وآخر ١٨٠ (اقليم الشام الشمالي ولاسيما منبج) ، ٣٧٠ (فارس) ، ٤٧٤ (اقليم ما وراء النهر) ، المقدسي : ٢٣٩ (يحمل من افريقية) ، ٣٢٤ (يجلب من نواحي هرات وبلخ) . انظر الدينوري . معجم النبات ، مشار إليه ، ١٨٧ ، وابن البيطار ، ج ٢ ، ١٢٠ ، ج ٣ ، ٣٤ .

(٢٣٧٤) بندق : ابن حوقل : ٢٢٥ ، ٣٣٨ ، ٣٧٠ ، المقدسي : ٣٢٥ (س ٣ و ١٤) ، حدود العالم : ٣٢ انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٢٤ (معجم الألفاظ) ، وابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢٧٣ – ٢٧٤ .

(٢٣٧٥) لوز : ابن رستة : ١١١ (اليمن) ، ابن الفقيه : ٢٣٦ (فارس) ، ابن حوقل : ٩١ (جنوب المغرب) ، ٩٣ (الجزائر الشرقية) ، ١٨١ (حدود آسية الصغرى) ، ٢٢٠ و ٢٢٥ (الجزيرة) ، ٣٣٦ (اذربيجان) ، ٤٤٣ (خراسان) ، المقدسي : ١٤٥ (يرتفع من الجزيرة) ، ١٦٦ (بيت المقدس) ، ١٧٨ (نواحي البحيرة الميتة الشرقية) ، ١٨١ (فلسطين) ، ١٩٧ (مصر السفلى) ، ٢٢٧ (تونس) ، ٢٣٩ (يرتفع من افريقية) ، ٣٢٤ (يجلب من بلخ) ، ٤٢٠ (فارس) ، ٤٢٤ (سابور في فارس) ، ٤٥٢ (في مكاييل فارس) ، ٤٨٠ (السند) ، ٤٩ (إشارة إلى شكل الأحجار) . حول اللوز ، انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ١١٨ ، ٣٧٨ ، ج ٣ ، ٢٤٣ – ٢٤٤ .

(٢٣٧٦) المقدسي : ١٨٠ (يرتفع قلوب اللوز من مآب في الأردن) ، ٣٩٣ (بوستة

التابعة لهمذان والروذة معادن اللوز ومن القلوب فيهما بأربعة ده انق) . حول قلب اللوز ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٣٢ ، ودوزي ، ملحق ٢ ، ٣٨٩ .

(٢٣٧٧) المقدسي : ١٤٥ (يرتفع من سنجار في الجزيرة فرك اللوز) . حول فرك اللوز ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣١٦ ، دوزي ، ملحق ٢ ، ٢٦١ . .

(٢٣٧٨) ذكر المقدسي : ١٨٨ ، اللوز المر في نص يعبر عن العيش القشف والقاسي ، حول لفظ « ارزن » (المقدسي : ٤٤٣) الذي يدل على اللوز البري الجبلي ، الهامشي بالنسبة إلى الغذاء ، لكن الجيد الخشب بالمقابل ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٧٨ .

(٢٣٧٩) الجوز : ابن رستة : ١١١ (اليمن) ، ابن الفقيه : ٢٠٠ (فارس) ، ٢٣٦ (فارس) ، ابن حوقل : ٩١ (جنوب المغرب) ، ٩٣ (الجزائر الشرقية) ، آخر ١٨٠ (في اقليم الشام الشمالي – منبج – حيث يدخل الموز في صنع ناطف الزبيب المعمول بالجوز والفستق والسمسم) ، ١٨١ (على حدود الأناضول – ملطية – جبال كثيرة بها مباح الجوز واللوز والكروم والرمان وسائر الثمار الشتوية والصيفية ، وهي مباحة لا مالك لها) ، ٢٢٠ و ٢٢٥ (الجزيرة) ، ٢٥٤ (لا جوز في خوزستان) ، ٢٦٩ ، ٢٨١ و ٢٨٨ (فارس) ، ٣٢٠ (لا جوز في السند ، لكن انظر مايلي المقدسي : ٤٨٠) ، ٣٣٥ – ٣٣٦ (اذربيجان – في مدن صغار – فواكههم كالمجان ومنها الجوز) ، ٣٦٨ (فارس) ، ٤٤٣ (خراسان) ، ٤٧٤ (في جبال ما وراء النهر الممتدة بين فرغانة وبلاد الأتراك ، الجوز مباح . تصحح الترجمة ، ص ٤٥٦ : يقول النص العربي صراحة : إن الأعناب والجوز والتفاح وسائر الفواكه مع الورد والبنفسج وأنواع الرياحين ، مباح ذلك كله ، لا مالك له ولا مانع عنه) ، ٤٨١ (لا أشجار جوز في خوارزم) ، آخر ٤٨٧ (لا أشجار جوز في نواحي بخارى) ، المقدسي : ٣٥ (حاشية ، بيت المقدس) ، ١٤٥ (يرتفع الجوز من الجزيرة) ، ١٦٦ (بيت المقدس) ، ١٨١ (يرتفع الجوز من دمشق ، المرجع ذاته : من فلسطين أيضاً) ، ٢٣٠ (الجزائر الشرقية) ، ٢٧١ (فرغانة مع تحديد الأسعار) ، ٢٧٩ (السغد) ، ٣٢٤ – ٣٢٥ (يرتفع الجوز من نواحي بلخ وسمرقند) ، ٣٨٤ ، ٣٨٩ – ٣٩٠ ، ٣٩٢ (حاشية آ) و ٣٩٤ (حاشية يد) (فارس) ، ٤٢٠ و ٤٢٤ (فارس) ، ٤٣٧ (جبال فارس) ، ٤٤٣ (الجوز يرتفع من سابور في فارس) ، ٤٥٩ ، ٤٦٣ و ٤٦٦ (كرمان) ، ٤٨٠ (ويهند ، في السند ، لها بساتين مذكورة في آخر ص ٤٧٩ ، غنية إلى أقصى حد وتشتبك حولها أشجار الجوز . .) ، ٤٨٩ (زادهم شيء مثل الجوز يتخذ من النبق) . حول شجرة الجوز وثمارها) ، انظر

الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٢١٢ (الفهرس) ، وابن البيطار ، كتاب الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ١ ، ٣٧٦ — ٣٧٨ .

(٢٣٨٠) ابن حوقل : آخر ٤٨٧ : لذلك لا تثبت الأشجار العالية فيها مثل الدلب والجوز وما أشبهها : فالظاهرة صفة عامة خاصة بهذا النوع من الأشجار في رأيه .

(٢٣٨١) ابن الفقيه : ٢٠٠ .

(٢٣٨٢) المقدسي : ٤٤٣ (انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، آخر ٣٥٧) . يذكر هذا الدهن إلى جانب دهن البادرنك (انظر الحاشية ٢٢٤٤) .

(٢٣٨٣) انظر سوفاجيه ، أخبار الصين والهند : فقرة ٢٢ ، حاشية ٥ والترجمات التي نشير إليها في الحواشي التالية .

(٢٣٨٤) حول الاترج ، انظر الجاحظ (ت) : ١٦٠ ابن الفقيه : ٦٧ ، ٢٠٥ ، ابن رستة : ١١١ (ترجمة ، ص ١٢٥ : citrons) ، ابن حوقل : ٩١ (ترجمة ، ص ٨٩ limons) ، ٩٤ (الترجمة ، ذاتها : ص ٩٢) ، ٢٢٠ (الترجمة ذاتها ص ٢١٤) ، ٢٥٦ ، ترجمة ، ص ٢٥٤ : citrons) ، ٢٦٩ (الترجمة ذاتها ، ٢٦٥) ، ٢٨١ (الترجمة ذاتها ، ص ٢٧٧) ، ٣٨٢ (الترجمة ذاتها ، ص ٣٧٣) ، ٤٥١ (ترجمة ، ص ٤٣٦ : cédrats) المقدسي : ١٥٨ (ترنجة ، لوصف شكل زخرفة في الجامع الأموي بدمشق — وعلى رأس القبة ترنجة فوقها رمانة كلاهما ذهب — : انظر سوفاجيه ، مشار إليه ، الذي يقترح لفظ citron) ، ١٦٦ ، ١٨١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ (النارنج orange مذكور مع الاترنج) ، ٤٠٢ ، ٤٠٥ ، ٤٠٩ (حاشية ز) ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٤ ، ٤٣٣ ، ٤٤٣ ، حدود العالم : ١٣٥ (ترجمة citrons) . انظر أيضاً الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٤٠ ، ٤٢ ، ابن البيطار (مع ترجمة citron) مشار إليه ، ج ١ ، ٢١ — ٢٥ ، ج ٢ ، ١٢٤ — ١٢٦ .

(٢٣٨٥) ذكي ، شمام : ابن حوقل : ٢٥٦ ، حدود العالم : ١٣٠ (ترجمة : fragrant citrons) ، و م ج ع ، ج ٤ ، ٢٤٢ ، آخر ٢٧٦ — ٢٧٧ ، حدود العالم : ١٣١ (يتحدث أيضاً عن ترنج — اي — دستنبويه (الترجمة ذاتها) ، حول اللفظ الثاني ، انظر الحاشية ٢٢٠٦ .

(٢٣٨٦) المسعودي (م) : فقرة ٨٤٠ . انظر كوتيير ، عالم الاحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ١٨٢ ولومبار ، الاسلام ، مشار إليه ، آخر ١٦٧ .

(٢٣٨٧) أتدعو الحاجة حقاً إلى تحديد اللون بدقة ، لو كان الموضوع يتعلق بثمر معروف مثل الاترنج حول هذا المقطع (حدود : ١٥٠ . قراءة أخرى محتملة عوضاً عن ترنج : ترنج أي أرز) انظر مينورسكي (المرجع ذاته : ٤١٥) الذي يحيل إلى المقدسي ، ١٨١ (وحاشية آ) ، دائماً في كلامه عن دمشق حيث يحتمل أن تدل « الصفريات » اما على الأواني النحاسية (صفريات في م ج ع ، ج ٤ ، ٢٨١) ، أو على ليمون أصفر (مصفريات) . إلا أن المقدسي يستعمل كثيراً لفظ ليمون ليدل على هذه الثمار ، كما سوف نقول فيما بعد .

(٢٣٨٨) الاصطخري : ١٠٣ ، ابن حوقل : آخر ٣٢٠ (تصحح الترجمة ، ص ٣٠٤ ، ويقرأ « حامضة » عوضاً عن « مرة ») ، المقدسي : ٧ ، ٤٢٥ ، ٤٨٢ : يؤكد المصنفون الثلاثة على شدة حموضة هذه الثمرة ، ويقول المصنفان الأولان إنها على قدر التفاح ، والثالث إنها مثل المشمش (لابدمن تدقيق الترجمة « analogue àla pomme » بهذا المعنى) . انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٥١ ، وابن البيطار ، الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ٣ ، ٢٥٥ – ٣٦٢ (limon) .

(٢٣٨٩) حدود العالم : ١٠٨ (ترجمة : sour oranges) ليمون حامض مشار إليه أيضاً في المرجع ذاته ، ١٣٥ (سواحل بحر الخزر) .

(٢٣٩٠) انظر كوتيير ، عالم الاحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، آخر ١٧٩ – ١٨٠ . بلانهول ، الأسس الجغرافية ، مشار إليه ، آخر ٢٨٧ .

(٢٣٩١) المقدسي : ١٨١ ، ٣٥٧ ، آخر ٣٥٩ (في الجامع نارنجة) ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ . انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ٣٥٧ – ٣٥٨ (حيث يرد ان الاترنج حامض كالليمون) .

(٢٣٩٢) النارجيل : ابن الفقيه : ٢٥١ ، ابن حوقل : ٣٢٤ (تصحح الترجمة ، ص ٣١٧ ، ويستبدل « مر » بـ « حامض ») ، المقدسي : ٨٦ (غلافقة فرضة زبيد في اليمن ، ورد : بها نخيل ونارجيل) ، ٩٧ ، ٤٨١ . حول وصف النارجيل ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ١٠٠ ، حول النارجيل ، انظر الدينوري ، كتاب النبات مشار إليه ، ٥٠ (معجم الألفاظ) ، ومعجم النبات ، مشار إليه ، ٢٨٨ – ٢٨٩ ، وابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ٣٥٦ – ٣٥٧ .

(٢٣٩٣) انبج : الاصطخري : ١٠٣ ، كرره ابن حوقل : آخر ٣٢٠ ، والمقدسي : ٤٨٢ . يؤخذ اللفظ أحياناً بمعنى مربى الثمار : انظر م ج ع ، ح ٤ ، ١٨١ ، والدينوري ،

كتاب النبات ، مشار إليه ، آخر ٢١ — ٢٢ (معجم الألفاظ) ، ٤٥ (الذي يشير إلى أشجار انبج كثيرة في عمان : نقله ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ١٥٩) . ابن البيطار ، المرجع ذاته ، و ج ٢ ، ٤٧١ — ٤٧٢ (عنبا يقال هنا أنها خاصة بالهند والصين) .

(٢٣٩٤) اهليلج ، هليلج : اليعقوبي : ٢٩١ ، ابن الفقيه : ٢٥١ ، مسعر (١) : ٢٦ (الذي يتحدث عن انبج أقل جودة ، من راوند : حول هذه البليدة الواقعة قرب قاشان واصفهان ، انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ١٩) ، المقدسي : ٣٠٤ . انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ٣٩٣ — ٣٩٧ (يؤكد الناشر والمترجم ان الانبج تعطيه شجرة من نوع terminalia من فصيلة Combrétacées) . لوسترانج ، الخلافة الشرقية ، ٣٤٩ ، حاشية ١ (انبج يحيل إلى عدة أنواع من الثمار أو القلوب المجففة . م ج ع ، ج ٤ ، ١٨١ (لفظ انبج) ، كوتيير ، عالم الاحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ٢٤٩ .

(٢٣٩٥) تلقت افريقية الشرقية الموز ومزروعات أخرى من آسية الجنوبية الشرقية ، خلال الألف الأولى قبل الميلاد : انظر هـ . اسنار ، « افريقية » في الموسوعة العالمية ، باريس ج ١ ، ١٩٦٨ ، ص ٣٧٥ ، أما في النصوص الجغرافية العربية فتطرح القضية على الوجه التالي : جاء الموز من الهند ، وأقصى ما وصل إليه آنذاك هو جنوب جزيرة العرب ، كما سوف نذكر اعتماداً على ما ورد فيها . ونتساءل أيستطيع المرء أن يتصور أن الموز وصل إلى مصر عن طريق فارس وخوزستان والعراق والشام ، دون أن يشير الجغرافيون إلى وجوده في هذه البلدان (سأعود إلى وضع فلسطين) وتبقى لدينا فرضيتان : فاما ان الموز وصل إلى مصر عن طريق جنوب جزيرة العرب (في هذه الحالة ، لماذا نقل جنوب جزيرة العرب الموز إلى مصر ولم ينقله إلى نواحي الخليج) ، واما أنه وصل إليها مباشرة من افريقية الشرقية . وهكذا يتضح لنا كيف وجد الموز في أرض مصر ، كما سوف نقول ، في حين بدا غريباً نادراً في أماكن من مصر ، ثم نقلته إلى أنحاء متفرقة .

(٢٣٩٦) حول الموز ، انظر ابن رستة : ١١١ ، آخر ١١٦ ، ابن الفقيه : ٣٧ ، ابن حوقل : ٣٨ ، ١٤٢ ، المقدسي : ٣٥ (حاشية ح) ، ٨٦ ، ١٦٦ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨٠ (حاشية يجـ) ، ١٨١ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، (رخيص في الفسطاط) ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ (وحاشية جـ) ، ٤٧٤ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ . انظر أيضاً الدينوري ، معجم نباتي ، مشار إليه ، ٢٨٣ — ٢٨٥ . ابن البيطار ، الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ٣ ، ٣٤٣ — ٣٤٥

(٢٣٩٧) ابن الفقيه : ٢٩٧ ، الاصطخري : ١٠٩ ، ابن حوقل : ٣٢٨ ، المقدسي : ١٤٥ (يرتفع من الجزيرة) ، ٣٨٠ ، حدود العالم : ١٤٣ . انظر ابن البيطار ، ج ١ ، آخر ٢٦٠ ، ج ٢ ، ٣١٦ .

(٢٣٩٨) انظر مثلا الوشاء ، الموشى ، بيروت ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م ، ص ٢٠٧ – ٢٠٩ و ٢٤٩ – ٢٥١ بهذه المناسبة ، نستذكر دور التفاح في نظريات نشوء الكون : انظر بالنسبة إلى أسطورة منابع النيل ، وحود التفاحة عند المقدسي ٢١٠ ، (ترجمة ، ص ٥٩ ، حاشية ٩٦ ، مع الاحالات) .

(٢٣٩٩) اليعقوبي : ٣٦٥ ، ابن الفقيه : ١١٧ (حالة تشبه قصب الذريرة : الحاشية ٢٢٦٩) . انظر أيضاً الثعالبي : ٩٥ (تفاح شامي يتعطر متى وصل إلى العراق) .

(٢٤٠٠) ابن الفقيه : آخر ١١٧ – ١١٨ ، ٢٠٤ ، كوره الاصطخري : آخر ٩٠ – ٩١ ابن حوقل : ٢٩٧ ، المقدسي : ٤٤٤ وحدود العالم : ١٢٦ ، يحدد الظاهرة في ناحية اصطخر أو بين اصطخر وشيراز .

(٢٤٠١) الجاحظ (ت) : ١٦٠ ، ابن رستة : ١١١ ، ١٥٦ ، ابن الفقيه : ٢٣٦ ، ابن حوقل : ٣٢٠ ، ٣٦٤ ، ٤٧٤ ، المقدسي : ١٧٢ (وحاشية ك مع تحديدالوزن والسعر) ، ١٨٠ (يرتفع من بيت المقدس) ، ١٨١ ، ٢٢٤ ، ٣٨٤ ، ٣٨٩ (حاشية ب) ، ٤٣٦ ، ٤٩٠ (إشارة إلى شكل الأحجار) . حول التفاح ، انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٧٥ ، وابن البيطار : الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ١ ، ٣١١ – ٣١٣ .

(٢٤٠٢) الجاحظ (ت) ، مشار إليه ، اليعقوبي : ٣٧٠ ، ابن رستة : ١٥٦ ، ابن الفقيه : ٢٣٦ (شيري في النص ، صحح شيزي في الترجمة ، ص ٢٨٤) ، ابن حوقل : ٣٦٤ ، المقدسي : ١٨١ ، ٣٨٩ (حاشية ب) ، ٤٣٦ ، م ج ع ، ج ٤ ، ١٩٧ ، دوزي ، ملحق ١ ، ١٤٨ .

(٢٤٠٣) قرآن : ٦ : ٩٩ ، ١٤٢ / ١٤١ ، ١٦ : ١١ ، ٨٠ : ٢٩ .

(٢٤٠٤) انظر ما تقدم ، ص ٣٩٥ ، القرآن : ٢٣ : ٢٠ و ٢٤ : ٣٥ .

(٢٤٠٥) المقدسي : ٢٠٩ .

(٢٤٠٦) انظر القرآن : ٨٥ : ١ (وبلاشير ٢ : ٢٢ ، حاشية ١) . جبل زيتا ذكر في الفصل الأول .

(٢٤٠٧) المقدسي : ١٨١ : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٥٧ (لفظ « سبحة ») تحيل إلى بيديكر ، فلسطين وسورية ، مشار إليه ، ٢٢ . يمكن أن نتصور أن المصنف يشير إلى عادة استعمال المسبحة في الشرق (أو السبحة : انظر لسان العرب ، اللفظ ذاته) في أعمال التقوى عند المسلمين وفي الوردية عند المسيحيين .

(٢٤٠٨) ابن الفقيه : ٢٠٠ .

(٢٤٠٩) الاحالات الواردة هنا وفي الحواشي اللاحقة ، تحيل إلى شجرة الزيتون أو زيتها (الذي يسمى صراحة أو يضمن في لفظ المعصرة) . من أجل هذه الحدود الشرقية ، انظر ابن الفقيه : ٢٠٠ . ابن حوقل : ٢٦٩ ، المقدسي : ٤٠٧ (خوزستان) ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٣٦ ، ٤٤٢ – ٤٤٣ (ارتفاع الزيت) . حول شروط فارس المناخية ، نظراً لوجود الزيتون ، انظر هـ . غوسن ، « النطاق المتوسطي » في الموسوعة العالمية ، باريس ، ج ١٠ ، ١٩٧١ ، ص ٧٤٦ – ٧٤٧ .

(٢٤١٠) على وجه أدق في جرجان (الزاوية الجنوبية الشرقية لهذا البحر) : ابن حوقل : ٣٨٢ ، المقدسي : ٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٦٧ . من أجل ناحية نيسابور ، في خراسان ، المقدسي ، ٣١٨ ، يروى أنه قيل له بوجود أشجار زيتون ، لكنه لا يؤيد الخبر . المرجع ذاته ، ٢٨٤ (خوارزم) يشير إلى وجود معاصر : سكر فيما يظهر ، اعتماداً على درجة العرض وعلى توفر قصب السكر في هذه الناحية (الجاحظ (ت) : ١٥٩) . مع ذلك تتعدى خراسان وخوزستان كثيراً حدود موطن الزيتون . حول نواحي بحر الخزر ووجود الزيتون فيها ، انظر بلانشار ، في الجغرافيه العالمية ، ج ٨ ، مشار إليه ، ١٤٧ – ١٤٨ .

(٢٤١١) حول ابن حوقل : ٣٢ (الكلام عن جزيرة العرب) انظر التصحيح الوارد في الحاشية ٢٤٤٧ . حول البلدان المذكورة ، انظر ابن رستة : ١٨٦ ، ابن حوقل : آخر ٧٠ (مع اجراء تصحيح الترجمة المقترح في الحاشية ٢٤٢٠) ، ٢٢٠ ، المقدسي : ١٤١ ، ١٤٥ (يرتفع الزيت من الرقة إلى سائر أنحاء الفرات) ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢١٣ (فرض الضرائب في مصر) ، ٢٣٣ – ٢٣٥ .

(٢٤١٢) ابن الفقيه : ١١٢ ، انظر ابن الفقيه : ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٣ – ١٢٣ ، ابن حوقل : آخر ٧٠ (التفسير في الحاشية ٢٤٢٠) ، ١٧٢ ، المقدسي : ١٦٢ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٨٠ (ارتفاع الزيت) ، ١٨١ ، آخر ١٨٣ ، ٢٥٩ .

(٢٤١٣) التعبير مأخوذ من المقدسي : ٢١٦ . انظر اليعقوبي : ٣٥٠ ، ابن الفقيه : ٨٤ (لا زيتون في بلاد البربر) ، ابن حوقل : ٧٠ (بسفاقس زيت ليس بغيرها مثله) ، ٧٤ ، المقدسي : ٢٢٥ (جودة زيت القيروان) ، ٢٢٧ (٤ استشهادات) ، ٢٢٩ (ناحية فاس) ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ (يرتفع الزيت من افريقية) .

(٢٤١٤) المقدسي : ٢٣٥ : مواجين ، الأصح مواجن (جمع مأجن) : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٧٧ .

(٢٤١٥) المقدسي : ٢٢٧ (بنونش في رستاق رصفة ٣٦٠ معصرة زيت ، وهي في المغرب) .

(٢٤١٦) المقدسي : ٢٣٤ .

(٢٤١٧) المعصور (من دمشق) : المقدسي : ١٨١ (م ج ع ، ج ٤ ، ٣٠١) . حول انفاق (من اليونانية اومفاكيون) ، انظر المقدسي ، المرجع ذاته ، في الرملة (م ج ع ، ج ٤ ، ١٨٢ ، ودوزي ، ملحق ١ ، آخر ٤١ - ٤٢) .

(٢٤١٨) المقدسي : آخر ١٨٣ في الحديث عن البيسار (أنظر ما تقدم ، ص ٤١٦) .

(٢٤١٩) المقدسي : ١٧١ : حول القسط ، وحدة مكاييل تساوي حوالي نصف ليتر ، انظر ا . ف . زمبور ، م ا ، ج ٢ ، ١١٠٤ ؛ و ه . سوفير ، « مواد لدراسة تاريخ المسكوكات والمقاييس الاسلامية » ، المجلة الاسيوية ، السلسلة الثامنة ، ٧ روماني ، ١٨٨٦ ، ص ٤٣٩ - ٤٤٤ . حول معنى وظيفة ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٧٧ .

(٢٤٢٠) ابن حوقل : آخر ٧٠ ، ترجمة وايت ، ص ٦٧ : « وزيت مصر في وقتنا هذا فمن ناحيتها - اي سفاقس - يجلب لقلته بالشام » . أي لعدم توفره للطلب في الشام . ولعل هنالك سبباً آخر هو : الظروف الجديدة السائدة في مصر بعد فتح الفاطميين لها أي لمصر . حول استيراد مصر للزيت ، انظر لومبار ، الاسلام ، مشار إليه ، ١٦٥ .

(٢٤٢١) أشير من قبل إلى فقر بعض بلدان البربر في جنوب المغرب بالقمح والشعير . ابن الفقيه : ٨٤ يقول وليس في بلادهم أي البربر نخل ولا كرم ولا زيتون ، ولهم القمح والشعير . ويقول عنهم ابن حوقل : ١٠١ : « إنهم لم يروا قط حاضرة ، ولا عرفوا غير البادية العازبة » .

(٢٤٢٢) حول الكرمة ، انظر الدينوري ، معجم النبات ، مشار إليه سابقاً ، ٢٣٨ - ٢٣٩ ، ابن البيطار ، الأدوية المفردة ، مشار إليه سابقاً ، ج ٢ ، ١٩٥ ، ٤٨٠ ، ج ٣ ، ١٥٣ - ١٥٤ .

(٢٤٢٣) حول تفسير هذا اللفظ ، انظر مايلي في شرح سقي الكرمة ، ويذكره المقدسي مع الكرمة في قائمة الأشياء التي يختلف فيها الأقاليم (المقدسي ٣١) ذاته ، انظر دوزي ملحق ١ ، ٤٥٩ .

(٢٤٢٤) ذكر ابن الفقيه الحبلة في آخر ص ١١٨ . الجذر حبل : امتلأ ، حمل . انظر لسان العرب : لفظ « حبلة » بضم الحاء وفتح الباء ، و « حبلة » بفتح الحاء والباء ، مع تسميتها أم العيال أي التي يكفي محصولها للقيام بأود الأسرة .

(٢٤٢٥) انظر المقدسي : ٣٦٨ (الجمع عناقيد) .

(٢٤٢٦) الكروم والأعناب : المقدسي : ١٧٢ ، آخر ٣١٦ . الترتيب المعكوس في المرجع ذاته : آخر ١٦٢ .

(٢٤٢٧) ابن حوقل : ١٨٤ ، يوسع قول الاصطخري : ٤٧ . حول تلقيح الكرمة ، انظر كوتيير : عالم الأحياء ، مشار إليه سابقاً ، ج ٥ ، ١٩٦ .

(٢٤٢٨) ابن رسته : ١٠٩ .

(٢٤٢٩) ابن حوقل : ١٨١ ، في نص يصف فيه باسهاب الخراب الناشيء في هذه الأرجاء عن هجوم الروم .

(٢٤٣٠) ابن حوقل : ١٨١ ، ٤٠٨ (٣ استشهادات) . المقدسي : ٢٩١ .

(٢٤٣١) سقي الكروم مضمن صراحة في النص : ابن حوقل : آخر ٤٤١ — ٤٤٢ (٣ أمثلة) ، ٤٤٣ (مدينة الانبار مع اقتران وجود الجبل والماء) ، ٤٤٤ ، ٤٤٩ ، ٤٩٧ ، ٤٩٩ .

(٢٤٣٢) ابن الفقيه : ٨٤ . المقدسي : ١٩٦ . ابن حوقل : ٧١ ؛ يقول إن الكرمة قليلة في سفاقص .

(٢٤٣٣) أشير إليه فيما سبق ، الفصل ٢ ، ص ١٣٨ ، حاشية ٧ . وجاء في لسان العرب : الدالية : المنجنون ، وقيل المنجنون تديرها البقرة ، والناعورة يديرها الماء . ويستطرد قائلا : ابن سيده : (انظر م . فلبي ، م ١ (٢) ، ج ٣ ، ٨٦٤ — ٩٩٥) والدالية الأرض تسقى بالدلو والمنجنون . والدوالي (جمع دالية) : عنب أسود غير حالك » . حول حاجة الكرمة إلى الماء ، انظر مقطعي ابن حوقل ، آخر ٤٤٠ — ٤٤١ (تقام صلة واضحة جداً بين قلة الماء وقلة البساتين والكروم : اصلح الترجمة ص ٤٢٦ التي يعوزها

بعض الوضوح : « وهي على جبل لذلك ماؤها الجاري قليل » ، وقد ورد النص العربي « وهي على جبل ولهم ماء جار قليل » . لنفهم أن الماء يجري في الأسفل عند حضيض الجبل) . والمقدسي : ٢٩١ (وفرير – على شعل جيحون – حسنة الأعناب ضيقة المياه) . انظر أيضاً ابن حوقل : ٤٤٣ (وكندرم من الجبل : لعل هذا اشارة ، هنا أيضاً ، إلى تغذية كافية بالماء . تذكر هذه المنطقة مباشرة بعد الأشياء التي ينوه فيها صراحة باقتران وجود الجبل والماء : انظر ما تقدم : حاشية ٢٤٣٢ .

(٢٤٣٤) أيضاً ، بلاريب (وهذا ما لم يذكره المصنفون) الشروط المناخية المختلفة كثيراً عن شروط حوض البحر المتوسط ، الذي يعتبر نموذج مناخ الكرمة ، مثلما سوف يأتي فيما بعد . حول السند ، انظر ابن حوقل : ٣٢٠ : لاعنب البتة فيه ، باستثناء الأنحاء القريبة من المناخات المسماة « باردة » : ابن حوقل : آخر ٤٢٤ ، ٤٢٦ . المقدسي : ٤٨٤ : الواقع أن المقصود بالقصدار وايول والفنزبور ، مناطق جبلية في باكستان (انظر لوسترانج ، الخلافة الشرقية ، ٣٢٩ – ٣٣٢ ، وأطلس التايمز ، ٣١ ، د / ٦ وجد / ٧) التابعة بدقة إلى مقاطعة مكران .

(٢٤٣٥) ابن حوقل : ٥٠٥ .

(٢٤٣٦) انظر ا . ج . ونسنك ، « خمر » في م ا (٢) ، ج ٤ ، ١٠٢٧ – ١٠٢٩ . حول الخمر في دار الاسلام وأدبه ، انظر ج . سيدان ، المرجع ذاته ، ١٠٢٩ – ١٠٣٠ ، و ج . ا . بن شيخ « خمرية » ، المرجع ذاته ، ١٠٣٠ – ١٠٤١ .

(٢٤٣٧) انظر كوتيير ، عالم الاحياء ، مشار إليه سابقاً ، ج ٥ ، ١٩٤ – ١٩٥ . ا . لاولريه ، « خمريات » ، في الموسوعة الكونية ، باريس ، ج ١٤ ، ١٩٧٢ ، ص ٢٣٠ . ج . براناس ، « خمور » ، المرجع ذاته ، ج ١٦ ، ١٩٧٣ ، ص ٨٤٧ ، ك . دى بلانهول ، « خمر افغانستان وهيمالايا الغربية » ، مجلة الشرق الجغرافية ، ١٧ روماني ، ١ – ٢ ، كانون الثاني – حزيران ، ١٩٧٧ ، ص ٣ ، حاشية ١ (مع المراجع).

(٢٤٣٨) ابن حوقل : ١٥ ، ١١٦ . المقدسي : ٢٣٣ – ٢٣٥ .

(٢٤٣٩) ابن حوقل : ١٢٣ – ١٣١ . المقدسي : ٢٣١ .

(٢٤٤٠) المقدسي : ٢١٦ .

(٢٤٤١) ابن الفقيه : ٨٤ . ابن حوقل : ٨٨ ، ٨٩ . المقدسي : ٢٣١ .

(٢٤٤٢) ابن حوقل : ٧٧ ، ٨٥ آخرها ، ٩٠ ، ٩٣ .

(٢٤٤٣) اليعقوبي : ٣٥٠ . ابن حوقل : ٧١ (قليل في سفاقص) . المقدسي : ٢٢٤ ، ٢٢٥ :

(٢٤٤٤) ابن حوقل : ٩٤٠ .

(٢٤٤٥) اليعقوبي : ٣٣٢ ، ٣٣٩ . ابن حوقل : ١٤٠ (تصدير الأعناب) . المقدسي : ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ .

(٢٤٤٦) ابن الفقيه : ١٢٠ ، آخر ١٩٢ . ابن حوقل : ١٧٨ ، آخر ١٨٠ — ١٨١ ، ١٨٤ . المقدسي : ٣٥ (حاشية ز) ، آخر ١٥١ — ١٥٢ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٣ .

(٢٤٤٧) ابن رستة : ١٠٩ . ابن الفقيه : ٣٧ ، اخر ١٢٤ — ١٢٥ . ابن حوقل : ٣٢ (زيت · يصحح إلى زبيب : انظر الاصطخري : ٢٤ ، والمقدسي : ٧ ، ٧٩) . المقدسي ، مشار إليه و ٩٤ . حدود العالم : ١٤٦ . انظر قائمة أصناف الأعناب عند الهمداني ، ١٩٦ .

(٢٤٤٨) ابن حوقل : ١١٥ ، ١١٦ ، المقدسي : ٢٣٣ — ٢٣٥ .

(٢٤٤٩) ابن الفقيه : ١٣٢ . ابن حوقل : ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٣٣٦ . المقدسي : ١٤٥ تصدير الأعناب والزبيب) ، ٣٧٣ .

(٢٤٥٠) ابن الفقيه : ٣١٣ . ابن حوقل : ٣٧٩ . المقدسي : ٣٥٣ (حسن الأعناب) ، ٣٥٦ (وبيار ، الموضوعة في هذه المناطق ، واقعة فعلا على تخوم خراسان) ، ٣٦١ (بلد سمندر إلى شمال جبل القبق : انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ : ٢٦٤) ، ٣٦٨ . أخذ استشهاد لوني من بلانشار في الجغرافية العالمية ، مشار إليها سابقاً ، ١٤٧ .

(٢٤٥١) ابن الفقيه : ٣١٣ . ابن حوقل : ٣٦٤ ، ٣٦٩ . المقدسي : ٣٨٤ ، ٣٨٩ (حاشية ب) ، ٣٩٢ .

(٢٤٥٢) الجاحظ (ت) : ١٥٩ . اليعقوبي : ٢٨٠ . ابن الفقيه : ٢٥٤ . ابن حوقل : ٤٣٩ ، آخر ٤٤١ — ٤٤٤ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ . المقدسي : ٢٩٢ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ (حاشية ه من ٣٠٢) ، آخر ٣١٨ ، ٣٢٦ ، ٣٥٦ (بيار : انظر الحاشية ٢٤٥٠) . وتعبير « معدن الأعناب » وارد عند المقدسي : آخر ٣٠٦ — ٣٠٧ : معدن الأعناب الجيدة والفواكه النفيسة . انظر بلانهول ، « خمر افغانستان » ، مقال مذكور ، ١٨ — ١٩ .

(٢٤٥٣) ابن حوقل : ٤٧٤ ، ٤٩٧، ٤٩٩ ، ٥٠٤ ، ٥١١ . المقدسي : ٢٦١ (حاشيةه) ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٣ ، ٢٨٩ (فيها معدن الزبيب) ، ٢٩١ ، ٣٢٥ .

(٢٤٥٤) ابن حوقل : ٤٠٨ (استشهادان) .

(٢٤٥٥) ابن الفقيه : ٢٥٣ . المقدسي : ٤٠٢ ، ٤٠٥ ، ٤٠٩ (حاشية ي) ، ٤١٤ (حول معنى الصيغة السابعة « انقطع » ، انظر : م ج ع ، ج ٤ ، ٣٢٩ — ٣٣٠ ، ودوزي ، ملحق ٢ ، آخر ٣٦٩ — ٣٧٠ . حول تحديد موقع كوزوك « الجبلية » ، انظر شوارز ، فارس ، ج ٤ ، آخر ٣٤٠ — ٣٤١) .

(٢٤٥٦) ابن حوقل : ٢٦٩ ، ٣٠٢ . المقدسي : ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٩ ، ٤٣٣ . حول خمر شيراز ، انظر بلانهول ، « خمر أفغانستان » ، مقال مذكور ، ص ٤ ، حاشية ٥ (مع المراجع) .

(٢٤٥٧) المقدسي : آخر ٤٦٤ — ٤٦٥ : « الشامات كثيرة البساتين والكروم ، فواكهها تحمل إلى النواحي » . حول تحديد موقع هذه المدينة في شرق السيرجان (سعيد اباذ اليوم) ، انظر لوسترانج ، خلافة المشرق ، ٣١١ ، وأطلس التايمز ، ٣٢ ، و — ز / ٦ .

(٢٤٥٨) انظر الحاشية السابقة رقم ٢٤٣٤ .

(٢٤٥٩) ابن حوقل : ٤١٨ — ٤٢١ . المقدسي : ٣٠٤ — ٣٠٦ .

(٢٤٦٠) ابن رستة : ١١١ (تصحح الترجمة ، ص ١٢٥ : ٧٨) . الهمداني : ١٩٦ يذكر ما يقرب من ١٥ .

(٢٤٦١) الجاحظ (ت) : ١٥٩ . ابن رستة : ١٥٦ .

(٢٤٦٢) الاصطخري : ١١٨ ، حاشية ٤ (لم ينقله ابن حوقل) : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٧٤ (أخذه دوزي : الملحق ٢ ، ٧٩٢) .

(٢٤٦٣) أو قشمش (دوزي ملحق ٢ ، ٣٥١) . ابن الفقيه : آخر ٢٥٤ (ترجمه ، ص ٣٠٨ ، حاشية ٢ ، التي تشير إلى إضافة في إحدى النسخ : الكشمش ثلاثة أنواع : أحمر وأصفر وأخضر) . ابن حوقل : ٤٣٩ المقدسي : ٤٥٢ . حدود العالم : ١٠٥ . يتحدث الدينوري (معجم النبات ، مشار إليه ، ٢٤١) عن عناقيد بيضاء تصبح حمراء أو صفراء أو خضراء متى جفت ، حسب نوعها . ويعزو البعض هذه الفوارق إلى شروط التجفيف (شمس ، تعليق ، مد في الظل) . ويتحدث ابن البيطار (الأدوية المفردة ،

مشار إليه ، ج ٢ ، آخر ١٩٥ ، و ج ٣ ، ١٨١ – ١٨٢) عن عنب حبه صغير خال من البزر ، يستهلك جافاً عادة ، فيما يبدو . ويبرر مترجم كتاب حدود العالم هذه الصفة مشار إليه ، : زبيب دقيق . ترجم دوزي (ملحق ٢ ، ٤٧٣) كشمش بـ (لابروسكا باللاتينية) ، أي نوع من الكرمة البرية . وهذا هو المعنى الذي احتفظ به في ترجمة ابن حوقل (كرمة برية) ، لكنني أرى أن هذا الأداء لا ينسجم مع سياق النص : فالمقصود أعناب جيدة إذ إنها تحمل إلى سائر الآفاق : هي وزبيب العنب الطائفي الذي يرتفع إلى العراق وسائر البلدان . وأشار المقدسي ، ذكر من قبل ، عرضا أيضاً إلى هذه الجودة ، إذ إن القشمش وارد في شرح مكاييل فارس .

(٢٤٦٤) ابن الفقيه : ١٢٥ ، ٢٥٣ (ترجمة ، ص ٣٠٦) . لكن قد يقصد به أيضاً أنواع عديدة من السكر حسب التحضير (انظر ص ٤٠٨) لأننا في خوزستان أحد المنتجين الكبار كما قلنا من قبل) .

(٢٤٦٥) المقدسي : ٧ ، ابن حوقل : ٤٣٩ ، حدود العالم : ١٠٤ .

(٢٤٦٦) المقدسي : ١٨١ . قد يخطر لنا بداهة ارتباط أصله بأحد أسماء العلم : العاصم أو العاصمية (انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ٦٧) ، إلا أن هذه الأماكن واقعة خارج فلسطين التي خصت بهذا العنب (مرة واحدة) . أميل إلى الظن بأنه نعت مأخوذ من العاصمة (انظر دوزي ، ملحق ٢ ، ١٣٥) ، عندئذ يحيل الاسم في هذا السياق إلى بيت المقدس طبعاً .

(٢٤٦٧) ابن الفقيه : آخر ١٢٤ – ١٢٦ . أكمله الهمداني ، ١٩٦ ، الذي يكرر بعض هذه الأنواع في قائمة أعناب بلد صنعاء .

(٢٤٦٨) حول جرش ، انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ١٢٦ . حول ملاحة والأمكنة الأخرى الغربية من املائها ، انظر إلى الهمداني ، ١٠٨ (الفهرس) . وهنالك أسماء أعناب أخرى عند ابن الفقيه والهمداني تنسب إلى أماكن جغرافية : كالكلافي (من كلاف بلد في شق اليمن) ، السونايا تصحح في النص السرنابا . انظر ابن الفقيه ٢١ روماني) : وسونايا قرية دخلت في بغداد . يلاحظ أن العنب يأخذ اسم المكان المحض دون ياء النسبة ، والناشقيني (نسبة إلى ناشقين عند قزوين : انظر شوارز ، فارس ، ج ٦ ، ٧٢٣) ، والماسبذي (نسبة إلى ماسبذان على تخوم العراق وفارس وخوزستان : انظر المقدسي ، ٣٩٤ ، ولوسترانج ، الخلافة الشرقية ، ٢٠٢) ، والنواسي (نسبة إلى نواس

في جزيرة العرب الجنوبية ، انظر الهمداني ، ٩٠) ، والزيادي (نسبة إلى أرض بني زياد : انظر الهمداني ، ١٤٦ ، الفهرس) ، والوادي (نسبة إلى وادى الذي يدخل في تركيب أسماء عدة أماكن ، انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ٣٤٣ - ٣٤٦ . لعله وادي الجوف ، لأن الهمداني يقول بأن هدا العنب يحمل من الجوف ، هذا الجوف بالذات الموصوف كوادي عند ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ١٨٧) ، والتابكي والنشاني المشكوك بصورهما : انظر الهمداني ، الحواشي ، آخر ٢٠٩ - ٢١٠ . أخيراً ربما وجب إضافة المورقي إلى هذه القائمه (من مورق بتشديد الراء وفتحها : انظر دوزي ، ملحق ٢ ، ٧٩٧) : اقراء بالأحرى مورقي ، بلا تشديد ، نسبة إلى قرية في ارجان في فارس : انظر شوارز ، فارس ، ج ١ ، ١٠ ، ج ٣ ، ١٣٤ .

(٢٤٦٩) أحمر ، سماقي (حول احتمال وجود ألوان أخرى ، انظر الحاشية ٢٣٤٨) ، أشهب (حرفياً : بياض يتخلله سواد ، ومزيج من عدة ألوان بوجه أعم ؟) ، صقلبي (سلافي ، لا يدل هذا اللفظ هنا على المنشأ ، بل يشير إلى العبيد الصقالبة المستخدمين في الجيش أو في البلاط ، وذكر وجود هذا العنب بسرمن رأى ، عاصمة الخلفاء العباسيين . حول هؤلاء الصقالبة ، انظر د . سورديل ، « غلام » ، في م أ (٢) ، ج ٢ ، ١١٠٤) ، والمختم (إشارة إلى التمر المحزز عند النضج : انظر لسان العرب ، اللفظان ، والبازجنك (مشتق بلا ريب من باز خمر ، وجنك : بياض ناصع) ، زراوي (ابن الفقيه ، ٢٧ روماني ، شرح الألفاظ : مشتق من الفارسي زراب : ماء ذهب ، ويدل الاسم على منطقة قرب بغداد : انظر ديميزون ، معجم النبات ، ج ٢ ، ٩٧) ، والزرجون (زرجون : لون الذهب : انظر ديميزون ، ج ٢ ، ٩٩ ، ١٠٣) ، والدوالي (التي تصفها المعاجم التي ينقل عنها ابن الفقيه ١٢٥ ، بأنها عنب أسود غير حالك : انظر الحاشية ٢٤٣٣) .

(٢٤٧٠) الرازيقي (بلا ريب ، نسبة إلى الرازق أحد أسماء الله الحسنى ، وهو عنب أبيض طويل الحب يظن أنه من الطائف ، ويحصل أحياناً التباس بينه وبين الملاحي : انظر لسان العرب . وابراز قيمة هذا العنب الغذائية واضحة عند ابن الفقيه ، ١٢٦ : « من فاته الرازقي في أدباره ، فحق لأهله أن يبكوا عليه ») ، والماني (انظر ديميزون ، معجم النبات ، ج ٣ ، ٣١٣) ، والبيروزي (عوضاً عن الفيروزي : انظر ابن الفقيه ١٨ روماني ، شرح الألفاظ) من الفارسية فيروز ، ويدل أيضاً على ملك فارسي قديم : في هذه الحالة ، يصبح « عنب فيروز ») ، والحلاوى (أو حلاوى ، جمع حلوى) ، والوفرباي (اسم مركب مشتق بلا ريب من وفراي كثير ، عديد ، وباي اوبا الفارسية : قوة سلطة ، قدرة) .

(٢٤٧١) الخمري الأسفيذ مشك (من الفارسية : اسفيد أو سفيد أي أبيض ، ومشك : مسك وأسود أيضاً : لعله يعني الأشهب : انظر الحاشية ٢٤٦٩) ، والسباوشك (من الفارسية : سيا اي أسود واشك أي دمع) ، والقوارير (جمع قارورة : قنينة) ، والضروع (جمع ضرع : ثدي) ، وعيون البقر (عيون فقط عند الهمداني ، وهو اسم نوع من الخوخ أيضاً مثلما قلنا من قبل)،وأطراف العذارى (اطراف فقط عند الهمداني) ويستبهم علي الخرجج عند ابن الفقيه والدربج عند الهمداني .

(٢٤٧٢) ابن حوقل : ٣٦٤ . حول الزبيب (الزبيب أو العنجد . حول العنجد ، انظر المقدسي : ٣٢٤ ، س ٥ و ١٠ ، الذي يميز العنجد الأخضر والأحمر) ، انظر ابن البيطار ، الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ٢ ، ١٩٥ ، ٤٨١ ، ودوزي ، ملحق ٢ ، ١٨٠ والحاشية ٢٤٦٣ .

(٢٤٧٣) ابن الفقيه : ١٢٠ . ابن حوقل : ١٧٨ ، آخر ١٨٠ — ١٨١ ، ٣٢٥ ، ٣٦٥ ، ٣٤٩ ، ٤٤٤ . المقدسي : ٧ ، ٧٩ ، ١٤٥ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٠٣ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٨٩ (معدن الزبيب : انظر الحاشية ٢٤٥٣) ، ٣١٩ (حاشية ج : استشهادان) ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٨٨ .

(٢٤٧٤) حول الطائفي ، انظر الحاشية ٢٤٦٥ ، والمقدسي : ٣٢٤ . انظر أيضاً الحاشية ٢٤٦٣ عن الكشمش . حول النوعين الآخرين ، انظر المقدسي : ١٨٠ — ١٨١ ، فهما يختصان بقريتين في منطقة حبرى (حبرون أو الخليل) هما بيت عينون ودورة . انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ١٨٠ ، و ف . م . آبل ، جغرافية فلسطين ، مشار إليه،ج ١ ،٤٥٣،ج ٢، ٩١ ، ٢٣٩ ، و ف . غيرين،وصف فلسطين الجغرافيوالتاريخي والأثري : اليهودية، باريس، ٣ مجلدات ، ١٨٦٨ — ١٨٦٩ : ج ٣ ،٣٥٣، ٣٥٥). بقيت هذه المنطقة شهيرة بكرومها منذ أقدم العصور : انظر نومبر، ١٣روماني،٢٢—٢٤

(٢٤٧٥) انظر استغراب المقدسي : ٣٨٨ : يرى أحدهم بخفيه وبزته وفي كمه رغيف يكدمه أو زبيب يقضمه .

(٢٤٧٦) ابن حوقل : آخر ١٨٠ — ١٨١ (ناطف ، ترجمة ص ١٧٨ : نوكا) ، آخر ٢٣٠ : الألفاظ والترجمة ذاتها ، ٢٢٤) . ورد ناطف الزبيب أيضاً عند المقدسي : ٣٢٤ ، بلا شرح اضافي .

(٢٤٧٧) حول الحصرم ، انظر ابن الفقيه ٠ ١٢٤ . حول الخل ، المرجع ذاته . المقدسي : ٣٢٠ ، ٤٥٢ (في الحديث عن مكاييل فارس) . حدود العالم : ١٠٥

(٢٤٧٨) انظر على التوالي : المقدسي : آخر ٤١٦ (سكر العنب ، يؤخذ سكر بالمعنى الواسع : حلويات (انظر دوزي ، ملحق ١ ، ٦٦٧ – ٦٦٨ ، دون تأكيد المعنى . يذكر (انظر ما تقدم) ان السكر يدل على نوع من أنواع العنب أيضاً . الجاحظ (ت) : ١٦٠ . ابن حوقل : آخر ٢٣٠ (ترجمة ص ٢٢٤ : شراب) . المقدسي : ٤٢٥ ، ٤٤٢ (محمول) : أقتبى ترجمة دبس بـ « رب » : انظر الجاحظ (ت) ، مشار إليه ، و ١٦٢ شرح الألفاظ) ، دوشاب (انظر الحاشية ٢٣٤٣ : المقدسي : ٣٢٤ . حدود العالم : ١٠٤ (استشهادان) و ١٢٧ ، ترجم بشراب العنب : يتعلق البحث بهرات وكنج رستاق (خراسان) وارجان (فارس) التي أشار الجغرافيون إلى انتاجها العنب (ابن حوقل : ٢٦٩ ، ٤٣٩ ، المقدسي : آخر ٣٠٦ – ٣٠٨ ، ٤٢٥) . عصيرة : ابن حوقل : ٣٦٤ (ترجمة ، ٣٥٦ : دبس يستخرج من المعصرة) . انظر دوزي ، ملحق ٢ ، ١٣٤ ، لفظ عصير) . الطلاء : ابن الفقيه : ١٢٤ (بدقة : ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه : انظر لسان العرب لفظ طلاء) . عسل الشمسي من العنب : المقدسي : ٣٢٤ (انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٧٧) .

(٢٤٧٩) خمر ، نبيذ ، اثام (المقدسي ، ٤١٠ ، يشير إلى أنه دواء لإحدى العلل التي لم يسمها ، في سياق نص نقدي : يدعمه الجذراثم : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٧٧) : انظر ابن الفقيه : ١٢٤ (خمور تشرب في الفسطاط) ، ٣٩٩ ، ٤٨٠ (ولا يشربون الخمر في الملتان في السند ، ومن ظفروا به يفعل ذلك ، قتلوه أو حدوه . حول هذا الموقف الذي يعتبره المصنفون هندياً واسلامياً على حد سواء ، جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ١٢٠) . حدود العالم : ١٠٧ (استشهادان) ، ١٠٩ ، ١١٥ ، ١٣٢ .

(٢٤٨٠) ابن حوقل : ٣٣٥ ، ٣٦٤ . المقدسي : ١٩٣ ، ٣٨٩ (حاشية ب) . إنظر أيضاً المقدسي : ٣١٧ (حاشية يد : تقدير الموسم) .

(٢٤٨١) بالنسبة إلى الخل والزبيب : المقدسي : ١٨١ ، ٤٥٢ (استشهادان) .

(٢٤٨٢) ابن حوقل : ١٣٠ ، ٢١٤ ، ٢١٧ (حول اللطف ، أي ضرائب الشراب ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٤٨) ، ٢٣٤ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ (حول حومة ، انظر دوزي ، ملحق ١ ، ٣٤٢ ، و م ج ع ، ج ٤ ، ٢٢١) . المقدسي : ٤٥١ .

(٢٤٨٣) انظر ما تقدم ، ص ٣٩٦ .

(٢٤٨٤) المسعودي (م) : فقرة ٥١٨ – ٥١٩ .

(٢٤٨٥) المقدسي : ١٨٣ و ٢٠٦ (عيد الصليب لأربع عشرة تخلو من ايلول في فلسطين ومصر ، وفيه تفتح الترع والخلجانات ببلاد مصر : انظر المسعودي (م) : فقرة ٧٣٤ ، ٧٧٩ ، ١٢٨٦ . احالات أخرى عند المقدسي ترجمة ، ص ٢٢٤ ، حاشية ٥٥) . يعتمد أيضاً على الكرمة في التقويم ، لكن بلا احالة دينية ، عند المقدسي : ٤٢٥ .

(٢٤٨٦) ابن رستة : ٢٠٠ . يجب أن يشار أيضاً ، في اطار الكرمة مظهر حضارة ، إلى عدم وجودها في البوادي ، كالنخل والزيتون : انظر الحاشية ٢٤٢١ .

(٢٤٨٧) الأفكار اللاحقة منقولة عن ابن الفقيه : آخر ص ١١٨ — ١٢٧ .

(٢٤٨٨) مكارب : انظر ابن الفقيه ٤٢ روماني ، شرح الألفاظ .

(٢٤٨٩) يصف هذان اللفظان تكوين الأقراط . أصحح مثلما فعل المترجمون صورة أوساط التي قبلها دي خويه بأقساط .

(٢٤٩٠) ابن الفقيه ، الترجمة ، ص ١٤٧ ، حاشية ٢ : أي « الأغصان التي تحمل البلح » .

(٢٤٩١) حرفياً (انظر الترجمة) في قرية كبيرة أو صغيرة .

(٢٤٩٢) شهد بفتح أو ضم الشين ، غير العسل : العسل ما دام لم يعصر من شمعه : انظر الجاحظ (ت) : ١٦٠ .

(٢٤٩٣) اكسية (حول جمع كيس هذا ، انظر ابن الفقيه ، ٤٤ روماني ، شرح الألفاظ). حرفياً : أكياس . ترجم محفظة : فالتمر صنف تجاري أيضاً ، بالتالي تجنى منه أرباح .

(٢٤٩٤) حرفياً : ليجرّب .

(٢٤٩٥) تصحح الترجمة ، ص ١٤٩ (« عظام العناكب وذوات السموم ») . ينبغي أن نفهم : « . . . عظام العناكب وذوات السموم القاتلة » . لا يسمح النص العربي بالجزم ، بغاية الوضوح ، ان كان النغر يألف (لعله الوحيد المسمى) الكرمة (يلاحظ أن المقصود في السياق الأغصان عامة ، أي العيدان ، دون الإشارة إلى أنها عيدان الكروم . تجيب الترجمة ، ص ١٤٩ ، بالايجاب ، لكنها تدفع أيضاً بأدائها إلى الا عتقاد بأن النغر يعشش أيضاً في النخل . ينبغي فهم النص على الوجه التالي : لا يعشش في جوانبها (أي الكرمة) العصافير المؤذية ، بصيلان أصواتها عند غناء النغران وورق العيدان ، كتعشيشها في الأدغال (= أدغال النخلة) وأصول الكرانيف (كرانيف النخلة) والاكراب (أكراب النخل). . . لاحظ عند الجاحظ (ح) ، ج ٣ ، ٤٥٥ ، نفور الغربان من النخل .

(٢٤٩٦) انظر ما تقدم ، ص ٣٩٦ و ٤٦١ .

(٢٤٩٧) انظر ما تقدم ، الحاشية ٢١٠٧ .

(٢٤٩٨) انظر ما تقدم الحاشية ٢١٧٤ .

(٢٤٩٩) الآيات المستشهد بها (ابن الفقيه : ١٢٦) هي : ٣٧ : ٤٥ / ٤٦ ، و ٤٧ : ١٦ / ١٥ . حول موقف القرآن الاجمالي ، انظر ا . ج . ونسنك ، « خمر » في م ١ (١) ، ج ٤ ، ١٠٢٧ .

(٢٥٠٠) المسعودي (م) : فقرة ٥١٩ .

(٢٥٠١) انظر ما تقدم حاشية ٢٤٧٩ .

(٢٥٠٢) حرفياً : عمتكم لان النخلة مؤنثة . « وليس من الشجر شجرة . . . » . في الواقع ، رأينا أن دار الاسلام تمارس تلقيح التين والكرمة . « البلح المأخوذ من الشجر . . » ، هكذا ترجمنا الرطب ، ونترجم « الحديثة » بالطازجة . أخذ النص من المقدسي : ١٠٦ .

(٢٥٠٣) المقدسي : ٣٩٥ (حاشية يو من ص ٣٩٤) .

(٢٥٠٤) وردت الفكرة عن غير المسلمين الذين لم يألفوا النخلة لكن فكرتهم تعبر مجازاً عن كثير من صفات هذه الشجرة وتمرها : انظر الوصف الدقيق الغنائي لكوتيير أحياناً ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٤ ، ٢٩٦ — ٢٩٧ .

(٢٥٠٥) انظر ما تقدم ، من آخر ٣٩٥ .

(٢٥٠٦) الجاحظ : يستشهد به ابن الفقيه ، ٢٥٣ .

(٢٥٠٧) السيرافي ، آخر ١٢٧ — ١٢٨ (استشهد به في جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ١٨٦) .

(٢٥٠٨) ورد عند كوتيير ، عالم الاحياء ، مشار إليه ، ج ٤ ، ٢٩٥ .

(٢٥٠٩) حول عدم وجود النخل في بلد البربر (ابن الفقيه : ١٨٤) ، انظر الحاشية ٢٤٨٦

(٢٥١٠) المقدسي : ٣٩٤ (حاشية يو) .

(٢٥١١) المقدسي : ٣٩٤ (وحاشية يو) ، وما تقدم من آخر ٤٣٨ .

(٢٥١٢) اجتماع النخل والحر في جزيرة العرب ، ان لم يكن في دار الاسلام ، واضح تماماً عند المقدسي : ص ٣٣ ، والترجمة ، ص ٢١٥ ، حاشية ٢ .

(٢٥١٣) حول هذه الأقاليم ، انظر ما يلي .

(٢٥١٤) اليعقوبي : ٢٤٤ ، ٢٥١ .

(٢٥١٥) المقدسي : ٤٧٠ .

(٢٥١٦) حول هذا الامتداد ، انظر لومبار ، الاسلام في عظمته الأولى ، مشار إليه ١٦٦ — ١٦٧ .

(٢٥١٧) عدا كال ، ٣٢ — ٣٣ ، ٧٤ — ٧٥ .

(٢٥١٨) ابن حوقل : ٩٨ . المقدسي : ٢٣٦ .

(٢٥١٩) اليعقوبي : ٣٤٥ ، ٣٥٠ . ابن حوقل : ٦٧ ، ٦٨ ، ٨٦ ، ٩١ ، ٩٤ المقدسي : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٩ .

(٢٥٢٠) ابن رستة : آخر ١١٦ (وبمصر من الأشجار والنخيل والموز والجميز) اليعقوبي : ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ابن الفقيه : آخر ٧٠ . ابن حوقل : ١٣٩، ١٤٤، ١٤٧ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨ — ١٦٠ . المقدسي : ١٩٥ ، ١٩٦ (حاشية يج) ، ١٩٧ ١٩٩ — ٢٠٣ ، آخر ٢٠٩ .

(٢٥٢١) ابن الفقيه : ١٢٢ . ابن حوقل : آخر ١٧٣ — ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٨٥ المقدسي : ٣٥ (حاشية ح) ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٧٢ . (وبيت لحم . . وثم كانت النخلة ، وليس يرطب النخيل بهذا الرستاق ، ولكن جعلت لها آية) ، ١٧٥ ١٧٨ (ايلة ، خليج العقبة) ، ١٨١ ، ١٨٦ . حدود العالم : ١٤٩ (مثال الشام بياس : انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ١٥١٧) .

(٢٥٢٢) اليعقوبي : ٢٤٤ ، ٢٥١ ، ٢٦٣ — ٢٦٤ . ابن رستة : ١٦٣ ، ١٦٤ ١٨٦ . ابن الفقيه : ٣٠ ، ١٢١ ، ١٧٥ — ١٧٦ ، ١٨٧ ، آخر ١٩١ — ١٩٢ ٢٥٢ ، ٢٥٣ . ابن حوقل : ٢٣٤ ، ٢٣٦ (ذكر مرتين ، احداهما من الاصطخري ٥٧ : استشهد بها في الفصل الثاني ، حاشية ١١٤٢) ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ المقدسي : ١١٧ — ١٢٠ ، ١٢٨ — ١٣١ (حاشية يو من ١٣٠) ، ٢٥٩ . حدو العالم : ١٣٨ .

(٢٥٢٣) ابن حوقل : ٢١٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ . المقدسي : ١٤٠ ، ١٤٢

(٢٥٢٤) المقدسي : ٣٩٤ (حاشية يو) .

(٢٥٢٥) أشرنا من قبل إلى مناخنا في حديثنا عن الزيتون والكرمة : الحاشية ٢٤١٠

وص ٤٥٦ (وحاشية ٢٤٥٠) . انظر اليعقوبي : ٢٧٧ . ابن حوقل : ٣٨٢ . المقدسي : ٣٥٤ (لولا البرد لعملت فيها النخيل . هذا القول مكرر في المرجع ذاته ، ٣٦٥ : ولا يعمل فيه النخيل) ، ٣٥٧ (بها . . . والنخل لولا برد يفسد الرطب) .

(٢٥٢٦) ابن حوقل : ٣٦٨ ، ٣٧٠ . المقدسي : ٣٩٤ (حاشية يد ويو) . حدود العالم : ١٣٢ .

(٢٥٢٧) ابن حوقل : ٤٤٦ ، ٤٥٠ – ٤٥١ . المقدسي : ٣٢٢ (حاشية و من ص ٣٢١) . مع ذلك نشير جنس تمر يسمى الخوارزمي : المقدسي : ١٣١ (حاشبة يو ص ١٣٠) .

(٢٥٢٨) اليعقوبي : ٣١٣ ، ٣٤١ (مشارف خليج ايلة) . ابن رستة : ١١١ ، ١١٣ ، ١١٧ – ١١٨ . ابن الفقيه : ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ٢٥٢ . ابن حوقل : ٣٠ ، ٣١ (وهي – أي اليمامة – أكثر نخيلا وتمراً من المدينة ومن سائر الحجاز) ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٨ . المقدسي : ٣٣ ، ٧٩ ، ٨٣ (والمروة . . . وهي معدن المقل = الدوم) ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ (واليمن ليس ببلد نخيل) ، ٨٨ ، ٩٢ – ٩٥ ، ٩٨ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ – ٢٥٤ (حاشية ط) . حدود العالم : ١٤٥ .

(٢٥٢٩) ابن الفقيه : ٢٥٣ . ابن حوقل : ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ – ٢٥٨ . المقدسي : ٤٠٢ ، ٤٠٧ – ٤٠٩ ، ٤١٢ – ٤١٤ ، ٤١٧ .

(٢٥٣٠) ابن حوقل : ٢٦٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٨ . المقدسي : ٤٢٠ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ – ٤٣٠ (حاشية يا) ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٤٢ (التمور المرتفعة) .

(٢٥٣١) وردت قصة هذه السنة فيما تقدم ، الفصل الرابع ، ص ٣١٢ . حول الغذاء ، انظر ما تقدم ، ص ٤٠٧ . حول كرمان ، انظر اليعقوبي : ٢٨٦ . ابن حوقل : ٤٩ ، ٣١١ – ٣١٣ . المقدسي : ٣٣ ، ٤٥٩ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩ (وحاشية ه) ، ٤٧٠ (وحاشية ط : التجارات المحمولة) ، ٤٧١ . حدود العالم : ١٢٤ – ١٢٥ .

(٢٥٣٢) ابن حوقل : ٤٠٥ – ٤٠٧ ، ٤٠٩ . المقدسي : ٤٨٨ ، ٤٩٣ (حاشية يط) ، ٤٩٤ (وحاشية ط) .

(٢٥٣٣) ابن حوقل : ٤١٥ ، ٤١٨ - ٤٢١ . المقدسي : ٢٩٧ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٢٤ . حدود العالم : ١١٠ .

(٢٥٣٤) ابن حوقل : ٣٢٥ ، ٣٢٦ . المقدسي : ٤٧٨ ، ٤٨٤ (حول مشكة ، س ٩ ، انظر المرجع ذاته ٤٧٥ ، س ١٢ : من مدنها – مكران – مشكة . حول الفنزيور ، س ١٣ (بنجبور ، المرجع ذاته ، ٤٧٥ ، س ١٢) ، والقصدار (قزدار) ، انظر ما تقدم ، حاشية ٢٤٣٤) .

(٢٥٣٥) ابن حوقل : ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ . المقدسي : ٤٧٤ ، ٤٨٠ (وحاشية آ . حول ويهند ، المرجع ذاته ، ٣٤٩ ، و ٤٧٧) ، ٤٨١ . حول بعض المناطق الموصوفة في السند ، لكن التابعة بدقة إلى مكران ، انظر الحاشية السابقة .

(٢٥٣٦) الأسعار : ابن حوقل : آخر ٣١٢ ، المقدسي : ١٩٩ ، ٢٣٠ ، آخر ٤٦٦ ، ٤٦٩ (والحاشية هـ) . الضرائب : المقدسي : ١٠٥ ، ١٣٣ ، ٤٥١ . المواد المستخرجة : النبيذ (هنا خمر التمر : ابن الفقيه : ٤٥ ، مع نقاش في تحليله) ، الدوشاب (مر من قبل في بحث الكرمة ، حاشية ٢٤٧٨ . حول التمر : ابن الفقيه : ١٢٤) . حول ماء الطلع ، انظر ما تقدم ، حاشية ٢٢٨١ . حول استعمال التمر وأثره ، انظر ابن البيطار ، الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢٢٦ ، ٣١٤ – ٣١٥ ، ج ٢ ، ١٧٥ – ١٧٦ ، والاحالات الباقية الواردة في الحواشي اللاحقة .

(٢٥٣٧) انظر ملاحظة المقدسي (التي تشير بداهة إلى ظاهرة استثنائية) : ٤٧٠ في بحث كرمان السيرجان) : « لا نرى أحلى من تمرهم ، لا يمكن أن يؤكل نيأ ، وانما يصلح للعصائد » . انظر م ج ع ، ٣٠١(« لفظ عصيدة ») حيث جاء أن التمر يأخذ محل العسل لشدة حلاوته .

(٢٥٣٨) المعطيات الأساسية واردة عند ابن الفقيه : ٢٩ – ٣٠ ، والمقدسي : ١٣٠ – ١٣١ (حاشية يو من ١٣٠) و ٤٧٠ . احالات أخرى (تشمل أحياناً بعض أنواع سماها ابن الفقيه والمقدسي) : اليعقوبي : ٣٤٥ ،ابن الفقيه : آخر ١٧٥ ، آخر ١٩١ ، ٢٥٢ ، ابن حوقل : ٩٤ (ترجمة ، ص ٩٢ ، حاشية ٤٨٦) ١٨٥ ، ٢٥٤ ، ٢٨١ (مع اقتراح تصحيح ، ترجمة ص ٢٧٧ ، حاشية ٢٤٦) ، المقدسي : ٨٣ ، ٩٨ ، ١٢٨ ، ٣٠٥ .

(٢٥٣٩) انظر على التوالي ابن البيطار ، الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ١ : ٢٦٢ –٢٦٣ ج ٢ : ١٧٥ – ١٧٦ ، ج ١ : ٣١٤ – ٣١٥ ، ج ٣ : ٨٨ (ابن الفقيه ترجمة ، ص ٢١٣) الذي يعتبره نوعا : انظر ما يلي قسب العنبر .

(٢٥٤٠) ذكر المقل لجزيرة العرب (المقدسي : ٨٣ ، ٩٨) . انظر ابن البيطار ، ج ٢ ، ١٣٣ ، ج ٣ ، ٣٣٣ ، وكوتيير ، عالم الأحياء ، ج ٤ ، ٣٠١ .

(٢٥٤١) انظر المقدسي : ٣٠٥ (في سياق النقد) . والدقل أيضاً ضرب من النخل ثمره رديء ، أو النخل عامة بلا تعيين (انظر لسان العرب لفظ الدقل ، وابن الفقيه : آخر ١٢٣ ، والترجمة ، ص ١٤٩) . لاحظ تطور المعنى في اتجاه معاكس تماماً (بلا شك انطلاقاً من تأويل آخر للفظ الدقل : الدقل يكون ميقارا : انظر لسان العرب) ، دفع إلى إطلاق هذا اللفظ على ضرب من التمور استثنائي (انظر دوزي ، ملحق ١ ، ٤٥٢ — ٤٥٣ مع ذكر النوع الشهير المسمى دقلة نور) .

(٢٥٤٢) لا يجوز أن يلتبس اسم المروة مع جبل المروة بمكة : حول هذه الأخيرة ، انظر ابن حوقل : آخر ٤٠ ، المقدسي : ٨٣ ، ١٠٧ (انظر أيضاً اسم قرية ذو المروة : اليعقوبي : ٣٤١ ، وياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ١١٦) .

(٢٥٤٣) أمثلة على المنشأ : عماني : من عمان ، زغري : من زغر أو صغر جنوب البحيرة الميتة ، اليمامي : من اليمامة في جزيرة العرب ، شرقي من الشرق ، خوارزمي : من خوارزم ، كرماشاني : من كرمان ، معقلي : نسبة إلى نهر معقل في البصرة ، ريفي : نسبة إلى الريف ، بيروني من الربض ، من الفارسيـــة بيرون : لعله على وجه الدقة تمر مدينة كاث في خوارزم) . أسماءعلم : ابراهيمي : نسبة إلى ابراهيم ، قرشي : نسبة إلى قريش .

(٢٥٤٤) أحمر ، صفراء ، صفر ، بردى (نسبة إلى برد أي نسيج مقلم) ، زنبوري (نسبة إلى زنبور) باذنجاني : نسبة إلى باذنجان ، قصب (حذار من الالتباس مع قصب: تمر جاف جداً) . الجعاب (جمع جعبة : كنانة ، أيضاً أنبوب ، قسطل ، قناة : انظر دوزي ، ملحق ١ ، ١٩٧) .

(٢٥٤٥) اترجم على هذا النحو أحياناًبشيءمن التجوز : قصب العنبر (تمر جاف جداً) ، زب رباح (انظر الفصل الخامس ، ص ٣٤٩ ، مع لفظ رابح : زب القردح أو الجدي . ابن الفقيه ، ترجمة ، ص ٣٥ : « زب الرباح الذي يتحدث عنه المثل الذ من زبد بزب ») ، عروسي (نسبة إلى عروس فتاة متزوجة حديثاً) ، شابة جميلة ، جناني (نسبة إلى جنان جمع جنة) ، لكن قد يقصد أيضاً ، حرفياً وبدقة ، تمر حديقة ، تمييزاً عن الريفي أو البيروني (حاشية ٢٥٤٣) ، فحل ، بيض البغل .

(٢٠٤٦) حول النوعين الأخيرين ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٨٢ و ٢٩١ .

(٢٠٤٧) ترتبط قوائم الأسماء ، مثل قائمة الهمداني عن جزيرة العرب (همداني : ١٥٥ – ١٥٧) ، بالاهتمام بتدوين المفردات اللغوية ، لا بالوصف الذي يعنى به مصنفو الجغرافية .

(٢٠٤٨) يعتبر القول بأن الصحراء كلها نرجس مضعف تدويناً شاذاً (ما تقدم ، آخر ٤٢٦ – ٤٢٧) . أما الواحات فأراضي مزروعة ، تتناقض مع الصحراء وتنفي وجودها .

(٢٠٤٩) حول لفظ كلاء ، انظر ما تقدم : الحاشيتين ٢١٨١ و ٢١٨٣ والحاشية ٢٣٥٠

(٢٠٥٠) المقدسي : ٩٤ (الشمام ، العضون) : انظر ابن البيطار ، الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ١ ، ١٣٧ ، ٣٣٣ – ٣٣٤ ، ج ٢ ، ٤١٧ ، ٤٤٤ – ٤٤٥ ، ٤٥٤ . ذكر نبت بري آخر (في أحد الأمثال وبعيداً عن سياق الحديث عن المرعى بصراحة) : هوغر فلسطين (المقدسي : ١٨٨ . انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٠٨ ، التي تحيل إلى دوزي ، م ٢ ، آخر ٢٠٣ – ٢٠٤ : شمرة أو بقدونس بري) .

(٢٠٥١) المقدسي : ٢٨٣ . يتحدث اليعقوبي : ٣٦٥ ، عن حشيش ترعاه غزلان المسك يقال له الكدهمس أو الكندهسه ، ينبت بالتبت وقشمير .

(٢٠٥٢) حول العشب والمراعي (أو عدم وجودها) ، انظر اليعقوبي : ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ابن الفقيه : ٢٣٩ ، ابن رستة : ١٤٩ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ابن حوقل : ١٧٣ (**اب** : عشب ، **علف** ، مرعى) ، ٣٠٢ ، ٣١٣ ، **٣٢٤** ، **٣٤٨** ، ٤٤٥ ، ٤٩٩ ، ٥٠٥ ، ٥٠٧ ، ٥٠٩ ، ٥١١ ، ٥١٣ (مروج ومراعي) ، ٥١٤ ، المقدسي : ٣٤ ، ٨٥ ، ١٩٦ ، ٢٥٤ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ ، ٤٨٤ ، ٤٩٤ (حاشية ط) ، ٤٩٥ .

(٢٠٥٣) حول انتشار القرظ في فارس ، انظر لومبار ، الاسلام ، مشار إليه ، ١٧٠ .

(٢٠٥٤) القضب (ابن الفقيه : ١٢٤ ، يستشهد بالقرآن ، ٨٠ : ٢٧ / ٢٨ ، ترجمة بلاشير : قصب) مرادف ، في رأي ابن البيطار (الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ٣ ، ١٩٢) رطبة أي القضب ما دام طرياً ، لتمييزه عن اليابس (قت) . حول هذه الألفاظ ، انظر المرجع ذاته ، ج ٢ ، ١٧٦ ، ج ٣ ، ٣٥ ، ٥٩ ، والدينوري ،(كتاب النبات ، مشار إليه ، ٤٧ ، شرح الألفاظ ، ومعجم النبات ، مشار إليه ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ، ٢١٤) . حول القضب ، انظر ابن الفقيه ، مشار إليه ، وابن حوقل : ١٣٦ (مصر : باكورة البذور بالأقراط والكتان والحبوب والقرط الرطبة ، في وقت معلوم من السنة :

فهو يذكر بعد الأقراط القرط الرطبة ، وقد ترجمها وايت ، ص ١٣٥ ، بنوع من القرط يسمى الرطبة . اما ابن حوقل ، فيجمع النبتتين ، أو ، على الأصح ، القرط والقرط الرطبة ، ويحتفظ بلفظ قت ليدل على القرط اليابس : انظر المرجع ذاته ، ٢٤٠ ، (العراق: رطاب جمع رطبة وقط . تصحيح الترجمة) ص ٢٣٣ : ويزرع بها الرطاب الكثيرة ، وينخذ منه القت علفاً لجمال الحاج وغيرها) ، ٣٠٢ (فارس : رطاب ، الترجمة ، ص ٢٩٦ : قرط). حول القرط ، انظر ابن حوقل ، ١٣٦ (جمع أقراط ١٣٧ ، ٢٤٠ ، المقدسي ، ٢٠٣ حاشية صب) . انظر الترجمة ، ص ١٢٥ ، حاشية ١٢٨ مع تصحيح قرظ إلى قرط). انظر أيضاً الدينوري ، معجم النبات ، مشار إليه ، ج ٣ ، ١٧٧ . (Trifolium Alexandrinum)

(٢٥٥٥) الاصطخري : ٧٦ (ابن حوقل : ٢٧٨) .

(٢٥٥٦) المقدسي : ٢٥٢ ، ٢٥٤ (حاشية ط) . حول هذا النبت ، انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٤٦ (شرح الألفاظ) ، ومعجم النبات ، مشار إليه ، ١٨٣ — ١٨٤ .

(٢٥٥٧) حول هذه الآكام والغياض (غياض جمع غيضة ، وآجام جمع اجمة) . انظر ابن رستة ١٨٥ ابن الفقيه : ١٨٧ . ابن حوقل : ١٢٢ ، ٢٧٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٢٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٨١ ، ٤١٨ ، ٤٣٩ ، ٤٨١ ، ٥٠٠ في اطار الرياض : غياض . انظر ما تقدم ، حاشية ٢١٨٣) . المقدسي : ١٦٢ ، آخر ٣٢٩ ، ٣٦٢ ، ٤٤٦ ، ٤٨٧ (غدران جمع غدير : مستنقع ، مغيض ، كما في المقطع المذكور في الحاشية السابقة) .

(٢٥٥٨) ابنت من قبل ، ص ٤٣٦ ، القرائن التي اعتمدت عليها في التفريق بين أشجار الغابة والأشجار المثمرة ، دون أن أكون واثقاً تماماً .

(٢٥٥٩) انظر لومبار ، الاسلام ، مشار إليه ، ١٧٢ — ١٧٦ .

(٢٥٦٠) حول هذا اللفظ (طبر) انظر ديميزون ، معجم ، ج ١ ، ٤٦٠ ، ج ٢ ، ٥٣٦ . حول الغابات انظر ابن الفقيه : آخر ١٣١ — ١٣٢ ، ٣٠١ — ٣٠٢ ، ابن حوقل : ٣٧٧ ، ٣٨١ ، المقدسي ١٧٣ (جبال فلسطين ، الثقة ضعيفة بهذا المثال : « وهذه الأرض مشجرة الجبال زريعة السهول ») ، ١٨٨ لبنان ، الملاحظة ذاتها : « وأما جبل لبنان فهو . . . كثير الأشجار والثمار المباحة ») ، ٣٠٨ ، آخر ٣٥٧ (جنوب شرق بحر الخزر : انظر ما تقدم ، حاشية ٢١٨١) ، ٤٢٠ ، ٤٢١ (فارس : « وبها . . .

جبال مشجرة عامرة (مزروعة ؟) »، ٤٣٩ (فارس : مثال واضح : « الغالب عليه — أي اقليم فارس — الجبال أكثرها مشجرة والزريعة قليلة ») ، ٤٧١ (جبال البارز بكرمان ، الصيغة كما وردت في المرجع ذاته ، ص ٤٢١) . انظر أيضاً احالات إلى أنواع الخشب فيما يلي .

(٢٥٦١) ابن حوقل : ٤٣٨ ، ٤٨٧ (النبتتان المذكورتان هما الغضا والطرفاء من نوع الاسل ؟ : انظر الدينوري ، معجم النبات ، مشار إليه ، ١٧٦ — ١٧٧ ، ابن البيطار ، الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٤٠٤ — ٤٠٥ ، وغالب ، معجم ، ج ٢ ، ٢٠٩) ، المقدسي : ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٨٥ ، ٣١٥ ، ٣١٩ ، ٣٨٤ (حطب وفحم) ، ٣٩١ ، ٤٠٣ (اردأها الدفلى) ، ٤٣٠ .

(٢٥٦٢) ابن حوقل : ٤١٦ ، المقدسي : ٣٣١ (له مفتح واسع أقيم فيه الخشب . فاذا غزر الماء رفعوا تلك الخشب واحدة بعد واحدة على قدر زيادة الماء) .

(٢٥٦٣) المقدسي : ٤٤٠ (عندهم ، في فلسطين ، تخرم الأحجار كما يخرم الخشب) . يشير ابن حوقل ، ٤١٤ ، إلى عطب في خشب سجستان ، إذ يأكله الدود ، ويدوم قليلا .

(٢٥٦٤) المقدسي : ٣٢٥ .

(٢٥٦٥) حدود العالم : ١٤٣ (شوب : أي خشب هيكل بيت . لا يوثق تماماً بالنص : انظر المرجع ذاته ، حاشية ١) .

(٢٥٦٦) حدود العالم : ١٣٣ ، ١٣٥ .

(٢٥٦٧) المقدسي : ٧١ ، ١٩٦ (حاشية حب) ، أخر ٣٣١ (المقصود الوضوء) . حول لفظ جناح عوضاً عن مشربية ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٠٩ .

(٢٥٦٨) ابن حوقل : ٤٩٤ ، ٥٠١ . المقدسي : ٢٧٧ ، آخر ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٣٠٤ (حول لفظ غشك ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٠٩) ، ٣١٠ (لا خشب ولا سقيفة في مرو — الصحيح اناط) ، ٣٥٩ (وحاشية يا) ، ٣٦١ (جعلت بلغار وسمندر في دار الاسلام (انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٢٦٤ و ٢٧٩) . بنيانهم من خشب منسوجة بالقضبان ، والصورة الأخرى (المرجع ذاته ، حاشية كج) : قد نسجت : انظر بلدشينو ، مشار إليه ، ٢٢٢ ، ٢١٦) ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ .

(٢٥٦٩) المقدسي : ٢٨٩ ، ٣٧٦ (وحاشية آ ، إذا لم تكن الصورة في النسخة الأخرى ، أي حصن ، خطأ من الناسخ) ، ٤١٢ ، ٤٣١ ، ٤٤٩ .

(٢٥٧٠) المقدسي : ١٦٩ (أبواب لا نقش فيها : سواذج) – ١٧١ ، ٣٠٢ (حاشية د : حول ازار أو مخرم ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٧٨ ، ٢٢٤ ، ودوزي ، ملحق ١ ، ١٩ ، ٣٦٦ – ٣٦٧) ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٥٩ ، ٣٧٥ (وحاشية يز) ، ٤٢٧ ، ٤٦٤ ، ٤٧٩ .

(٢٥٧١) ابن الفقيه : ١٢٥ . ابن حوقل : ٣٤٧ ، ٣٨١ . حول الارزم ، انظر المقدسي : ٤٤٣ ، م ج ع ، ج ٤ ، ١٧٨ ، وديميزون ، معجم ، ج ١ ، ٥٣ ، ارجين .

(٢٥٧٢) المقدسي : ١٦٣ ، ٢٠٤ (حاشية ج) .

(٢٥٧٣) اليعقوبي : ٢٥٨ . المقدسي : ٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٢٥٧٤) المقدسي : ٩٧ (يخرج إلى عمان) . حدود العالم : ١٥٢ (حول موقع بلينة أو البلينة ، انظر ابن حوقل : آخر ١٤٤ – ١٤٥) . انظر أيضاً جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٥٩٥ ، الفهرس .

(٢٥٧٥) اليعقوبي : ٢٥٨ . ابن الفقيه : ١٢١ ، ١٩٠ (حول شخصية أبي بكر الهذلي ، انظر بيلا ، الوسط البصري ، مشار إليه ، ١١٠) ، ٢٥١ . ابن حوقل : ٤٩ . المقدسي : ٧١ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ٤٢٦ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ . حول الساج ، انظر ابن البيطار ، الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٢٣٣ .

(٢٥٧٦) ابن حوقل : ٢٨١ . المقدسي : آخر ٤٣١ – ٤٣٢ ، ٤٤٣ . حول السرو ، انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٢٤٢ .

(٢٥٧٧) المقدسي : ١٦٥ ، ١٦٩ . حول الشربين ، انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٣٣٠ – ٣٣١ ، م ج ع ، ج ٤ ، ٢٧٢ ، ودوزي ، ملحق ١ ، ٧٤٢ . ما لفظ تنوب فيصعب تحديد الشجر المقصود به ، فهو ينتمي مبدئياً إلى الصنوبريات : تنوب وبيسية (انظر ب . ليوين ، الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٢٥ ، معجم **الالفاظ** ، م ج ع ، **ج ٤** ، ١٩٨ (**cedri** species) ، غالب ، معجم ، ج ١ ، ٢٢٦ – ٢٢٧) . ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٣٢٠ ، ج ٢ ، ٣٨١ ، ٤٦٦ ، ج ٣ ، ٦٢٢ ، يتحدث عن « شجرة تنوب تحمل حب صنوبر » . لكن لماذا يستعمل المقدسي هذا اللفظ الخاص عوضاً عن اللفظ المنتظر الدال على شجر الصنوبر عامة أي الصنوبر (انظر مع ذلك من أجل لفظ صنوبر ، معنى الأرز الوارد عند ب . ليوين ، مشار إليه ، ٤٢ (معجم الألفاظ) . حول الصنوبر وحبه ، انظر الدينوري ، معجم النبات مشار

إليه ، ٨٩ ، الذي يجعل الصنوبر الشجر الأنثى والأرز الصنوبر الذكر) يعطي الدينوري (المرجع ذاته ، ٢٠ ، ٧١ – ٧٢) ، فيما يبدو ، معلومات أدق : يتخذ من التنوب والأرز (حول هذا اللفظ ، انظر أيضاً لوكليير ، ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٣٣١ : أرز أو تنوب) الأدقال الغليظة والعالية لسفن بحر الروم . وهذا الشجر مفترش جداً وعال جداً ، اسمه ليس عربياً ، وينمو في الجبال الواقعة على تخوم الأناضول ، وتتخذ منه أحسن الأصباغ . طبعاً ، تدفع هذه الصفة الأخيرة إلى الظن رأساً بأن المقصود هو الصنوبر عامة (انظر الدينوري ، معجم النبات ، مشار إليه ، ٨٩) ، إلا أن التنوب والبيسية تعطيان صبغاً (جنيه أصعب : انظر كوتيير ، عالم الأحياء ، مشار إليه ، ج ٤ ، ٢٢٣) . ولا نرى صعوبة في فهم التناقض بين صمغ التنوب والبيسية وبين صمغ الصنوبر . في النهاية أميل إلى الاعتقاد بأن التنوب يؤدي بلفظ sapin ، لكن لا أستطيع أن استبعد تماماً Pin (باستثناء تعبير صنوبر حلب أو صنوبر بيت المقدس ، الذي يتلاءم جذعه المفتول (انظر مورو ، النبات ، مشار إليه ، ٨٢٧) مع تعريف الدينوري) . حول مخروطيات جبال الأناضول الجنوبي ، المستثمرة من أقدم العصور ، انظر بلانشار ، جغرافية عالمية ، ج ٨ ، مشار إليه ، ٧١ – ٧٢ .

(٢٥٧٨) ابن حوقل : ١٨٢ (نقل خشب الصنوبر نشيط في الحقيقة قبل هجوم الروم الكبير) .

(٢٥٧٩) حور : المقدسي : ٢٧١ (ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٤٧٢ : حور أبيض) . خدنج : ابن حوقل ، ٤٦٥ ، حدود العالم : ١١٨ (لصنع القسي والسهام ، م ج ع ، ج ٤ ، ٢٢٢ . ديميزون ، معجم ، ج ١ ، ٧٤٢ (بتولة) ، دوزي ، ملحق ١ ، ٣٥٥ ، وجغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، فهرس ، ٥٧٩ . توز : المقدسي : ٤٣٥ (ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٤٧٣ – ٤٧٤ : حور أسود . م ج ع ، ج ٤ ، ١٩٨ – ١٩٩ : قشر حور أبيض ، مستعمل في الماضي لصنع نوع من الورق . دوزي ، ملحق ١ ، ١٥٤ – ١٥٥ :قشر حور أبيض أو أسود ، مستعمل لتغليف القسي والسهام والسروج . ديميزون ، معجم ، ج ١ ، ٥٣٩ : عند البكشير قشر البتولة يستعمل لهذه الغايات) .

(٢٥٨٠) شمشار : ابن حوقل : ٣٨١ . انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢٤٥ – ٢٤٦ ، ج ٢ ، ٣٤٤ ، م ج ع ، ج ٤ ، ٢٧٧ . دوزي ، ملحق ١ ، ٧٨٧ . شوحط : ابن حوقل ، مشار إليه (ترجمة ، ص ٣٧١ : خشب قسي) .انظر لسان العرب : لفظ

« نبع » . الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٤١ (معجم الألفاظ Grewia popu lifolia) ، ومعجم النبات ، مشار إليه ، ٧٣ — ٧٥ (يعتبره البعض اللوز البري الجبلي ، الأرزن ، المذكور في الحاشية ٢٥٧١) . ساسم : المقدسي : ٩٧ (مجلوب من عمان) . انظر الدينوري ، معجم ٢٥ — ٢٦ (ساسم ، ساسب ، سبيسب) ٥٥ — ٥٦ (سيسبان ، يقال أحياناً إنه مرادف لسيسب ومجلوب من الهند ، وهذا يتفق مع ما يرويه المقدسي) . ابن البيطار (مشار إليه ، ج ٢ ، ٣١٠ — ٣١١ : لعل سيسبان نوع من الطرفاء — الاثل — un tamaris) . من أجل القسي والسهام ، انظر أيضاً الحاشية السابقة (خشب الخدنج) . فان الجاحظ (ت) : ١٥٩ . انظر اللسان لفظ قان ، غالب ، معجم ، ج ٢ ، ٢٦٩ : maclure .

(٢٥٨١) خلنج (بالفارسية : موشى) : اليعقوبي : ٢٧٧ (ترجمة ، ص ٨٢ ، حاشية ٧ + جيد الخشب : جيد ويعمل) . ابن الفقيه : ٢٩٧،٢٥٥ (ويتخذون منه « عجائب ») . ابن حوقل : ٣٤٧ ، ٣٨١ . المقدسي : ٣٢٥ (يرتفع من بلغار عن طريق خوارزم) . حدود العالم : ١١٨ . يدل هذا الاسم على جنبة أو خلنج Bruyère ، لكن في الغرب على وجه التخصيص (انظر دوزي ، ملحق ١ ، ٤٠٠ . ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٤٢ — ٤٣) . لا أظن أن هذا المعنى يلائم هنا : ذكر ابن الفقيه موطنه (من ارمينية إلى خوارزم مروراً باذربيجان ونواحي بحر الخزر) . ويبدو لي أن التأكيد على التجارة (لصنع الأشياء الكبيرة كالمناضد : انظر دوزي ، مشار إليه) يلائم الخلنج (حول موطنه انظر كوتيير ، عالم الاحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ١٩٠ ، الذي تتفق معلوماته جيداً مع معلومات ابن الفقيه) ، لكني لا أجرؤ أن أزيد على هذه النقطة . حول الخلنج ، انظر أيضاً الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٣٣ (معجم الألفاظ) ، ١٦ ، آخر ١٩ — ٢٠ ، ١٦٥ (الذي يطلق هذا الاسم على جميع الأواني المصنوعة من خشب معرق وموشى) . م ج ع ، ج ٤ ، ٢٢٩ ، وجغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٥٧٩ ، الفهرس .

(٢٥٨٢) ابن حوقل : ٤٤٠ ، حدود العالم : ١٠٤ ، حول العرعر ، انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٤٤ (معجم الألفاظ) ومعجم النبات ، مشار إليه ، ١٢٨ — ١٢٩ ، وابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٢ ، ٤٤٢ — ٤٤٣ .

(٢٥٨٣) اليعقوبي : ٣٣١ . حول ليخ العصور القديمة ، انظر ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٣٦٥ ، ج ٣ ، ٢١٩ — ٢٢٠ .

(٢٥٨٤) ابن حوقل . آخر ٤٨٧ . حول الدلب ، انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٣٤ (معجم الألفاظ) ، ١٧١ . ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٣٧٦ ، ج ٢ ، ٩٠ — ٩١ .

(٢٥٨٥) ابن حوقل : ٤٩٤ . المقدسي : ٢٧١ ، ٤٤٣ . حدود العالم : ١٠٦ . أربعة أسماء : خلاف ، صفصاف (انظر الدينوري ، كتاب النبات ، ٣٣ و ٤٢ (معجم الألفاظ : يخلط أحياناً بين هذه الأسماء وبين الحور) ، ١٣ ، ٢٤ ، ٤٣ ، ٦٠ ، ١٠٢ ، ١٣٤ ، ١٤٢ — ١٤٣ ، ١٨٥ ، والمعجم ، ٥٣ (مع لفظ سوجر ، الذي يرادف الاثنين الآخرين) ، ابن البيطار (مع أسماء أخرى) ، مشار إليه ، ج ١ ، ٩٤ ، ٢٠٠ — ٢٠١ ، ٢٦٣ — ٢٦٤ ، ٢٨٢ ، ج ٢ ، ٤٣ — ٤٤ (الذي يسمح بتحديد الاسبيدال) من الفارسية : اسبيد (سفيد) ، « أبيض » ، ودال عوضاً عن دار ، « شجرة » : انظر ديميزون ، معجم ، ج ١ ، ٨٥٨ ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٧٩ (خنج أبيض) ، وديميزون ، مشار إليه ، ٧٣ : خنج أو حور أبيض) واعتباره من بين أنواع الخنج ، نعني Salx cap rea, marsault : انظر كوتيير ، عالم الاحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ٤٤) ، ١١١ ، ج ٣ ، ١٠) : الخنج بالفارسية أبيض . سميت الشجرة بهذا النعت في كتاب حدود العالم ، مشار إليه : لاسيما وان أوراق الحور الأبيض فضية الظهر ، وان النص يشير في الوقت ذاته إلى مرونة الخشب .

(٢٥٨٦)المقدسي : ١٩٨ (تدوينان ، حول تقوت الأربعين رجلا المتصوفين بثمر البلوط ، انظر ما تقدم في بحث الشعير) ، ١٨٩ (حاشية آ) ، ٢٣١ (قلعة البلوط في صقلية) . حول البلوط انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٤٤ ، وابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢٥٩ — ٢٦١ ،

(٢٥٨٧) المقدسي : ٤٣٦ (ذكر من قبل ، الفصل الخامس ، ص ٣٣٦) ، ٤٦٢ (مدينة صغيرة اسمها غبيرا تكرر ذكرها في المرجع ذاته : ٤٧٣) . حول شجرة الغبيراء ، انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٤٥ (معجم الألفاظ) ومعجم النبات ، مشار إليه ، ١٦٧ ، وابن البيطار ، مشار إليه ، ج ٣ ، ٧ — ٨ ، الذي يكرر الصفة العائد إلى سلوك النساء ويتوسع بها .

(٢٥٨٨) ابن الفقيه : ٢٥١ ، المقدسي : ٩٧ (استنتج الاستعمال لما يمكن أن يقال لنا عن القصب) . حول الخيزران ، انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ١٤٥ .

(٢٥٨٩) حول القصب ، انظر ابن حوقل ، ٢٧٧ (استعمالات واسعة مشار إليها) ،

٣٨١ (أكثر أبنيتها الخشب والقصب) ، المقدسي : ٤٨٠ . من أجل قصب فارس (arun do donax) ، انظر ابن حوقل : ١٢٢ ،المقدسي : ١٨٨ ، م ح ع ، ج ٤ ، ٣٢٥ ، ودوزي ، ملحق ٢ ، ٣٥٢ . من أجل الهند المسلمة أو غير المسلمة : ابن الفقيه : ٢٥١ ، يذكر القنا بلا تدقيق اضافي (المرجع ذاته ، ٤١ روماني ، معجم الألفاظ arundo indica) .

(٢٥٩٠) حول جمع هذين القصبين ، انظر المقدسي : ١٨٩ (حاشية آ) . قارن بالمرجع ذاته ، ١٨٨ ، بيوت من القش .

(٢٥٩١) ابن حوقل : ٣٠٢ و ٣٠٣ ، يتحدث عن ضرائب تفرض في فارس على الآجام أي النبات الذي ينمو في المستنقعات (الترجمة ، ص ٢٩٦ و ٢٩٧ : مقصبة) .

(٢٥٩٢) ابن الفقيه : ٦٦ ، ابن حوقل : ٢٤٠ ، ٢٧٧ ، المقدسي : ٩٨ ، ١١٨ ، ١٦٢ ، ١٧١ ، ١٨٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٣ ، ٢٣٩ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٦٩ ، ٣٨١ ، ٤٤٢ ، ٤٥١ (حاشية ب من ٤٥٠) .

(٢٥٩٣) المقدسي : ٣٢٤ (حول نعت فندقي ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣١٨) . حول عبادان وحصرها ، انظر المقدسي : ١١٨ ، ١٢٨ ، ٢٠٣ (في مصر) ، ٤٤٢ (حصر مماثلة في فارس) ، ٤٥١ (حاشية ب ، من ٤٥٠) ، و م ج ع ، ج ٤ ، ٢٩٥ . يمكن أن ندخل في أعلى هذه الأنواع حصر السامان : انظر ما يلي :

(٢٥٩٤) المقدسي : ١٧١ . حول معنى وظيفة ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٧٧ .

(٢٥٩٥) للفظ القصب معاني كثيرة : فيمكن أن يعنى قصب السكر (قصب السكر أو قصب : مثال الحاشية ٢١٨١) أو نوعاً من التمر أو من قماش الكتان : انظر ما تقدم عن هذه المحاصيل الزراعية .

(٢٥٩٦) المقدسي : ١٦٢ ، ٢٠٤ . أشار ابن حوقل أيضاً : ٢٧٧ (فارس) إلى سعة استعمال الحلفاء .

(٢٥٩٧) المقدسي : ٢١٣ (حول لفظ قنّ ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٢٥) .

(٢٥٩٨) حدود العالم : ١٣٧ (وزال) .

(٢٥٩٩) سامان : ابن حوقل : ٢٤٠ ، المقدسي : ١٢٨ . انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٥٧ (مع احالة خاطئة إلى المقدسي : ١٦٢ ، الموضوع يتعلق بالحلفاء) . دوزي ، ملحق ١ ،

٦٢٢ (سهم الماء) . ابن البيطار (مشار إليه ، ج ١، ٣٦١ ، ج ٢ ، ٢٩٢) يعطي صورة سمار .

(٢٦٠٠) ابن الفقيه : ٦٦ ، مع صورة دقل عوضاً عن ديس : انظر المرجع ذاته ، ٢٥ (معجم الألفاظ) . اختار من الأسماء العلمية الواردة عند دوزي ، ج ١ ، ٤٨١ ، الاسم المقترح هنا والذي يؤيد كوتيير (عالم الاحياء ، مشار إليه ، ج ٤ ، ٢٥٧) استعماله في صناعة حصر الحلفاء . فلفظ ديس (واحدته ديسة : انظر الادريسي ، طبعة دي خويه ودوزي ، معجم الألفاظ ، آخر ٣٠٢ — ٣٠٣ ، ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٣٧) يدل ، مثلما يقول لوكلير بدون إضافة (ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٦٤) ، « شيئاً آخر اليوم » : يرى كوتيير انه إحدى السحلبيات (المرجع ذاته ، ج ٤ ، ٣٣٣) ويلاحظ تماثل الشكل بين بعض السحلبيات والاسل والسوسن الايريسياء .

(٢٦٠١) حول عجائب النبات ، انظر ت . فهد ، « العجيب في الحيوان والنبات والمعادن » ، مشار إليه .

(٢٦٠٢) ابن رستة : ١٧٠ .

(٢٦٠٣) ابن الفقيه : ٢٨٧ .

(٢٦٠٤) ابن الفقيه : ٧٣ . الوضع المعاكس الحجارة الحصاة التي تسبح في الخل . أسماء الخشب الذي يرسب في الماء : الابنوس والشيز والعناب والاهندل . فالشيز يحيل إلى العناب أو الابنوس العرعر : انظر الدينوري ، كتاب النبات ، مشار إليه ، ٤١ (معجم الألفاظ) ، ومعجم النبات ، مشار إليه ، ٧٧ . والاهندل أصله من الفارسية من اهن (حديد) ودال (دار : شجرة) : أجهل الخشب المقصود .

(٢٦٠٥) ابن الفقيه : ٦٦ . حول السنط ، انظر المرجع ذاته ، ٣٠ روماني (معجم الألفاظ) ، وغالب ، معجم ، ج ١ ، ٥٧٠ — ٥٧٢ .

(٢٦٠٦) ابن الفقية : ٢٠٧

(٢٦٠٧) المقدسي ، ج ٤ ، ٨٩

(٢٦٠٨) المقدسي ، المرجع ذاته ، المسعودي (م) : فقرة ٥١٢ ، في حديثه عن الهند ، بلا أي تدقيق اضافي . ويذكر السند (الهند المسلمة) في هذا القسم من الكتاب : المرجع ذاته ، فقرة ٥١٠ — ٥١١ . استوحيت معظم ترجمتي من ترجمة ش . بيلا . يلاحظ أن اسم الشجرة غير وارد في النص العربي .

(٢٦٠٩) يفترض هذا العلاج وسائل خاصة (العمل عن بعد ، تحول النبات) ، ويختلف عن العلاج الآخر الذي يعتمد على أثر النبات في الجسم مباشرة .

(٢٦١٠) المقدسي : ٣٩٧ .

(٢٦١١) المقدسي : ١٤٦ – آخر ١٤٧ .

(٢٦١٢) المقدسي : ٣٦٨ .

(٢٦١٣) ابن الفقيه : ٦٦ . انظر المرجع ذاته ، ٤٨ روماني (معجم الألفاظ) . يشار إلى ذكرى الدغل الملتهب (سفر الخروج ، ٣ : ٢) ، وإلى بعض النبات الذي يحتمل أن تكون خصائصه قد أوحت بالصفة الواردة : هنا : فالومقس (Dictamnus albus) شجرة فصيلتها كثيرة جداً وتتبخر بسرعة فائقة حتى ان لها منيراً يحدث من اقترابها من الكبريتة » ، انظر كوتيير ، عالم الاحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ١٧٨ .

(٢٦١٤) الفارسية : خش ، خوش (جيد) وسايه (ظل) : ابن رستة : آخر ١٥٨ –١٥٩ (اللفظ المستعمل بق ، يمكن أن يعني الدويبة أيضاً) . صورة أخرى (١٥٨ حاشية ه) تعطي لهذا الشجر اسم واسلك ، وتميز صورة أخرى (١٥٩ ، حاشية آ) بين واسلك وشجرة « الظل الجيد » بالمعنى الضيق المسماة أيضاً نارونه (« شجرة أقصر وأدور وأكبر ») : ديميزون ، معجم ، ج ٤ ، ٩) . انظر أيضاً : المقدسي : ٣٣٣ (وبه – جبل نيسابور – شجرة لها ثمر إذا شق خرج منه « حيوان له أجنحة ») ، ٣٩٧ (شجرة تمد شيئاً عظيماً بها ملاعق ومراود (شيئاً عظيماً بها ملاعق ومراود (أو خشبة تدور في اللجام) ، وفي الحاشية ط : intelligitur arbor sedeh sive arbor culicum . انظر ديميزون ، معجم ، ٢ ، آخر ٢٠٥ – ٢٠٦) . المقصود شجر الدردار الذي يسمى في المشرق شجرة الذباب : انظر ابن البيطار ، كتاب الأدوية المفردة مشار إليه ، ج ٢ ، ٨٣ ، دردار ، ج ٣ ، ٢٣٧ – ٢٣٨ . يسهل جداً هنا ان نتصور كيف نشأت الأسطورة : من الثمر ، « جناحيات لها جناحان كبيران . . . أقراص صغيرة لا تحصى تنشرها الرياح » (كوتيير ، عالم الاحياء ، مشار إليه ، ج ٥ ، ٥٩) . بقي أن نلاحظ أن الأسطورة حافظت بدقة على مجالها ، فضخمت إلى حد خارق حجم الثمار ، ورفضت على وجه التخصيص أن تذهب لتشاهد عن كثب أمر هذا « الذباب » .

(٢٦١٥) المقدسي : ٢٩٧ . الوقواق خشب تتخذ منه الدوي ، هذا تعريفه في لسان العرب . م ج ع ، ج ٤ ، ٣٧٩ . ديميزون ، معجم ، ج ٤ ، ٢٣٦ . أما المقدسي ، فيدرج هذه

الأشجار في العجائب ويوحي أنه يستغرب الوضع ، فيروى ما (ذكروا) له عن هذا الشجر .
جميع هذه النواحي تحيل إلى بلد الوقواق المجهول (من شجره أنقل الخصائص الواردة هنا :
انظر جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ز ، ٥١٢ — ٥١٣) ، حتى لو كانت هذه
الشجرة ، التي رآها جميع الزوار ، تتضاءل أمام الصفات الأسطورية المنسوبة إلى الأصل
(انظر غ . فران ، في م ١ ، ج ٤ ، ١١٦٦) . حول معنى زيادة ، انظر م ج ع ،ج ٤ ،
٢٥٦ (Propylaeum templi) .

(٢٦١٦) انظر ما تقدم ، الفصل الخامس ، ص ٣٥٦ — ٣٥٧ .

(٢٦١٧) انظر ما تقدم ، الفصل الثالث ، ص ٢٥١ .

(٢٦١٨) أخذت المعطيات عن العنبر عن الجاحظ (١) : ٢٠٢ ، أخبار الصين والهند :
فقرة ٤ ، ١٠ ، ١٤ ، ٣٠ (وحاشية ١) ، ابن خرداذبه : ٦١ ، ابن سيرابيون :
آخر ٩٣ — ٩٤ ، ١٣٠ — ١٣١ ، اليعقوبي : ٣٦٦ — ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ابن الفقيه :
٢٥١ ، المسعودي (م) : فقرة آخر ٣٦٣ — ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ابن حوقل : ٩٧ ،
المقدسي: ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ (وحاشية د) ، آخر ٢٣٩ ، الرازي ٩١ ، حدود العالم :
١٥٦ ، وصيف شاه : ٣٥ — ٣٧ ، ٤١ .

(٢٦١٩) يتحدث البعض عن بحر الروم أيضاً . وهذا كاف لكي يتصور أبو زيد السيرافي
(سيرافي : آخر ٩٣ — ٩٤) ان العنبر ، وهو شرقي اساساً ، مادام لا يستطيع أن يذهب
إلى بحر الروم بسبب برزخ السويس ، فهو يدور في بحار أخرى ، أي البحر المحيط ،
الذي يحيط بالعالم .

(٢٦٢٠) أجرى ابن سيرابيون هذا التحفظ صراحة : ١٣١ .

(٢٦٢١) المقدسي : ١٠٢ (حول آيب ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٨٢) وآخر ٢٣٩ .

(٢٦٢٢) المقدسي : ١٠٢ . حول لفظ شقة (وضع ثوب عوضاً عنها في الحاشية د) ،
انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٧٦ ، ودوزي ، ملحق ١ ، ٧٧٣ .

(٢٦٢٣) انظر المسعودي (م) : فقرة ١١٠٧ ، ١٤٢٥ ، ابن حوقل : ٧٥ ، ٧٩ ،
المقدسي : ١٦ ، ١٨ ، ٢٣٩ ، ٢٧٨ ، حدود العالم : ١٥٤ . الألفاظ المستعملة هي
مرجان (الذي يدل في المشرق على نوع من اللؤلؤ : انظر ما تقدم الفصل الخامس ، الحاشية
٢٠٤٣) وقرن عوضاً عن قرن البحر : انظر م ج ع ، ج ٤ ، آخر ٣٢٣ — ٣٢٤ .

دوزي ، ملحق ٢ ، ٣٣٨ . حول المرجان ، انظر الدينوري ، معجم النبات ، مشار إليه ، ٢٦٩ ، وابن البيطار ، الأدوية المفردة ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢٢٣ — ٢٢٥ ، ج ٣ ، ٣١٤ .

(٢٦٢٤) انظر ما تقدم ، الفصل الثالث ، ص ٢٤٢ . التوزيع يعتمد على القرآن : ٥٥ : ٢٢ : « يخرج منهما — أي البحرين — اللؤلؤ والمرجان » .

(٢٦٢٥) « مرسي الخرز » ، اسم أصداف صغيرة وكريات زجاج وغيرها من الزينات الرخيصة .

(٢٦٢٦) خلافاً لابن حوقل ، المستشهد به هنا ، يتحدث ديوسقوريدس (ابن البيطار ، مشار إليه ، ج ١ ، ٢٢٤) عن هذه الظاهرة بعد أن يغادر المرجان الماء .

(٢٦٢٧) المقدسي : ٣٧٨ : « والوجوه كاللؤلؤ والمرجان » صيغة تختلف عما ورد في القرآن عن النسوة اللواتي ينتظرن المختارين في الجنة : كأنهن الياقوت والمرجان : القرآن : ٥٥ / ٥٨ .



الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحـة

* * *

٣٠٠١٠ ط١ / ٤ / ١٩٩٣

هذا الجزء من موسوعة اندريه ميجيل (جغرافية دار الاسلام البشرية) مكرس للطبيعة أي للجبال والانهار والابحار .. الطبيعة بذاتها بوصفها كيانا له ذاتيته واستقلاله ومن حيث الاشياء المرتبطة بها (ارتباط السهل بالجبل والجزيرة بالبحر والعمران بالنهر) ارتباطها ايضا بالانسان ـ حكاياته ، تصوراته ، أوهامه ، أساطيره .. فالانسان في هذا الكتاب بعد من أبعاد الطبيعة : الجبال مخابىء وملاجىء سارة ورهيبة ، والمياه قد تكون عذبة او مالحة صافية او وسخة . وهذا يعني ان نظرة الجغرافي العربي الى الطبيعة كلية وجمالية . فالجغرافي العربي يبدأ مثلا بالحديث عن نهر النيل أو نهر الفرات وينتقل من النهر الى الانسان الذي يفيد منه ، ثم ينتقل من الانسان الى قصص الانسان وحكاياته ومن هذه الى خالق الانسان او من الطبيعة الى ما بعد الطبيعة . فالكتاب تسجيلي ، علمي (مثلا تصنيف الانهار في بلد ما) وفي الوقت ذاته تقييمي اخلاقي بمعنى ما فلسفي يطرح باستمرار اسئلة منها على سبيل المثال : ما دور الماء في حياة الانسان ؟ ما هو عليه هذا الدور وما يجب ان يكون عليه . فلا عجب اذا كان المؤلف يعتبر عمل الجغرافيين العرب ادبا وقد يكون فلسفيا . وبالفعل فان الجغرافي العربي يجمع بين الخريطة والوصف ، بين النثر والشعر بين الاعتبارات الجمالية والقيم .

هل تجاوزت الجغرافيا الحديثة العلمية جغرافية اجدادنا ؟ بمعنى ما نعم . فنحن اليوم نعرف عن الارض واسرارها اكثر مما كانوا يعرفون . الا اننا فقدنا بالمقابل نظرتهم الانسانية والجمالية .. والواقعية . فالطبيعة كما نعيشها في سياق حياتنا اليومية ليست في ذاتها اي ليست كما يقدمها لنا علم الجغرافيا . بل هي كما نتفاعل ونتعامل معها فتكوننا ونكونها . وهذا الجانب الانساني هو الذي ما يزال يستدعينا ويتحدث الينا حتى اليوم والى ما شاء الله في مؤلفات الجغرافيين العرب .

وفي الانسان بعد ما يتجاوز الزمان والمكان .

الطبع وفرز الألوان في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٣

سعر النسخة داخل القطر ١٠٠ ل.س

في الاقطار العربية ما يعادل ٢٠٠ ل.س